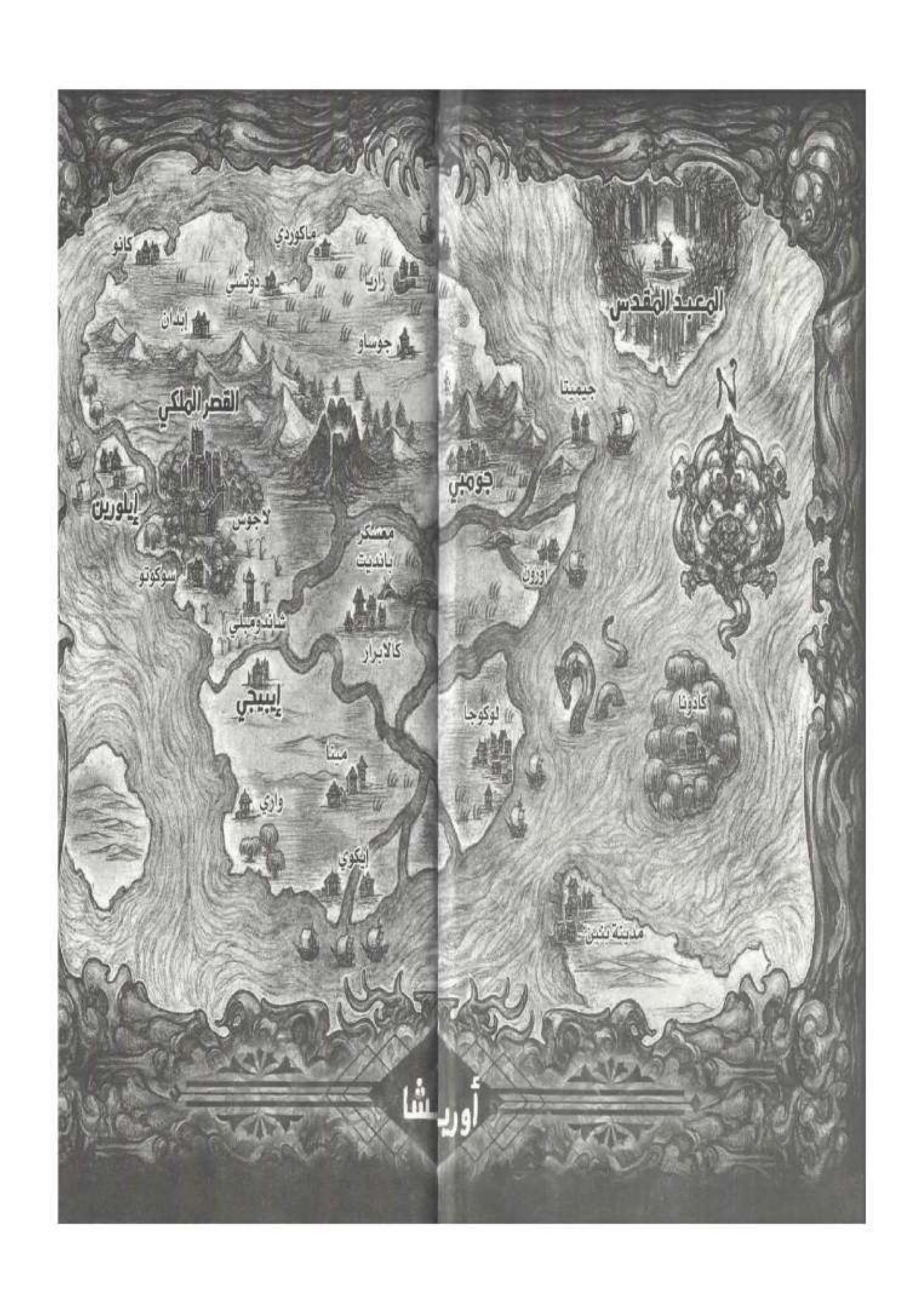
من أكثر الروايات مبيعًا في العالم وفقًا لنيويورك تايمز

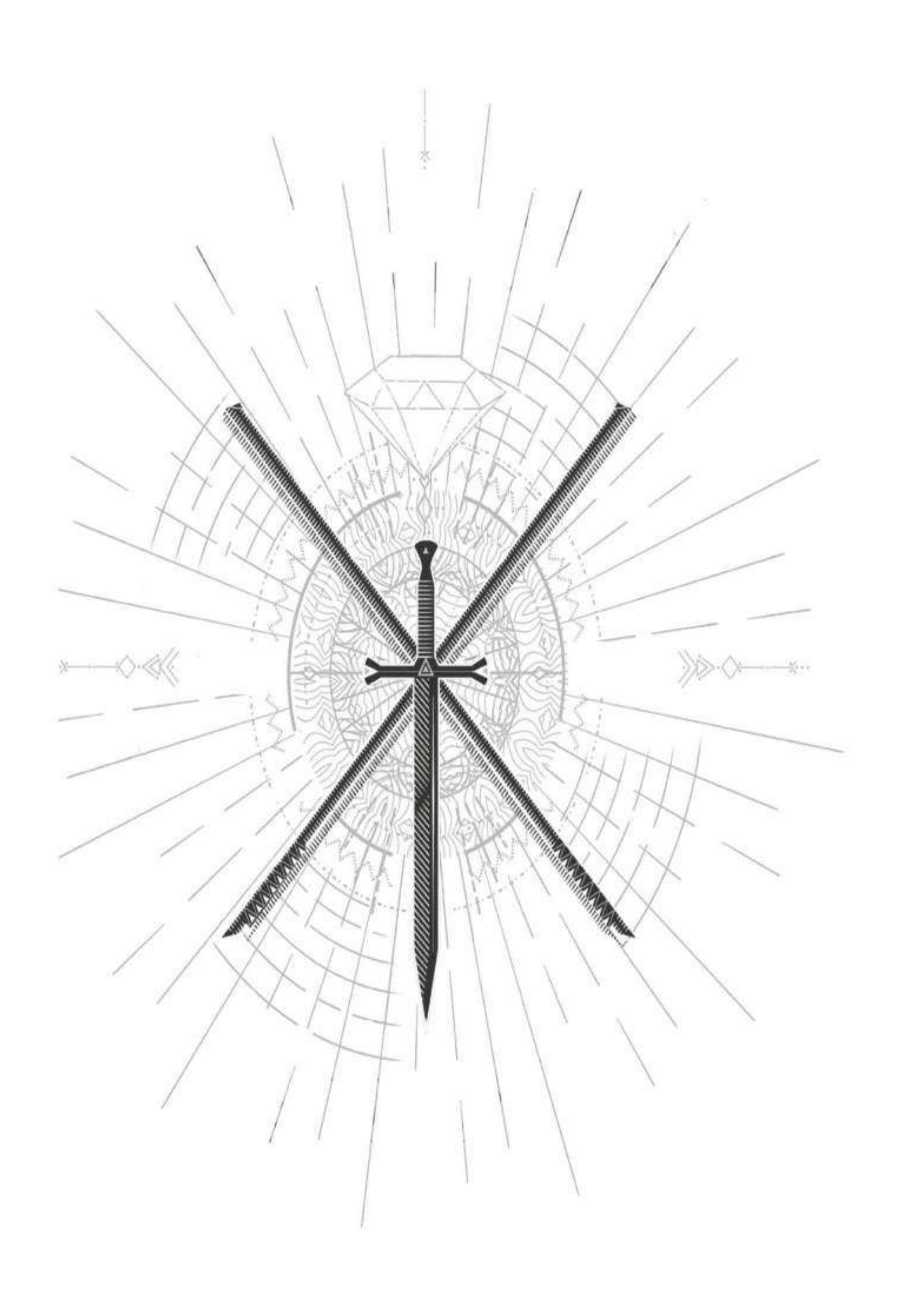
# أبناء الدم والعظم

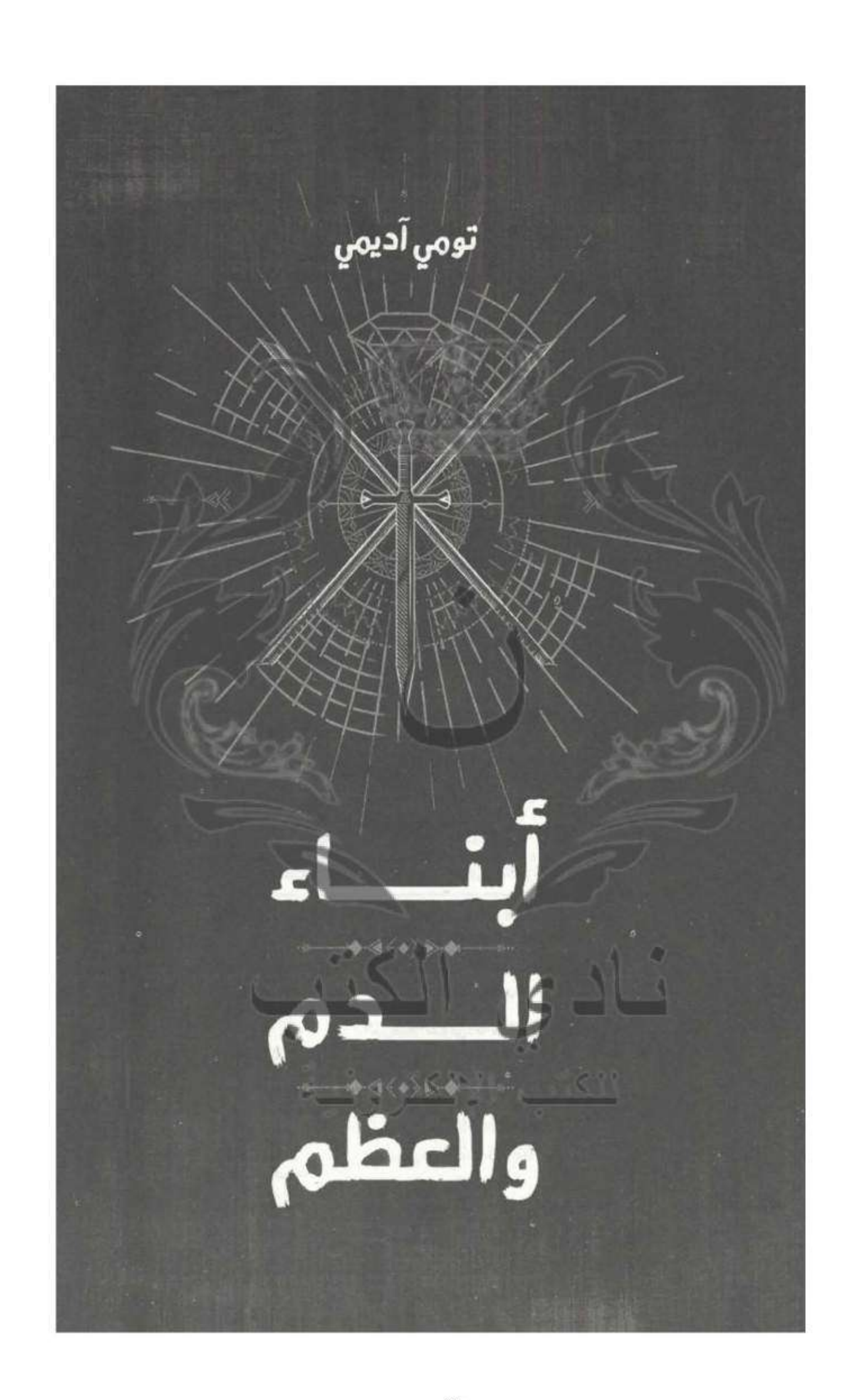
تومي آديمي




دار نهضة مصر


المعبد المقدس
كانو
ماكوردي
زاريا
دوتسي
إبدان
جوساو
القصر الملكي
جيميتا
جومبي
إيلورين
لاجوس
معسكر
بانديت
أورون
سوكوتو
شاندومبلي
كالابرار
إيبيجي
لوكوجا
كادونا
مينا
واري
إيكوي
مدينة بندن
أوريشا




تومي آديمي
أبناء
الدم
والعظم


MOHAMED KHATAB

**العنوان: أبناء الدم والعظم**
**تأليف: تومي أديمي**
**ترجمة: محمد أحمد مقلد**
**مراجعة: إدارة النشر والترجمة بدار نهضة مصر للنشر**

**إشراف عام: داليا محمد إبراهيم**



813.0876
أديمي، تومي- مؤلف.

أبناء الدم والعظم / تأليف تومي أديمي ؛ ترجمة محمد أحمد مقلد ؛ مراجعة إدارة الترجمة والنشر بدار نهضة مصر للنشر ؛ إشراف داليا محمد إبراهيم. الجيزة ؛ دار نهضة مصر للنشر، يناير 2020.

713، 01، أص. ، خريطة ؛ 13.7×19.5سم.

ترجمة عن كتاب Children of Blood and Bone

يحتوى على قائمة بالعشائر الرئيسية بالرواية ص. ، 01، 02.

يشتمل على قائمة بمصطلحات الرواية ص. ، أ، ب.

يشتمل على خاتمة، كلمة المؤلفة، شكروتقدير، وآراء مؤلفين آخرين بالعمل فى نهاية الكتاب.

تدمك ؛ 6-5861-14-977-978

تنقلنا الرواية إلى عالم الخيال في رحلة أسطورية إلى أرض «أوريشيا» التي كانت تطن بالسحر، وتتذكر «زالي أديبولا» بطلة الرواية التي مرت بها، وتحاول الإطاحة بولي العهد الذي نذر نفسه لإبادة السحر من جذوره، وتمر أحداث الرواية بالحرب بينها وبين عدوها وهي تكافح لترويض القوى السحرية التي تمتلكها ومشاعر الغضب المتصاعدة بداخلها نحو أعدائها.

1. العنوان. 2. مقلد، محمد أحمد (مترجم). 3. دار نهضة مصر للنشر (الجيزة). إدارة الترجمة والنشر (مراجع). 4. إبراهيم، داليا محمد (مشرف). 5. أ. القصص الخيالية. ب. القصص الخرافية. جـ. السحر. د. الخرافات. هـ. التنجيم. و. القصة الشعبية - تاريخ ونقد. ز. الأساطير. ح. التعاويذ. ط. الروحانيات. ي. الحيل.



الترقيم الدولي: 6-5861-14-977-978
رقم الإيداع: 3219 / 2020
طبعة: يناير 2020




أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

تليفون: 33466434 - 02 33472864
فاكس: 02 33462576
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com

21 شارع أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة


ن
نادي الكتب
للكتب الإلكترونية




إلى أمي وأبي
اللذين ضحيا بكل شيء
حتى تتاح لي هذه الفرصة.
&
إلى جاكسون
الذي آمن بي وبهذه القصة
قبل أن يأتيني هذا الإيمان بزمن طويل.

# العشائر الرئيسية

## قبائل الماجي

### قبيلة الكيو

ماجي الحياة والموت
لقب الماجي: الحاصد
الإله: أويا

.............................

### قبلية إويمي

ماجي العقل والروح والأحلام
لقب الماجي: الواصل
الإله: أوري

.............................

### قبيلة أومي

ماجى الماء
لقب الماجي: ساحر المد والجزر
الإله: إيموجا

.............................

### قبيلة إينا

ماجي النار
لقب الماجي: ساحر النار
الإله: سانجو

.............................

### قبيلة أفيفي

ماجي الهواء
لقب الماجي: ساحر الريح
الإله: آياو

.............................

### قبيلة آياي

ماجي الحديد والأرض
لقب الماجي: ساحر الأرض + ساحر المعدن
الإلو: أوجيون

..................................

**قبيلة الإيمولي**

ماجي الظلام والضياء
لقب الماجي: ساحر الضياء
الإله: أوكوماري

..............................

**قبيلة آيووسان**

ماجي الصحة والمرض
لقب الماجي: ساحر الشفاء + ساحر المرض
الإله: بابليوواي

..............................

**قبلية أريران**

ماجي الزمن
لقب الماجي: العراف
الإله: أوريونميلا

..............................

**قبيلة إيرانكو**

ماجي الحيوانات
لقب الماجي:ساحر الترويض
الإله:أوكسوسي.

## مصطلحات الرواية

**البروماليهات:** نباتات زهرية أحادية الفلقة.

**الداشيكي:** زي تقليدي يُلبس في غرب إفريقيا.

**الكوسيديون:** الأوريشيون الذين ليس لديهم القدرة على ممارسة السحر.

**الربانيون:** ماجي في انتظار تمكينهم من استخدام قدراتهم السحرية.

**الماجي:** مواطنون كانت لديهم قدرات خاصة قبل أن يحاول الملك القضاء على السحر.

**شاندوميلي:** اسم أحد المعابد في الرواية.

**الآشي:** مادة في دم الماجي تعطيه القوة؛ وهي ما يحتاجه كل ماجي لممارسة السحر.

**الفوكسر، الليونيرة، الهيبون، ليوبانيرة الثلوج، الشيتانيرة، الليوبارد، بانثنيرة:**

كائنات أسطورية في الرواية.

**السويدي:** جلد أو قماش مزأبر.

**أوريشا:** المملكة لتي تقع بها لأحداث.

**الأجبون:** لعبة رياضية.

**السينيت:** لعبة مصرية قديمة شبيهة بالشطرنج.

**البيدق:** مفرد بيادق، وهي القطع التي يُلعب بها.

**جوريليونة:** أعداد أو أحجام هائلة.

**السماء الأم:** أم الآلهة العشرة.

**السينتارو:** أوصياء روحيون، مهمتهم ربط روح السماء الأم بالماجي على الأرض.

**السينباريا:** لغة التعاويذ المقدسة.

**التيوباني:** طعام يُطهى بالبخار ويصنع من خليط من دقيق الفول والماء، ويباع في حواري شمال غانا.

**إيبيلي:** زي تقليدي إفريقي.

**بولا:** سلاح رماية؛ عبارة عن أوتار متصلة فيما بينها تنتهي أطرافها بأثقال، ويستخدم في اصطياد الحيوانات بتشبيك أرجلها.

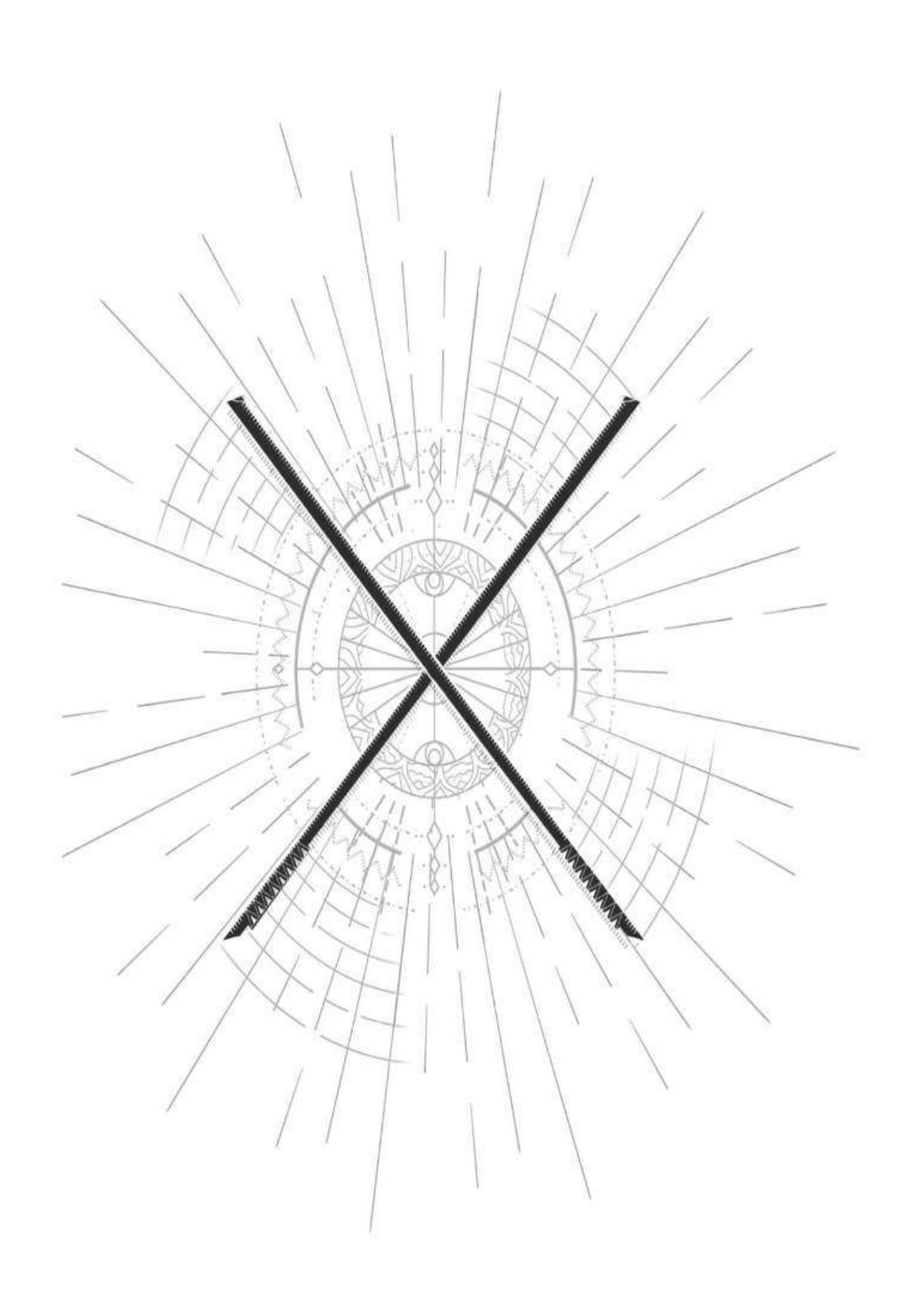
**أجبادا:** زي تقليدي في غرب إفريقيا.

**الدودة:** كلمة ازدراء يُشار بها إلى الماجي.

**توجيو:** حانات يجتمع فيها الربانيون.

**الماجيست:** سلاح يستخدمه الملك وجنوده.

**العائدون:** أرواح تعيدها «زالي» إلى الحياة وتقوم بتوجيهها كيف تشاء.



أحاول ألَّا أفكر بها.
لكن حينما يزورني طيفها، أستحضر صورة الأُرز.
حينما كانت ماما معنا، كانت رائحة أُرز الجولوف دائمًا ما تفوح من الكوخ.
أتذكر كيف كانت بشرتها الداكنة متوهجة مثل شمس الصيف، وكيف كانت بسمتها تُعيد بابا إلى الحياة. أتذكر كيف كان زغب شعرها الأبيض الملفوف تاجًا جَموحًا ينبض ويزهو.
أسمع الأساطير التي كانت تحكيها لي ليلًا، وضحك «زين» حين كانا يلعبان «الأجبون» في الحديقة.
وأسمع صيحات بابا والجنود يلفون سلسلة حول عنقها.
وأسمع صرخاتها وهم يجرونها إلى حيث يبتلعها الظلام.
وأسمع التعاويذ التي انطلقت من فمها مثل الحُمم.
وأدرك سحر الموت الذي أودى بها، وأتذكر كيف تدلَّى جثمانها من تلكم الشجرة.
وأتذكر الملك الذي انتزعها من بيننا.

# الفصل الأول

# زالي

*أغيثوني.*

كل ما كان بوسعي أن أفعله هو ألَّا أصرخ. أنشبت أظفاري في هراوتي المصنوعة من خشب المارولا، ورحت أضغط بيدي حتى لا يبدو عليَّ التململ. كانت حبات العرق تتدحرج على ظهري، إلا أنني لم أكن أدري هل هي من حرارة الفجر الباكرة، أم من ضربات قلبي الذي يصطَفِق بين أضلعي! لقد مرت أشهر من بعدها أشهر، ولم يصبني الدور.

واليوم لا يمكن أن يكون مثل غيره.

أزحت خصلة من الشعر الأبيض بياض الثلج فجعلتها خلف أذني، وبذلت قصارى جهدي كي أجلس متماسكة. كالمعتاد، كانت «ماما أجبا» تجعل الاختبار مرهقًا، فكانت تحدق في كل بنت وتطيل التحديق حتى يظهر علينا الارتباك.

كان حاجبا «ماما أجبا» ينعقدان من التركيز، فتزداد ثنيات رأسها الحليق غورًا. وكانت - ببشرتها البنية الداكنة وقفطانها المُحتشم- تبدو كما تبدو أي عجوز أخرى في القرية. لا يمكنك أن تخمِّن أن تكون امرأة في مثل سنها فتاكة إلى هذا الحد.

«إحم». تنحنحت «يامي» أمام الأهيري، في إشارة لا تخفى على لبيب بأنها اجتازت هذا الاختبار بالفعل. كانت تصطنع الابتسام لنا بينما تدير هراوتها المصنوعة يدويًّا، متلهفة لتعرف من منا ستنهزم أمامها في مباراة تخرُّجنا. معظم الفتيات يجَفْلن من احتمال مواجهة «يامي»، لكنني اليوم أتوق إلى تلك المواجهة. لقد تدربت وصرت اليوم جاهزة.

«زالي».

اخترق الصمتَ صوتُ «ماما أجبا» الذابل، فأجابتها زفرة جماعية من الفتيات الخمس عشرة الأخريات اللاتي لم يتم اختيارهن. ترددت أصداء الاسم بين جدران الأهيري الخيزران المجدولة قبل أن أدرك أن «ماما أجبا» نادتني.

«حقًّا؟».

مطت «ماما أجبا» شفتيها، وقالت: «يمكنني أن أختار أخرى..».

«لا». انتصبت واقفة وانحنيت سريعًا. «شكرًا ماما أجبا، أنا جاهزة».

انشق بحر من الأوجه البنية وأنا أخترق الحشد، وفي كل خطوة كنت أركز في وَقْع خطوات قدميَّ العاريتين على الخيزران في أرضية «ماما أجبا»؛ لتحديد الاحتكاك الذي أحتاجه للفوز بهذه المباراة والتخرج في النهاية.

حين بلغت السجادة السوداء التي تقوم مقام حلبة الصراع، انحنت «يامي» أولًا، وانتظرت مني أن أفعل الشيء نفسه، لكن نظرتها لم تفلح إلا في إذكاء النار بأحشائي. كانت وقفتها تخلو من الاحترام، ولا تعِد بصراع لائق، وكانت تعتقد أنني دونها؛ لأنني ربانية.

كانت تظن أنني سأخسر.

«انحني، يا زالي». ورغم أن التحذير كان واضحًا بصوت «ماما أجبا»، لم يكن بوسعي أن أحمل نفسي على الحركة. وفي موضعي هذا القريب من «يامي»، لم أكن أرى سوى شعرها الأسود الفاتن، وبشرتها التي بلون الجوز البني، والتي يعتبر لونها أخف بكثير مني. كانت ملامحها تحمل اللون البني الخفيف للأوريشيين الذين لم يقضوا يومًا واحدًا في العمل تحت حرارة الشمس، فحياتهم مرفهة، تمولها عملات نقدية مُسكتِة من والد لم تعرفه يومًا؛ والد من النبلاء أبعد ابنته اللقيطة إلى قريتنا درءًا للعار.

أرجعت كتفيَّ إلى الوراء ودفعت صدري إلى الأمام، منتصبة في مقام ينبغي فيه أن أنحني. وكانت ملامح «يامي» بارزة وسط هذا الجمع من الربانيات المزينات بالشعر الأبيض بياض الثلج. وقد اضطر الربانيون مرارًا وتكرارًا للانحناء لمن لهم نفس ملامحها.

«زالي، لا تجعليني أكرر ما أقول».

«لكن ياما ما..».

«انحني أو اتركي الحلبة. أنت تضيِّعين وقتنا جميعًا».

وبدون أية حركة أخرى، أطبقت أسناني وانحنيت، وهو ما جعل ابتسامة «يامي» المقيتة تتسع: «هل كان الأمر صعبًا إلى هذا الحد؟»، انحنت «يامي» مرة أخرى مبالغة في التحية: «إن كنت ستخسرين، فليكن هذا بعزة».

اندلعت أصوات قهقهات مكتومة بين الفتيات، سرعان ما أسكتتها إشارة حادة من يد «ماما أجبا». صوبت نحوهنَّ نظرة ساخطة قبل أن أركز

على خصمي.

سنرى من ستقهقه حين أفوز.

«خذوا أوضاعكم».

تراجعنا إلى حافة السجادة ورفعنا هراوتينا عن الأرض. اختفت نظرة «يامي» الهازئة، بينما راحت عيناها تضيقان، وتكشفان عن غريزتها القاتلة.

حدقت كلتانا في الأخرى، في انتظار إشارة البدء. بدأت أقلق من أن تطيل «ماما أجبا» هذا إلى ما لا نهاية حين صاحت أخيرًا:

«ابدءا».

وفي لحظة كنت قد اتخذت وضعًا دفاعيًا.

وقبل أن أفكر في الضرب، تمايلت «يامي» بسرعة شيتانيرة، وكانت هراوتها تتأرجح فوق رأسها في لحظة وفوق عنقي في اللحظة التالية. ورغم أن البنات من خلفي شهقن، فإنني لم أفوت الفرصة.

ربما تكون «يامي» سريعة، لكن يمكنني أن أكون أسرع.

حين اقتربت هراوتها، قوست ظهري إلى أقصى مدى يتحمله؛ لتفادي الضربة. وكنت لا أزال مقوسة حين عاجلتني «يامي» بضربة أخرى، مطوحة بسلاحها بقوة لا تتمكن منها إلا فتاة في ضِعف حجمها.

ألقيت بنفسي جانبًا، وتدحرجت على السجادة بينما ضربت هراوتها أعواد الخيزران. تراجعت «يامي» كي تضرب مرة أخرى وأنا أقاوم لأقف على قدمي.

صاحت «ماما أجبا» باسمي محذِّرة، لكني لم أكن بحاجة إلى مساعدتها. وفي حركة رشيقة، انتصبتُ واقفة ورفعت عصاي إلى أعلى، متصدية لضربة «يامي» التالية.

اصطدمت هراوتانا بفرقعة عالية ارتجت لها جدران الخيزران. وكان سلاحي مازال يهتز من الضربة حين تمركزت «يامي» لتضرب ركبتيَّ.

سحبت رجلي الأمامية وأرجحت ذراعيَّ لاكتساب قوة الدفع، دائرة في الهواء كما تدور العجلة. وبينما كنت أهوي بهراوتي على هراوتها الممدودة، رأيت ثغرتي الأولى.. فرصتي للهجوم.

«هاه!» صحت صيحة مدوية، مستخدمة قوة الدفع الهوائية لإنزال ضربة أهجم بها. مهلًا..

اصطكت هراوة «يامي» بهراوتي، موقفة هجومي قبل أن يبدأ.

صاحت بي «ماما أجبا»: «صبرًا يا زالي. ليس هذا بالوقت المناسب لتهجمي.. راقبي.. ردي.. انتظري حتى تضرب غريمتك».

أسكتُّ صرخة كادت تنطلق مني، وأومأت متراجعة بهراوتي. قلت لنفسي بلهجة المدرب: «انتظري حتى يحين دور..».

همست «يامي» بصوت منخفض جدًّا لا يسمعه غيري: «كلام صحيح يا زيل. أنصتي لماما أجبا. كوني دودة صغيرة مهذبة».

كانت هذه هي الحاسمة.

تلك الكلمة.

تلك الوصمة التعسة المهينة.

تلك الكلمة المهموسة بلا اكتراث، مغلفة بتلك الابتسامة المتعالية.

قبل أن أتمكن من إيقاف نفسي، طوحت هراوتي إلى الأمام، على بعد شعرة فقط من بطن «يامي». سأتلقى من «ماما أجبا» إحدى «عُلَقها» الذميمة عن هذا فيما بعد، لكن الخوف الذي في عيني «يامي» يستحق هذا وزيادة.

«إيه!» ورغم أن «يامي» استدارت نحو «ماما أجبا» لتطلب تدخلها، لكنها لم تجد الوقت لتشتكي، فقد هززت هراوتي بسرعة جعلت عينيها تتسعان قبل الانطلاق في هجوم آخر.

صرخت «يامي»: «ليس هذا تمرينًا!» وهي تقفز لتفادي ضربتي على ركبتيها. «ماما..».

قلت ضاحكة: «هل ينبغي أن تقاتل من أجلك؟ هيا يا يام. إن كنت ستخسرين، فليكن ذلك بشرف!».

اتَّقد الغضب في عيني «يامي» مثل ليونيرة بقرني ثور على وشك الوثوب، وقبضت على هراوتها استعدادًا للانتقام.

وهنا بدأ القتال الحقيقي.

طنَّت جدران أهيري «ماما أجبا» بينما كانت هراوتانا تصطدمان المرة تلو المرة. تبادلنا الضربات بحثًا عن ثغرة، فرصة لإنزال تلك الضربة الحاسمة. ولاحت لي فرصة حين....

«آخ!».

تعثرت وتكومت، وندَّت عني حشرجة بينما كان الغثيان يتصاعد في حلقي. للحظة ظننت أن «يامي» حطمت أضلعي، لكن الألم الذي كان في بطني خفف من هذا الخوف.

«توقفا».

«لا!» قاطعتُ «مام أجبا» بصوت أجشّ. سحبت الهواء بشدة إلى رئتي واستندت على هراوتي لأستوي واقفة. قلت: «أنا بخير».

لم أنتهِ بعد.

قالت ماما: «زالي...»، لكن «يامي» لم تنتظر حتى تنتهي من جملتها، أسرعت نحوي وقد أهاجها الغضب، وصارت هراوتها على بعد إصبع من رأسي. وبينما كانت تتراجع لتهجم، درت حول نفسي حتى لا أكون في مرمى هجماتها. وقبل أن تستطيع التمركز، استدرت وهويت بهراوتي على عظم صدرها.

تأوهت «يامي» لاهثة، وتقلص وجهها من الألم والصدمة وهي ترجع إلى الخلف تحت تأثير ضربتي لها. لم يسبق قط أن ضربها أحد في أي من معارك «ماما أجبا»، فهي لم تجرب هذا الشعور من قبل.

وقبل أن تتمكن من استعادة توازنها، استدرت وهويت بهراوتي على بطنها. وكنت على وشك تسديد الضربة الأخيرة حين انزاحت الأجواخ الخمرية التي تغطي مدخل الأهيري.

هرولت «بيسي» إلى الداخل، وشعرها الأبيض يتطاير خلفها. كان صدرها الصغير يعلو ويهبط حين اشتبكت نظرتها بنظرة «ماما أجبا».

سألتها ماما: «ما الأمر؟».

تجمعت الدموع في عيني «بيسي»، وقالت متذمرة: «أنا آسفة، رحت في النوم، أنا.. أنا لم أكن».

«انطقي يا بنت».

قالت «بيسي» أخيرًا: «إنهم قادمون! لقد اقتربوا، وكادوا يصلون إلى هنا!».

للحظة فقدت القدرة على التنفس، ولا أظن أن أحدًا يستطيع. لقد شل الخوف كل ذرة في كيان كل منا. ثم انتصرت إرادة الحياة.

همست «ماما أجبا» قائلة: «أسرعوا، ليس أمامنا كثير من الوقت».

جذبتُ «يامي» لأوقفها على قدميها. كانت لا تزال تتنفس بصعوبة، لكن ليس هناك وقت للتأكد من أنها على ما يرام. قبضت على هراوتها وأسرعت لجمع الباقيات.

اندلعت حالة من الفوضى المشوّشة في الأهيري والجميع يتسابقون لإخفاء الحقيقة. تطايرت أمتار من الأقمشة الزاهية في الهواء، وانتصب

جيش من المانيكانات المصنوعة من الخيزران. ومع حدوث كل هذا دفعة واحدة، لم يكن من سبيل لمعرفة ما إذا كنا سنخفي كل شيء في الوقت المناسب. لم يكن بوسعي إلا أن أركز في مهمتي؛ لدفع كل الهراوات تحت سجادة الحلبة حيث لا يمكن رؤيتها.

وبينما كنت أنهي مهمتي، ألقت «يامي» في يدي بإبرة من الخشب. وكنت لا أزال في طريقي مهرولة إلى موقعي المحدد حين انفتحت الأجواخ التي تغطي مدخل الأهيري مرة أخرى.

صاحت «ماما أجبا» باسمي بصوت كالنباح.

تجمدت في مكاني. استدارت نحوي كل الأعين في الأهيري، وقبل أن أتكلم، صفعتني «ماما أجبا» على مؤخرة رأسي؛ وهي الوحيدة القادرة بصفعتها هذه على إنزال الألم بعمودي الفقري كله.

قالت في حدة: «امكثي في موقعك، أنت ما زلت بحاجة إلى الكثير من التدريب».

«ماما أجبا، أنا...».

انحنت ماما بينما كان قلبي يخفق بشدة، وعيناي تومضان بالحقيقة.

كان هذا نوعًا من الإلهاء..

وسيلة لاكتساب بعض الوقت.

«أنا آسفة ماما أجبا. سامحيني».

«ارجعي إلى موقعك فحسب».

وَأدتُ ابتسامة كادت تفلت مني وحنيت رأسي معتذرة، خافضة رأسي بما يتيح لي فحص الحارسين اللذين دخلا. مثل معظم الجنود في أوريشا، كان المظهر العام للأقصَر في الحارسين يشبه مظهر «يامي» العام: ملامح بُنيَّة مثل الجلد البالي، يتوجها شعر أسود كثيف. ورغم أننا فتيات صغيرات، كان يضع يده على رمانة سيفه. كانت قبضته على السيف محكمة، وكأن إحدانا يمكن في أي لحظة أن تهاجمه.

كان الحارس الآخر طويلًا ومهيبًا تبدو الجدية على ملامحه، وبشرته أكثر دكنة بكثير من زميله، وقد ظل واقفًا بالقرب من المدخل، وعيناه تركزان على الأرض. ربما كان لديه من حسن الخلق ما يجعله يشعر بالحرج مما سيفعلانه.

كلا الرجلين كان يختال بخاتم الملك «ساران» الظاهر بوضوح على لَأْمتيهما الحديديتين. مجرد نظرة إلى صورة ليوبانيرة الثلوج جعلت أمعائي

تتلوى، حيث كانت تمثل إشارة خشنة إلى العاهل الذي أرسلهما.

رحت أتظاهر بتبادل العبوس مع المانيكان الخيزران الخاص بي، بينما كادت رجلاي أن تنهارا طلبًا للراحة. وما كان يبدو منذ حين حلبة قتال صار الآن بمثابة جزء العرض في محل حياكة. كانت أقمشة قَبَلية زاهية تزين المانيكانات أمام كل فتاة، مقصوصة ومثبتة بالنماذج التي تتفرد بها «ماما أجبا». رحنا نحيك حواشي نفس أزياء الداشيكي التي كنا نحيكها على مدى سنوات، ونخيط في صمت ونحن منتظرون أن يرحل الحارسان.

راحت «ماما أجبا» تتنقل بين صفوف البنات، لتختبر ما تقوم به تلميذاتها. ورغم توتري، ابتسمت ابتسامة عريضة حين جعلَت الحارسين ينتظران، رافضة أن تقر بحضورهما غير المرحَّب به.

سألتهما أخيرًا: «هل هناك ما يمكنني أن أعمله لكما؟».

صاح الحارس الأدكن قائلًا: «هذا وقت الضريبة. هيا لتدفعي».

غابت الدماء عن وجه «ماما أجبا» كما تغيب الحرارة ليلًا، وقالت: «لقد دفعت ضرائبي الأسبوع الماضي».

قال الحارس الآخر وهو يجول بنظرته على الربانيات بشعرهن الأبيض الطويل: «هذه ليست ضريبة مهنية. لقد زادت معدلات الديدان، وبما أن لديك الكثير منهن، كذلك ضريبتك قد ارتفعت».

*بطبيعة الحال.* قبضت على القماشة على المانيكان الخاص بي حتى شعرت بالألم في قبضتي.

لم يكن كافيًا للملك قهر الربانيين، فكان عليه أيضًا كسر كل من يحاول مساعدتنا.

اصطك فكاي وأنا أحاول ألا أرى الحارس؛ حتى أنسى تلك الطريقة التي خرجت بها كلمة «ديدان» من بين شفتيه. ليس مهمًّا أننا لن نكون في يوم ما ماجي كما ينبغي أن نكون. في أعينهم مازلنا مجرد ديدان.

هذا هو ما يرونه ولا شيء سواه.

توترت عضلات فم «ماما أجبا» حتى صار كالخيط المشدود، فلا سبيل أمامها تحصل منه على المال المطلوب. قالت محتجة: «لقد رفعتم بالفعل ضريبة الربانيين في الشهر الماضي، والشهر الذي سبقه».

تقدم الحارس الأقل دكنة إلى الأمام، وقد مد يده نحو سيفه، مستعدًّا للهجوم عند أول علامة على التحدي، وقال: «ربما لا ينبغي عليك الإبقاء على الديدان برفقتك».

«ربما ينبغي أن تتوقفوا عن سرقتنا».

اندلعت الكلمات من فمي قبل أن أتمكن من إيقافها. حبس مَن بالغرفة أنفاسهم. تجمدت «ماما أجبا» في مكانها، متوسلة إليَّ بعينيها النجلاوين أن أصمت.

قلت متسائلة: «الربانيون لا يكسبون مزيدًا من المال، فمن أين تتوقعون أن تأتي هذه الضرائب الجديدة؟ لا يمكن رفع الضرائب المرة تلو الأخرى، فإن استمر رفعكم لها، فلن نستطيع السداد!».

راح الحارس يتبختر بطريقة جعلتني أتوق لهراوتي.

بضربة محكمة يمكنني أن أسقطه أرضًا؛ وبقوة الدفع المناسبة يمكنني أن أحطم عنقه.

لأول مرة أدرك أن الحارس لا يحمل سيفًا عاديًّا، حيث كان نصله الأسود يبرق في غمده، ومعدنه أثمن من الذهب.

*الماجيست*...

سبيكة تصنع منها الأسلحة سَبَكها الملك «ساران» قبل الغارة، والسبب في صنعها هو إضعاف سحرنا واختراق لحمنا وحرقه.

تمامًا مثل السلسلة السوداء التي لفوها حول رقبة ماما.

الماجي القوي يمكنه التغلب على تأثيرها، لكن معدنها النادر موهن لمعظمنا. ورغم أنني لا أملك سحرًا يُكبَت، فإن قرب نصل الماجيست مني ينخس جلدي بينما يحاصرني الحارسان.

«الأفضل لك أن تغلقي فمك أيتها الصغيرة».

كان الرجل محقًّا. ينبغي أن أغلق فمي وأبتلع غضبي؛ ينبغي أن أصمت لأعيش ليوم آخر.

لكن مع اقترابه من وجهي إلى هذا الحد، كنت أمنع نفسي بصعوبة من أن أغرس إبرة الخياطة في عينيه البنيتين الجاحظتين. ربما ينبغي أن أبقى ساكنة، أو ربما ينبغي أن يموت.

«أنتَ ينبغي أن...».

دفعتني «ماما أجبا» دفعة أسقطتني أرضًا.

مدت يدها بحفنة من العملات قائلة: «خذا هذا».

«ماما، لا...».

تطاير الشرر من عينيها في نظرة جمدت الدم في عروقي. أغلقت فمي وأنا أحاول الوقوف بينما رجلاي لا تحملانني، ودفنت وجهي في قماش

المانيكان المنقوش.

سمعت صلصلة العمات بينما كان الحارس يعد القطع البرونزية التي في كفه. زمجر الحارس حين انتهى من العد قائلًا: «هذا لا يكفي».

قالت «ماما أجبا» بنبرة بدأ اليأس يتسرب إليها: « لا بد أن يكفي، فهذا كل ما لدي».

أشعر بلسع الكراهية وسخونتها تمور تحت جلدي. هذا ليس صوابًا. لا ينبغي أن تتذلل «ماما أجبا» بهذه الطريقة. رفعت عينيَّ حتى التقتا بعيني الحارس. وكان هذا خطأً، فقبل أن أتمكن من إدارة وجهي أو إخفاء مقتي، جذبني من شعري.

تأوهت وصحت من الألم الذي سرى في رأسي كالرمح. وفي لحظة، طرحني الحارس أرضًا على وجهي حتى كدت أختنق.

قال الحارس وهو يغوص بركبته في ظهري: «ربما لا يكون معك مال، لكن بالتأكيد لديك عدد لا بأس به من الديدان». قبض الحارس على فخذي بقسوة قائلًا: «سأبدأ بهذه».

شعرت بحرارة تسري في جسدي وأنا أحاول التنفس لاهثة، وقبضت يديَّ حتى لا تظهر رعشتهما. أريد أن أصرخ، أن أكسر عظامه جميعًا، لكن كانت كل لحظة تمر تزيدني وهنًا، ولمسته تمحو كل معنى لوجودي؛ تمحو كل شيء كافحت للوصول إليه.

شعرت في تلك اللحظة أنني عُدت تلك الفتاة الصغيرة، مسلوبة الإرادة والحارس يجرجر أمي بعيدًا. دفعت «ماما أجبا» الحارس وجذبتني إلى صدرها قائلة: «هذا يكفي». مزمجرة كما لو كانت ليونيرة بقرني ثور تدافع عن وليدها. «لقد أعطيتُك ما معي من عملات، ولن تنال غير ذلك. اذهب. الآن».

استشاط الحارس غضبًا لجرأتها، وهمَّ بتجريد سيفه من غمده، لكن الحارس الآخر منعه من ذلك: «هيا. علينا أن نغطي القرية كلها قبل العتمة».

ورغم أن الحارس الأدكن كان يتكلم بصوت هادئ، فإنه كان يضغط فكيه بقوة، ولعله يرى في وجوهنا أمًّا، أو أختًا، أو شيئًا يذكره بمن يرغب في حمايتهم.

وقف الجندي الآخر ساكنًا للحظة، وبلغ سكونه مبلغًا لا يشي بما هو مقدِم على فعله. في النهاية أبعد يده عن السيف، إلا أن نظرته نفسها كانت

أقطع من السيف.

قال موجهًا حديثه لـ «ماما أجبا»: «علّمي هذه الديدان الطاعة، وإلا فسأعلمهن أنا».

تحول نظره إليّ؛ ورغم أن جسدي كان يتصبب عرقًا، فإن داخلي كان متجمدًا. أرسل الحارس عينيه بين رأسي وقدمي، محذّرًا إياي مما يمكنه فعله.

وددت لو أنني أستطيع أن أرد بما يتحداه، لكن لم أكن أقوى على النطق.

وقفنا صامتين حتى خرج الحارسان وتلاشى وقع حذاءيهما المعدنيين.

تبخرت قوة «ماما أجبا» كما ينطفئ لهب شمعة في مهب الريح، و استندت إلى أحد المانيكانات. تضاءلت المحاربة الفتاكة التي أعرفها؛ حتى صارت في عيني امرأة عجوزًا، مهيضة الجناح، لا أعرفها.

(ماما...».

تحركت لأساعدها، لكنها أطاحت بيدي بعيدًا. «أودي».

تصفني بالحمق. تشتمني بلغة الماجي، اليوروبا، التي تم تجريم التحدث بها بعد الغارة. لم أسمع لغتنا منذ فترة بلغ من طولها أنني استغرقت بضع لحظات كي أتذكر ما تعنيه الكلمة.

«ما الذي أصابك بحق الآلهة؟».

مرة أخرى، صرت محط أنظار كل من بالأهيري، حتى «بيسي» الصغيرة رمقتني بنظرة غاضبة. لكن أنّى لـ «ماما أجبا» أن تصيح بي هكذا؟ كيف يكون هذا خطئي بينما الحارسان المحتالان هما اللصوص؟!

«كنت أحاول حمايتك».

«حمايتي؟ تعلمين أن ما تقوله شفتاك لن يغير شيئًا. لقد أوشكت أن تكوني سببًا في هلاكنا جميعًا!».

تعثرت قدماي، وقد أذهلتني لهجتها الجافة. لم أرَ هذا الإحباط في عينيها من قبل قط.

«إذا لم يكن بوسعي مقاومتهم، فلماذا نحن هنا؟».

كان صوتي متهدجًا، لكنني خنقت عَبرتي. «ما الفائدة من التدريب إذا كنا لا نستطيع حماية أنفسنا؟ لماذا نتدرب إذا كنا لا نستطيع حمايتك؟».

«بحق الآلهة فكري يا زالي. لا تفكري بنفسك فحسب! من سيحمي والدك إن ألحقت أذًى بهذين الرجلين؟ مَن لزين حين يأتيه الحراس

للثأر؟».

حاولت أن أرد، لكن لا يوجد ما يمكنني قوله. كلامها صحيح. حتى لو أنني أسقطت بعض الحراس، فلا يمكنني أن أهزم الجيش بالكامل. عاجلًا أو آجلًا سيجدونني.

عاجلًا أو آجلًا سينالون ممن أحب.

تضاءل صوت «بيسي» حتى بدت كفأر مذعور، وتشبثت بثنيات سروال «يامي» بينما اغرورقت عيناها بالدموع وهي تتساءل موجهة حديثها لـ «ماما أجبا»: « لماذا يكرهوننا؟».

بدا الإرهاق على وجه «ماما أجبا»، وفتحت ذراعيها لـ «بيسي»:

«إنهم لا يكرهونك يا طفلتي. هم يكرهون ما أنت صائرة إليه».

دفنت «بيسي» نفسها في قماش قفطان ماما؛ لتكتم نحيبها. وبينما كانت تبكي، كانت «ماما أجبا» تفحص الغرفة، وفطنت إلى كل الدموع التي حبستها الفتيات الأخريات.

«زالي سألت عن الحكمة من وجودنا هنا، وهذا سؤال وجيه. نحن في الغالب نتحدث عن كيفية القتال، لكننا لا نتحدث قط عن سبب القتال». أجلست ماما «بيسي» وأشارت إلى «يامي» بأن تحضر لها كرسيًا: «ينبغي أن تتذكروا يا بنات أن الأمور لم تكن هكذا دائمًا. لقد كان الجميع في نفس المعسكر يومًا ما». بينما كانت «ماما أجبا» تستقر على الكرسي، تجمعت البنات حولها، متلهفات لسماع ما ستقول. كانت دروس ماما تنتهي كل يوم بحكاية أو «حدوتة»، فيها عظة الأيام الخوالي. وفي المعتاد كنت أدفع نفسي إلى المقدمة كي ألتهم كل كلمة. أنا اليوم قد مكثت على الأطراف، حيث أقعدني الخجل عن الاقتراب. فركت «ماما أجبا» كفيها، ببطء وتدبر. ورغم كل ما حدث، افترت شفتاها عن ابتسامة واهنة، ابتسامة لا ترسمها إلا حكاية واحدة. انهارت قدرتي على المقاومة، فاقتربت، متخطية بضع فتيات. هذه هي قصتنا. هذا هو تاريخنا.

في الواقع حاول الملك دفنها مع موتانا.

«في البداية كانت أوريشا تشهد ازدهارًا للماجي النادر المقدس. كانت كل قبيلة من القبائل العشر تنعم بهبات الآلهة وتمتلك قوة مختلفة على الأرض. كان هناك من الماجي من يستطيعون التحكم بالماء، وآخرون كانت النار تأتمر بأمرهم. وكان هناك من الماجي من يعلمون ما تخفيه الصدور، وكان منهم من يستطيعون استطلاع الغيب».

ورغم أننا جميعًا سمعنا هذه القصة يومًا ما.. من «ماما أجبا»، من آباء فقدناهم.. فإن سماعها مرة أخرى لا ينفي العجب من تفاصيلها. لمعت عيوننا بينما كانت «ماما أجبا» تصف الماجي الذين يستطيعون الشفاء من الأمراض، ومن لديهم القدرة على الإصابة بها، وزاد شغفنا بينما كانت تتحدث عن أفراد الماجي الذين لديهم القدرة على ترويض الوحوش الضواري، ومن يستطيعون تسخير النور والظلام في كف أيديهم.

«كان كل ماجي يولد بشعر أبيض دليلًا على لمسة الآلهة. وكانوا يستخدمون مواهبهم في رعاية أهل أوريشا، وكانوا موضع احترام في طول البلاد وعرضها. لكن هبات الآلهة لم تكن تعم الجميع». جالت «ماما أجبا» بنظرها في الغرفة وقالت: «لهذا السبب، في كل مرة كان يولد فيها أحدٌ من الماجي كانت قطاعات بأكملها تعمها البهجة؛ احتفالًا برؤية خصلاته البيضاء. أما الأطفال المختارون فكانوا لا يستطيعون ممارسة السحر قبل بلوغهم الثالثة عشرة. وبالتالي، حتى تظهر قدراتهم، كان يطلق عليهم الإيباوي «الربانيون».

رفعت «بيسي» ذقنها وابتسمت، حين تذكرت مصدر لقب الربانيين الذي يطلق علينا. انحنت «ماما أجبا» وهي تجذب خصلة من شعرها الأبيض، وهي علامة تعلّمنا جميعًا أن نخفيها.

«تقدم أبناء الماجي في أوريشا، وأصبحوا أول ملوك وملكات. وفي ذلك الوقت كان الجميع يعرفون السلام، لكن هذا السلام لم يدم. بدأ الذين في السلطة يسيئون استخدام سحرهم، وكان العقاب من الآلهة حرمانهم من مواهبهم. وحين كان السحر ينضب من دمهم، كان شعرهم الأبيض يختفي؛ دليلًا على خطيئتهم. وبمرور الأجيال تحول حب الماجي إلى خوف، وتحول الخوف إلى كراهية، وصارت الكراهية عنفًا، ورغبة في مسح الماجي من الوجود».

خفتت إضاءة الغرفة على إيقاع كلمات «ماما أجبا». كنا جميعًا نعلم ما بعد ذلك؛ الليلة التي لا نتحدث عنها قط، والتي ليس بوسع أي منا أن ينساها.

«حتى تلك الليلة، كان أبناء الماجي ينجون مما يحاك بفضل استخداهم قدراتهم في الدفاع عن أنفسهم. لكن منذ إحدى عشرة سنة اختفى السحر، ولا يعرف السبب في ذلك إلا الآلهة». أغلقت «ماما أجبا»

عينيها وأطلقت تنهيدة حارة: «يومًا ما كان السحر حيًّا نابضًا، وفي اليوم التالي صار في خبر كان».

ولا يعرف سبب ذلك إلا الآلهة فقط؟

احترامًا لـ «ماما أجبا»، ابتلعت كلماتي. كانت تتحدث بنفس الطريقة التي يتكلم بها كل البالغين الذين شهدوا الغارة، مذعنين لمسوغات منها أن الآلهة سلبونا السحر لمعاقبتنا، أو أنهم ببساطة غيروا رأيهم.

في أعماق قلبي، كنت أعرف الحقيقة. وكنت أعرفها في اللحظة التي رأيت فيها ماجي إبدان في السلاسل. ماتت الآلهة مع سحرنا الذي مات، ولن تكون لهم عودة.

واصلت «ماما أجبا» قائلة: «في ذلك اليوم المشئوم، لم يتردد الملك ساران، فاستغل لحظة ضعف الماجي في توجيه ضربته».

أغلقت عيني؛ لقطع السبيل أمام الدموع التي تريد أن تسقط. تذكرت السلسلة التي رموها حول رقبة ماما، والدماء التي كانت تتساقط على التراب. صار كوخ الخيزران مشحونًا بذكريات الغارة، حتى تشبَّع هواؤه باللوعة.

لقد فقدنا جميعًا أبناء الماجي في أسرنا تلك الليلة. تنهدت «ماما أجبا» وانتصبت واقفة، مستجمعة قوتها التي نعرفها جميعًا. راحت تنظر إلى كل فتاة في الغرفة مثل جنرال يفحص قواته.

«أنا أُعلِّم الضرب بالهراوة لأي فتاة تريد أن تتعلم؛ لأن هذا العالم لن يخلو أبدًا من رجال يرغبون في إيقاع الأذى بكنَّ. لكنني بدأت هذا التدريب بالربانيين، بكل أطفال الماجي الراحلين. ورغم أن قدرتكنَّ على أن تصبحن من الماجي قد اختفت، فإن الكراهية والعنف ضدكن لن يتوقفا. هذا هو سبب وجودنا هنا. وهذا هو سبب قيامنا بالتدريب».

بحركة حادة، رفعت «ماما أجبا» هراوتها المتينة وضربت بها الأرض: «إن خصومكن يحملن السيوف، فلماذا أُدرِّبكن على الضرب بالهراوة؟».

رددت أصواتنا الأنشودة التي جعلتنا «ماما أجبا» نرددها المرة تلو الأخرى. «إن الهراوة تطيش ولا تؤذي، تؤذي ولا تجرح، تجرح ولا تقتل. إن الهراوة لا تُدمِّر».

«إنني أعلمكن أن تكنَّ محاربات في الحديقة حتى لا تكن بستانيات في الحرب. أعطيكن القوة على القتال، لكن عليكن جميعًا أن تتعلمن قوة ضبط النفس». استدارت ماما ناحيتي وقد تراجعت بكتفيها إلى الخلف: «

لابد أن تحمي من لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم. هذا هو فن الضرب بالهراوة».

أومأت الفتيات، لكن كل ما كان بوسعي فعله هو التحديق في الأرض. مرة أخرى، كدت أدمر كل شيء. مرة أخرى، خذلت الآخرين.

تنهدت «ماما أجبا» قائلة: «حسنًا، هذا يكفي اليوم. اجمعنَ أشياءكن وسنكمل في الغد من حيث انتهينا».

تتابع خروج الفتيات، شاعرات بالجميل لنجاتهن. حاولت أن أحذو حذوهن، لكن يد «ماما أجبا» المجعدة أمسكت بكتفي.

«ماما...».

قالت بلهجة آمرة: «صمتًا».

نظرت لي آخر الفتيات نظرة تنم عن التعاطف.

كانت الفتيات يدعكن مؤخراتهن، ربما وهن يحسبن عدد الضربات التي تنتظر مؤخرتي.

*عشرون لتجاهل التمرين.. خمس عشرة للحديث في دوري.. ومائة لأنني أوشكت أن أتسبب في قتلنا جميعًا..*

لا. المائة ضربة ستكون كرمًا زائدًا على الحد بكثير.

«خنقت تنهيدة وتهيأت للجلد. طمأنت نفسي بأن الأمر سيمر بهدوء. سننتهي قبل أن..».

«اجلسي يا زالي».

أعطتني «ماما أجبا» كوبًا من الشاي وصبت لنفسها كوبًا. اندفعت الرائحة الحُلوة إلى أنفي بينما انتقل الدفء من الكوب إلى يدي.

انعقد حاجباي وأنا أقول: «هل وضعت سمًّا في هذا الشاي؟».

اختلجت زاويتا شفتي «ماما أجبا»، وأخفت سخريتها خلف ملامحها الصارمة. أما أنا فقد أخفيت سخريتي برشفة من الشاي، متلذذة بطعم العسل على لساني. أدرت الكوب في يدي ورحت أعبث بإصبعي في الخرز الأرجواني المدمج في حافته. كان لدى ماما كوب كهذا الكوب... كان خرزه فضيًّا، ويحمل صورة «أويا»؛ إلهة الحياة والموت. للحظة أبعدتني الذكرى عن إحباط «ماما أجبا»، لكن بينما تلاشى طعم الشاي، عاودني الشعور المرير بالذنب. لم يكن صوابًا أن تتعرض لهذا، خصوصًا بسبب ربانية مثلي.

«أنا آسفة». قلتها وأنا أعبث بالخرز في حافة الكوب متفادية النظر إلى أعلى. «أعرف... أعرف أنني لا أجعل الأمور سهلة بالنسبة لك».

مثل «يامي»، كانت «ماما أجبا» من الكوسيدان، أي أوريشية لا تمتلك القدرة على ممارسة السحر. وقد كنا قبل الغارة نعتقد أن الآلهة كانت تختار من يولد ومن لا يولد ربانيًا، لكن بما أن السحر قد انتهى الآن، فلست أرى أهمية للتمييز.

نظرًا لخلو «ماما أجبا» من الشعر الأبيض الذي يميز الربانيين، يمكنها أن تنتمي للأوريشيين الآخرين، وتتفادى تعذيب الحراس. لو أنها لم ترتبط بنا، فربما لم يكن الحراس ليضايقوها على الإطلاق.

جزء مني يتمنى أن تتخلى عنا، وتجنِّب نفسها الألم.

ومن خلال مهاراتها في الخياطة، يمكنها أن تصبح تاجرة، وأن تحصل على نصيبها العادل من العملات بدلًا من فقدانها جميعًا.

«لقد بدأت تشبهينها، أتعلمين ذلك؟». أخذت «ماما أجبا» رشفة صغيرة من شايها وابتسمت: «يبدو الشبه مخيفًا حين تصيحين. لقد ورثت عنها عصبيتها».

فتحت فمي غير مصدقة؛ «ماما أجبا» لا تحب الحديث عن الذين فقدناهم.

وقليل منا من يحبون ذلك.

أخفيت دهشتي برشفة أخرى من الشاي وإيماءة.. «أعلم ذلك».

لا أعرف متى حدث هذا التغير لدى بابا، لكنه كان تغيرًا لا يمكن إنكاره. لقد توقف عن النظر في عيني، غير قادر على النظر دون أن يرى وجه زوجته المقتولة.

«جيد». تحولت ابتسامة «ماما أجبا» إلى تكشيرة: «لقد كنت بعد طفلة أثناء الغارة. كنت أخشى أن تنسي».

«لم يكن بوسعي النسيان وإن حاولت». لا يمكنني هذا حين يكون وجه أمي كالشمس.

إنه ذلك الوجه الذي أحاول أن أتذكره.

وليست الجثة التي يسيل الدم من عنقها.

مرَّرت «ماما أجبا» يدها في شعري الأبيض قائلة: «أعرف أنكِ تقاتلين من أجلها. لكن الملك نَذْل يا زالي، ولا يتورع عن ذبح المملكة كلها ليئد

تمرد الربانيين. حين يكون خصمك بلا شرف، فلابد أن تقاتلي بطرق مختلفة، طرق أذكى».

«هل تتضمن هذه الطرق أن أهوي على هؤلاء الأنجاس بهراوتي؟».

ضحكت «ماما أجبا» ضحكة خافتة، حيث تجعدت بشرتها حول عينين بنيتين ضاربتين إلى الحمرة.

«عديني فقط أن تتوخي الحذر. عديني أنك ستختارين اللحظة المناسبة للقتال».

تناولت يدي «ماما أجبا» وخفضت رأسي، مبالغة في الانخفاض لإظهار الاحترام:

«أعدك يا ماما. لن أخذلك مرة أخرى».

«جيد، لأن لدي شيئًا ولا أريد أن أندم إن أطلعتك عليه».

دست «ماما أجبا» يدها في قفطانها وجذبت عصًا ملساء سوداء، وطوحت بها بحركة حادة، فقفزت إلى الوراء بينما تمددت العصا فصارت هراوة فلزية لامعة.

«بحق الآلهة». صحت وأنا أقاوم رغبة ملحة في القبض على هذه التحفة. تغطي الرموز العتيقة كل متر من المعدن الأسود، ويوحي كل نقش بدرس قامت «ماما أجبا» يومًا بتدريسه. ومثلما تنجذب النحلة للعسل، لمحت عيناي أولًا الأكوفينا، الأنصال المتقاطعة، سيوف الحرب. لقد قالت في ذلك اليوم: *إن الشجاعة ليست دائمًا هادرة*، والبسالة ليست دائمًا مشرقة. تحولت عيناي إلى الأكوما بجانب السيوف، ثم القلب الذي يمثل الصبر والتسامح. وفي ذلك اليوم.. أكاد أجزم بأنني تلقيت «علقة» في ذلك اليوم.

أعادني كل رمز إلى درس آخر، قصة أخرى، حكمة أخرى. نظرت إلى ماما، وانتظرت. هل هذه هدية أم ما ستستخدمه في ضربي؟

«خذي». وضعت المعدن الأملس في يدي. على الفور شعرت بقوته. كان مقوًّى بالحديد، ثقيلًا لتهشيم الجماجم.

«هل هذا حلم أم علم؟».

أومأت ماما: «لقد قاتلت مثل محارب اليوم. أنتِ تستحقين التخرج».

نهضت كي أدير الهراوة وأختبر قوتها. شق المعدن الهواءَ كسكين، أفتك من أي هراوة من البلوط قطعتها من قبل.

«هل تذكرين ما قلته لك حين بدأنا التدريب؟».

أومأت ورحت أحاكي صوت «ماما أجبا» المتعب: «*إن كنت ستدخلين في مشاحنات مع الحرس، فالأفضل أن تعرفي كيف تفوزين بها*».

ورغم أنها ضربتني على رأسي، رددت جدران الخيزران أصداء ضحكتها الصادرة عن القلب. أعطيتها الهراوة فضربت بها الأرض؛ فانكمش السلاح حتى صار قضيبًا معدنيًّا مرة أخرى.

قالت: «تعرفين كيف تفوزين. ما عليك إلا أن تدركي متى تقاتلين».

جال الفخر والشرف والألم في صدري حين وضعت «ماما أجبا» الهراوة في كفي مرة أخرى. ولعدم ثقتي في قدرتي على الحديث، طوقت خصرها بيدي ورحت أستنشق الرائحة المألوفة للقماش المغسول حديثًا والشاي الحلو.

ورغم أن «ماما أجبا» تصلبت في البداية، فإنها ضمتني إليها بقوة، فأزالت بضمتها الألم من جسدي. تراجعت إلى الوراء لتقول المزيد، لكنها توقفت بينما انزاحت الأغطية عن مدخل الأهيري مرة أخرى.

قبضت على القضيب المعدني، مستعدة للضرب حتى تبينت أخي الأكبر، «زين»، واقفًا في المدخل. تضاءل كوخ الخيزران على الفور في حضوره الطاغي، بعضلاته المفتولة، وبأوتاره البارزة عن بشرته الداكنة، والعرق ينهال من شعره الأسود إلى جبهته. التقت عيناه بعيني، وأمسكت بقلبي قبضة غاشمة.

إنه بابا.

# الفصل الثاني

# زالي

*آخر كلمات كنت أريد سماعها.*

*«إنه بابا» تعني «لقد انتهى الأمر».*

*«إنه بابا»* تعني أنه أصيب بأذى، أو ما هو أسوأ...

لا. توقفت أفكاري بينما كنا نثب عبر الألواح الخشبية في رَبع التجار. كنت أمنِّي نفسي *بأنه بخير. أيًّا ما كان ما حدث، فسوف يعيش.*

تنهض إيلورين مع شروق الشمس، فتعود قريتنا المطلة على المحيط إلى الحياة. وتتكسر الأمواج على الأعمدة الخشبية التي تطفو عليها مستعمرتنا، فتغطي أرجلنا ببلل خفيف. مثل عنكبوت عالقة في شبكة البحر، كانت قريتنا رابضة على ثماني أرجل من الخشب متصلة ببعضها في المركز. هذا المركز هو الذي نعدو نحوه الآن، وهذا المركز هو ما يقربنا من بابا.

صاحت بنا امرأة كوسيدية أن ننتبه حين مررنا بها و اثبين، وكدنا نسقط سلة لسان الحمل من على شعرها الأسود. ربما لو أدركت أن عالمي يتهاوى، لهداها قلبها إلى أن تغفر لنا.

سألت لاهثة: «ماذا حدث؟».

اندفع «زين» وهو يقول: «لا أدري. جاء ندولو إلى تمرين الأجبون، وقال إن بابا في مشكلة، فاتجهت رأسًا إلى البيت، لكن يامي أخبرتني أنك في مشكلة مع الحراس».

*بحق الآلهة، ماذا لو أنها نفس المشكلة التي حدثت في كوخ «ماما أجبا»*؟ تسلل الخوف إلى نفسي بينما كنا نخترق جموع البائعات والبائعين الذين يزدحم بهم الممر الخشبي. ربما يكون الحارس الذي هاجمني قد ذهب وراء بابا. وسرعان ما سيأتي وراء....

صاح «زين» باسمي بنبرة تدل على أن هذه ليست المرة الأولى التي يحاول فيها جذب انتباهي. «لماذا تركته؟ لقد كان دورك في البقاء!».

«مباراة التخرج كانت اليوم. لو أنني فوَّتها...».

«اللعنة يا زالي!» جعلت صيحة «زين» القرويين الآخرين يستديرون نحونا. «هل أنت جادة؟ هل تركت بابا من أجل عصاك السخيفة!».

رددت بقوة: «ليست عصا. إنها سلاح، وأنا لم أتخلَّ عنه. لقد تأخر بابا في النوم. كان بحاجة للراحة. ولقد مكثت معه كل أيام الأسبوع...».

«لأنني مكثت معه طيلة الأسبوع الماضي!». قفز «زين» فوق طفل زاحف، ثم استقر على الأرض بعضلات راقصة. ابتسمت فتاة كوسيدية وهو يمر بها عدْوًا، متمنية أن تؤدي موجة الغزل إلى إيقاف عدْوه. حتى الآن، ينجذب القرويون لـ «زين» مثلما تنجذب الفراشات للنار. لم تكن لدي حاجة لإزاحة الآخرين من طريقي.. فنظرة واحدة إلى شعري الأبيض كانت تجعل الناس يتفادونني وكأنني وباء مميت.

تابع «زين» قائلًا: «يبقى على الألعاب الأوريشية شهران. أتعلمين ما يعنيه الفوز بهذا المال بالنسبة لنا؟ حين أتمرن ينبغي أن تمكثي مع بابا. ما الجزء الذي يصعب فهمه في هذا؟ اللعنة!».

توقف «زين» بغتة قبل السوق العائم في مركز إيلورين.

محاطًا بممر مستطيل الشكل، يعج الجزء المفتوح من البحر بقرويين يتشاحنون في قواربهم المستديرة المصنوعة من خشب الجوز. وقبل أن تبدأ المعاملات التجارية اليومية، يمكننا أن نعبر الجسر الليلي إلى بيتنا في قطاع الصيادين. لكن السوق كان قد فتح مبكرًا وليس بوسعنا أن نرى أي جسر. علينا أن نسير في الطريق الطويل.

ونظرًا لطبيعته الرياضية، انطلق «زين» وثبًا في الممر المحيط حتى نعود لبابا. بدأت في متابعته لكني توقفت حين رأيت قوارب الجوز.

كان التجار والصيادون يتبادلون السلع، فيعطون الفواكه الطازجة ويحصلون على أفضل ما تم صيده ذلك اليوم. وحين تسير الأمور على ما يُرام... يقبل الجميع بأقل قليلًا مما ينبغي لهم، ويعطون أكثر قليلًا ما ينبغي عليهم. لكن الجميع اليوم في شجار، يريدون البرونز والفضة بديلًا عن الوعود والسمك.

*إنها الضرائب...*

وجهُ الحارس اللعين يجتاح عقلي، كما كان شبح قبضته يحرق فخذي. تدفعني ذكرى نظراته الغاضبة، فأقفز في أول قارب.

صاحت «كانا»: انتبهي يا «زالي» وهي تحتضن فاكهتها الثمينة. عدَّلت بستانيَّة قريتنا من غطاء رأسها وصاحت بي وأنا أقفز فوق زورق خشبي

يعج بالسمك القمري الأزرق.

«آسفة!».

صحت بعبارات الاعتذار المرة تلو الأخرى وأنا أقفز من قارب إلى قارب وكأنني «فروجر» أحمر الأنف. وبمجرد أن هبطت على سطح قطاع الصيادين، انطلقتُ، وأنا أشعر بقدمي تضربان الألواح الخشبية. ورغم أن «زين» كان ورائي، واصلت التقدم. ينبغي أن أصل إلى بابا أولًا. إن كان الأمر سيئًا، فسيحتاج «زين» إلى تحذير.

*إن كان بابا قد مات....*

مجرد التفكير في هذا أحال قدميَّ إلى رصاص. لا يمكن أن يكون قد مات. لقد مضى على الفجر نصف ساعة، ونحن بحاجة إلى تحميل قاربنا والإبحار ناحية البحر. وفي الوقت الذي سنفرد فيه شباكنا، يكون وقت الصيد الممتاز قد مضى. من سيوبخني عن هذا إن كان أبي قد رحل؟

تذكرت كيف كان شكله قبل أن أمضي غافيًا في فراغ الأهيري الخاص بنا. حتى في نومه كان يبدو متعبًا، وكأن النوم لأطول فترة لن يعيد إليه الراحة. وكنت أتمنى ألا يستيقظ حتى أعود، لكن ما كان لي أن أتمنى ذلك. وفي سكونه، كان على بابا التعامل مع ألمه، وحسراته.

وأنا..

هذه أنا وهذه هي أخطائي الغبية.

منظر الجمع المحتشد خارج الأهيري الخاص بي جعلني أتوقف متعثرة.

حال الناس بيني وبين رؤية المحيط، وكانوا يصيحون مشيرين إلى شيء لا أراه. وقبل أن أتمكن من شق طريق لي، اندفع «زين» خلال الجموع. وحين أفسحت الجموع مسارًا بينها، توقف قلبي عن الخفقان.

على بعد حوالي نصف كيلومتر داخل البحر، كان هناك رجل يتقاذفه الموج، ويطوّح يديه الداكنتين في يأس، وكانت موجات قوية تصطدم برأس الرجل البائس، فتزيده غرقًا مع كل ضربة. وكان الرجل يصيح مستغيثًا بصوت واهن مختنق، لكنه صوت يمكنني معرفة صاحبه في أي مكان.

كان صوت أبي.

قام صيادان بالتجديف ناحيته، وقد بدا عليهما الجنون وهما يقودان مركبيهما الجوزيين، لكن كانت قوة الأمواج تعيدهما إلى الوراء. لن يصلا إليه في الوقت المناسب.

«لا». صحت في رعب بينما كان التيار يسحب بابا تحت الماء.

ورغم أنني انتظرته حتى يعود إلى السطح، فإن الموج الغادر لم يكن شيءٌ ليوقفه. لقد فات الأوان.

رحل بابا.

صدمتني الحقيقة كما تصطدم الهراوة بالصدر. كما تصطدم الهراوة بالرأس. كما تصطدم الهراوة بالقلب.

في لحظة تبخر الهواء من عالمي ونسيت كيف أتنفس.

لكن بينما كنت أُجاهد لأقف على قدمي، بدأ «زين» التصرف. صرخت وأنا أراه يلقي بنفسه في الماء، قاطعًا الأمواج بقوة سمكة قرش مزدوجة الزعنفة.

سبح «زين» بجنون لم أره من قبل، وخلال لحظات كان قد تجاوز القوارب. وخلال ثوان أخرى وصل إلى المنطقة التي غرق فيها بابا وغاص.

*انتبه*. ضاق صدري لدرجة أنني أستطيع أن أقسم إنني شعرت بأضلعي تتهشم. لكن حين ظهر «زين» مرة أخرى، كانت يداه خاويتين. لا أحد معه.

بابا لم يكن معه.

لاهثًا، غاص «زين» مرة أخرى، ضاربًا بقدميه بشدة أكبر هذه المرة. طالت الثواني بدونه فصارت دهرًا. بحق *الآلهة*....

من الممكن أن أفقد كليهما.

«انتبه». همست مرة أخرى بينما كنت أحدق في الأمواج حيث اختفى «زين» وبابا: «*عودا إليّ*».

لقد همست بهذه العبارة من قبل. في طفولتي، رأيت بابا ذات مرة يُخرج «زين» من أعماق بحيرة، مخلِّصًا إياه من عشب البحر الذي تعثر فيه تحت الماء. كان بابا يضغط على صدره الهش، لكن حين أخفق في إعادة التنفس إليه، ماما هي التي أنقذته بسحرها. خاطرت بكل شيء، وانتهكت قانون الماجي لاستدعاء القوى المحرمة في دمها، ونسجت رُقاها في «زين» كما يُنسج الخيط، فأعادته إلى الحياة بسحر الموتى.

كل يوم كنت أتمنى أن تكون ماما حية، لكنني ما تمنيت هذا قط أكثر من هذه اللحظة. أتمنى لو أن السحر الذي اجتاح جسدها يسري في جسدي.

أتمنى لو استطعت إبقاء «زين» وبابا على قيد الحياة.

«فضلًا». رغم كل شيء أومن به أغمضت عيني وصليت، تمامًا مثلما فعلت ذاك اليوم. إن كانت إلهة واحدة ما زالت في السماء، فأنا بحاجة إلى أن تسمعني الآن.

«رجاءً!» تسربت الدموع من بين رموشي. تقلص الأمل في صدري. «أعيديهما إليّ يا أويا من فضلك، لا تأخذيهما. أيضًا...».

«*آخ!*».

فتحت عيني عن آخرهما بينما برز «زين» من داخل المحيط، وأحد ذراعيه حول صدر بابا. بدا أن لترًا من الماء قد اندفع من فم بابا وهو يسعل، لكنه هنا.

إنه حي.

شعرت أن ركبتي لا تحملانني، وكدت أهوي على أرضية الممر الخشبي.

*بحق الآلهة*...

لم ينتصف اليوم بعد، وكدت بالفعل أن أفقد حياتين.

*ست دقائق.*

هذه هي المدة التي تقاذفت فيها أمواج البحر بابا.

ما أطول الوقت الذي مضى وهو يكافح التيار! وما أطول الوقت الذي قضاه ورئتاه تئنان طلبًا للهواء!

بينما كنا نجلس في صمت الأهيري الفارغ الخاص بنا، لم أستطع أن أخرج هذا الرقم من ذاكرتي. لقد أقنعتني الرعشة التي انتابت بابا بأن هذه الدقائق الست أخذت عشر سنوات من حياته.

*ما كان ينبغي أن حدث هذا*. من المبكر جدًّا تدمير اليوم بالكامل. ينبغي أن أكون بالخارج أمحو آثار صيد اليوم مع بابا. وينبغي أن يرجع «زين» من تمرين الأجبون لمساعدتنا.

بدلًا من ذلك راح «زين» يراقب بابا، عاقدًا ساعديه، وقد عقله الغضب عن أن يلقي بنظرة ناحيتي. الآن صديقتي الوحيدة هي «نائلة»، الليونيرة التي ربيتها منذ أن كانت صغيرة جريحة. وبينما تخطت طور الصغر، صارت ركوبتي أطول مني، حيث تصل إلى عنق «زين» وهي واقفة على أرجلها الأربع. ويبرز قرنان مشرشران خلف أذنيها، يكادان بشكل خطر ينفذان من جدران الخيزران. أمد يدي إلى أعلى فتدني «نائلة» رأسها الضخم بشكل غريزي، وأكون حريصة على الابتعاد عن أنيابها المنحنية

فوق فكها، وتخرخر حين أحك أنفها. على الأقل هناك واحدة ليست غاضبة مني.

«ماذا حدث يا بابا؟».

قطع «زين» الصمت بصوته الأجش. انتظرنا الإجابة، لكن ظلت ملامح بابا لا معنى لها، وكان يحدق في الأرضية بنظرة فارغة جعلت قلبي يئن.

«بابا!» انحنى «زين» لينظر في عينيه: «هل تذكر ماذا حدث؟».

تشبث بابا أكثر بالبطانية وقال: «كان عليَّ أن أذهب إلى الصيد».

قلت متعجبة: «لكن يفترض ألا تذهب وحدك».

اكفهر وجه أبي، وحدجني «زين» بنظرة غاضبة أجبرتني على أن أخفف من نبرتي.

قلت مجدِّدًا: «إن متاعب البصر تزداد سوءًا لديك. لماذا لم تنتظر حتى أعود إلى البيت؟».

«لم يكن لدي وقت». هز بابا رأسه واستطرد: «جاء الحراس، وقالوا إن عليَّ أن أدفع».

«ماذا؟». انعقد حاجبا «زين»: «لماذا؟ لقد دفعت لهم الأسبوع الماضي».

«إنها ضريبة للربانيين». قبضتُ بيدي على القماش المجعَّد لبنطلوني، وقد عاودني الانزعاج من لمسة الحارس. «لقد جاءوا لماما أجبا أيضًا. لعلهم طرقوا أبواب كل الربانيين اليوم في إيلورين».

ضغط «زين» جبهته بقبضتيه كما لو كان سيهشم رأسه. كان يود أن يقنع نفسه بأن اللعب بقواعد المملكة سيجعله آمنًا، لكن لن نكون في مأمن ما دامت القواعد تنبت في أرض الكراهية.

عاودني نفس الشعور السابق بالذنب، وراح يعتصرني حتى تسلل إلى أعماق نفسي. لو لم أكن ربانية ما تكبدوا هذا العناء يومًا. لو لم تكن ماما من الماجي، لكانت لا تزال حية تسعى اليوم.

تخللت شعري بأصابعي، فانتزعت عن طريق الخطأ بضع شعرات من فروة رأسي. شيء بداخلي يدعوني إلى انتزاعه كاملًا من جذوره، لكن حتى بدون شعري الأبيض، سيظل ميراث الماجي لعنة على أسرتنا في كل الأحوال. نحن الذين تمتلئ بهم سجون الملك، ونحن الذين تصنع منهم مملكتنا أُجراء، ويسعى الأوريشيون إلى تجريدهم من هويتهم، وتجريم سلالتهم، كما لو كان الشعر الأبيض والسحر الميت وصمة عار مجتمعية.

كانت ماما تقول إن الشعر الأبيض - في البداية - كان دليلًا على قوتي السماء والأرض، وكان يرمز للجمال والفضيلة والحب، ويعني أن بركة آلهة السماء تحل علينا. لكن حين تغير كل شيء، صار السحر مصدر نقمة، وتحول ميراثنا إلى شيء بغيض.

إنها قسوة عليَّ أن أقبل بها، لكن كلما رأيت الألم الذي يعانيه «زين» أو بابا يزداد شعوري بالقسوة عمقًا. ما زال أبي يسعل فيخرج الماء المالح من فمه، وصرنا مجبرين بالفعل على التفكير فيما يسعنا عمله.

تساءل «زين»: «ماذا عن سمك أبي شراع؟ يمكننا أن ندفع لهم من ثمنه».

خطوت نحو مؤخرة الكوخ وفتحت صندوق الثلج الحديدي الصغير. في تجمع من ماء البحر المبرَّد ترقد «سمكة أبي شراع» حمراء الذيل التي اقتنصناها في اليوم السابق، بينما قشورها اللامعة تعد بمذاق شهي. ولندرة هذا النوع من الأسماك في بحر الواري، فإن هذه السمكة أثمن من أن نأكلها. لكن إن كان الحراس سيأخذونها...

قال بابا متذمرًا: «لقد رفضوا أخذ الأسماك بديلًا عن العملات، وكنت بحاجة إلى البرونز والفضة». وراح يدلك صدغه كما لو كان بوسعه أن يجعل العالم كله يختفي.

«لقد طلبوا مني إحضار المال، وإلا فسيجبرون زالي على الانضمام لعمال التراحيل».

تجمدت الدماء في عروقي، ورحت أتلفت حولي، غير قادرة على إخفاء خوفي. عمال التراحيل، الذين يسخرهم جيش الملك، يمثلون القوة العاملة لمملكتنا، وينتشرون في أرجاء أوريشا. حين يعجز شخص عن دفع الضرائب، يضطر إلى العمل سدادًا لدينه لدى الملك. ومن يتم إلحاقهم بعمال التراحيل يكدحون كدحًا لا ينتهي، فيعملون في إقامة القصور ورصف الطرق واستخراج الفحم، وما دون ذلك من أعمال. وقد كانت تلك المنظومة في صالح أوريشا يومًا ما، لكنها منذ الغارة لم تعد أكثر من حكم بالإعدام تقننه الدولة. صارت تلك المنظومة ذريعة للسيطرة على عشيرتي، وكأن المملكة تحتاج إلى ذريعة أصلًا. وفي ظل هذه الأعداد من الربانيين الذين خلفتهم الغارة يتامى، أصبحنا الجانب الذي لا يحتمل ضرائب المملكة المرتفعة. نحن المستهدفون في الحقيقة بكل زيادة في الضرائب.

*سحقًا!* لا أستطيع مقاومة الرعب الذي بداخلي. إذا تم إلحاقي بعمال التراحيل قسرًا فلن أفلت من هذا. لا يدخل أحد هذا وينجو منه. من المفترض أن يظل العمل حتى يتم سداد الدين الأصلي بالعمل، لكن حين تكون الزيادة في الضرائب مستمرة، يستمر تزايد الدين تبعًا لذلك. يُنقل الربانيون كما تُنقل الماشية؛ جوعى، مثخنين ضربًا، وما هو أسوأ من ذلك، ويُجبرون على العمل حتى تنهار أجسامهم.

غمست يدي في ماء البحر المبرد لتهدئة أعصابي. لا يمكنني أن أجعل بابا و «زين» يريان مدى الرعب الذي أشعر به حقيقة، فهذا سيزيد الأمر سوءًا لنا جميعًا. لكن حين بدأت أصابعي ترتجف، لم أكن أدري هل هذا بسبب البرد أم من الرعب الذي أشعر به. كيف يحدث هذا؟ متى وصلت الأمور إلى هذا الحد من السوء؟

همست لنفسي بالنفي، فهذا سؤال خاطئ.

لا ينبغي أن أسأل متى وصلت الأمور إلى هذا الحد من السوء. ينبغي أن أسأل: ما الذي جعلني أعتقد أن الأمور صارت أفضل؟

تطلعت إلى زنبقة الكالة السوداء الوحيدة المغزولة في شبكة نافذة الكوخ، والتي تعتبر مظهر الحياة الوحيد الذي بقي لي فيما يخص ماما. حين كنا نعيش في إبدان كانت تضع زنابق الكالة في نافذة بيتنا القديم تكريمًا لوالدتها، في تعبير عن الوفاء يقدمه الماجي لموتاهم.

في المعتاد حين أنظر إلى تلك الزهور أتذكر الابتسامة العريضة التي كانت تكتسي بها شفتا ماما حين كانت تستنشق رائحة القرفة المنبعثة منها. اليوم، كل ما أراه في أوراقها الذابلة هو سلسلة الماجيست السوداء التي حلت محل التميمة التي كانت دائمًا ترتديها حول عنقها.

ورغم أن الذكرى مر عليها أحد عشر عامًا، فإنني أراها أوضح من كل ما عداها.

كانت تلك الليلة هي الليلة التي ساءت فيها الأمور، الليلة التي قام فيها الملك «ساران» بشنق عشيرتي أمام أعين الجميع، معلنًا الحرب على الماجي في اليوم والغد. وفي تلك الليلة اندثر السحر، وفقدنا كل شيء.

ارتجف أبي فاستدرت ناحيته، واضعة يدي على ظهره حتى أبقيه منتصبًا. لم يكن بعينيه أي غضب، لكن كانت الهزيمة فقط هي التي تطل منهما. وبينما كان يزداد تشبثًا بالبطانية البالية، كنت أتمنى أن أرى المحارب الذي عرفته حين كنت طفلة. قبل الغارة كان بمقدوره أن يهزم

ثلاثة من المسلحين دون أن يكون بيده سوى سكين بسيط. لكن بعد «العلقة» التي نالها في تلك الليلة، ظل خمسة أشهر حتى استطاع النطق فقط.

لقد كسروه في تلك الليلة، فسحقوا قلبه وشطروا روحه.

ربما كان سيتجاوز ما حدث لو لم يفق ليرى جثة ماما مقيدة بالسلاسل السوداء. لكن هذا ما حدث.

لم يعد إلى سابق عهده قط منذ ذلك الحين.

«حسنًا». تنهد «زين»، الباحث دوما عن جذوة نار في الرماد: «لنخرج من القارب. إذا انصرفنا الآن...».

قاطعته قائلة: «لن يجدي هذا. لقد رأيت السوق. الجميع يتدافعون لسداد الضريبة. حتى إن كان بوسعنا إحضار السمك، فأي مال فائض لدى الناس ذهب أدراج الرياح».

تمتم أبي قائلًا: «ونحن ليس لدينا قارب. لقد فقدته هذا الصباح».

«ماذا؟» لم أكن أدرك أن القارب ليس بالخارج. استدرت نحو «زين» مستعدة لسماع خطته الجديدة، لكنه تهاوى على أرضية الخيزران.

*لقد انتهيت*... التصقت بالحائط وأغمضت عيني.

بدون قارب، لن يكون هناك مال.

لا مفر من الإلحاق بعمال التراحيل.

حل صمت مطبق في الأهيري، ردًّا على الجملة التي تفوهت بها. *ربما سيتم تكليفي بالعمل في القصر*. إن خدمة النبلاء المدللين ستكون أفضل من سعال غبار الفحم في مناجم كالابرار أو الأعمال الشنيعة الأخرى التي يمكن للمشرفين إجبار الربانيين على العمل فيها. ومما ترامى إلى سمعي، فإن بيوت الدعارة لن تكون شيئًا بالنسبة لأسوأ عمل يمكن للمشرفين إجباري على العمل فيه.

تململ «زين» في الزاوية، وأنا أعرفه. سوف يعرض عليَّ أن يأخذ مكاني. لكن بينما كنت أعد نفسي للاعتراض، هداني التفكير في القصر الملكي إلى فكرة ما.

تساءلت: «ماذا عن لاجوس؟».

«الفرار لن يجدي».

«لا أقصد الفرار». هززت رأسي وتابعت قائلة: «تلك سوق تعج بالنبلاء. يمكنني بيع سمكة أبي شراع بها».

وقبل أن يتمكن أحدهما من التعليق على عبقريتي، أمسكت بورق البرشمان وعدوت نحو سمكة أبي شراع. «سأعود ومعي ضرائب ثلاثة أشهر، وما يكفي لشراء قارب جديد». ويمكن أن يركز «زين» على مباريات الأجبون، ويستطيع بابا أخيرًا أن ينال قسطًا من الراحة. يمكنني أن أمد يد المساعدة. ابتسمت في نفسي. يمكنني أن أفعل شيئًا صوابًا أخيرًا.

قطع صوت بابا المرهق أفكاري: «لا يمكنك أن تذهبي، ففي هذا خطر بالغ للربانيين».

سألت: «أكثر خطورة من العمل في قطعان التراحيل؟ أنا إن لم أفعل فسيكون هذا هو مصيري».

قال «زين» مجادلًا: «أنا سأذهب إلى لاجوس».

«كلا، لن تذهب».

دسست سمكة أبي شراع الملفوفة في حقيبتي: «ليست لديك دراية كبيرة بالتجارة، وستفسد الصفقة بكاملها».

«ربما أحصل على مال أقل، لكن يمكنني حماية نفسي».

قلت: «وكذلك أنا». ولوحت بهراوة «ماما أجبا» قبل أن ألقي بها في حقيبتي.

تجاهلني «زين» قائلًا: «بابا، من فضلك إن ذهبت زالي فستفعل شيئًا غبيًا. وإن ذهبت أنا فسأعود بمال أكثر من أي مال رأيناه من قبل».

عقد بابا حاجبيه مفكرًا. «زالي ينبغي أن تقوم هي بالصفقة...».

«أشكرك».

«....لكن عليك أن تكون رقيبًا عليها يا زين».

عقد «زين» ساعديه وقال: «لا. ينبغي أن يكون أحدنا هنا تحسبًا لعودة الحراس».

قال بابا: «خذاني إلى ماما أجبا. سأختبئ هناك حتى تعودا».

«لكن يا بابا..».

«إذا لم تنصرفا الآن، فلن تعودا بحلول الليل».

أغلق «زين» عينيه، مخفيًا ما يشعر به من إحباط، وبدأ في تحميل سرج «نائلة» على ظهرها الهائل بينما كنت أساعد بابا على القيام.

تمتم بابا قائلًا بصوت أخفض من أن يسمعه «زين»: «إنني أثق بك».

قلت: «أعلم ذلك». وأحكمت البطانية حول جسمه وقلت: «لن أصنع مشكلة أخرى».

# الفصل الثالث

# أماري

*«أماري» اعتدلي في جِلستك!».*
«بحق السماء...».
«لقد تناولت من الحلوى أكثر مما ينبغي لك بكثير».

خفضت شوكتي الممتلئة بقطعة من فطيرة جوز الهند، وتراجعت بكتفي إلى الوراء، وقد بهرني عدد الانتقادات الذي يمكن أن تهمس بها أمي بصوت خفيض في دقيقة واحدة. كانت تجلس على سطح منضدة من النحاس الأصفر، مرتدية غطاء رأس ذهبي اللون يلتفُّ حول رأسها بإحكام، وقد بدا أنها تجذب كل الضوء بالغرفة في تألقها على خلفية ملامحها النحاسية الناعمة. أحكمت غطاء الرأس البحري الطراز حول رأسي، وحاولت أن أبدو بمظهر ملكي، وأنا أرجو ألا يكون الخادم قد زمَّه حول رأسي بشدة. وبينما كنت أجلس مرتبكة، كانت عينا أمي الكهرمانيتان تفحصان عائلة «أولوي» في أبهتهم، بحثًا عن الضباع المختبئة وسط القطيع. إن نبيلات أسرتنا يرسمن البسمات على شفاههن، على الرغم من أنني أعرف أنهن يهمسن بحقنا من وراء ظهورنا.

*«لقد سمعت أنه تم ترحيلها إلى الأحياء الغربية ...».*
*«إن بشرتها الداكنة يأباها الملك...».*
*«إن خدمي يُقسمون إن القائدة تحمل طفل ساران...».*

إنهم يتباهون بأسرارهم كما يتباهون بُحليِّهم البراقة حول رقابهم، ويتعاملون معها كأنها أردية موشاة تُزيَّن بها أزياؤهم التقليدية، أما أكاذيبهم وعطورهم التي برائحة الزنبق فتختلط بنكهة العسل في فطائرهم الحلوة التي لم يعد مسموحًا لي تناولها.

«وما رأيكِ أيتها الأميرة أماري؟».

رفعت رأسي بسرعة عن شريحة الفطيرة الشهية فرأيت «أولوي رونكي» تتفحصني بترقُّب، وعقدها الزمردي يتلألأ على بشرتها البنية الضاربة إلى

الحمرة، وقد أُختير خصيصًا لِلَمَعانه مقابل جدران غرفة الشاي المُجصَّصة البيضاء.

«عفوًا؟».

«في زيارة إلى زاريا». انحنت إلى الأمام حتى صارت الياقوتة المكتنزة المتدلية من رقبتها تحتك بالمنضدة. كانت الجوهرة المبهرجة بمثابة تذكير مستمر بأن «أولوي رونكي» لم تولد بمقعد على مائدتنا، فهي وافدة علينا، جاءتنا بأسلوبها الخاص.

«يشرفنا أن تقيمي معنا في ضيعتنا». راحت تعبث بالجوهرة الحمراء الضخمة، ومطت شفتيها حين لمحتني أطيل التحديق: «أنا واثقة أن بإمكاننا أن نجد لك أنت أيضًا قطعة مجوهرات مماثلة حتى لهذه القطعة».

قلت محاولة كسب الوقت: «هذا لطف منك». ورحت أتخيل الطريق من لاجوس إلى زاريا. على مسافة بعيدة من جبال الأولاسيمبو، تقع زاريا في الطرف الشمالي من أوريشا، وكأنها تقبّل بحر الأديتونجي. تسارعت نبضات قلبي وأنا أتخيل زيارة العالم فيما وراء جدران القصر.

أخيرًا تكلمت قائلة: «أشكرك، سيكون هذا من دواعي شرفي...».

قاطعتني أمي قائلة: «لكن للأسف، أماري لا يمكنها ذلك». وهي مقطبة، دون أن تبدو على ملامحها أدنى علامة على الحزن: «إنها الآن في معمعة المذاكرة، وهي متأخرة بالفعل في الرياضيات، وسيكون توقفها الآن بمثابة عطلة لا يمكن تحمُّل مغبتها».

انطفأت الحماسة التي كان صدري يموج بها، ورحت أعبث بالجزء الذي لم يُؤكل بعد من الفطيرة. نادرًا ما تسمح لي أمي بمغادرة القصر. كان ينبغي ألا أسرف في التمني.

«ربما في المستقبل». قلت هذه العبارة متمنية ألا يكون في هذه الفسحة القصيرة ما يثير حفيظة أمي.

«لابد أنكِ تحبين الحياة هناك.. فالبحر عند قدميك، والجبال من خلفك».

«ليس هناك سوى الصخور والماء». لوَت «سمارة»، الابنة الكبرى لـ « أولوي رونكي»، أنفها الضخم. «لا يوجد ما يمكن مقارنته بهذا القصر الرائع»، وأضاء وجهها بابتسامة نحو أمي، لكن عذوبتها اختفت حين

استدارت ناحيتي. «إلى جانب هذا، فإن زاريا تعج بالربانيين؛ وعلى الأقل فإن ديدان لاجوس لا تفارق عشوائياتها».

شعرت بالتوتر لقسوة كلمات «سمارة»؛ وقد بدت كلماتها كأنها حائمة فوق رءوسنا في الهواء. نظرت خلفي لأرى ما إذا كانت «بينتا» قد سمعت هي الأخرى، لكن يبدو أن أقدم صديقاتي لم تكن موجودة. باعتبارها الربانية الوحيدة التي تعمل في القصر العلوي، كانت وصيفتي دائمًا بارزة، وكأنما هي ظل من دم ولحم يسير إلى جانبي للأبد. وحتى في وجود القلنسوة التي تثبتها «بينتا» على شعرها الأبيض، تظل ميزة عن باقي الخَدم.

«أتسمحين لي بمساعدتك يا أميرتي؟».

استدرت برأسي لأرى خادمة لم أتبين مَن هي: فتاة ذات بشرة كستنائية، وعينين واسعتين مستديرتين. أخذت كأسي نصف الفارغة وأبدلتها بأخرى. نظرت إلى الشاي الكهرماني؛ لو أن «بينتا» كانت هنا، لوضعت بهدوء ملعقة مليئة بالسكر في كأسي في غفلة من أمي.

«هل رأيت بينتا؟».

تراجعت الفتاة إلى الخلف فجأة، وقد زمّت شفتيها معًا.

«ما الأمر؟».

فتحت الفتاة فمها، لكن عينيها كانتا تدوران في النسوة اللائي يجلسن حول المائدة.

«لقد تم استدعاء بينتا إلى غرفة العرش يا سمو الأميرة، قبل بضع لحظات من بداية المأدبة».

ظهر العبوس على وجهي، وأملت رأسي. ما الذي يريده أبي من «بينتا» من بين كافة الخدم في القصر؟ لم يسبق له أن استدعاها من قبل! وهو نادرًا ما يستدعي الخدم.

سألت: «هل قالت لماذا؟».

هزت الفتاة رأسها وخفضت من صوتها، وهي تختار كل كلمة بعناية: «لا. ولكن الحراس رافقوها إلى هناك».

شعرت بالمرارة في حلقي، مرارة تزداد حدتها، وظلام تزداد شدته بمرور الوقت. الحراس في هذا القصر لا يرافقون أحدًا، بل يقبضون عليه، ولا راد لما يريدون.

بدا أن الفتاة تود لو تقول المزيد، لكن أمي رمقتها بنظرة غاضبة.

عاجلتني أمي بقرصة في ركبتي من قبضتها الباردة تحت المنضدة.

*«كفي عن الكلام مع الخدم»*.

تلفَّتُّ حولي ثم نظرت إلى أسفل، لأفر من نظرة أمي، فعيناها تضيقان مثلما تفعل صقور النار حمراء الصدر أثناء الصيد، منتظرة فقط حتى أحرجها مرة أخرى. لكن رغم إحباطها، فلم أكن أستطيع إخراج «بينتا» من رأسي. أبي يعرف أننا قريبتان... فإن كان يريد منها شيئًا، فلماذا لم يكن هذا من خلالي؟

أطلت النظر خارج النوافذ المزركشة في الحدائق الملكية والأسئلة تتكاثر في رأسي، متجاهلة الضحكات الفارغة لعائلة «أولوي» حولي. وبحركة مفاجئة وقوية انفتحت أبواب القصر بقوة.

وثب أخي داخلًا من الباب.

وقف «عنان» طويلًا، وسيمًا في زيه العسكري وهو يستعد لقيادة أول دورية في لاجوس. كان مظهره براقًا بين أقرانه من الحراس، وخوذته المزخرفة تشي بترقيته الحديثة إلى نقيب. ابتسمت رغمًا عني، متمنية أن أكون جزءًا من يومه المميز. كل شيء كان يريده لنفسه تحقق له أخيرًا.

«مثير للإعجاب، أليس كذلك؟». كانت عينا «سمارة» بلونهما البني الباهت ثابتتين على أخي بشهوة مفزعة: «أصغر نقيب في التاريخ. سيكون ملكًا ممتازًا».

«نعم سيكون». تألق وجه أمي، وهي تميل فتزداد قربًا من الابنة التي لا تطيق صبرًا حتى تستحوذ عليها. «رغم أنني أتمنى أن تكون الترقية غير مصحوبة بهذا العنف. لا أحد يعلم ما قد تفعله دودة يائسة بولي العهد».

أومأ «آل أولوي» وأدلوا بآراء لا تسمن ولا تغني من جوع، بينما كنت أرشف الشاي في صمت. كانوا يتحدثون عن رعايانا بخفة كما لو كانوا يتحدثون عن أغطية الرأس الموشّاة بالماس الشائعة بين أهل لاجوس. استدرت إلى الخلف نحو الخادمة التي أخبرتني بأمر «بينتا». ورغم أنها كانت بعيدة عن مائدتي، شعرت أن رعدة تسري في يديها الراجفتين.

قطع صوت أمي أفكاري وهي تنادي على «سمارة»، فأعادتني إلى التركيز فيما حولي.

«هل تحدَّثتُ عن عظمة مظهرك الملكي اليوم؟».

عضضت على لساني واحتسيت ما بقي من الشاي. ورغم أن أمي تقول «مظهر ملكي» فإن كلمة «أخف» تختبئ خلف شفتيها، مثل عائلة

«أولوي» الملكية التي يفتخر أفرادها بأصولهم التي تعود إلى الأسر الملكية التي ارتدى أفرادها تاج أوريشا لأول مرة.

ليسوا كغيرهم. ليسوا كالفلاحين الذين يكدحون في حقول مينا، أو كتجار لاجوس الذين يقايضون بضاعتهم تحت حر الشمس، وليسوا تعساء مثلي، الأميرة التي تكاد أمها تستحي من بنوتها.

وبينما كنت أتطلع إلى «سمارة» من خلف كأسي، أدهشتني ملامحها البنية الناعمة الجديدة. لقد كانت منذ بضع مآدب غداءٍ مضت تشترك مع أمها في بشرتها البنية الضاربة إلى الحمرة.

«أنت طيبة للغاية يا مولاتي». نظرت «سمارة» إلى ملابسها في تواضع زائف، متظاهرة بتسوية تجعدات لا وجود لها.

«لا بد أن تخبري أماري بنظامك التجميلي». وضعت أمي يدًا باردة على كتفي، فشعرت بخفة أصابعها على بشرتي النحاسية الداكنة «إنها تكثر من التجول في الحدائق لدرجة أنها بدأت تبدو وكأنها عاملة في الحقول». ضحكت أمي، وكأن قطيعًا من الخدم لم يكونوا يغطونني بالمظلات الحاجبة للشمس متى خطوت خطوة إلى الخارج؛ وكأنها لم تغطني بالمساحيق قبل أن تبدأ مأدبة الغداء هذه، وهي تلعن ملامحي التي تجعل نبلاء الأسرة يلمزونها بأنها كانت تنام مع أحد الخدم.

«ليس هذا ضروريًا يا أمي». اقشعر بدني وأنا أذكر الألم الحاد ورائحة الخل التي شممتها في خلطتها التجميلية الأخيرة.

«أوه. سيكون هذا من دواعي سروري». قالت «سمارة» هذا وهي تبتسم مبتهجة.

«نعم، ولكن...».

«أماري». قاطعتني أمي بابتسامة مفتعلة لدرجة أنها كادت تشق وجهها نصفين. «إن هذا يسعدها يا سمارة، خصوصًا قبل بداية موسم الغزل».

حاولت أن أبتلع الغصة التي في حلقي، لكن مجرد المحاولة جعلتني أشعر بالاختناق. في تلك اللحظة، صارت رائحة الخل أقوى لدرجة أنني أستطيع بالفعل أن أشعر بلفحته على جلدي.

«لا تقلقي». أخذت «سمارة» يدي في راحتها غير منتبهة للتوتر: «سوف تحبين الغزل، فهو في الحقيقة مسلٍّ تمامًا».

تصنعت الابتسام وحاولت أن أسحب يدي بعيدًا، لكن «سمارة» أحكمت قبضتها، وكأنني غير مسموح لي بالإفلات. انغرست أقراطها

الذهبية في جلدي، وكان كل منها مزودًا بحجر خاص. وكان يتخلل أحد الأقراط سلسلة دقيقة، تتصل بسوار مزين بخاتمنا الملكي: ليوبانيرة الثلوج الأسدي مرصعة بالماس.

«سمارة» ترتدي السوار بفخر. لا شك أنه هدية من أمي.

ورغمًا عني، شعرت بالإعجاب بجماله، ففيه عدد من الماسات أكثر حتى من..

*اللعنة!*

ليس هذا سواري. لم يعد لي منذ اليوم.

اجتاحني الذعر وأنا أتذكر ما حدث لسواري، ذلك الذي أعطيته لـ «بينتا».

لم تكن تريد أن تأخذه؛ كانت تخشى الثمن الذي ستدفعه لقاء هدية من العرش. لكن أبي رفع ضريبة الربانيين. لو لم تكن قد باعت سواري، لكانت هي وأسرتها سيفقدون منزلهم.

*أدركت أنهم لا بد قد اكتشفوا الأمر. لا بد أنهم ظنوا أن «بينتا» لصة.* وهذا هو سبب استدعائها إلى غرفة العرش، ولهذا كانت هناك حاجة لمرافقتها.

قفزت من مقعدي، فأصدرتْ أرجلُ مقعدي صريرًا على الأرضية القرميدية. كدت أرى بالفعل الحراس يقبضون على يدي «بينتا» الرقيقتين. يمكنني أن أرى أبي وهو يهز سيفه.

قلت وأنا أخطو إلى الوراء: «بعد إذنكم».

اجلسي يا «أماري».

«أمي، أنا...».

«أماري!».

«أمي، من فضلك».

*كان صوتي أعلى مما ينبغي.*

أدركت هذا في اللحظة التي فارقتْ فيها الكلمات فمي. اصطدم صوتي الحاد بجدران غرفة الشاي، فسكتت كل الأصوات.

قلت متلعثمة: «إنني أعتذر. أشعر بأنني مريضة».

وثبت نحو الباب بينما يتطاير الشرر خلفي من كل الأعين. أكاد أشعر بحرارة سخط أمي القادم، لكن ليس لدي الآن وقت لهذا. بمجرد أن أغلقت

الباب، انطلقت رافعة عباءتي الثقيلة. وكان حذائي يطرق بنعليه الأرضيات القرميدية، وأنا أخترق الصالات عدْوًا.

*كيف يمكن أن أكون بهذا الحمق؟* كنت أوبخ نفسي، وأميل لتفادي أحد الخدم. كان لا بد أن أغادر في اللحظة التي أخبرتني فيها الفتاة باستدعاء «بينتا». لو تبدَّلت الأدوار، ما كانت «بينتا» لتضيع خفقة قلب واحدة.

*اللعنة*. تفوهتُ بهذا اللفظ بينما كنت أندفع وسط المزهريات الرشيقة بزنابقها الإيمبالا الحمراء في البهو، مرورًا بصور نصفية لأسلافي من الأسرة المالكة وهم يحدقون بي من أجيال مضت. *من فضلك كوني بخير*.

تشبثت بأمل صامت وأنا أعبر الزاوية إلى الصالة الرئيسية.

كان الهواء مثقلًا بالحرارة، وهو ما يزيد من صعوبة التنفس. وكان قلبي يدق في حلقي حين أبطأت عَدْوي أمام حجرة عرش أبي، أخوَفُ الغرف بالنسبة لي، المكان الأول الذي أمرني فيه و «عنان» بالمصارعة، والغرفة التي شهدث كثيرًا من جروحي.

أمسكت بالستائر المخملية التي تتدلى خارج الأبواب السوداء المصنوعة من خشب البلوط. غاصت يداي المغطاتان بالعرق في القماش المتين. قد لا يستجيب. لقد تنازلتُ عن السوار. يمكن أن يعاقبني أبي بدلًا من «بينتا». سَرَتْ في عمودي الفقري دفقةٌ من الخوف أحسست معها بخدر في أصابعي. *افعلي هذا من أجل «بينتا»*.

«لأجل بينتا». همست بصوت عالٍ.

أكبر صديقاتي. صديقتي الوحيدة.

لابد أن أجعلها آمنة.

أخذت نفسًا عميقًا وأنا أمسح العرق من يدي، متمهلة في الثواني الأخيرة القليلة. لم تكد أصابعي تلمس المقبض اللامع وراء الستائر عندما...».

*«ماذا؟»*.

أتاني صوت أبي مجلجلًا عبر الأبواب المغلقة كصيحة جوريليون متوحش. شعرت بقلبي يدق بعنف بين أضلعي. كنت قد سمعت أبي يصيح من قبل، لكن لم يكن صياحه كهذه الصيحة قط. *هل فات الأوان؟*

انفتح الباب، وقفزت إلى الخلف بينما كان جمع من الحراس وحاملي مراوح التهوية يثبون من غرفة العرض كأنهم لصوص مطاردون، وأمسكوا

بمن بقي من أفراد الأسرة ممن في الصالة الرئيسية وألقوا بهم بعيدًا، فظللت وحيدة.

*اذهبي.* ارتعشت قدماي بينما بدأ الباب في الإغلاق. كان مزاج أبي سيئًا بالفعل، لكن لا بد أن أعثر على «بينتا». يمكنني أن أخمن أنها قد تكون محتجزة بالداخل. لا يمكنني أن أدعها تواجه أبي وحدها.

اندفعت إلى الأمام، ممسكة بالباب قبل أن يغلق مباشرة. أدخلت أصابعي في الإطار وسحبت الباب لفتحه قليلًا، ورحت أنظر خلال الفرجة المتاحة.

«ماذا تقصد؟». صاح أبي مرة أخرى، بينما يتناثر اللعاب على لحيته، وراحت عروقه تنبض تحت بشرته البنية الضاربة إلى الحمرة، بشكل جلي في مقابل ردائه الأحمر.

جذبت الباب لفتحه شعرة أخرى، وأنا أخشى أن تقع عيناي على جسد «بينتا» الهزيل. لكن بدلًا من هذا رأيت الأميرال «إيبيلي» قابعًا أمام العرش، وقد تجمعت حبات من العرق على رأسه الأصلع بينما كان يحدق في كل شيء ما عدا أبي. بجانبه، كانت القائدة «كايا» تقف طويلة، وقد استرسل شعرها على رقبتها في جديلة رفيعة لامعة.

قالت «كايا» شارحة: «لقد طفت القطع الأثرية إلى الشاطئ في واري، وهي قرية صغيرة قبالة شاطئ البحر، وقد أدى قربها إلى إثارة بعض القدرات الكامنة لدى عدد قليل من الربانيين المحليين».

«القدرات الكامنة؟!».

ابتلعت «كايا» ريقها، وكانت عضلاتها متحفزة تحت بشرتها ذات اللون البني الباهت، وأعطت فرصة للأميرال «إيبيلي»، لكن الأميرال ظل صامتًا.

«لقد تحول الربانيون». جفلت «كايا» وكأن الكلمات أحدثت بها ألمًا بدنيًا. «لقد أيقظت القطع الأثرية قواهم يا مولاي. لقد أصبح الربانيون من الماجي».

جعلني هذا الكلام ألهث، لكني سرعان ما غطيت فمي لخنق الصوت. *من الماجي؟! في أوريشا؟! بعد كل هذا الوقت؟!*

سرت دفقة من الخوف القاتم في صدري، فجعلتني أتنفس بصعوبة، بينما كنت أفتح الباب بمقدار شعرة أخرى من أجل رؤية أوضح. *لا يمكن أن يكون هذا.* انتظرت حتى قال أبي: «*سيكون هذا ...مستحيلًا*».

قالها أبي أخيرًا، بصوت يكاد لا يعلو عن الهمس، وقبض على مقبض نصل الماجيست الأسود الخاص به بقوة فرقعت لها مفاصل أصابعه.

«أخشى ألا يكون هذا يا مولاي. لقد رأيته بعيني. كان سحرهم ضعيفًا، لكنه كان موجودًا».

*اللعنة*... ما الذي يعنيه هذا بالنسبة لنا؟ ماذا سيحدث للمملكة؟ هل الماجي يخططون لهجوم بالفعل؟ وهل ستكون لدينا فرصة للهجوم المضاد؟

بدأت ذكرياتي عن أبي أمام الغارة تدور في رأسي. تذكرت رجلًا مريضًا بجنون العظمة، يكزُّ على أسنانه، وشعره يتحول إلى اللون الأبيض إلى الأبد. إنه الرجل الذي أصدر الأمر لي ولـ «عنان» بالبقاء في قبو القصر، وألقى بالسيوف في أيدينا رغم أننا كنا أصغر من أن نرفعها.

كان يحذرنا بقوله: «*الماجي آتون لأجلكما*». وكان يردد على مسامعنا تلك الكلمات نفسها في كل مرة يجبرنا فيها على المصارعة. «*حين يأتون، لا بد أن تكونا مستعدَّين*».

تطعن الذكرى ظهري وأنا أتفرس وجه أبي المُمْتقع.

إن صمته أكثر إثارة للخوف من غضبته. كان الأميرال «إيبيلي» يرتعد من رأسه لأخمص قدميه.

«أين هم الماجي الآن؟».

«تم التخلص منهم».

شعرت بتقلص في معدتي وحبست أنفاسي، مجبرة شاي الغداء على العودة الى موضعه. هؤلاء الماجي أصبحوا في عداد الموتى. ذُبحوا. ألقي بهم إلى قاع البحر.

«وماذا عن القطع الأثرية؟». ألح أبي بهذا السؤال، غير عابئ بمصائر الماجي. لو تحقق له ما يريد، فربما «سيتخلص» ممن بقي منهم.

«إن اللفافة معي». مدت «كايا» يدها في درع صدرها وأخرجت مخطوطة رِقِّيَّةً ذابلة. «بمجرد أن اكتشفتها، اعتنيت بالشهود وجئت إلى هنا مباشرة».

«ماذا عن حجر الشمس؟».

رمقت «كايا» «إيبيلي» بنظرة حادة قد تسيل الدماء لحدتها، فتنحنح بعمق وكأنه يطيل أمد كل ثانية قبل أن يدلي بالأخبار.

«لقد سُرق الحجر من واري قبل أن نصل يا مولاي. لكننا نتتبعه، وقد أطلقنا أفضل رجالنا طلبًا له، ولست أشك في استعادتنا له قريبًا».

تصاعد غضب أبي كما تتصاعد الحرارة في الهواء.

قال أبي بصوت كالفحيح: «كنتما مكلفين بتدميرها، فكيف حدث هذا؟».

«لقد حاولتُ يا مولاي. بعد الغارة، حاولت لأشهر، وفعلت كل شيء بوسعي لتدميرها، لكن القطع الأثرية كانت مسحورة». قفزت عينا «إيبيلي» نحو «كايا»، لكنها نظرت أمامها مباشرة، وتنحنح مرة ثانية. تجمع العرق في الترهلات التي تحت ذقنه.

«حين مزقت اللفافة، تجمعت أجزاؤها معًا مرة أخرى، وحين حرقتها، تكونت تارة أخرى من الرماد. أمرْتُ أقوى حراسي بتفتيت حجر الشمس، لكنه لم يستطع أن يحدث به خدشًا! وحين لم أجد سبيلًا إلى تدمير هذه القطع الأثرية اللعينة، أغلقت عليها خزانة من الحديد، وألقيت بها في غياهب بحر البانجوكو. لم يكن من الممكن أبدًا أن تطفو إلى الشاطئ! لا يمكن هذا بدون السحـ...».

توقف «إيبيلي» قبل أن ينطق بالكلمة.

«أؤكد لك يا مولاي أنني فعلت ما بوسعي، لكن يبدو أن الآلهة كانت لها تدابير أخرى».

*الآلهة؟* أدخلت رأسي أكثر. هل جن جنون «إيبيلي»؟ إن الآلهة لا وجود لها. كل من في القصر يعلمون هذا.

انتظرت رد أبي على حماقة «إيبيلي»، لكن ظل وجهه بلا تأثر. نهض أبي من فوق عرشه، هادئًا، متفكّرًا، ثم بسرعة الأفعى، أمسك بتلابيب «إيبيلي».

قال أبي وهو يرفع جسد «إيبيلي» في الهواء ويعتصره: «أخبرني يا أميرال: هل تدابير الآلهة أخوَفُ عندك؟ *أم تدابيري أنا؟* ».

تقهقرت، واستدرت بعيدًا بينما كان «إيبيلي» يختنق طلبًا للهواء. هذا هو الجانب الذي أكرهه لأبي، الجانب الذي أحاول جاهدة ألا أراه.

قال «إيبيلي» بحشرجة: «إنني.. إنني أعد بإصلاح الأمر. أعد بهذا!».

أسقطه أبي مثل ثمرة فاكهة معطوبة. راح «إيبيلي» يدلك رقبته لاهثًا وقد زادت الكدمات بالفعل من قتامة بشرته النحاسية. استدار أبي مرة أخرى نحو اللفافة في يد «كايا».

قال آمرًا: «أرنيها».
أعطت «كايا» إشارة، مشيرة إلى شخص خارج مجال رؤيتي.
فرقعت النعال على الأرضية القرميدية. وهنا رأيتها.
*«بينتا»*.

وضعت يدي على صدري وأنا أراها تخطو مترددة والدموع تتجمع في عينيها الفضيتين الواسعتين. كانت القلنسوة التي تهتم كثيرًا بلفها كل يوم معوجة، كاشفة عن خصلات من شعرها الأبيض الطويل. وكان شخص ما قد قام بتكميم فمها بوشاح، ما جعل صياحها مستحيلًا، لكن إن استطاعت، فمن يستطيع أن يساعدها؟ إنها بالفعل في قبضة الحراس.

*افعلي شيئًا*. قلت هذا لنفسي بلهجة الأمر. *الآن*. لكن لم أستطع أن أحمل قدمي على الحركة.

إنني لا أشعر حتى بيدي.

فكت «كايا» اللفافة وسارت إلى الأمام ببطء، كأنها تقترب من حيوان مفترس، وليست الفتاة اللطيفة التي كانت تمسح دموعي كل هذه السنوات. إنها الخادمة التي كانت تدخر كل أنصبتها التي تحصل عليها من القصر حتى يمكن لأسرتها أن تستمتع بوجبة جيدة كاملة.

«ارفعوا ذراعها».

هزت «بينتا» رأسها بينما كان الحراس يرفعون معصمها، وصرخاتها المكتومة تكاد تخترق الوشاح. ورغم أن «بينتا» كانت تقاوم، فإن «كايا» دفعت باللفافة في قبضتها.

انبعث الضوء من يد «بينتا».

كان الضوء يغمر العرش في رونقه.. بجواهره المتألقة وألوانه الأرجوانية الزاهية، وألوانه الزرقاء الخاطفة. كان الضوء ينساب على شكل أقواس ويومض متدفقًا كالشلال، في تيار لا نهاية له ينبع من كف «بينتا».

*«اللعنة»*. شهقت في خوف وأنا أكافح الرعب الذي انبثق بين أضلعي.

إنه السحر.

هنا. بعد كل هذه السنوات.

أينعت تحذيرات أبي القديمة من السحر داخل رأسي، وذكريات الحرب والنار، والظلمة والمرض. *إن السحر هو أصل كل الشرور*، كما اعتاد أبي أن يقول بصوت كالفحيح. *سوف يمزق أوريشا إلى أشلاء*.

كان أبي دائمًا يُعلِّم «عنان» أن السحر يعني موتنا.

سلاح خطير يهدد وجودنا. وما دام كان موجودًا، ستظل مملكتنا دائمًا في حالة حرب.

في أشد أيام الغارة ظلمة، استقر السحر في مخيلتي وحشًا بلا ملامح. لكن في يد «بينتا»، صار السحر معجزة تخطف الأبصار، لا مثيل لها، تشبه الفرحة بذوبان شمس الصيف في أضواء الغسق. إنه الجوهر الأصيل للحياة والهواء الذي يحفظها في نفوسنا.

ضرب أبي ضربته سريعًا، مباغتًا كالبرق.

في لحظة كانت «بينتا» تقف في مكانها، وفي اللحظة التالية كان سيف أبي مغروسًا في صدرها.

*لا!*

وضعت يدي على فمي قبل أن تتفلت صرختي، وكدت أسقط على ظهري. اجتاح الغثيان حلقي، واحترقت عيناي بدموعي الحارة.

*لا يمكن أن يحدث هذا*. بدأ العالم يدور حولي. *ليس هذا حقيقيًا. إن «بينتا» في أمان. إنها تنتظر الآن برغيف من الخبز الحلو في غرفتك.*

لكن أفكاري اليائسة لم تغير من الحقيقة. إن الموتى لا يعودون.

انساب لون قرمزي في الوشاح الذي يكمم فم «بينتا»، ولطخت ورود حمراء رداءَها الأزرق الباهت. خنقتُ صرخة أخرى بينما تهاوت جثتها إلى الارض، ثقيلة كالرصاص.

تجمع الدم حول وجه «بينتا» البريء، وتخضبت خصلاتها البيضاء باللون الأحمر. اندفعت الرائحة النحاسية من خلال فرجة الباب، فقاومت التقيؤ.

جذب أبي معطف «بينتا» واستخدمه في تنظيف سيفه، بمنتهى الهدوء، ولم يعبأ بأن الدم لطخ ثيابه الملكية.

لم يكن يرى أن دماءها لطخت يدي أنا.

تراجعت محاولة أن أقف على قدمي، فتعثرت في طرف ردائي. هرولت صاعدة السُلَّم في إحدى زوايا الصالة الرئيسية، وقدماي ترتعشان مع كل خطوة. زاغ بصري وأنا أكافح حتى أصل إلى رواقي، لكن كل ما استطعت فعله هو أن أهرع نحو إحدى المزهريات. تشبثت بالحافة الخزفية. كان كل ما بداخلي قد صعد إلى فمي.

شعرت بلسعة المرارة، ومرارة الحمض والشاي. حين انطلقت أول عبرة بحُرية، انهار جسدي، فأمسكت بصدري بقوة.

لو أن «بينتا» كانت هنا، لكانت هي من سيأتي لإنقاذي. كانت ستأخذ بيدي وتقودني إلى مَهْجَعي، وتجلسني في فراشي، وتمسح دموعي. كانت ستأخذ حنايا قلبي المقطَّعة وتجد طريقة لتعيدها سيرتها الأولى تارة أخرى.

خنقت عبرة أخرى وغطيت فمي بينما تتسرب دموعي المالحة من بين أناملي. ملأت رائحة الدم أنفي، وطعنتني ذكرى نصل أبي مرة أخرى..

انفتحت أبواب غرفة العرش دفعة واحدة، فقفزتُ واقفة على قدمي، وساورني خوف أن يكون القادم هو أبي. بدلًا من ذلك، انصرف أحد الحراس الذين كانوا يقيدون «بينتا».

وكانت اللفافة مستقرة في يديه.

حدَّقتُ في المخطوطة الرِّقِّية الذابلة بينما كان الحارس يتسلق السلالم نحوي، وسرحت في تلك اللمسة الوحيدة التي جعلت العالم يتفجر بالأضواء، الأضواء التي صارت حبيسة روح صديقتي العزيزة، في جمال لا يخطر على قلب بشر، وجرأة تتحدى الفناء.

استدرت بعيدًا بينما كان الجنود يقتربون، مخفية وجهي الملوَّث بالدموع.

غمغمت قائلة: «عذرًا، لست على ما يرام. لا بد أنني أكلت بعض الفاكهة المعطوبة».

أومأ الحارس إيماءة لا تكاد تُلمح، وقد شعر بالتشتت أثناء صعوده. وكان يقبض على اللفافة بقوة جعلت أصابعه تزداد دكنة، كما لو كان خائفًا مما ستفعله المخطوطة الرِّقِّية السحرية إن لم يقبض عليها بقوة. راقبته وهو يمضي إلى الطابق الثالث ويفتح بابًا مطليًا باللون الأسود. وفجأة أدركت إلى أين يتجه.

كان متجهًا إلى رواق القائدة «كايا».

مضت الثواني مُمِضَّة وأنا أرقب الباب، منتظرة، رغم أنني لا أعرف سببًا للانتظار. إن الانتظار لن يعيد «بينتا»، ولن يتيح لي الاستمتاع بضحكتها المنغومة. ومع ذلك فقد انتظرت، وتجمدت حين أعيد فتح الباب. استدرت إلى المزهرية مرة أخرى وتقيأت ثانيةً، دون توقف، حتى مر الحارس بي مرة أخرى. كانت نعل حذائه المعدني تطرق الأرضية وهو عائد ثانية إلى غرفة العرش. لم تعد اللفافة في يده.

بأيد مرتعشة، مسحت دموعي، وهو ما أسال بلا شك ما أقحمته أمي على وجهي من طلاءات ومساحيق. مررت براحتي على فمي لمحو ما بقي

من آثار القيء. كان رأسي يعج بالأسئلة وأنا أنهض وأقترب من باب «كايا». ينبغي أن أستمر حتى أصل إلى رواقي.

إلا أنني خطوت إلى الداخل.

أُغلق الباب خلفي بصفقة عالية، فجفلت، مدركة أن أحدًا سيبحث عن مصدر الصوت. لم تطأ قدمي من قبل قط رواق القائدة «كايا»، ولا أظن حتى أن الخدم مسموح لهم بالدخول إلى هنا.

فحصت بعيني الجدران ذات اللون العنابي، والمختلفة تمامًا عن الطلاء الأرجواني الذي يغطي جدران رواقي. كانت هناك عباءة ملكية ملقاة عند أرجل سرير «كايا». *عباءة أبي*.... لا بد أنه تركها وراءه.

في يوم آخر، كان إدراكي لوجود أبي في رواق «كايا» من شأنه أن يجعل في غصة، لكنني لا أكاد أشعر بشيء الآن، فأثر اكتشافي لعباءة أبي لا يكاد يُذكر مقارنة باللفافة القابعة على مكتب «كايا».

خطوت إلى الأمام وكأنني أقترب من حافة جرف هار.

كنت أتوقع أن أشعر ببعض الغموض في وجود اللفافة، إلا أن الهواء المحيط بها بقي ساكنًا. مددت يدي، لكنني توقفت لأبتلع الخوف الذي بدأ في التضخم. رأيت الضوء الذي انبعث من يدي «بينتا».

رأيت السيف الذي اخترق صدرها.

دفعت نفسي، ومددت يدي مرة أخرى حتى أطراف أناملي. وحين احتكت يدي باللفافة، أغلقت عيني.

لم يصدر أي سحر عنها.

انطلقت أنفاسي التي لم أكن أدرك أنني أمسكتها حين رفعت المخطوطة الذابلة. حللت اللفافة ورحت أتتبع الرموز الغريبة، في محاولة لا جدوى منها لفهم مغزاها. لم تكن الرموز تبدو كأي شيء رأيته من قبل، أو كأي لغة تعلمتها في دراستي من قبل. إلا أنها رموز يموت من أجلها الماجي.

رموز يمكن أيضًا أن تُكتب بدم «بينتا».

تسللت نسمة خلال النوافذ المفتوحة، فتأرجحت لها خصلات الشعر التي انسلت من غطاء رأسي المفكوك. وتحت الستائر المتطايرة، كانت تقبع تجهيزات «كايا» العسكرية: سيوف مشحوذة، لُجُم للبانثيرات، دروع نحاسية للصدر. استقرت عيناي على بكرات الحبال. أسقطت غطاء رأسي على الأرض. وبدون تفكير أمسكت بعباءة أبي.

# الفصل الرابع

# زالي

«*ألن تتحدث معي فعلًا؟*».

مِلتُ إلى جانب سرج «نائلة»؛ لأتفرس في وجه «زين» المتحجر.

كنت أتوقع الساعة الأولى من الصمت، لكن هذه هي الساعة الثالثة.

حاولت بدلًا من ذلك أن أقول: «كيف كان التمرين؟». «زين» لا يمكن أن يقاوم حديثًا حول رياضته المفضلة. «هل كاحل «مقبولة» بخير؟ أتظن أنها ستُشفى قبل المباريات بوقت مناسب؟».

فتح «زين» فمه لجزء من الثانية، لكنه أجبر نفسه على الإمساك عن الكلام، فأطبق فكيه بقوة وهزَّ لجام «نائلة»، دافعًا لها كي تسير بخطى أسرع وهو على متنها خلال أشجار الظّلامة.

قلت: «تعقَّل يا زين! لا يمكنك أن تتجاهلني ما بقي من حياتك».

«يمكنني أن أحاول».

دارت عيناي في محجريهما: «بحق الآلهة، ماذا تريد مني؟».

قال «زين» منفعلًا: «هل تعرفين الاعتذار؟ إن بابا كاد يموت! والآن تريدين أن تجلسي هنا وتتظاهري أن هذا لم يحدث قط؟».

رددت بانفعال مماثل: «لقد اعتذرت بالفعل لك ولبابا».

«إن هذا لا يغير ما حدث».

«إذن أنا آسفة لأنني لا أستطيع تغيير الماضي!».

ترددت أصداء صيحتي خلال الأشجار، مطلقة موجة جديدة من الصمت بيننا. مررت بأصابعي على الجلد البالي بسرج «نائلة»، وتكونت هوة غير مريحة في صدري.

بحق *الآلهة فكري يا «زالي»*. ترددت أصداء كلمات «ماما أجبا» في عقلي.

مَن سيحمي والدك إن ألحقت أذًى بهذين الرجلين؟ من لـ «زين» حين يأتيه الحراس للثأر؟

قلت بهدوء: «زين، أنا آسفة! في الواقع أنا أشعر بشعور فظيع، أكثر مما يمكن أن تعلمه، لكن...».

أطلق «زين» زفرة ساخطة. «طبعًا هناك كلمة لكن».

قلت وغضبي يصل إلى نقطة الغليان: «لأن هذا ليس خطئي وحدي! الحراس هم السبب في خروج بابا إلى الماء!».

رد «زين» بعنف: «وأنتِ السبب في أنه كاد أن يغرق، لقد تركته وحده».

عضضت على لساني. ليس ثمة فائدة من الجدل. وفي ظل قوته ووسامته الكوسيدية هذه، لا يفهم «زين» لماذا أحتاج إلى تدريب «ماما أجبا». الفتيان في إيلورين يحاولون أن يكونوا أصدقاء له، والبنات يحاولن الاستيلاء على قلبه. حتى الحراس يتجمعون حوله، ويتغنون بالثناء على مهاراته في الأجبون.

إنه لا يفهم كيف تكون الأمور حين يكون مثلي، وأنا أروح وأغدو في إهاب ربانية، وأقفز في كل مرة يظهر فيها أحد الحراس، لا أدري كيف ستنتهي المواجهة.

*سوف أبدأ بهذا*...

تقلصت معدتي لذكرى قبضة الحارس الخشنة.

هل سيصيح «زين» بي إن علم؟ هل سيصرخ إن أدرك كيف كان صعبًا بالنسبة لي ألا أبكي؟

ركبنا في صمت وقد بدأت الأشجار تتناقص عددًا وتظهر مدينة لاجوس في مجال الرؤية. كانت العاصمة التي تحيط بها بوابة مصنوعة من خشب قلب أشجار الظِّلامة مختلفة عن إيلورين في كل شيء. بدلًا من البحر الباعث على الهدوء تموج لاجوس بحشود من البشر لا تنتهي. وحتى عن بُعد، تضم أسوار المدينة بين جنباتها أعداداً من الناس تكتظ بهم لدرجة تجعل من المستحيل فَهمَ كيف يعيشون جميعًا.

استطلعت حدود العاصمة من على ظهر «نائلة»، فلاحظت الشعر الأبيض للربانيين المارين بطول الطريق. تتجاوز أعداد الكوسيديين في لاجوس أعداد ربانييها بنسبة ثلاثة إلى واحد، وهو ما ييسر التعرف عليهم. ورغم أن المسافة بين أسوار لاجوس طويلة وواسعة، فإن أفراد عشيرتي يتزاحمون عند حافة المدينة في عشوائيات، وهذا هو المكان الوحيد الذي يتاح للربانيين للحياة فيه.

أسندت ظهري إلى الوراء على سرج «نائلة»، فرؤية العشوائيات أطفأت جذوة كانت متقدة بين جوانحي. منذ قرون مضت، كانت قبائل الماجي العشرة وأطفالها معزولين في أرجاء أوريشا كلها. وبينما كان الكوسيديون يقطنون في المدن، كانت القبائل تعيش بمحاذاة الجبال والمحيطات والحقول، لكن بمرور الوقت، خرج الماجي وانتشرت القبائل عبر أراضي أوريشا، وكان الفضول والبحث عن الفرصة هما الدافع وراء رحيلهم.

وبمرور السنوات، بدأ الماجي والكوسيديون في التزاوج، وتكونت أسر من ربانيين وكوسيديين مثل أسرتي. ومع تكاثر العائلات المختلطة، ازداد عدد الماجي في أوريشا. وقبل الغارة، كانت لاجوس مأوى لأكبر تجمع من الماجي.

الآن هؤلاء الربانيون هم كل من تبقى.

جذب «زين» لجام «نائلة»، موقفًا إياها حين اقتربنا من البوابة الخشبية. «سأنتظر هنا. سيكون دخولها إلى هناك أمرًا مثيرًا لجنونها».

أومأت وانزلقت، وأعطيت أنف «نائلة» الداكن الرطب قُبلة، وابتسمت حين راحت تلعق خدي بلسانها الخشن، لكن تلاشت الابتسامة حين عُدت بنظري إلى «زين» مرة أخرى. ثمة كلمات غير منطوقة تحوم في الهواء، لكنني استدرت وواصلت طريقي غير عابئة بهذا.

«انتظري».

نزل «زين» عن ظهر «نائلة»، ولحق بي في وثبة واحدة، ثم وضع خنجرًا صدئًا في يدي.

«معي هراوة».

قال: «أعلم، ولكن من باب الاحتياط».

دسست السلاح في جيبي البالي. «شكرًا».

نظرنا إلى الأرض الطينية في صمت. راح «زين» يركل حجرًا بقدميه. لم أكن أدري من سيتكلم أولًا حتى تحدث أخيرًا.

«لست أعمى يا زيل! أعلم أن هذا الصباح لم يكن خطأك بالكامل، لكن أريد لك أن تكوني أفضل». للحظة، لمعت عينا «زين»، مهددة بكشف شيء يحتفظ به. «إن حالة بابا تزداد سوءًا، والحراس يُحصون عليك أنفاسك. لا يمكنك تحمل العثرات الآن. إن أخطأت مرة أخرى، فقد تكون هذه نهايتك.

أومأت، دون أن أحوِّل نظري عن الأرض. يمكنني أن أتعامل مع أمور كثيرة، لكن إحباط «زين» كان قاطعًا كالسكين.

تنهد «زين» قائلًا: «فقط حسِّني أفعالك. من فضلك، بابا لن ينجو إن فقدك... وأنا أيضًا».

حاولت أن أتجاهل الضيق الذي في صدري. همست: «أنا آسفة. أعدك بأن أحسِّن أفعالي».

«حسنًا». رسم «زين» بسمة على وجهه وداعب شعري. «يكفي هذا. اذهبي لتبيعي هذه السمكة اللعينة».

ضحكتُ وأعدتُ ضبط أحزمة حقيبتي. «كم تظن أنني سأجني؟».

«مائتين».

رجعت برأسي إلى الوراء وأنا أقول: «هل هذا ما تظنه؟ هل تسيء الظن بقدراتي إلى هذا الحد بالفعل؟». «هذا مبلغ باهظ يا زيل».

«أراهنك أنني أستطيع أن أجني المزيد».

اتسعت ابتسامة «زين»، وأضاء وجهه باحتمالات الرهان الجيد. «إن حصلت على أكثر من مائتين فسأمكث مع بابا في الأسبوع القادم».

«أوه. إذن فقد اتفقنا». ابتسمتُ ابتسامة عريضة وقد بدأتُ بالفعل أتخيل إعادة مباراتي مع «يامي».

لنرَ كيف ستتصرف إزاء هراوتي الجديدة.

تقدمت مسرعة إلى الأمام، وأنا مستعدة لإبرام الصفقة، لكن حين وصلت إلى نقطة التفتيش، اضطربت معدتي حين رأيت الحرس الملكي. وكان هذا هو رد فعلي الوحيد لأحتفظ بسكون جسدي وأنا أدس هراوتي القابلة للطي في نطاق خصر سروالي المَثني.

«اسمك؟». صاح حارس طويل، دون أن يحول عينيه عن سجله، وقد أزغبت تجعداته الداكنة في الحرارة، وتجمع بها العرق المنسال على خديه.

أجبت باحترام قدر استطاعتي: «زالي أديبولا». *لا مكان للأخطاء.* ابتلعت ريقي بصعوبة. *على الأقل، لا مكان لأخطاء أخرى اليوم.*

نظر الحارس إليَّ نظرة خاطفة قبل أن يسجل المعلومات. «النشأة؟».

«إيلورين».

«إيلورين؟».

ترنح حارس آخر، قصير، متين البنيان، وهو يقترب، مستخدمًا الحائط الضخم للاحتفاظ بتوازنه منتصبًا. انتشرت رائحة الكحول الحادة في الهواء

مع وجوده غير المرحب به.
«ما الذي تفعله دودة مثلك بعيدًا عن موطنها؟».
كان حديثه الثقيل مفهومًا بالكاد، وكانت الكلمات تنبعث من فمه مثل اللعاب الذي يسيل على ذقنه. ضاق صدري مع اقترابه؛ تحولت النظرة الثملة في عينيه إلى نظرة خطرة.
سألني الحارس الطويل غير الثمل لحسن الحظ: «الغرض من الزيارة؟».
«التجارة».
هنا، زحفت ابتسامة اشمئزاز على وجه الحارس الثمل. مد يده نحو معصمي، لكني تراجعت ورفعت الحقيبة الملفوفة.
قلت موضحة: «التجارة في *السمك*». وعلى الرغم من كلماتي، اندفع إلى الأمام. تأوهت وهو يطبق بيديه القصيرتين السمينتين على رقبتي ويدفع بي الى الحائط الخشبي، ومال نحوي حتى صرت أستطيع أن أعد البقع السوداء والصفراء التي على أسنانه.
قال ضاحكًا: «يمكنني أن أخمن لماذا تبيعين السمك. ما هي الضريبة المقررة على الدودة هذه الأيام يا كايين؟ قطعتان من البرونز؟».
اقشعر جلدي وشعرت بأن أصابعي تتوق إلى الهراوة المخبأة. لقد كان القانون يحرّم حتى القُبلة بالنسبة للماجي والكوسيديين بعد الغارة، لكنه لم يكن يمنع الحراس من العبث بنا كالحيوانات.
تحول غضبي إلى سخط أسود، إلى ظلام كنت أستشعره في ماما حين كان أحد الحراس يتجرأ ليقف في طريقها. ومع هجمته المباغتة، كنت أريد أن أدفع الجندي إلى الخلف وأنزع كل إصبع من أصابعه السمينة. لكن مع غضبي تذكرت قلق «زين»، ووجع قلب بابا، وتوبيخ «ماما أجبا».
فكّري يا «زالي». فكّري في بابا. فكري في «زين». وَعدتُ ألا أُفسد هذا الأمر. لا يمكنني أن أخذلهم الآن.
كررت هذا مرة تلو مرة، حتى أطلقني الوحش من يده، وضحك لنفسه قبل أن يأخذ رشفة أخرى من زجاجته، مفتخرًا، غير شاعر بتأنيب الضمير.
استدرت نحو الحارس الآخر، غير قادرة على إخفاء الكره الذي في عيني. احترت! مَن أكره أكثر؟ أأكره الثمل لتحرشه بي؟! أم أكره هذا الساقط لأنه ترك هذا يحدث؟!
سألت وأنا أكز على أسناني: «هل هناك أسئلة أخرى؟».

هزَّ الحارس رأسه.

عبرتُ من البوابة بسرعة شيتانيرة حتى لا أتيح لأحدهما أن يغير رأيه. لكن لم أكد أجتاز بضع خطوات بعيدًا عن البوابات، حتى جعلتني حمى الحياة في لاجوس أرغب في العودة عدوًا إلى الخارج.

«يا إلهي!». شهقت منبهرة بمجرد رؤيتي لعدد الأشخاص. تمتلئ الطرقات الترابية الواسعة بالقرويين والتجار والحراس والنبلاء، وكل منهم يتحرك بدقة وبهدف محدد.

عن بعد، لاح القصر الملكي لي.. بجدرانه البيضاء العريقة، وأقواسه المذهبة تلمع تحت أشعة الشمس. ووجود هذا القصر يمثل تناقضًا صارخًا مع العشوائيات التي تحف بحدود المدينة.

رحت أتأمل المساكن الصدئة، واحتبست أنفاسي وأنا أتطلع إلى الأكواخ الشاهقة. كانت العشش مثل متاهة رأسية، يقام بعضها فوق بعض، وتبدأ كل منها حيث تنتهي الأخرى. وعلى الرغم من أن الكثير منها بني اللون وباهت، فإن ثمة أكواخًا أخرى تشع بدهانات زاهية ورسومات ملونة. كان التعارض الواضح يتحدى مصطلح العشوائيات، فكان بمثابة جذوة من الجمال لأفراد الأسرة الملكية.

بخطوات غير حاسمة، بدأت أسير باتجاه وسط المدينة. وحين مررت بالعشوائيات، لاحظت أن الأغلبية الساحقة من الربانيين الذين يتجولون في شوارعها ليسوا أكبر مني بكثير. في لاجوس، يكاد يكون من المستحيل بالنسبة لأي من الأطفال الربانيين، ممن عاشوا أثناء الغارة، أن يصلوا إلى مرحلة البلوغ دون أن يُزج بهم في السجن، أو يُجبروا على الالتحاق بعمال التراحيل.

«من فضلك - أنا لا أقصد أن...» انطلقت صرخة حادة في الفضاء.

قفزت في مكاني حين رأيت عصا مشرف تراحيل تضرب الأرض أمامي. مزقت العصا جلد رباني شاب، تاركة بقعًا من الدم على آخر ملابس نظيفة سيرتديها الفتى. سقط الفتى في كومة من الخزف المكسور، عبارة عن بلاطات مشطورة ربما لم تقوَ ذراعاه الرفيعتان على حملها. رفع مشرف التراحيل عصاه مرة أخرى، وفي هذه المرة لاحظت لمعة مقبض الماجيست الأسود.

*اللعنة!* اجتاحتني رائحة اللحم المحترق الحادة، بينما كان مشرف التراحيل يغرس عصاه في ظهر الفتى. تصاعد الدخان من الجلد وهو يقاوم

كي ينهض على ركبتيه زاحفًا. هذا المنظر البشع أصاب أصابعي بالخدر، وذكرني بالمصير الذي ينتظرني مع عمال التراحيل.

*هيا*. أجبرت نفسي على التقدم للأمام رغم أن قلبي غاص بين أضلعي. تحركي وإلا فهذا سيكون مصيرك.

هرولت إلى وسط لاجوس، باذلة كل ما في وسعي لتجاهل رائحة المجاري المنبعثة من شوارع العشوائيات. وحين دخلت أحد المباني الملونة بالباستيل في رَبع التجار، تحولت الرائحة إلى الخبز الحلو والكمون؛ مما جعل معدتي تُقرقر. استجمعت قواي للمقايضة بينما كان مبنى المقايضة المركزي يعج بأصوات عمليات تجارية لا نهائية. لكن حين أصبح البازار في مجال الرؤية، صرت مجبرة على التوقف.

بغض النظر عن عدد المرات التي قايضت فيها صيدًا ثمينًا مع بابا، فإن جنون السوق المركزي لا ينفك عن إدهاشي. كان البازار، الأكثر صخبًا من شوارع لاجوس، يعج بكل السلع الأوريشية التي يمكن تخيلها. في أحد الصفوف وحدها، تقبع الغلال من حقول مينا الشاسعة جنبًا إلى جنب مع القطع الأثرية الحديدية الرائجة من مصانع جومبي. سرتُ خلال الحجيرات المزدحمة مستمتعة برائحة لسان الحمل المقلي.

بآذان مرهفة، حاولت أن أتعرف على نمط المقايضة، وسرعة كل صفقة. كان الجميع يتشاحنون، ويستخدمون الكلمات كما يستخدمون السكاكين. هذا السوق أخطر من سوق إيلورين. هنا لا توجد حلول وسط؛ تجارة فقط.

مررت بالمرابط الخشبية لركائب الشيتانيرة، مبتسمة لمرأى كل قرن صغير يبرز من جبهاتها. وكان عليَّ أن أمر بعربات الأنسجة المطبوعة قبل أن أصل في النهاية إلى حلقة السمك.

«أربعون قطعة من البرونز».

«من أجل سمكة تايجر؟».

«لن أدفع قطعة واحدة أكثر من ثلاثين!».

كان الضجيج الصادر عن صيحات المتساومين يجعلني لا أكاد أسمع صوت أفكاري. ليس هذا السوق مثل السوق العائم في إيلورين. لن تُجدي المقايضة المعتادة. عضضت باطن خدي وأنا أمعن النظر في الحشود. أريد علامة. أريد أحمق، شخصًا....

«سمك السلمون المرقط!». صاح رجل بصوت أجش. «هل يبدو عليَّ أنني آكل سمك السلمون المرقط؟».

استدرت إلى النبيل الممتلئ الذي يرتدي داشيكي لونه أرجواني داكن. ضاقت عيناه البندقيتان وهو ينظر إلى التاجر الكوسيدي وكأنه تلقى لتوه إهانة خطيرة.

قال التاجر: «لدي سي روبين. لدي سمك فلاوندر، قاروص...».

قال النبيل منفعلًا: «لقد قلت إنني أريد سمك أبي سيف! قال خادمي: إنك رفضت أن تبيعه».

«ليس هذا موسمه».

«ومع ذلك فالملك يأكل منه كل ليلة؟».

حك التاجر قفاه وقال: «إذا تم صيد سمكة أبي سيف، فإنها تذهب إلى القصر. هذا هو قانون البلاد».

تحول وجه النبيل إلى اللون الأحمر وجذب محفظة مخملية صغيرة.

«كم يدفع؟». وراح يصلصل بالعملات المعدنية. «سأدفع ضعف ما يدفع».

حدق التاجر في المحفظة بشوق لكنه ظل ثابتًا. « لا يمكنني المخاطرة بذلك».

صحت: «يمكنني هذا!».

استدار النبيل وقد ضاقت عيناه بالشك. أشرت إليه لينظر نحوي، بعيدًا عن موضع وقوف التاجر.

سألني: «هل لديكِ سمكة أبي سيف؟».

«معي ما هو أفضل. معي سمكة لا يمكن لأحد آخر في هذا السوق أن يبيعك إياها».

فتح الرجل فمه، وشعرت بنفس الترقب الذي أشعر به حين تلتقط سمكة طُعمي. كشفت سمكة أبي شراع بعناية ووضعتها تحت أشعة الضوء حتى تصبح قشورها لامعة.

فغر النبيل فاه قائلًا: «اللعنة! إنها رائعة».

«إن مذاقها أشهى حتى مما يبدو عليها. سمكة أبي شراع حمراء الذيل، قادمة لتوها من ساحل إيلورين. ليس هذا موسمها، لذا يمكنك أن تثق في أن الملك نفسه لن يأكل مثلها الليلة».

زحفت ابتسامة إلى وجه النبيل، وأدركت أنني حققت هدفي. أمسك الرجل بمحفظته.

«خمسون قطعة من الفضة».

اتسعت عيناي، لكنني ضغطت على أسناني. *خمسون....*

الخمسون تجعلنا نسدد هذه الضريبة، وقد يتبقى لنا ما يكفي لشراء قارب جديد. لكن إذا رفع الحراس الضريبة ربع الشهر التالي، فإن الخمسين لن تنجيني من الإلحاق بعمال التراحيل.

أطلقت ضحكة عالية وبدأت في إعادة لف السمكة.

انعقد حاجبا النبيل. «ماذا تفعلين؟».

«سآخذ هذه الجوهرة إلى شخص يستطيع أن يتحمل ثمنها».

« كيف تجرئين...».

قاطعته قائلة: «معذرة. ليس لدي الوقت لرجل يعرض خمسين قطعة مقابل جائزة تستحق عشرة أضعاف هذا المبلغ».

تذمر النبيل، لكنه مدَّ يده في جيوبه، وأخرج محفظة خملية أخرى.

«لن تحصلي على قطعة واحدة فوق الثلاثمائة».

*اللعنة!* غرزت قدمي في الأرض حتى أحافظ على نفسي من السقوط. هذا أكثر ما رأينا في حياتنا من قبل. ضرائب ستة أشهر على الأقل، حتى وإن رفعوها!

فتحت فمي لأوافق على الصفقة، لكن شيئًا في عيني النبيل جعلني أتردد. إذا كان قد ضاعف عرضه بهذه السرعة في المرة الأخيرة، فربما يضاعف عرضه مرة أخرى...

*اقبلي العرض.* تخيلت تحذير «زين». *إن هذا يكفي وزيادة.*

لكني ينبغي ألا أتوقف عند هذا الحد.

«أنا آسفة». هززت كتفي وأنهيت لف سمكة أبي شراع. «لا يمكنني إهدار وجبة ملك على شخص لا يستطيع أن يتحمل ثمنها».

اتسعت فتحتا أنف النبيل. *اللعنة*. ربما أكون قد أسرفت في المساومة. انتظرته حتى يتكلم، لكنه ظل غارقًا في الصمت.

بدت كل خطوة وكأنها ستدوم دهرًا وأنا أنوء بحمل الخطأ الذي ارتكبته. *ستجدين أحدًا غيره.* حاولت تهدئة نفسي. ستجدين نبيلًا آخر يستميت من أجل إثبات قيمته. يمكنني أن أحصل على ما هو أكثر من ثلاثمائة. إن السمكة تستحق أكثر من هذا.. أليس كذلك؟

«اللعنة». كاد رأسي يصطدم بكشك الجمبري. «ماذا أنا فاعلة الآن؟ من سيكون غبيًا لدرجة أن...؟».

«انتظري!».

وبينما كنت أستدير، ألقى النبيل بثلاث محافظ مصلصلة إلى صدري.

زمجر مهزومًا: «حسنًا. خمسمائة».

حملقت فيه غير مصدقة، وفسر هو هذا بالشك.

«عُدِّيها إن كنت تشكين».

فتحت محفظة فكان المنظر بها جميلًا لدرجة كدت معها أن أبكي. كانت الفضة تلمع مثل قشور سمكة أبي شراع، وكان الوزن يعد بأشياء سوف تحدث. *خمسمائة!* بعد شراء قارب جديد، يساوي هذا تقريبًا سنة من الراحة بالنسبة لبابا. *أخيرًا*.

لقد فعلت شيئًا صحيحًا.

أعطيت السمكة للنبيل، وأنا لا أستطيع أن أخفي ابتسامتي المشرقة. «بالهنا والشفا. الليلة ستأكل أفضل مما يأكل الملك».

ابتسم النبيل بسخرية، لكن زاويتي فمه رقصتا في رضا. دسست المحافظ المخملية في حقيبتي وشرعت في السير، وقلبي يخفق بقوة تتفوق على جنون السوق. لكني تجمدت حين امتلأ الجو بالصراخ. ليس هذا صوت المساومات. *اللع*.....

قفزت إلى الوراء أثناء انفجار كشك فاكهة.

مرت قوة من الحرس الملكي مسرعة. تطايرت المانجو والخوخ الأوريشي في الهواء. ثانية بعد أخرى، راح المزيد من الحراس يغرقون السوق، باحثين عن شيء ما: شخص ما.

حلقت في الفوضى في رعب قبل أن أدرك أنَّ عليَّ الرحيل. هناك خمسمائة قطعة من الفضة في حقيبتي. لأول مرة، ثمة ما أخشى فقدانه أكثر من روحي.

اندفعت وسط الجموع بحماسة جديدة، متلهفة للإفلات.

لم أكد أتجاوز المنسوجات حين قبض شخص على معصمي.

*ما هذا بحق الآلهة؟*

أخرجت هراوتي المثنية وفردتها متوقعة أن أواجه سلاح حارس ملكي او لصًا تافهًا. لكن حين استدرت لم أجد من قبض عليَّ حارسًا ولا لصًا.

إنها فتاة لها عينان كهرمانيتان وترتدي عباءة.

جذبتني إلى فتحة خفية بين كشكين بقبضة قوية لم أستطع مقاومتها. توسلت إليَّ قائلة: « من فضلك. عليك أن تخرجيني من هنا!».

# الفصل الخامس

# زالي

*للحظةٍ*، لم أكن أستطيع التنفس.

كانت البنت ذات البشرة النحاسية ترتعش بخوف نابع من الأحشاء لدرجة أنه تسرب إلى جلدي.

تزايدت الصيحات بينما كان الحراس يمرون هادرين كالرعد، مقتربين منا مع كل ثانية تمر. لا يمكن أن يمسكوني مع هذه الفتاة.

إن فعلوا، فسأموت.

قلت بلهجة آمرة، بنفس طريقتها اليائسة تقريبًا: «اتركيني».

«*لا! لا من فضلك*». تجمعت الدموع في عينيها الكهرمانيتين وزادت قبضتها تشبثًا.

«من فضلك ساعديني! لقد فعلت شيئًا لا يمكن غفرانه. إن أمسكوا بي...».

امتلأت عيناها برعب لا يوجد ما هو مألوف أكثر منه؛ لأنهم حين يمسكونها، لن يكون السؤال هل تموت أم لا، بل سيكون السؤال الوحيد هو متى: في التو واللحظة؟ هل تتضور جوعًا في غياهب السجون؟ أم أن الحراس سيتناوبون عليها فيمررها الواحد منهم للآخر؟ هل سيحطمونها من الداخل حتى تختنق حزنًا؟

*لا بد أن نحمي مَن لا يستطيعون حماية أنفسهم*. كلمات «ماما أجبا» منذ الصباح تتردد في عقلي. أتخيل نظرتها الصارمة. *هذا* هو *طريق الهراوة*.

«لا أستطيع». قلت ذلك بصوت خفيض، لكن حتى بعد أن انطلقت الكلمات من فمي، استجمعت قواي للقتال. *اللعنة*.

لا يهم إن كنت أستطيع المساعدة.

لن أستطيع الحياة مع نفسي إن لم أفعل.

«هيا». أمسكت بذراع الفتاة واندفعت إلى داخل كشك أقمشة أكبر من الباقين. قبل أن تتمكن تاجرة القماش من الصراخ، وضعت يدي على فمها وضغطت بخنجر «زين» في عنقها.

سألت الفتاة: «ما... ماذا تفعلين؟».

رحت أفحص عباءتها. كيف تمكنت أن تقطع كل هذه المسافة؟ هذه البشرة النحاسية للفتاة وأرديتها السميكة تنمان بجلاء ووضوح عن أصولها الملكية، ويعزز ذلك تدرجاتها اللونية المخملية والذهبية الثرية.

أمرتها قائلة: «ارتدِي تلك العباءة البنية». قبل أن أستدير مرة أخرى إلى التاجرة. كانت قطرات العرق تقطر من ذقنها؛ مع لصة ربانية، يمكن أن تكون حركة واحدة خاطئة هي الحركة الأخيرة. وعدتها بقولي: «لن أوذيك. أنا بحاجة فقط إلى عقد صفقة».

نظرت نظرة سريعة من مقدمة الكشك بينما كانت الفتاة ترتدي العباءة غير المزخرفة، مشددة قبضتي حين أطلقت التاجرة صرخة مكتومة. السوق يعج بجيش من الحراس، ويزيد التجار والقرويون المتزاحمون حجم الفوضى. بحثت عن طريق للخروج من هذا الجنون، لكن لم يظهر لي أي مسار للهروب. ليس أمامنا خيار.

سيكون علينا أن نختبر حظنا.

عدت حانية رأسي إلى الكشك مرة أخرى بينما كانت الفتاة تجذب قلنسوة عباءتها الجديدة إلى أسفل لتغطي جبهتها. أمسكت بالثوب الذي كانت ترتديه وقذفت به في يدي التاجرة. خفت الخوف الذي كان في عيني التاجرة حين مرَّ المخمل الناعم بين أصابعها.

أنزلت الخنجر عن رقبتها وأخذت عباءة لنفسي، مخفية شعري الأبيض تحت قلنسوتها الداكنة.

سألتُ: «هل أنت جاهزة؟».

أومأت الفتاة بصعوبة، وبدت في عينيها لمحة تصميم، لكن مازلت ألمح بهما رعبًا يصيب بالشلل.

«اتبعيني». خرجنا من الكشك ودخلنا في الضجيج. وعلى الرغم من أن الحراس وقفوا أمامنا مباشرة، فإن عباءتينا البنيتين كانتا بمثابة الدرع. إنهم يبحثون عن أصول ملكية. شكرًا للآلهة.

ربما تكون أمامنا فرصة للنجاة بالفعل.

قلت بصوت خفيض بينما كنا نسير خلال الفراغات التي بين أكشاك المنسوجات: «أسرعي. لكن لا...». أمسكتها من العباءة قبل أن تذهب بعيدًا. «لا تجري. سوف تجذبين الانتباه. التحمي بالزحام».

أومأت الفتاة وحاولت الكلام، لكن الكلمات لم تخرج. لم تستطع سوى أن تتبعني مثل صغير اللايونير، لا تتخلف عني قط أكثر من خطوتين.

اندفعنا وسط الزحام حتى وصلنا إلى حافة السوق. ورغم أن الحراس يغطون المدخل الرئيسي، فثمة فتحة في الجانب بها حارس واحد فقط. وحين تقدم لاستجواب أحد النبلاء، وجدت في هذا فرصة لنا.

«أسرعي». أقحمت نفسي خلف كشك تاجر تمويني كي أنسل من السوق المزدحم إلى الشوارع الصخرية لرَبع التجار. تنهدت في ارتياح حين تحرر جسد الفتاة الضئيل، لكن حين استدرنا، كان هناك حارسان يسدان الطريق.

*اللعنة*. توقفت بغتة، فصلصلت العملات الفضية داخل حقيبتي. نظرت إلى الفتاة؛ بشرتها البنية فقدت معظم لونها.

سألت الحراس ببراءة قدر المستطاع: «هل هناك مشكلة؟».

عقد أحدهما ذراعيه كالشجرة: «هناك هاربة طليقة. لن يخرج أحد حتى يتم الإمساك بها».

«لقد أخطأنا». اعتذرت بانحناءة احترام، «سنبقى في الداخل».

*اللعنة*. استدرت وسرت عائدة نحو الأكشاك، متفحصة السوق المحموم. إذا كانت كل المخارج مغطاة، فنحن نحتاج إلى خطة جديدة. نحن نحتاج إلى طريقة جديدة كي نصل إلى...

انتظري.

رغم أنني عدت إلى السوق، لم تكن الفتاة بجانبي. استدرت لأجدها تقف متجمدة أمام الحراس، وأقل رجفة يمكن أن تُرى في يديها اللتين في وضع غير ملائم.

*بحق الآلهة!*

فتحت فمي لأهمس باسمها، لكني لا أعرف حتى اسمها. لقد خاطرت بكل شيء من أجل إنسانة غريبة. والآن ستكون السبب في قتلنا.

حاولت تشتيت الحراس، لكن أحدهم يمد يده بالفعل نحو القلنسوة التي على رأس الفتاة. لا يوجد وقت. أمسكت بعصاي المعدنية ونفضتها.

«*انبطحي!*».

سقطت الفتاة على الأرض. طوحت هراوتي وضربت بها جمجمة الحارس. رنت طقطقة مثيرة للاشمئزاز في الهواء والحارس يتهاوى إلى الطين. وقبل أن يستطيع الآخر سلَّ سيفه، دفعت بهراوتي في عظام صدره.

«*آخ!*».

وبركلة رشيقة في الفك، سقط إلى الخلف، ورقد مغشيًا عليه في الطين الأحمر.

«*بحق السماوات*». الفتاة تسب على طريقة النبلاء، سحبت هراوتي؛ *السموات على حق!*

الآن وقد هاجمت الحراس.

نحن الآن سنموت حقًّا.

هياج «زين» الوشيك يومض في ذهني ونحن ننطلق واثبتين بأقصى سرعة مكنة خلال رَبع التجار.

*لا تفسدي هذا الأمر. ادخلي. اخرجي*. أي موضع من هذه الخطة يناسب مساعدة هاربة؟

وبينما كنا نخترق الشوارع المحفوفة بالمنازل الملونة بالباستيل، كانت هناك قوتان من الحرس الملكي تناضلان للقبض علينا، وصيحاتهم تزداد ارتفاعًا، ووقع خطواتهم على الأرض يزداد صخبًا. وبسيوفهم المشهرة، كانوا في أعقابنا على مسافة قريبة، لا يفصلهم عنا سوى بضع خطوات.

سألت: «هل تعرفين أين نحن؟».

قالت لاهثة بعينين واسعتين من الرعب: «إلى حدٍّ ما. أعرف ما يكفي كي نصل إلى العشوائيات، لكن...».

«فلنتجه إلى هناك!».

تقدمت إلى الأمام، واثبة أمامي بخطوة لتدلني، فتبعتها بينما كنا نعدو خلال الشوارع الحجرية، ونمرق في اندفاعنا من أمام التجار المضطربين. اندفع الأدرينالين خلال شراييني، والحرارة تغلي تحت جلدي. لن تتاح لنا النجاة. لن نُفِلت بأي حال من الأحوال.

*استرخي*. سمعت صوت «ماما أجبا» في رأسي. أجبرت نفسي على أخذ نفس عميق. *كوني واسعة الحيلة. استغلي الظروف المحيطة لمصلحتك*.

تفحصت الشوارع المحكمة لربع التجار في يأس. وبينما كنا نجتاز إحدى الزوايا، لمحت كومة عالية من البراميل الخشبية.

*هذه تكفينا*.

فردت هراوتي ووجهت ضربة قوية إلى قاعدة الكومة. حين سقط أول برميل مصطدمًا بالأرض، علمت أن البراميل الباقية سرعان ما ستتبعه.

ملأت صرخات الحراس الهواء بينما كان صوت البراميل يجذب انتباههم. وقد أعطانا هذا التمويه فرصة كافية كي نعدو إلى العشوائيات ونتوقف لالتقاط أنفاسنا.

قالت الفتاة لاهثة: «ماذا الآن؟».

«ألا تعرفين طريق الخروج؟».

هزت رأسها والعرق يتساقط منه: «لم آتِ إلى هذا الجزء من المدينة من قبل قط».

كانت المدينة تبدو كمتاهة من بعيد، لكن من الداخل كانت الأكواخ والعشش تتجاور مثل إحدى الشبكات. وكانت المسارات الضيقة والشوارع الطينية تتشابك أمام أعيننا، ولم يكن هناك من مخرج نراه.

«هذا الاتجاه». أشرت إلى الشارع المقابل لربع التجار. «إن كان هذا الاتجاه يقود إلى وسط المدينة، فإنه يقودنا إلى خارجها».

أثرنا سحائب من الغبار ونحن نعدو بأسرع ما يمكن، لكن قوة من الحراس أوقفتنا... ليس أمامنا خيار سوى أن نندفع في الاتجاه الآخر.

«اللعنة». قالتها الفتاة لاهثة بينما كنا نخترق إحدى الحارات، فانزعج لوجودنا مجموعة من الكوسيديين المشردين. للحظة، كنت أشعر بالذهول لبلوغها هذا الحد. إنني أشك في أن يكون تفادي جنودها جزءًا من تعليمها الملكي.

اجتزنا زاوية أخرى، بينما كنا نسبق الحراس بخطوات معدودة. دفعت نفسي إلى الجري بسرعة أكبر حين جذبتني الفتاة إلى الخلف.

«ما هذا الذي...؟».

ضغطت بيدها على فمي ودفعتني نحو جدار إحدى العشش. حينئذٍ فقط انتبهت إلى الحيز الضيق الذي كنا محشورتين به.

*أرجو أن يفلح هذا*. هذه هي المرة الثانية التي أدعو فيها على مدى عقد من الزمان، منادية أي إله قد يكون ما زال موجودًا.

*من فضلك، أتوسل إليك. أرجوك أن تخبئنا*.

قلبي ينذر بأن يقفز من بين أضلعي بدقات قوية لدرجة أنني صرت مقتنعة أن الصوت سوف يشي بموضعنا. لكن حين اقتربت القوة، تجاوزتنا بسرعة خاطفة مثل راينومات تطارد ضحيتها.

نظرت إلى أعلى نحو السماء، بعينين تطرفان مع مرور السحب فوق الرءوس، وتومض أشعة الضوء البراقة في الفرجات التي بينها. بدا لي الأمر

تقريبًا وكأن الآلهة قامت من بين الأموات، وبُعثت من القبور التي تكونت بعد مذبحة الغارة. أيًّا كان الذي يحدث بالسماء فهو رحة بالنسبة لي.

كل ما أتمناه هو ألا تنفد الرحمة.

خرجنا بصعوبة من الحيز الضيق واخترقنا ممرًّا آخر، فاصطدمنا عن طريق الخطأ باثنين من الربانيين الفضوليين. أسقط أحدهما زجاجة خمر الرَّم التي كانت معه، فاجتاحت الرائحة النفاذة أنفي، بقوة جعلت فتحتي أنفي تحترقان. ومع هذه الرائحة، طفا إلى سطح الذاكرة درس آخر من كوخ «ماما أجبا». استخلصتُ الزجاجة من على الأرض وفحصت الشوارع بحثًا عن المكوِّن الذي ينقصني. *هذا* هو. كان على بعد بضعة أمتار فقط من رأس الفتاة.

«هاتي هذا المشعل!».

صرخت: «المشعل، ذلك الذي أمامك مباشرة!».

استغرق الأمر ثانية حتى تستخلص المشعل المعدني من حامله، لكن حين تم لها ذلك، انطلقنا في الجري. وحين مررنا بآخر العشوائيات، قطعت مِزقة قماش من عباءتي وحشوت بها الزجاجة.

سألتني: «ما فائدة هذه؟».

« لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم».

اجتزنا العشوائيات، وصارت البوابة الخشبية بمدخل لاجوس في مجال الرؤية. هذا هو مفتاح هروبنا.

إن السبيل إلى نجاتنا تغلقه حواجز ملكية.

تقلصت معدتي ونحن نتوقف أمام الصف اللانهائي من الحراس المسلحين. كان الجنود يعتلون ظهور بانثيرات سوداء مخيفة، كل وحش ضخم منها يكشف عن أنيابه، والفرو الداكن لكل منها يلمع كطبقة رقيقة من الزيت تحت أشعة الشمس، بينما تنتشر في أغطيتها السوداء مجموعات باهتة من ألوان الطيف المختلفة. وحتى مع جثوم البانثيرات، تظل أجسامها مطلة علينا من علٍ، مهيأة وجاهزة للوثوب.

«أنتما محاصرتان». كانت عينا القائد الكهرمانيتان تخترقانني. «بقرار ملكي من الملك ساران، آمركما أن تتوقفا!».

بخلاف جنوده، كان القائد يركب ليوبانير ثلوج متوحشًا ضخمًا في حجم كوخ، يبرز من ظهره ثانية قرون سميكة، حادة ولامعة باللون

الأسود. وكان الوحش يلعق أنيابه الطويلة المشرشرة مزمجرًا، متلهفًا لتزيين غطائه الأبيض المرقَّط بدمائنا.

كان للقائد نفس ملامح الفتاة النحاسية الداكنة، وكانت بشرته خالية من التجاعيد وندوب المعارك. حين رأته الفتاة، قفزت يداها إلى قلنسوتها؛ وبدأت رجلاها ترتعشان.

ورغم أن القائد كان شابًا، كان الحراس يأتمرون بأمره دون سؤال. سلَّ الجنود سيوفهم، واحدًا تلو الآخر، مشيرين بالأنصال نحونا.

«انتهى الأمر». تنهدت الفتاة في يأس، وسالت الدموع على وجهها وهي تركع على الأرض، وتسقط المشعل منهزمة، وتسحب لفافة مخطوطة رقية ذابلة.

تظاهرت بأنني أحذو حذوها وجثوت، وأنا ألامس القماشة التي في الزجاجة بلهب المشعل. امتلأ أنفي برائحة الدخان الحادة. وبينما كان القائد يقترب منا، ألقيت بالسلاح على صف البانثنيرات.

*هيا*. ألقيت بالزجاجة متتبعة مسارها المنحني بعيني. وبينما كانت في الهواء، كنت أخشى ألا يحدث شيء.

ثم تحول العالم حولنا إلى كتلة من اللهب.

سرت النار بشكل يخطف الأبصار، مكتسحة الرجال والبانثنيرات ذات القرون في لهيبها. عوت الوحوش في هستيريا، وألقت براكبيها في محاولة للهرب.

حملقت الفتاة في رعب، لكني أمسكت ذراعها وأجبرتها على الحركة.

كنا حينئذٍ على بعد بضعة أمتار فقط من البوابة؛ أي تفصلنا بضعة أمتار فقط عن الحرية.

«أغلِقوا البوابة!». صرخ القائد وأنا أمر مندفعة. اصطدمت الفتاة به لكنها استطاعت أن تُفلت من قبضته حين اختل توازنه.

أنَّت التروس المعدنية وتحركت بعنف وبدأت البوابة الخشبية في التهاوي. لوَّح حراس نقطة التفتيش بأسلحتهم، العقبة الأخيرة أمام حصولنا على الحرية.

قالت الفتاة بصعوبة: «لن ننجو».

«لا يوجد أمامنا خيار».

عدوت أسرع مما كنت أعتقد أنه ممكن. سل الحارس الثمل الذي رأيته من قبل سيفه، رافعًا ذراعه للفتك بنا، لكن حركته البطيئة كانت تدعو إلى

الضحك أكثر من الخوف. وجهت ضربة إلى جبهته بكل ما في داخلي من رغبة في الانتقام، وانتظرت ثانية أخرى ثم ركلته في عانته حين سقط.

استطاع حارس آخر أن يقترب من سيفه، لكن كان من السهل أن أحُول بينه وبين سيفه بهراوتي. أدرت القضيب المعدني في يدي، مطيحة بالسيف من قبضته. اتسعت عيناه وأنا أوجه له ضربة لولبية في الوجه، ألقت به على البوابة الخشبية قبل أن أستطيع المرور.

*لقد نجونا!* أردت أن أصرخ وأنا أعدو تحت غطاء من أشجار الظِّلامة. استدرت لأبتسم للفتاة، لكني لم أجدها. توقف قلبي وأنا أراها تسقط على الأرض، على بعد إصبع من البوابة. أثارت سقطتها سحبًا من الغبار.

«لا!». صرختُ. كانت البوابة تفصلها عن الإغلاق لحظات.

بعد كل هذا، لن تستطيع الإفلات.

بعد الاقتراب على هذا النحو، ستموت.

*أمرت نفسي بالجري. اهربي. لديك «زين» وبابا.* لقد فعلت كل ما بوسعك فعله.

لكن اليأس في عينيها جذبني مرة أخرى، وأنا أعرف أن رحماتي قد نفدت. وعلى الرغم من كل اعتراض شعرت به في جسدي، اندفعت خلال البوابات، طاوية اللحظات التي تمر قبل إغلاقها.

«لقد انتهى أمرك». خطا القائد إلى الأمام، والدماء تسيل منه بفعل قنبلة اللهب.

«ألقي سلاحك. الآن!».

بدا وكأن كل حارس في لاجوس يحدق فينا. أحاط الحراس بنا في مجموعات، مغلقين كل طريق قبل أن نحاول الفرار مرة أخرى.

جذبت الفتاة لتقف على قدميها ورفعت هراوتي عاليًا. *ستكون النهاية هنا*، لن يأخذوني، سأجبرهم على أن يقتلوني حيث أقف.

خفق قلبي بقوة في صدري والحراس يقتربون، أخذت لحظة للاستمتاع بأنفاسي الأخيرة، متخيلة عيني ماما الناعمتين وبشرتها العاجية.

قلت مخاطبة روحها في ذهني: *«أنا قادمة»*. ربما تتجول الآن في جنان العافية، هائمة في أمان العالم الآخر. تخيلت نفسي بجانبها. *سوف أكون معك*....

رنت صيحة مدوية في الهواء، فتجمدت لها خطى الحراس. صارت الصيحة أعلى، وحين اقتربت أصبحت قوتها تصم الأسماع. كان الوقت

الذي أمامي يكاد لا يكفي أن أجذب الفتاة من طريق الأذى حين كانت «نائلة» بجسمها الوحشي تقفز فوق البوابة.

تراجع الحراس إلى الوراء خوفًا حين هبطت ليونيرتي على الممر الطيني، واللعاب يسيل من أنيابها الضخمة. كنت أعتقد أنني أهلوس حتى سمعت صوت «زين» يصيح من على ظهر «نائلة».

تساءل صارخًا: «*ماذا تنتظران بحق الجحيم؟ اركبا!*».

دون إهدار ثانية أخرى، قفزت على ظهر «نائلة» وجذبت الفتاة لتركب معنا. انطلقنا، قفزًا من كوخ لكوخ قبل أن تتهاوى العشش تحت ثقلها. وحين وجدت «نائلة» ارتفاعًا مناسبًا، قفزت قفزة أخيرة، طائرة نحو البوابة.

لم نكد نجتاز البوابة حتى سرت صدمة كالبرق في أوردتي.

انتشرت الصدمة في كل مسام جلدي، فأشعلت كياني، وأوقفت قدرتي على التنفس. بدا أن الزمن قد تجمد وأنا أنظر إلى أسفل، فالتقت عيناي بعيني القائد الشاب.

ثمة قوة مجهولة تحترق خلف نظرته الكهرمانية، سجن لا أستطيع الإفلات منه. بدا أن شيئًا في روحه يقتنص روحي. لكن قبل أن أستطيع إنفاق ثانية أخرى منجذبة إلى عينيه، طارت «نائلة» على البوابة لتقطع الصلة بيننا.

حطت على الأرض بصوت مكتوم ثم انطلقت، مخترقة أشجار الظلامة كالرعد.

قلت بصعوبة: «يا للآلهة!». كان كل جزء من جسمي يصرخ من الإجهاد. لا أصدق أننا نجحنا بالفعل.

لا أصدق أنني مازلت على قيد الحياة.

# الفصل السادس

# عنـان

*الفشل.*

خيبة الأمل.

العار.

ما هي الإهانة التي سيلصقها أبي اليوم بي؟

استعرضت الاحتمالات وأنا أَلِجُ من البوابة وأصعد الدرج الرخامي الأبيض للقصر. الفشل سيكون ملائمًا؛ إنني أعود دون أن تكون الهاربة في يدي، لكن أبي قد لا يُهدر الكلمات.

يمكن أن يقود بقبضته.

هذه المرة، لا يمكنني أن ألومه. لا لوم عليه في الحقيقة.

إن كنت لا أستطيع حماية لاجوس من لصة واحدة، فكيف بأي حال من الأحوال يُفترض أن أكون ملك أوريشا القادم؟

*اللعنة على السموات!* توقفت للحظة متشبثًا بالدرابزين المرمري الناعم. اليوم كان يُفترض أن يكون نصرًا لي.

ثم ظهرت تلك الحقيرة فضية العينين وحالت بيني وبينه.

وجه الربانية يومض خلف عيني للمرة العاشرة منذ أن شاهدتها تطير فوق بوابة لاجوس. صورة بشرتها الأوبسيدية وشعرها الأبيض الطويل لا تغيب عن نظري، ولا يمكن تحويل نظري عنها طرفة عين.

«أيها القائد!».

تجاهلت تحية الحراس الأماميين وأنا أدخل الصالة الرئيسية. أشعر أن اللقب صار توبيخًا. إن القائد الحق كان سيرسل سهمًا يخترق به قلب تلك الهاربة.

«أين الأمير؟». رددت جدران القصر أصداء صوت حاد.

*اللعنة*. هذا هو آخر شي ء أحتاجه.

اندفعت أمي نحو بوابة القلعة، بغطاء رأس مائل وهي تشق صفوف الحراس الذين يسدون طريقها. كانت تصرخ: «أين هو؟ أين عنان؟».

هدأت ملامح أمي وبدا الارتياح عليها، ودمعت عيناها، ومالت لتقترب مني، واضعة يدها على الجرح الذي في خدي.
«هناك أنباء عن وقوع اغتيالات».
ابتعدت عن أمي وهززت رأسي. لو كان الاغتيال هو المقصود لصارت الأهداف أكثر وضوحًا، فالمقصودون بالاغتيال يسهل تتبعهم. كانت الهاربة واحدة فقط. واحدة لم أستطع القبض عليها.
لكن أمي لم تكن تهتم بالهوية الدقيقة للمهاجمين، ولا بفشلي ووقتي المُهدر. راحت تفرك يديها معًا مقاومة المزيد من الدموع.
«عنان، يتعين علينا أن... ». تلاشى صوت أمي، وأدركت حينئذٍ فقط أن الجميع يحدقون بها. عدلت أمي غطاء رأسها وتراجعت إلى الوراء. كدت أرى المخالب تمتد من يديها.
قالت منفعلة وهي تخاطب الجمع المحتشد: «إن دودة هاجمت مدينتنا. أليست لديكم مواقع لتتواجدوا بها؟ اذهبوا إلى السوق، وأخرجوا مَن في العشوائيات. تأكدوا أن هذا لن يحدث مرة أخرى!».
أخلى الجنود والنبلاء والخدم الصالة دفعة واحدة، متعثرين بعضهم في من شدة سرعتهم. وحين رحلوا، أمسكت أمي بمعصمي ودفعتني نحو أبواب غرفة العرش.
« لا». لست مستعدًّا لغضب أبي. «ليس لدي أي أخبار...».
«ولن تكون لديك أخبار مرة أخرى».
فتحت أمي الأبواب الخشبية الضخمة بقوة وسحبتني عبر الأرضيات القرميدية.
قالت أمي بصوت عالٍ: «اتركوا الغرفة». تناثر الحراس وحاملو مراوح التهوية مثل الجرذان.
النفس الوحيدة التي تمتلك من الشجاعة ما يجعلها تتحدى أمي هي «كايا». كانت تبدو جميلة بشكل غير معتاد في درع الصدر الأسود بزيها الجديد.
*أميرال*؟ حدقتُ في الخاتم المزخرف الذي يبين رتبتها العالية.
من الواضح بشكل لا تخطئه العين أنها تمت ترقيتها. *لكن ماذا عن «إيبيلي»*؟
أثارت رائحة النعناع الفجة أنفي ونحن نقترب من العرش.

حين فحصت القرميد تأكدت بما يكفي من أن بقعتي دم مختلفتين لطختا الشقوق.

*اللعنة*.

أبي بالفعل في حالة مزاجية سيئة.

همست أمي وهي تعقد ذراعيها على صدرها: «هذا يشملك أنت يا *أميرال*».

توترت ملامح «كايا»، وهو ما يحدث دائمًا حين تخاطبها أمي بجمود. نظرت «كايا» إلى أبي، فأومأ لها مُكرهًا.

«أعتذر». انحنت «كايا» لأمي، رغم أن صوتها لم يكن يحمل نبرة اعتذار. لاحقت أمي «كايا» بوجه عابس حتى خرجت من أبواب قاعة العرش.

«انظر». جذبتني أمي إلى الأمام. «انظر ما فعلته الديدان بولدك! هذا ما يحدث حين ترسله للحرب. هذا ما يحدث حين يلعب دور قائد الحرس!».

قلت وأنا أنزع معصمي من يد أمي: «لقد حاصرتهما مرتين. ليس خطئي أن رجالي تخلوا عن مواقعهم بعد الانفجار».

«م أقل إن هذا خطؤك يا حبيبي». حاولت أمي أن تمسك خدي، لكنني تخلصت من يدها التي تفوح منها رائحة الورد. «كل ما أقوله هو أن الأمر أخطر مما ينبغي بالنسبة لأمير».

قلت بإصرار: «أمي، لأنني أمير، يتعين عليَّ أن أفعل هذا؛ إن مسئوليتي أن أحافظ على أمن أوريشا، لا يمكنني حماية شعبي إن كنت سأختبئ داخل جدران القصر».

أبعدتني أمي بإشارة من يدها، هازئة من كلامي وهي تستدير نحو أبي.

«هذا ملك أوريشا التالي، بحق السماء. إن كنت مقامرًا فلتقامر بحياة فلاح!».

ظلت ملامح أبي بلا دلالة، كما لو كان لا يسمع أمي ولا يراها. كان يحدق خارج النافذة وهي تتحدث، ويعبث بالياقوتة الملكية التي في إصبعه.

إلى جانبه، كان نصل الماجيست يقف طويلًا في حامله الذهبي، وليوبانيرة الثلوج المنقوشة في قبضته تلمع بانعكاس صورة أبي. يعتبر السيف الأسود امتدادًا لأبي، لم يبعد عن جانبه قط أكثر من ذراع.

قال أبي أخيرًا: «لقد قلت «هما»، فمع من كانت الهاربة؟ حين غادرت القصر كانت وحدها».

ابتلعت ريقي بصعوبة، وحملت نفسي على مواجهة عيني أبي وأنا أتقدم للأمام. «نحن لا نعرف هويتها حاليًا. كل ما نعرفه هو أنها ليست من أهل لاجوس». «*لكن أعرف أن لها عينين كالقمر. أعرف الجرح القديم الملاصق لاجبها*».

مرة أخرى تجتاح ذكرى وجه الربانية عقلي بوضوح وكأنه لوحة معلقة على جدار القصر. شفتاها الممتلئتان تفترقان حين تزمجر، وتتوتر عضلاتها في جسدها الرشيق.

نبضت دفقة أخرى من الطاقة تحت جلدي، حادة وحارقة مثل الشراب على جرح مفتوح. أشعر بنبضات لافحة تحت فروة رأسي ترسل قشعريرة في بدني، وتبعد عني الإحساس الكريه.

«طبيب القصر يعالج حراس نقطة التفتيش». واصلت قائلًا: «حين يفيقون سوف أحصل على هويتها وأصلها. يمكنني أن أتتبع أصلها حتى...».

قالت أمي: «لن تفعل شيئًا من هذا. كان من الممكن أن تموت اليوم! ثم ماذا؟ تترك أماري كي تستحوذ على العرش؟». سارت أمي إلى الأمام مكوِّرة قبضتيها، وغطاء رأسها مرتفع. «لا بد أن تتوقف عن هذا يا ساران.. لا بد أن تتوقف عن هذا في الحال».

أرجعت رأسي إلى الوراء. لقد نادت أبي باسمه المجرد....

رددت الجدران الحمراء لغرفة العرش صدى صوتها، في تذكير خشن بغضبها. نظر كلانا إلى أبي، لا أستطيع استنتاج ما سيفعله، بدأت أظن أن أمي فازت بالفعل لأول مرة حين تحدث.

«انصرفي».

اتسعت عينا أمي، راحت الثقة التي كانت تتحلى بها تتساقط من وجهها مثل العرق. «مليكي».

قال آمرًا، بلهجة محايدة: «الآن، أحتاج إلى الحديث مع ولدي على انفراد».

أمسكت والدتي بمعصمي. كلانا يعرف كيف تنتهي أحاديث والدي الانفرادية فعليًا، لكن لا يمكنها أن تتدخل إلا إذا كانت تريد أن تواجه غضب أبي بنفسها.

ركعت والدتي، صلبة كالسيف، التقت عيناها بعينيَّ وهي تستدير منصرفة، جرت دموع جديدة على المسحوق المُتخثر على خديها.

على مدى فترة طويلة كانت خطوات أمي المغادرة هي الصوت الوحيد الذي ملأ قاعة العرش الشاسعة، بعدها أغلق الباب بصفقة قوية.

أبي و أنا صرنا وحدنا.

«هل تعرفت على هوية الهاربة؟».

ترددت في الجواب... يمكن أن تنجيني كذبة بيضاء من علقة وحشية. لكن أبي يشم رائحة الكذب مثل الهاينيرات الساعية للصيد.

إن الكذب سيزيد الأمور سوءًا.

أجبت قائلًا: «لا. لكننا سنحصل على معلومات تقودنا عند غروب الشمس. حين يتحقق لنا ذلك، سآخذ فريقي...».

«قم بتسريح رجالك».

توترت؛ إنه لن يعطيني فرصة.

إن أبي لا يظن أن بوسعي إتمام الأمر، وسيقوم بتجريدي من الحراس.

قلت ببطء: «أبي.. من فضلك، لم أكن أتوقع موارد الهاربة قبل ذلك، لكنني مستعد الآن. أعطني فرصة لأعيد الأمر إلى نصابه».

نهض أبي عن عرشه، متباطئًا مفكرًا، رغم أن وجهه كان هادئًا. لقد رأيت بعيني رأسي الغضب الذي يمكن أن يختبئ خلف نظرته التي بلا معنى.

خفضت عيني إلى الأرض وهو يقترب. كنت أسمع بالفعل الصيحات القادمة. *واجبك قبل نفسك*.

أوريشا قبلي أنا.

لقد خذلته اليوم؛ خذلته وخذلت مملكتي، تركت الفرصة لربانية كي تعيث فسادًا في كل لاجوس. بطبيعة الحال سوف يعاقبني.

خفضت رأسي وأمسكت عن التنفس. تساءلت عن مدى الألم الذي سأشعر به. إن لم يطلب مني أبي أن أقوم بتسريح جيشي، فسوف ينال من وجهي... سيزداد عدد الكدمات التي يراها العالم في وجهي.

رفع أبي يديه وأغلقت عيني، واستجمعت قواي للضربة القادمة. لكن بدلًا من أشعر بقبضته على وجنتي، شعرت براحته تمسك كتفي.

«أعرف أن بإمكانك عمل هذا يا عنان. لكن يمكن إتمام هذا الأمر بك أنت وحدك».

طرفت عيني مرتبكًا؛ إن أبي لم ينظر إليّ بهذه الطريقة من قبل.
قال بصوت خفيض: «إنها ليست أي هاربة والسلام، إنها أماري».

# الفصل السابع

# زالي

***كنا قد طوينا منتصف الطريق إلى إيلورين*** قبل أن يشعر «زين» بالأمان لجذب مقود «نائلة». حين توقفنا، لم يتحرك. لا بد أنني أشعلت مستوى جديدًا من الغضب.

مع صيحات صرصور الليل في الأشجار الشاهقة، نزلت عن السرج واحتضنت وجه «نائلة»، ورحت أدلك البقعة الخاصة بين قرنيها وأذنيها.

«أشكرك». همست في فروها: « سوف تحصلين على أكبر وجبة حين نعود إلى المنزل».

خرخرت «نائلة» وحكَّت خطمها في أنفي وكأني صغيرة هي مكلفة بحمايتها. كان هذا يكفي لجلب الابتسام إلى وجهي، لكن حين نزل «زين» إلى الأرض واتجه ناحيتي في بطء، كنت أعلم أنه حتى «نائلة» لا يمكنها أن تحميني من هذا.

«زين..».

«ماذا بك؟». كان يصرخ بهياج جعل عائلة من آكلات النحل ذات الشارب الأزرق تفر من الأشجار المطلة علينا.

قلت في عجلة: «لم يكن لدي خيار! كانوا سيقتلونها...».

«ماذا تظنين أنهم سيفعلون بك بحق الآلهة؟».

ضرب «زين» بقبضته إحدى الأشجار بقوة جعلت الجذع ينشق: «لماذا لا تفكرين أبدًا يا زيل؟ لماذا لا تفعلين فقط ما هو مفترض منك فعله؟».

«لقد فعلت». مددت يدي في حقيبتي وألقيت بمحفظة مخملية ناحية «زين». انسكبت القطع الفضية على الأرض. «لقد حصلت على خمسمائة قطعة مقابل سمكة أبي شراع!».

«كل أموال أوريشا لن تنقذنا الآن». دعك «زين» عينيه فانتشرت الدموع على وجنتيه. «إنهم سيقتلوننا، سيقتلونك يا زيل!».

قالت الفتاة جاذبة انتباهنا بصوت كالصرير: «من فضلكما». كانت الفتاة تمتلك قدرة غريبة على الانكماش؛ حتى لقد نسيت أنها هنا.

«أنا...». شحب وجهها. تحت قلنسوتها الطويلة، كنت أتبين بصعوبة عينيها الكهرمانيتين الصارختين «هذا خطئي من الألف إلى الياء».

«أشكرك». دارت عيناي في محجريهما وتجاهلتُ نظرة «زين» النارية. بدونها، كانت الابتسامة ستملأ وجه «زين» الآن. كانت عائلتي ستصبح آمنة أخيرًا.

سألت: «ماذا فعلت؟ لماذا كان رجال الملك يطاردونك؟».

«لا تخبرينا». هزَّ رأسه ولوح بأصابعه نحو لاجوس.

«عودي إلى حيث كنت. هذه هي الفرصة الوحيدة أمامنا كي...».

خلعت عباءتها، فأسكتتنا نحن الاثنين. «زين» لا يستطيع أن يحول وجهه عن وجهها الملكي. وأنا لا أستطيع أن أتوقف عن التحديق في غطاء الرأس الذهبي المثبت في ضفيرتها، والذي يغطي بعض جبهتها ويتدلى عليها بما يحمله من سلاسل وأوراق براقة. وفي الوسط يتلألأ خاتم مطلي بالزمرد، يحمل صورة ليوبانيرة الثلوج، مسموح لأسرة واحد فقط بارتدائه.

قلت بصوت خفيض: «أوه! بحق الآلهة».

الأميرة.

«أماري».

لقد اختطفت أميرة أوريشا.

قالت «أماري» بسرعة: «يمكنني أن أشرح الأمر». الآن سمعت نبرة الحديث الملكي التي جعلت أسناني تصطك. «أعلم ما تفكرون به حتمًا، لكن حياتي كانت في خطر».

«حياتك». همستُ: «حياتك؟».

استبد بي الغضب، وبكت الأميرة وأنا أدفعها نحو إحدى الأشجار، و اختنقت واتسعت عيناها من الخوف حين أطبقت بيدي على عنقها وضغطت.

صرخ «زين»: «ماذا تفعلين؟».

«أُري الأميرةَ كيف يكون الأمر حين تكون حياتها فعلًا في خطر!».

دفعني «زين» إلى الخلف من كتفي: «هل فقدتِ عقلك اللعين؟».

صحت فيه: « لقد كذبت عليَّ. أخبرتني أنهم سيقتلونها، وأقسمت إنها بحاجة إلى مساعدتي!».

قالت «أماري» بأنفاس متلاحقة: «لم أكذب!». وقفزت يداها إلى رقبتها. «لقد أعدم أبي أفراداً من الأسرة الحاكمة لمجرد التعاطف مع الربانيين. ولن يتردد في أن يفعل نفس الشيء معي!».

دست يدها في ثيابها وجذبت لفافة، كانت تقبض عليها بحرص ويدها ترتعش.

سعلت «أماري» وهي تقول: «الملك يريد هذه». ونظرت إلى المخطوطة الرقية باهتمام لا يمكنني وصفه: «هذه اللفافة يمكن أن تغير كل شيء، يمكن أن تُعيد السحر مرة أخرى».

حدقنا في «أماري» بوجوه جوفاء: *إنها تكذب*. لا يمكن أن يعود السحر. لقد مات السحر منذ إحدى عشرة سنة.

«كنت أظن هذا مستحيلًا أنا أيضًا». أمَّنت «أماري» على شكوكنا. «لكني رأيته بعيني رأسي، لقد لَمست ربانيةٌ اللفافةَ وصارت من الماجي...». رق صوتها وهي تقول: «لقد استدعت الضوء بيديها».

«*أهي ساحرة ضوء؟*».

اقتربت منها ورحت أفحص اللفافة. ألحت شكوك «زين» عليَّ كالحرارة في الهواء، إلا أن «أماري» كلما تحدثت، واتتني الجرأة على أن أحلم. ثمة رعب شديد كان في عينيها، وخوف حقيقي على وجودها. أي سبب آخر يجعل نصف الجيش يطارد الأميرة إن كان هروبها لا يمثل خطورة أكبر؟

سألت: «أين الماجي الآن؟».

«رحلت». اغرورقت عينا «أماري» بالدموع. « قتلها أبي. قتلها بسبب ما كان يمكنها عمله».

أحاطت «أماري» نفسها بذراعيها، وأغلقت عينيها بقوة كي تمنع الدموع من أن تسيل من عينيها، وبدا أنها تنكمش، وتغرق في أحزانها.

خفتت حدة سخط «زين»، لكن دموعها لم تكن تعني شيئًا بالنسبة لي. «*لقد صارت من الماجي*». هذه الكلمات يتردد صداها في ذهني. *استدعت الضوء بعينيها*.

«أعطني هذه». أشرت إلى اللفافة، متلهفة لفحصها. لكن في اللحظة التي لمست فيها أصابعي، سرت صدمة غير عادية في جسمي. قفزت إلى الوراء في دهشة، فسقطت المخطوطة الرقية وتشبثت بجذع شجرة ظِلامة.

سألني «زين»: «ماذا حدث؟».

هززت رأسي، لم أكن أدري ما أقول. ثمة إحساس غريب يئزُّ تحت جلدي، غريب ومألوف معًا في نفس الوقت، يطن في أوصالي، ويبعث الدفء في جسدي من رأسي حتى أخص قدمي، وينبض كدقة ثانية يدق بها قلبي، ويرعدني مثل...

*مثل الآشي؟*

جعل هذا الخاطر قلبي ينقبض، وكشف عن هوة واسعة داخلي لم أكن حتى أعرف أنها مازالت موجودة. حين كنت صغيرة، كان الآشي هو كل ما أريده. وكنت أدعو أن يأتي اليوم الذي أشعر فيه بحرارته في أوردتي.

بوصفه القوة الربانية للآلهة، يعتبر وجود الآشي في دمنا هو ما يميز الربانيين عن الماجي، وهو ما نستعين به لاستخدام مواهبنا المقدسة. الآشي هو ما يحتاجه الماجي لممارسة السحر على الإطلاق.

حدقت في يدي بحثًا عن ظلال الموت التي كانت ماما تستدعيها في نومها. حين يستيقظ الآشى، يستيقظ سحرنا أيضًا. لكن هل هذا هو ما يحدث الآن؟

*لا.*

سحقت الشرارة التي بداخلي قبل أن يندلع منها الأمل. إن كان السحر قد عاد، فإن هذا يغير كل شيء، إن كان قد عاد بالفعل، فلا أعلم ما ينبغي أن أفكر به.

مع السحر تأتي الآلهة، وتندفع إلى قلب حياتي بعد إحدى عشرة سنة من الصمت. كنت بالكاد قد التقطت حطام نفسي بعد الغارة. فإن هجرتني مرة أخرى، فلن أستطيع أن أفعل هذا ثانية.

«هل تشعرين به؟». انخفض صوت «أماري» إلى الهمس وهي تأخذ خطوة إلى الوراء. «كانت كايا تقول إن اللفافة تحوِّل الربانيين إلى ماجي. حين لمستها بيننا، تفجرت الأضواء غامرة من يديها!».

أدرت راحة يدي باحثة عن الوهج الأرجواني لسحر الحصدة. قبل الغارة، حين كان أحد الربانيين يتحول، لم يكن هناك ضمان للنوع الذي سيصير إليه الرباني من الماجي. في الغالب كان الربانيون يرثون السحر من والديهم، وكانوا في الغالب يذعنون للسحر المتوارث في سلالة الأم. ولأن أبي كوسيدي، كان المنتظر لي أن أكون حاصدة مثل ماما. وكنت أتطلع إلى اليوم الذي أشعر فيه بسحر الموتى في عظامي، لكن كل ما أشعر به الآن عبارة عن وخز موهن في أوردتي.

رفعت المخطوطة الرقية برفق، حذرة من أن تطلق شيئًا مرة أخرى. كان بإمكاني أن أرى رسمًا للشمس على اللفافة الذابلة، أما الرموز الأخرى فكانت غير قابلة للقراءة، وكانت عتيقة لدرجة أنها بدت أقدم من الزمن نفسه.

خفض «زين» صوته وهو يقول: «لا تخبريني أنك تصدقين هذا. لقد انتهى السحر يا زيل، ولن يعود مرة أخرى».

أعلم أنه يحاول فقط حمايتي. هذه كلمات كان عليه أن يقولها من قبل، ماسحًا دموعي، وكابتًا دموعه؛ كلمات كنت دائمًا أسمعها، لكن هذه المرة...

استدرت نحو «أماري» وقلت: «الآخرون الذين لمسوا اللفافة، هل صاروا من الماجي الآن؟ هل عادت مواهبهم؟».

«نعم». أومأت متحمسة في البداية، لكن بمرور الوقت خف حماسها. «لقد عاد سحرهم.. لكن رجال أبي نالوا منهم».

تجمدت الدماء في عروقي وأنا أحدق في اللفافة. رغم أن ذكرى جثمان ماما ومضت في عقلي، فإن الوجه الذي تخيلته مدمًّا ومضروبًا ليس وجهها. إنه وجهي أنا.

*لكنها لم تمارس سحرها*. ذكرني بهذا صوت خفيض. *لم تُتح لها الفرصة للمقاومة*.

وعلى تلك الحالة، عدت إلى السادسة من عمري مرة أخرى، متكورة خلف النار في بيتنا بإبدان. أحاطني «زين» بذراعيه وأشاري ناحية الجدار، محاولًا دائمًا أن يقيني آلام العالم.

تناثر اللون القرمزي في الهواء والحارس يضرب بابا المرة تلو المرة. صرخت ماما فيهم كي يتوقفوا بينما كان اثنان من الجنود يضيقون السلسلة حول رقبتها. شددوا الخناق لدرجة أن وصلات الماجيست أسالت الدم من جلدها.

اختنقت ماما وهم يجرونها من الكوخ كالحيوانات، وهي تركل بقدميها وتقاوم بيديها.

باستثناء هذه المرة، كان السحر يلين لها.

في تلك المرة كان بإمكانها أن تفوز.

أغمضت عيني، وتركت نفسي أتخيل ما الذي كان يمكن أن يحدث.

قالت ماما بصوت خفيض وقد أعدتها إلى الحياة في خيالي: «*جابو إيريو إيكو! با إيبو دا. جادي نينيو آجا آرا!*».

تجمد الحراس الذين يخنقونها، وراحوا يرتجفون بعنف حين بدأ أثر تعويذتها، وأخذوا يصرخون وهي تنزع أرواحهم من أجسادهم، وتقتلهم بغضب حاصدة تسيطر بشكل كامل على مواهبها. أكل سحر ماما غضبها. وفي وجود هذه الظلال القاتمة التي تتلوى حولها، كانت تبدو مثل «أويا»، إلهة الموت والحياة ذاتها. وبصيحة حلقومية، مزقت ماما السلسلة. من رقبتها ولفت الوصلات السوداء حول حلق الحارس الباقي.

بالسحر، أنقذت روح بابا المحاربة. وبالسحر، ظلت حية.

قطع غضب «زين» تخيلاتي وهو يقول: «إن كان ما تقولين حقيقيًا، فلا يمكنك أن تمكثي. إنهم يقتلون الناس لهذ السبب. وإن أمسكوا بزيل...».

انكسر صوته وتمزق قلبي إربًا حتى ظننت أن صدري لن يقوى على أن يحتويه بداخله. من الممكن أن أفسد كل شيء فيما بقي لـ «زين» من أيام في حياته، لكنه لن يتراجع أبدًا عن محاولة المحافظة على سلامتي.

*أريد أن أحميه*. لقد حان الوقت كي أقوم أنا بإنقاذه.

«علينا أن نمضي». طويت المخطوطة الرقية ووضعتها في حقيبتي، وكنت أتحرك بسرعة شديدة كدت معها أن أنسى المحفظة المملوءة بالفضة على الأرض. «سواء كان هذا حقيقيًا أم لا، ينبغي علينا أن نعود إلى بابا، أن نفر حيث لا يزال الفرار ممكنًا».

ابتلع «زين» خيبة أمله واعتلى ظهر «نائلة». صعدت وراءه زاحفة حين تحدثت الأميرة، خجولة كطفلة.

«وماذا.. وماذا عني؟».

سألت: «ماذا عنك؟». اتَّقد كرهي لأسرتها. الآن وقد صارت اللفافة معنا، كنت أتمنى أن أترك «أماري» هائمة في الغابة، حتى تموت جوعًا أو تصبح صيدًا للهاينيرات.

تنهد «زين» قائلًا: «إن كنت ستأخذين هذه اللفافة الغبية، ينبغي أن تأتي. وإلا، فستدل الحراس علينا دون تردد».

شحب وجه «أماري» حين استدرت نحوها.

كما لو كنت أنا من ينبغي عليها أن تخشاها.

زحفت إلى الأمام على سرج «نائلة» وقلت لها: «اركبي».

و بقدر ما كنت أتمنى أن أتخلى عنها، بقدر ما تبين لي أن إحدانا لم تنتهِ من الأخرى بعد.

# الفصل الثامن

# عنان

*«أنا لا أفهم»*.

تسابقت آلاف الأفكار في رأسي. حاولت التشبث بالحقائق: السحر في أوريشا؛ مخطوطة رِقِّية قديمة؛ خيانة على يدي *«أماري»*؟

هذا غير ممكن. حتى إن كنت أستطيع تصديق وجود السحر، فلا يمكنني أن أقبل تورط أختي. إن «أماري» تستطيع بالكاد أن تتحدث في مأدبة غداء، وتترك أمي تختار لها ملابسها، ولم تنفق من قبل يومًا واحدًا خارج هذه الجدران، والآن تهرب من لاجوس ومعها الشيء الوحيد الذي يمكن أن يهدم أركان إمبراطوريتنا؟

عدت بذاكرتي إلى الوراء، متذكرًا اللحظة التي اصطدمت فيها بالفتاة الهاربة. حين اصطدمنا، طقطقت عظامي بشيء حاد وحار. كان هذا هجومًا غريبًا وقويًّا. وفي صدمتي، لم أدقق النظر تحت قلنسوة الهاربة. لكن لو أنني أمعنت النظر، فهل كنت بالفعل سأرى عيني أختي الكهرمانيتين تنظران إليَّ؟

«لا». همست لنفسي. إن هذا هو عجب العُجاب. كنت نصف مقتنع بأن أعرض أبي على طبيب البلاط. لكن من المستحيل إنكار النظرة التي في عينيه، فكان كمن فقد صوابه، أو كمن يفكر في أمر ما. على مدى ثماني عشرة سنة رأيت أشياء كثيرة في نظرته، لكنني لم أرَ فيها الخوف قط. لم أرَ في نظرته رعبًا أبدًا.

قال أبي مفسِّرًا: «قبل أن تولد، كان الماجي قد أسكرتهم القوة، وكانوا يخططون دائمًا لإسقاط ملك عائلتنا. وحتى مع تمردهم، كافح أبي كي يكون عادلًا، لكن ذلك العدل جلب له القتل».

قلت في نفسي: « مع أخيك الأكبر. مع زوجتك ومولودك الأول». لا يوجد نبيل في أوريشا لا يعرف المذبحة التي تعرض لها أبي على أيدي الماجي. كانت مقتلة جرى الانتقام لها فيما بعد بالغارة.

من قبيل الفضول، رحت أتحسس اللعبة المشوهة في جيبي، وهي عبارة عن هدية مسروقة من أبي. تعتبر قطعة لعبة السينيت هذه هي الناجية الوحيدة من مجموعة ألعاب طفولة أبي، وكانت تستخدم في لعبة تخطيط اعتاد أن يلعبها معي حين كنت صغيرًا.

رغم أن المعدن البارد في المعتاد يجعلني أشعر بالقشعريرة، فإنه اليوم دافئ الملمس، بل إني أشعر بما يشبه اللسع حين يمر من خلال أصابعي، محترقًا بحقيقة أبي الوشيكة.

«حين صعدت إلى العرش، كنت أعلم أن السحر هو أصل كل أوجاعنا، فقد سحق إمبراطوريات من قبلنا، وما دام موجودًا، فسيسحق إمبراطوريتنا مرة أخرى».

أومأت، متذكرًا أحاديث أبي الصاخبة قبل الغارة بفترة طويلة، البريتاويون، البورلتوجانيون، إمبراطورية السبانيون... كلها حضارات دُمِّرت؛ لأن من كان لديهم السحر كانوا يطمحون إلى السلطة، ومن كانوا يحكمون لم يفعلوا ما يكفي لإيقافهم.

«حين اكتشفت السبيكة الخام التي استخدمها البراتونيون في القضاء على السحر، اعتقدت أن في هذا ما يكفي. لقد قاموا، مستخدمين الماجيست، بإنشاء السجون وصنع الأسلحة والسلاسل. وباتباع مخططاتهم، فعلت الشيء نفسه. لكن حتى هذا لم يكن كافيًا لترويض تلك الديدان الغادرة. أدركت أنه ما من سبيل لنجاة مملكتنا إلا بأن أقضي على السحر.

*ماذا؟* قفزت إلى الأمام غير قادر على تصديق أذني. إن السحر بعيد عنا. كيف أمكن لأبي أن يهاجم عدوًّا مثل هذا؟

واصل كلامه قائلًا: «إن السحر هبة من الآلهة، صلة روحية بينهم وبين الإنسانية. إذا كانت الآلهة قد قطعت تلك الصلة مع الملكيين منذ أجيال مضت، كنت أعلم أن صلتهم بالماجي يمكن قطعها كذلك».

أدارت كلمات أبي عقلي. إذا لم يكن يرغب في رؤية الطبيب، فسأراه أنا. في المرة الوحيدة التي واتتني الجرأة فيها على أن أسأله عن آلهة أوريشا، كانت إجابته حاسمة: *إن الآلهة ليست شيئًا بدون الحمقى الذين يؤمنون بهم.*

وعيت كلماته بقلبي، وبنيت عالمي على أساس قناعته التي لا تتزعزع. ومع ذلك فهو يقف هنا ليقول لي إنهم موجودون وإنه شن حربًا ضدهم.

اللعنة. حلقت في الدم الذي يلطخ الشقوق في الأرضية. كنت أعرف دائمًا أن أبي رجل قوي.

ما لم أكن أعرفه هو مدى تجذر تلك القوة.

«بعد تتويجي، شرعت في إيجاد طريقة لقطع الرابطة الروحية. استغرق الأمر سنوات، لكني اكتشفت في النهاية مصدر الصلة الروحية للماجي، وأمرت رجالي بتدميره. حتى اليوم، كنت أعتقد أنني نجحت في مسح السحر من على وجه هذه الأرض. لكن الآن هذه اللفافة اللعينة تهدد بعودة السحر».

تركت كلمات أبي تغسلني، ورحت أتمعن فيها جميعًا إلى أن صارت حتى أكثر الحقائق إبهامًا تتحرك في رأسي مثل قطع لعبة السينيت: قطع الصلة؛ كسر السحر.

تدمير من يسعون إلى الاستحواذ على عرشنا.

«لكن إن كان السحر قد انتهى...». تلوَّت معدتي عُقدًا، لكنني كنت بحاجة إلى معرفة الإجابة. «لماذا تم شن الغارة؟ لماذا تم قتل تلك الأعداد من البشر؟».

مرَّ أبي بإبهامه على الحافة المشرشرة من نصله الماجيست وسار نحو النوافذ المؤطرة، في نفس المكان الذي وقفت فيه طفلًا حين احترق الماجي في لاجوس، وبعد إحدى عشرة سنة، مازالت رائحة اللحم المتفحم ذكرى ثابتة لا تتغير، ملموسة كالحرارة التي في الهواء.

«حتى يزول السحر إلى الأبد، كان لا بد أن يموت كل ماجي. ما داموا تذوقوا تلك القوة، فلن يتوقفوا عن الحرب لإعادتها».

*كل ماجي..*

هذا هو ما جعله يبقي على حياة الأطفال، فالربانيون لا يظهرون قدراتهم حتى يبلغوا الثالثة عشرة، والأطفال الذين لا حول لهم ولا قوة، ولم يسبق لهم تذليل السحر، لم يكونوا مصدر خطر.

كانت إجابة أبي هادئة، وكان يتحدث بتلقائية لا تتيح لي أن أشك في أنه فعل الصواب. لكن ذكرى الرماد تستقر على لساني، بمرارتها وحدتها. تُرى هل اضطربت معدة أبي في ذلك اليوم؟

تُرى هل لدي ما يكفي من القوة لفعل الشيء نفسه؟

قطع أبي أفكاري قائلًا: «إن السحر خراب. السحر مرض مقيّح مميت، وإذا أنشب أظفاره في ملكتنا مثلما حدث مع الممالك الأخرى، فلن ينجو

أحد من هجمته».

«كيف يمكننا أن نوقفه؟».

استطرد أبي قائلًا: «اللفافة هي المفتاح. هذا على حد علمي. فيها شيء يتيح عودة السحر. إذا لم ندمرها، فسوف تدمرنا».

انخفض صوتي وأنا أقول: «أماري؟ هل سيكون علينا...؟ هل سأضطر...؟».

كانت الفكرة بائسة لدرجة جعلتني لا أستطيع الحديث.

*واجبك قبل نفسك*. هذا ما سيقوله أبي. وهذه كانت صيحته لي في ذلك اليوم المشئوم.

لكن فكرة أن أرفع سيفي في وجه «أماري» بعد كل هذه السنوات تجعل حلقي يجف. لا يمكنني أن أكون الملك الذي يريد أبي أن أكونه.

لا يمكنني أن أقتل أختي الصغيرة.

قال أبي ببطء: «أختك ارتكبت خيانة. لكن هذه ليست غلطتها. لقد أتحت لها أن تقترب من تلك الدودة، وكان ينبغي عليَّ أن أدرك أن ميلها الطبيعي سيوردها موارد التهلكة».

«لذا يمكن أن تعيش أماري؟».

أومأ أبي. «إن تم القبض عليها قبل أن يكتشف أحد ما فعلته. لهذا لا يمكنك أن تأخذ رجالك... أنت والأميرال كايا يتعين عليكما أن تذهبا وتسترجعا اللفافة وحدكما».

اخترقت الراحة صدري كضربة من قبضة أبي. لا يمكنني قتل أختي الصغيرة، لكن يمكنني إعادتها.

دوت طرقة حادة على الباب، وأدخلت الأميرال «كايا» رأسها. لوح أبي بيده، داعيًا لها أن تدخل.

خلفها، لمحت أمي عابسة. استقر حمل آخر على كتفي. *اللعنة*.

إن أمي لا تعرف حتى أين تكون «أماري».

قالت «كايا»: «لقد وجدنا نبيلًا يزعم أنه رأى الدودة التي ساعدت الهاربة، وقد باعته سمكة نادرة من إيلورين».

سألتها: «هل قمت بمراجعة السجل الرئيسي؟».

أومأت «كايا». «إنه يحتفظ باسم ربانية واحدة فقط من إيلورين اليوم. زالي أديبولا. العمر سبعة عشر عامًا».

*«زالي»*..

أكمل عقلي القطعة الناقصة في صورتها المذهلة. اندلع الاسم من على لسان «*كايا*» مثل الفضة. إنه اسم أنغم من أن يناسب ربانية هاجمت مدينتي.

انفجرت قائلًا: «دعوني أذهب إلى إيلورين». كنت أستعرض الخطة في عقلي وأنا أتحدث. لقد رأيت خريطة لإيلورين من قبل. الأرباع الأربعة للقرية العائمة. بضع مئات من القرويين، معظمهم من الصيادين الفقراء. يمكننا أخذها مع... «عشرة رجال. هذا هو كل ما تحتاجه الأميرال «كايا» وأنا. سأعثر على اللفافة وأعيد «أماري». فقط أعطني الفرصة».

راح أبي يعبث بخاتمه وهو يفكر. يمكنني أن أسمع الرفض الكامن على لسانه.

«إن اكتشف هؤلاء الرجال أي شيء...».

قاطعته قائلًا: «سأقتلهم». انزلقت الكذبة من فمي بسهولة. لو أتيح لي إصلاح إخفاقاتي السابقة، فلن تكون هناك حاجة لموت أحد.

لكن أبي لا يمكنه معرفة ذلك. وهو لا يكاد يثق بي بالفعل. إنه بحاجة إلى تعهد سريع لا يتزعزع.

كقائد، لا بد أن أقدم له هذا التعهد.

قال أبي موافقًا: «جيد جدًّا. تقدَّم، ولتكن سريعًا».

*الشكر للسماوات.* عدَّلت و ضع خوذتي وركعت مبالغًا في الركوع قدر المستطاع. لم أكد أخرج من الباب حتى ناداني أبي.

«عنان».

كان في نبرته شيء قد تحول. شيء مظلم. شيء يشي بالخطورة.

«حين تحصل على ما تريد، احرق هذه القرية عن بكرة أبيها».

# الفصل التاسع

# زالي

***إيلورين مسالمة تمامًا.***

على الأقل، ستكون على هذا النحو بعد اليوم. تُشد قوارب الجوز إلى مراسيها، وتهبط الأغطية على قبة مداخل الأهيري. تغرب الحياة في القرية مثلما تغرب الشمس، مفسحة الطريق لنوم ليلة هادئة.

اتسعت عينا «أماري» عجبًا ونحن نبحر في الماء ونتجه إلى حيث توجد «ماما أجبا» على ظهر «نائلة». راحت تتأمل كل بوصة في القرية العائمة مثل عامل تراحيل يتضور جوعًا أمام وليمة ملوكية.

همست قائلة: «لم أرَ شيئًا كهذا من قبل». هذا شيء يخطف الأبصار.

استنشقتُ رائحة البحر المُنعشة، وأغلقت عيني والرذاذ يرش وجهي. جعلني طعم الملح على لساني أتخيل ماذا كان سيحدث لو لم تكن «أماري» هنا! رغيف طازج من الخبز الحلو، وقطعة شهية من اللحم المتبل. للمرة الأولى، كنا سنذهب إلى الفراش ببطون ممتلئة، بعد وجبة احتفالية على شرفي.

اشتعلت خيبة أملي مرة أخرى في جهالة «أماري» السعيدة. هذه أميرة ربما لا تكون قد فاتتها وجبة في حياتها المدللة كلها.

قلت منفعلة حين اندفعت «نائلة» إلى رَبع التجار: «أعطيني غطاء رأسك».

انمحى العجب من وجه «أماري» وتيبست ملامحها. «لكن بيننا...».

توقفت، مستجمعة شتاتها. «لم أكن لأحصل على هذه لولا وصيفتي.. هذا هو الشيء الوحيد الذي بقي لي منها».

«أنا لا يهمني إن كانت الآلهة هي التي أعطتك هذا الشيء اللعين. لا يمكننا أن نغامر بأن يتعرف الناس إليك».

أضاف «زين» برفق: «لا تقلقي. سوف تلقي بها في حقيبتها، ليس في البحر».

عجبت من محاولته تهدئتها، لكن كلماته أصابت الهدف.

راحت «أماري» تعبث بالإبزيم وأسقطت الجواهر اللامعة في حقيبتي، فكان الوهج الذي أضافته إلى بريق العملات الفضية سخيفًا. صباح اليوم لم يكن معي قطعة برونزية باسمي. والآن معي مثل وزني من الثروات الملكية.

انحنيت من على ظهر «نائلة» ونزلت على المسار الخشبي. أدخلت رأسي خلال باب «ماما أجبا» المغطى بستارة لأجد بابا نائمًا في الزاوية في سلام، متكوِّمًا مثل قط بري أمام لهب متوهج، وقد استعاد جلدُه لونَه، ولم يعد وجهه شديد النحول والهزال كما كان. لا بد أن هذا نتيجة عناية «ماما أجبا»، حيث يمكنها إذا اعتنت بجثة أن تُعيد إليها الحياة مرة أخرى.

حين دخلت، أخرجت «ماما أجبا» رأسها من خلف مانيكان عليه قفطان أرجواني رائع، عُراه المثبتة توحي بأنه مخصص لأحد النبلاء، في صفقة قد تغطي ضريبتها القادمة.

همست، وهي تقطع الخيط بأسنانها: «كيف سارت الأمور؟». راحت تعدِّل غطاء الرأس الأخضر والأصفر حول رأسها قبل أن تربط الطرفين المفتوحين للقفطان.

فتحت فمي للرد، لكن جاء «زين» إلى الداخل، تتبعه «أماري» في حذر. جالت بنظرها في الأهيري في براءة لا تنشأ إلا عن الرفاهية، وهي تمرر أصابعها على الخيزران المجدول. أعطى «زين» «ماما أجبا» إيماءة عرفان بالجميل وهو يأخذ حقيبتي، متوقفًا ليعطي «أماري» اللفافة. رفع «زين» جسد بابا النائم بسهولة. بابا حتى لم يتقلب.

قال: «سأذهب لإحضار أشيائنا. قرروا ما سنفعله حيال هذه اللفافة. إذا ذهبنا...». تلاشى صوته، وتقلصت معدتي لشعوري بالذنب. لم يعد هناك مكان لكلمة «إذا». لقد ألغيت هذا الخيار.

«أسرع».

انصرف «زين»، مقاومًا انفعالاته. رحت أراقبه وجسده الفارع يختفي، متمنية ألا أكون السبب في ألمه.

سألتْ «ماما أجبا»: «تنصرفون؟ لماذا تنصرفون؟ ومن هذه؟».

ضاقت عيناها وهي تفحص «أماري» من أعلى إلى أسفل. حتى في هذه العباءة الرثَّة، تدل هيئة «أماري» الرائعة وذقنها المرتفع على طبيعته الملكية.

«أو... ممم». استدارت «أماري» ناحيتي، وقبضتها تضيق على اللفافة.
«أنا... أنا أكون...».
تنهدت قائلة: «إن اسمها أماري، أميرة أوريشا».
أطلقت «ماما أجبا» ضحكة عميقة وهي تقول: «تشرفنا بك يا مولاتي»، وركعت بشكل مبالغ فيه بسخرية.
لكن حين لم أبتسم أنا أو «أماري»، اتسعت عينا ماما. نهضت من مقعدها وفتحت شَملة «أماري»، فكشفت عن عباءة زرقاء داكنة تحتها. حتى في الضوء الخافت، يبرق خط الرقبة العميق بالمجوهرات اللامعة.
«يا للآلهة...!». استدارت نحوي ويداها تمسكان بصدرها. «زالي، ماذا فعلتِ بحق الآلهة؟».
حملت «ماما أجبا» على الجلوس وأنا أشرح لها أحداث اليوم.
وبينما كانت تتأرجح بين الفخر والغضب حول تفاصيل هروبنا، جعلتها الاحتمالات المتعلقة باللفافة تسكن.
سألت: «هل هذا حقيقي؟ هل في هذا شيء من الحقيقة؟».
ظلت ماما صامتة لفترة طويلة، محدقة في اللفافة في يدي «أماري». كانت عيناها الداكنتان غير قابلتين للقراءة لأول مرة، تخفيان الإجابات التي أبحث عنها.
«أعطيني هذه».
في اللحظة التي لمست فيها اللفافة راحتَي «ماما أجبا»، راحت تلهث طلبًا للهواء، وبدأ جسدها يرتعش ويهتز بعنف حتى إنها سقطت على الأرض.
«ماما أجبا!» استدرت إلى جانبها وقبضت على يديها، وضغطت عليهما حتى تتوقف الرجفة. بمرور الوقت، خفتت الرجفة وصارت هي على الأرض، ساكنة مثل أحد مانيكاناتها. «ماما، هل أنت بخير؟».
اغرورقت عيناها بالدموع، وسالت الدموع على تجاعيد بشرتها الداكنة.
همست قائلة: «لقد مرَّ وقت طويل. لم أكن أظن أنني سأشعر بدفء السحر مرة أخرى».
افترقت شفتاي في دهشة وتراجعت إلى الوراء، غير مصدقة أذني. لا يمكن أن يكون هذا. لم أكن أظن أن أي ماجي نجا من الغارة....
سألت أماري: « هل أنت من الماجي؟ لكن شعرك...».

أزالت «ماما أجبا» غطاء رأسها ومرت بيدها على رأسها الحليق. «منذ إحدى عشرة سنة، رأيت رؤيا لنفسى وأنا أزور إحدى سحرة المرض. طلبت منها أن تزيل شعري الأبيض، فاستخدمت سحر المرض في إزالته عن بكرة أبيه».

قلت لاهثة: «هل أنت عرافة؟!».

أومأت «ماما أجبا» قائلة: «كنت كذلك. لقد فقدت شعري في يوم الغارة، قبل ساعات من موعد قبضهم عليَّ».

*مذهل!* حين كنت طفلة، كانت العرَّافات القليلات اللاتي يعشن في إبدان موضع تبجيل. وكان السحر الذي يذللنه بمرور الوقت يساعد كل قبيلة أخرى من الماجي. ابتسمت، رغم أنني كان ينبغي أن أعرف بقلبي. لقد كان يزين «ماما أجبا» دائمًا عقل راجح، وكانت تمتلك حكمة تجاوزت سنوات عمرها.

واصلت «ماما أجبا» قائلة: «قبل الغارة، شعرت بأن السحر قد تبخر في الهواء. حاولت استدعاء رؤيا ما سيأتي، لكن حين كنت في أمسِّ الحاجة إلى هذا، لم أرَ شيئًا».

جفلت «ماما أجبا» كأنها تخفف من ألم ذلك اليوم كله مرة أخرى. يمكنني فقط أن أتخيل مدى فظاعة الصور التي تستدعيها ذاكرتها.

جرجرت ماما قدميها إلى نوافذها المزودة بشبكات وأسدلت أغطيتها. راحت تحدق في يديها الذابلتين، المجعدتين من سنوات العمل في الخياطة. همست «ماما أجبا» «أوريونميلا» منادية إله الزمن. «*با ماي سورو. با ماي سورو*».

«ماذا تفعل؟!». تراجعت «أماري» إلى الوراء وكأن كلمات «ماما أجبا» يمكن أن تشقها إلى نصفين. لكن الاستماع إلى اليوروبا الحقيقية لأول مرة منذ أكثر من عقد من الزمان أعياني عن الرد.

منذ الغارة، كل ما سمعته هو المقاطعات الخشنة والأصوات الحلقومية بلغة أوريشا، اللغة التي نتحدث بها مجبرين.

لقد مرت فترة طويلة لم أسمع فيها تعويذة، وقد طال بنا العهد منذ أن كانت لغة قومي ليست في الذاكرة فقط.

قمت بالترجمة و«ماما أجبا» تنشد: «أوريونميلا. كلمني. كلمني». قلت مفسرة لـ «أماري»: «إنها تنادي إلهها. إنها تحاول أن تصنع السحر».

ورغم أن الإجابة كانت تأتي بسهولة، حتى أنا لم أكن أستطيع تصديق ما أراه. كانت «ماما أجبا» تنشد بعقيدة عمياء، في صبر وثقة، تمامًا كما ينبغي أن يكون عباد إله الزمن.

وبينما كانت تطلب الهداية من «أوريونميلا»، انتفض قلبي بلهفة. بغض النظر عن مدى رغبتي في مناداة «أويا» على هذا النحو، لم يكن عندي اليقين الكافي قط لمناداته.

التصقت «أماري» بحائط الأهيري حين بدأت الأوردة تنتفخ في رقبة «ماما أجبا» وسألت: «أليس في هذا ما ينذر بالخطر؟».

أومأت: «إنه جزء من العملية. تكلفة استخدام الآشي».

لكي نمارس السحر لا بد أن نستخدم لغة الآلهة في تهيئة «الآشي» في دمنا وإعداده. بالنسبة لعرافة متمرسة، تعتبر هذه التعويذة سهلة، مع مرور كل هذه السنوات بدون ممارسه، ربما تُستمد هذه التعويذة من كل «الآشي» الذي لدى «ماما أجبا». إن «الآشي» ينمو كما تنمو العضلات في أجسامنا، وكلما استخدمناه، كانت تهيئته أسهل، وأصبح سحرنا أقوى.

*«أوريونميلا، با ماي سورو. أوريونميلا، با ماي سورو...».*

كان صوت تنفسها يزداد اضطرابًا مع كل كلمة. والتجاعيد التي عبر وجهها كانت تزداد توترًا نتيجة الإجهاد. إن تهيئة الآشي لها تكلفتها البدنية. وإن حاولت التهيئة أكثر مما ينبغي، يمكن أن تقتل نفسها.

«أوريوغيلا...» صار صوت «ماما أجبا» أقوى، وبدأ ضوء أبيض في التضخم بين يديها. «أوريونميلا، با ماي سورو! أوريونميلا، با ماي سورو... ».

انفجر الكون بين يدي ماما بقوة أطاحت بي وبـ «أماري» إلى الأرض. صرخت «أماري»، أما صرختي فقد تلاشت وراء الغصة التي في حلقي. لمعت أضواء سماء الليل الزرقاء والأرجوانية بين راحتي «ماما أجبا». توقف قلبي مشدوهًا بهذا المنظر الخلاب. لقد عاد....

بعد كل هذه السنوات، ها هو السحر أخيرًا قد أتانا.

بدا الأمر وكأن بوابة سدٍّ قد انفتحت في قلبي، وكأن موجة لا تنتهي من الانفعالات تعصف بكياني كله. لقد عادت الآلهة. عادوا أحياء. صاروا معنا بعد كل هذا الوقت.

الأضواء المتلألئة بين راحتي «ماما أجبا» تدور كالدوامة ويراقص بعضها بعضًا. تبلورت صورة ببطء، وراحت معالمها تزداد وضوحًا أمام

أعيننا مثل أحد المنحوتات. وبمرور الوقت، استطعت أن أتبين ثلاثة ظلال على تلة عالية، تصعد بصخب لا يهدأ، وهي تشق طريقًا لها وسط الأدغال الكثيفة.

«اللعنة». دمدمت «أماري». وأخذت خطوة احترازية إلى الأمام. «هل هذه أنا...؟».

أصدرت من أنفي صوتًا معترضًا لغرورها، لكن رؤية الداشيكي القصير الخاص بي جعلتني أتوقف. إنها محقة.... الصور لنا ولـ «زين»، متسلقين خلال خَضار الغابة. امتدت يدي نحو صخرة حين كان «زين» يوجه «نائلة» بمقودها إلى سلسلة صخور. صعدنا أعلى الجبل أكثر وأكثر حتى وصلنا إلى....

تلاشت الرؤيا، وتبددت في الهواء في لمحة عين.

ظللنا محدقين بيدي «ماما أجبا» الفارغتين، يديها اللتين غيرتا عالمي كله لتوِّهما.

كانت «ماما أجبا» ترتعد من إجهاد رؤيتها. انسكب مزيد من الدمع من عينيها.

قالت مختنقة من خلال عبراتها الصامتة: «أشعر، أشعر كأنني أستطيع التنفس مرة أخرى».

أومأت، رغم أنني لا أعرف كيف أصف الضيق الذي أشعر به في صدري. بعد الغارة رأيت أنني لن أرى السحر مرة أخرى بالفعل.

حين عادت يدا «ماما أجبا» إلى ثباتها، أمسكت اللفافة، وتسرب اليأس من خلال لمستها. راحت تفحص اللفافة، ومن حركة عينيها، أدركت أنها بالفعل تقرأ الرموز.

قالت: «هذا أحد الطقوس، بحسب ما أستطيع رؤيته، فهو شيء له أصل وقديم، وطريقة للاتصال بالآلهة». سألت أماري، وعيناها الكهرمانيتان تلمعان بخليط من الإشفاق والخوف: «هل يمكنك عمل هذا؟». كانت تحدق في «ماما أجبا» وكأنها مصنوعة من الماس، ومع ذلك أحجمت حين اقتربت منها.

وضعت ماما اللفافة في يدي وهي تقول: «لست أنا المعنية بفعل هذا يا طفلتي. لقد رأيت نفس الرؤيا التي رأيتها».

قالت «أماري» متلعثمة: «لا يمكن أن تكوني جادة». لأول مرة أتفق مع ما تقول.

سألت ماما: «ما الذي يدعو إلى الجدل؟ لقد كنتم أنتم الثلاثة على سفر لإعادة السحر مرة أخرى!».

سألت «أماري»: «أليس هنا بالفعل؟ ما فعلته لتوك...».

«جزء مما كان يمكنني عمله من قبل. هذه اللفافة تشعل شرارة السحر، لكن لإعادته إلى قوته السابقة، عليكم أن تفعلوا المزيد».

«لا بد أن هناك من هو أفضل». هززت رأسي. «شخص لديه خبرة أكبر. لا يمكن أن تكوني الماجي الوحيدة التي نجت من الغارة. يمكننا استخدام قوتك لنجد شخصًا للفافة».

«أيتها البنتان..».

قاطعتها قائلة: «لا يمكننا! أنا لا أستطيع! بابا...».

«سوف أعتني بوالدك».

«لكن الحراس!».

« لا تنسي من علمتك كيفية القتال».

قالت «أماري» مقاطعة: «إننا لا ندري ما تقوله. لا يمكننا قراءتها!».

بدا على «ماما أجبا» الاستغراق في التفكير وكأن فكرة قد استولت على ذهنها.

عدَت «ماما أجبا» إلى مجموعة من مقتنياتها، وعادت بخريطة حائلة اللون. «هنا». أومأت «ماما أجبا» إلى بقعة في غابة الفانميلايو، على مسير بضعة أيام شرقي ساحل إيلورين. «في رؤياي كنتِ مسافرة هنا. لا بد أن الشاندومبلي هنا»

تساءلت أماري: «الشاندومبلي؟».

أجابت «ماما أجبا»: «إنه معبد أسطوري، يشاع عنه أنه مأوى السينتاروهات المقدسة، حماة السحر والحياة الروحية. قبل الغارة، كان القادة المنتخبون حديثًا فقط من قبائل الماجي العشرة هم الذين يحجون إلى هناك، لكن إن كانت رؤياي أظهرت أنك كنت مسافرة هناك، فلا بد أن هذا هو دورك. عليك أن تذهبي. ربما تكون الأسئلة التي تبحثين عنها في شاندومبلي».

كلما تحدثت «ماما أجبا»، زاد فقداني للشعور في يدي وقدمي. *لماذا لا تفهمين؟* أريد أن أصرخ.

لست قوية بما يكفي.

نظرت إلى «أماري»؛ للحظة كدت أنسى أنها أميرة. وفي ضوء شموع «ماما أجبا» كانت تبدو صغيرة، غير واثقة مما ينبغي فعله بعد ذلك.

وضعت «ماما أجبا» يدًا مجعدة على وجهي وأمسكت معصم «أماري» الأخرى. «أعلم أنكما خائفتان، أيتها البنتان، لكني أعرف أيضًا أن بإمكانكما عمل هذا. من بين كل أيام التجارة في لاجوس، ذهبتما اليوم. ومن بين كل الأشخاص الذين كان من الممكن أن تقتربا منهم في السوق، اخترتماها. هذا دبير الآلهة. إنها تمن علينا بمواهبنا بعد كل هذا الوقت. لا بد أن تثقوا في أنها لن تقامر بمصير الماجي. ثقوا في أنفسكم».

أطلقت زفرة طويلة وحدقت في الأرضية المجدولة. إن الآلهة التي كانت تبدو يومًا بعيدة جدًّا صارت أقرب ما كنت أتخيل. كنت أريد فقط أن أتخرج اليوم.

كنت أحتاج فقط إلى أن أبيع سمكة.

«ماما ...».

شقت صرخة هدوء الليل. في لحظة كنا نقف على أقدامنا جميعًا. أمسكت بهراوتي بينما كانت ماما تعدو إلى نافذتها. وحين أزاحت الستائر، كانت رجلاي لا تقويان على حملي.

اندلعت النيران في رَبع التُّجار، وصارت تحاصر كل أهيري بلهيبها الهادر. سُحب الدخان الأسود تظلل السماء مع صرخات القرويين، وصيحات الاستغاثة تتعالى بينما تلتهم ألسنة اللهب عالمنا.

قطع خط من السهام النارية ظلام الليل، وانفجر كل منها عند ملامسته للخيزران والعوارض الخشبية للأهيري.

*بارود ناسف*...

إنه خليط قوي لا يحصل عليه إلا حراس الملك.

*إنها أنت*. كان صوت في رأسي يهمس باشمئزاز. *أنت السبب في مجيئهم إلى هنا*.

والآن لن يقتل الحراس جميع من أحبهم فقط، ولكن سيحرقون القرية كلها عن بكرة أبيها.

مرقت من الباب قبل أن تمر ثانية أخرى، ولم تردعني مناداة «ماما أجبا» لي. كان عليَّ أن أجد عائلتي. كان عليَّ أن أتأكد أنهم بخير.

مع كل خطوة على الممر المتهالك، كان منزلي يتحول إلى جحيم حقيقي، وكانت رائحة اللحم المحترق تملأ حلقي. كان قد مر على اشتعال

النيران بضع دقائق فقط، إلا أن إيلورين كلها صارت كتلة من اللهب.

*«أغيثوني!»*.

تعرفت الآن على الصرخات. إنها «بيسي» الصغيرة. صرخاتها تشق الظلام، مستميتة في صياحها. جاش صدري وأنا أثب عبر أهيري «بيسي». هل ستستطيع أن تخرج من اللهب حية؟

وبينما كنت أعدو إلى البيت، كان القرويون الباحثون في يأس عن النجاة يقفزون في المحيط، وصرخاتهم تخترق سماء الليل. كانوا يتشبثون، وهم يسعلون، بالأخشاب الطافية المتفحمة، وهم يكافحون من أجل البقاء على سطح الماء.

اجتاحني شعور غريب، يجرى في أوردتي، ويحاصر أنفاسي في صدري. ومع هذا الشعور، كانت الحرارة تغلي تحت جلدي.

*الموت*...

الروح.

*السحر*. ضممت الأجزاء معًا. سحري.

سحر ما زلت لا أدرك كنهه. سحر قادنا إلى هذا الجحيم.

لكن بينما كانت الجمرات تحرق جلدي، تخيلت سحرة المد والجزر يستدعون تيارات الماء لمكافحة النيران، وسحرة النيران يبعدون النيران.

لو كان هنا المزيد من الماجي، لاستطاعوا بمواهبهم إيقاف هذا الرعب.

لو كنا مدربين ومسلحين بالتعويذات، ما كانت النيران لتجد فرصة كي تتأجج.

دوت طرقعة عالية في الهواء. أنَّت الألواح الخشبية تحت قدمي وأنا أقترب من قطاع الصيادين. عدوت بالقدر الذي يتحمله المسار قبل أن أقذف بنفسي في الهواء.

لفح الدخان حلقي وأنا أهبط على السطح المتمايل الذي يدعم منزلي. لا يمكنني أن أرى خلال النيران، لكني مع ذلك أجبر نفسي على التصرف.

صرخت خلال سعالي: بابا، مضيفة مزيدًا من الصرخات إلى فوضى الليلة. «زين!».

لا يوجد أهيري في قطاعنا لا تحاصره ألسنة اللهب، ومع ذلك واصلت العدو، متمنية ألا يكون منزلي قد لاقى نفس المصير.

تأرجح الممر تحت قدمي وصرخت رئتاي طلبًا للهواء. تعثرت وسقطت على الأرض قبل منزلي، وأنا أتلظى بالحرارة المنبعثة من ألسنة اللهب.

«بابا» صرخت في رعب، باحثة عن أي حياة في الحريق. «زين! نائلة!».

صرخت حتى جف حلقي، لكن لم يكن من مجيب لندائي. لا أعرف إن كانوا محاصرين بالداخل.

لا يمكنني أن أرى حتى إن كانوا أحياء.

زحفت واقفة على قدمي وفردت قضيبي، وفتحت باب الأهيري الخاص بنا بقوة. كنت على وشك الدخول حين قبضت يد على كتفي، وجذبتني إلى الخلف بقوة جعلتني أسقط على الأرض.

حجبت الدموع الرؤية عني. كان من الصعب أن أتبين وجه مهاجمي.

لكن سرعان ما أضاءت ألسنة اللهب المتراقصة البشرة النحاسية. «*أماري*».

كانت تصيح بين سعالها: «لا يمكنك أن تدخلي! إنه يتهاوى».

دفعت «أماري» إلى الأرض، وشعرت برغبة غير مؤكدة في أن أغرقها في البحر. وحين أطلقت قبضتها، زحفت نحو الأهيري الخاص بي.

«لا!».

كانت جدران الخيزران التي أنفقنا شهرًا كاملًا نبني فيها تنهار بطقطقة حادة. احترقت الجدران وطارت مع اللهب خلال الممر ثم سقطت في البحر، وغاصت حتى وصلت إلى قاع البحر.

انتظرت حتى يبرز رأس «زين» من بين الأمواج، أو تطلق نائلة صيحة ألم، لكن لم أرَ إلا ظلامًا.

في ضربة واحدة، انمحت أسرتي.

«زالي....».

أمسكت «أماري» بكتفي مرة أخرى؛ كان دمي يغلي تحت لمستها. أمسكت بذراعها وجذبتها إلى الأمام، مستمدة قوتي من مشاعر الحزن والسخط التي أشعر بها.

*سأقتلك*. هذا هو قراري. إن كنا سنموت، *فستموتين أنت أيضًا*.

فليشعر أبوك بهذا الألم.

ليعرف الملك ما هي الخسارة التي لا تُحتمل.

«لا تفعلي!». صرخت «أماري» وأنا أجرها نحو ألسنة اللهب، لكني كنت أسمعها بالكاد فوق صوت الدم الذي يفور في أذني. حين نظرت إليها، رأيت وجه أبيها. تقلصت كل أحشائي من الكره.

«من فضلك...».

«توقفي يا زالي!».

أطلقت «أماري» وانطلقت نحو البحر المفتوح. كانت «نائلة» تحرك أرجلها في ماء المحيط و «زين» على ظهرها، وعلى إثره كان بابا و«ماما أجبا» يجلسان آمنين داخل قارب جوز هند مثبت في سرج «نائلة».

أربكني المنظر لدرجة أنني استغرقت لحظة حتى أدركت أنهم أحياء بالفعل.

«زين...».

تقوض أساس قطاع الصيادين بالكامل. وقبل أن نستطيع القفز، هوى إلى الأرض وهوينا معه. أحاطت المياه الباردة كالثلج بأجسادنا في اندفاعها، فهدأت من لسعة الحروق التي نسيتها.

تركت نفسي أغوص مع الكتل الخشبية والمنازل المنهارة. طهرت الظلمة آلامي، وخفت بها غضبي.

خطر ببالي هذا الخاطر الصغير: يمكنك *أن تمكثي هنا. ليس عليك أن تستمري في هذه الحرب.*

تشبثت بالكلمات للحظة، متمسكة بفرصتي الوحيدة في الهرب. لكن حين أزّت رئتاي، أجبرت رجليّ على الركل متجهة مرة أخرى إلى العالم المحطم الذي أعرفه.

أيًّا كان اشتياقي للسلام، فللآلهة تدابير أخرى.

## الفصل العاشر

# زالي

***عُمنا إلى*** مدخل صغير مقابل الساحل الشمالي في صمت، عاجزين عن الحديث بعد هذا الرعب. ورغم أن الموجات المرتطمة صارت أعلى صوتًا، كانت ذكرى صرخات «بيسي» أعلى من ذلك في رأسي.

أربع وفيات. أربعة أشخاص لم يتمكنوا من الإفلات من النيران.

لقد جلبتُ النار إلى إيلورين.

دماؤهم تلطخ يدي.

أمسكت كتفي حتى أحتفظ بمشاعري بداخلي بينما كانت «ماما أجبا» تغطي جروحنا بقماش ممزق من تنورتها. ورغم أننا نجونا من النيران، فإن حروقًا ولسعات صغيرة كانت تنتشر على جلدنا. لكن هذا الألم كان موضع ترحيب؛ كان تقريبًا مُستحقًا. كانت اللفحات التي على جلدي لا تقارن بالذنب الذي يعصر قلبي.

قبض ضغط حاد على معدتي حين تبلورت ذكرى جثة محترقة أمام عيني. كان الجلد المتفحم يتساقط عن الأطراف، وما زالت عفونة اللحم المحترق مختلطة بكل نفس من أنفاسي.

*إنهم في مكان أفضل.* أحاول أن أخفف من إحساسي بالذنب. إذا كانت أرواحهم قد صعدت إلى سلام العافية، إذن يكاد الموت أن يكون هبة. لكن إن كانوا قد عانوا كثيرًا قبل أن يموتوا....

أغمضت عيني وحاولت ابتلاع الفكرة. لو كانت الصدمة التي تعرضوا لها في موتهم شديدة، فلن تصعد أرواحهم إلى الدار الآخرة. سيبقون في الأبادي، وهو جحيم مقيم، يتعرضون فيه لأسوأ أنواع الألم.

حين هبطنا على اللسان الصخري في الرمال، ساعد «زين» «أماري» بينما اعتنيت أنا ببابا. لقد وعدت بأنني لن أفسد هذا الأمر. والآن أصبحت قريتنا بالكامل كتلة من اللهب.

حدقت في الصخور المسننة، عاجزة عن النظر في عيني أبي. كان ينبغي على بابا أن يبيعني لعمال التراحيل. لو فعل ذلك لعاش في سلام أخيرًا.

صمت أبي لا يزيد شقائي إلا شدة، لكن حين انحنى لينظر في عيني، كانت الدموع تبلل عينيه.

قال بابا: « لا يمكنك أن تفرّي من هذا يا زالي. ليس الآن». وأخذ يدي في يديه وتابع: «هذه هي المرة الثانية التي تستولي فيها هذه الوحوش على بيتنا. فلتكن المرة الأخيرة».

«بابا؟» لم أستطع تصديق غضبه. منذ الغارة، لم تهمس بلعنة واحدة ضد الأسرة المالكة. لقد اعتقدت أنه آلى على نفسه أن يبتعد عن أي نزاع.

«طالما أننا لا نملك سحرًا، لن يعاملونا باحترام أبدًا. يجب أن يعرفوا أن بإمكاننا أن نرد الشر بالشر؛ إن أحرقوا بيوتنا، أحرقنا بيوتهم أيضًا».

فَغر «زين» فاه، والتقت عيناه بعيني. لم نرَ هذا الرجل منذ إحدى عشرة سنة. لم نكن ندرك أنه لا يزال حيًا.

«بابا»....

قال آمرًا: «خذا نائلة. الحراس قريبون. لا نمتلك كثيرًا من الوقت».

أشار عبر الشاطئ إلى الساحل الشرقي، حيث يقوم خمسة أشخاص في دروع ملكية باقتياد الناجين كالقطيع. كان الضوء المتراقص لألسنة اللهب يضيء الخاتم على خوذة أحد الجنود. إنه القائد... هو الذي كان يطاردني أنا و «أماري».

لقد أحرق بيتي فسوّاه بالأرض.

قال «زين» مجادلًا: «تعال معنا. لا يمكن أن نتركك خلفنا».

«لا يمكنني ذلك. وجودي معكما سيعطلكما فحسب».

«لكن يا بابا..».

«لا». قاطع أبي «زين» وهو ينهض ليضع يدًا على كتفه. «لقد أخبرتني ماما أجبا عن رؤياها. أنتم الثلاثة ستقودون المعركة. ينبغي أن تصلوا إلى شاندومبلي و تبحثوا عن وسيلة لإعادة السحر».

جف حلقي، وتشبثت بيد بابا. «قد وجدونا مرة بالفعل. إن كانوا يبحثون عنا، فهم يبحثون عنك أنت أيضًا».

طمأنتني «ماما أجبا» قائلة: «سنكون رحلنا منذ فترة طويلة. هل هناك من يمكنه تفادي الحراس أكثر من عرافة؟».

جال «زين» ببصره بين «ماما أجبا» وبابا، وقد بدا الاضطراب على ملامحه وهو يحاول جاهدًا أن يحتفظ بوجهه هادئًا. لم أكن أدري هل بإمكانه ألا يصطحب بابا.

لا يستقر «زين» في موضعه قبل أن يحافظ على سلامة الآخرين.
همست: «كيف سنعثر عليكما؟».
قالت «ماما أجبا»: «أعيدوا السحر للأبد. طالما أن لدي رؤاي، سأعرف دائمًا أين ينبغي أن أذهب».
قال بابا ملحًّا بقوة أثناء انطلاق دفعة جديدة من الصر خات: «ينبغي أن ترحلوا الآن». كان أحد الجنود يجذب عجوزًا من شعرها ويضع السيف على رقبتها.
«لا يا بابا!».
حاولت أن أجذبه إلى الأمام، لكنه شدني إليه، وخر راكعًا ولف ذراعيه حول جسدي المرتجف. احتضنني أشد من أي مرة سابقة منذ سنوات.
قال: «أمك...». وانكسر صوته. أفلتت شهقة صغيرة من حلقي. «كانت تحبك بحرارة. كانت ستفخر بك فخرًا شديدًا الآن».
التصقت ببابا بشدة جعلت أظافري تخترق جلده. اعتصرني أبي بدوره قبل أن ينهض ليحتضن «زين». ورغم أن «زين» كان يفوق بابا طولًا وقوة، احتضنه بابا بنفس قوة حضنه. احتضن كلاهما الآخر لفترة طويلة، وبدا كأن أحدهما لن يترك الآخر أبدًا.
«أنا فخور بك يا بُني. مهما حدث فسأظل دائمًا فخورًا بك».
مسح «زين» دموعه سريعًا؛ فليس بالذي يظهر عواطفه، أما آلامه فيدخرها لعزلة الليل.
همس بابا لنا نحن الاثنين: «أحبكما».
قلت بصوت أجش: «نحن نحبك أيضًا».
أشار بابا إلى «زين» كي يركب «نائلة». تبعته «أماري» والدموع الصامتة تسيل على وجنتيها. ورغم حزني، شعرت بوخز الغضب في جسدي. لماذا تبكي؟ مرة أخرى، أسرتها هي السبب في تقطيع أوصال أسرتي. قبَّلت «ماما أجبا» وجنتي ولفَّت ذراعيها حولي بشدة.
«كوني حذرة، لكن كوني قوية».
كنت أتنفس بصوت مسموع حين أومأت لها، رغم أن الشعور الوحيد الذي كنت أفتقر إليه هو الشعور بالقوة. أنا خائفة. ضعيفة.
ذكَّر بابا «زين» وأنا أعتلي السرج قائلًا: «انتبه لأختك. وأنت يا نائلة، كوني على ما يرام. أوصيك بحمايتهما».

لعقت «نائلة» وجه بابا وحكّت أنفها برأسه، وهي علامة على وعد ستحافظ عليه دومًا.

انقبض صدري حين خطت إلى الأمام، مبتعدة عن قلبي وبيتي. حين نظرت إلى الخلف، كانت ابتسامة نادرة تتألق على وجه بابا.

تمنيت أن نعيش لنرى هذه الابتسامة مرة ثانية.

# الفصل الحادي عشر

# عنان

همست لنفسي: «**عد حتى عشرة**، عد حتى عشرة»..

لأنني حين أنتهي من العد، ينبغي أن يكون هذا الرعب قد انتهى.

لن يلطخ دم الأبرياء يدي.

«واحد... اثنان...». قبضت بيد مرتعشة على قطعة السينيت الخاصة بأبي بشدة حتى بدأ المعدن يخزني، تصاعد العدُّ، لكنَّ شيئًا لم يتغير.

مثلما التهمت إيلورين، التهمت ألسنة اللهب خططي كلها.

ضاق ذرعي حين سقطت القرية في جحيم من اللهب، وذهب بذهابها بيوت المئات. كان جنودي يسحبون الجثث على الرمال، والأجساد متفحمة بشكل قضى على ملامحها، ملأت صرخات الأحياء والجرحى أذني، وكان طعم الرماد هو الطعم الوحيد الذي أشعر به على لساني، كان الخراب شديدًا، والموت كثيفًا.

لم تكن هذه خطتي.

ينبغي أن تكون «أماري» في يدٍ، والربانية اللصة مقيدة بالأغلال في اليد الأخرى.

ينبغي أن تكون «كايا» قد استعادت اللفافة، كوخ الربانية فقط هو الذي ينبغي حرقه.

لو أنني نجحت في استعادة اللفافة، لكان أبي قد تفهم الأمر، كان سيشكرني على حسن تصرفي، وأثنى على حكمتي في تفادي تدمير إيلورين، كنت سأحمي تجارة السمك لدينا، كان التهديد الوحيد للبلاط سيتلاشى.

لكنني أخفقت، مرة أخرى، بعد أن توسلت لأبي أن يمنحني فرصة أخرى.

ما زالت اللفافة مفقودة، وأختي في خطر، مُحيت قرية بأكملها، لكن ليس لدي ما أقدمه مقابل هذا.

أهل أوريشا ليسوا آمنين...

«بابا!».

قبضت على نصلي بينما طفل صغير يرتمي على الأرض، كانت صرخاته تشق سكون الليل، حينئذٍ اكتشفت فقط الجثة المغطاة بالرمل عند قدميه.

«بابا! أمسك بالجثمان، محاولًا أن يوقظه، كانت دماء أبيه تلطخ بشرة يديه البنيتين الصغيرتين».

«أبيناي!»، كانت امرأة تسير بصعوبة خلال الرمال الرطبة، اشتد لهاث المرأة حين رأت الحراس يقتربون «أبيناي، لا، لا بد أن تهدأ، با.. بابا يريدك أن تكون هادئًا!».

استدرت بعيدًا وأغمضت عيني بقوة، كابتًا شعوري بالمرارة. *واجبك قبل نفسك*. أسمع صوت أبي، أمان أوريشا قبل ضميري، لكن هؤلاء القرويين هم أوريشا، هم أنفسهم الذين أقسمت على حمايتهم.

«هذه فوضى». جاءت الأميرال «كايا» إلى جانبي بخطًى ثقيلة، و كانت مفاصل أصابعها ملطخة بالدم من ضربها للجندي الذي تعجل في إشعال النيران.

قاومتُ رغبتي في أن أذهب إليه وأضربه بنفسي، بينما يرقد متوجعًا في الرمال الرطبة: «انهض واربط معاصمهم!». صاحت «كايا» في الحارس قبل ان تخفض صوتها مرة أخرى «نحن لا ندري إذا كانت الهاربتان ميتتين أم حيتين، ولا ندري حتى ما إذا كانتا قد عادتا إلى هنا».

«سيكون علينا محاصرة الناجين». أطلقت تنهيدة محبطة «أتمنى أن تكون إحداهما...».

خَفَت صوتي بينما كان إحساس مقيت يسري على سطح جلدي، مثلما حدث في السوق، شعرتُ بالحرارة تخز فروة رأسي في نبضات، بينما كانت دفقة دقيقة من الهواء تتجه ناحيتي، وكانت عبارة عن سحابة فيروزية غريبة تخترق الدخان الأسود.

سألت «كايا»: «هل ترين هذا؟».

أشرت، وأنا أتراجع والدخان يقترب ملتويًا. كانت السحابة الغريبة تحمل رائحة البحر، وتغلبت على رائحة الرماد التي في الهواء.

سألت «كايا»: «أرى ماذا؟». لكن لم أجد فرصة للرد، مرت السحابة الفيروزية من خلال أصابعي، تكونت صورة غريبة للربانية في ذهني....

خفتت الأصوات حولي، حتى صارت غائمة ومختلطة، غشيتني مياه البحر الباردة، بينما كان ضوء القمر وأضواء النيران تتلاشى. رأيت الفتاة

التي تسيطر على تفكيري غارقة بين الجثامين والأخشاب الطافية، ثم هوت في ظلمات البحر، لم تكن تقاوم التيار الذي كان يسحبها لأسفل، وأفلتت منها القدرة على السيطرة، مستسلمة للغرق في غياهب الموت.

مع تلاشي رؤياي، عدت إلى استغاثات القرويين، والرمال المتحركة. شيء ما تحت جلدي يخزني، بنفس الشعور القارس الذي بدأ في آخر مرة رأيت فيها وجه الربانية.

صارت القطع مكتملة على حين غرة.. الضرب.. الرؤيا.

كان ينبغي أن أعرف منذ البداية.

*السحر...*

صارت معدتي تتلوى عُقدًا، أنشبت أظفاري في ذراعي المرتجفة، لا بد أن أخرج هذا الفيروس من جسدي، أحتاج إلى أن أنتزع ذلك الإحساس الغادر من جلدي.

*يا «عنان»، ركز.*

ضغطت على قطعة السينيت الخاصة بأبي بقوة كادت تنكسر لها مفاصل أصابعي، لقد أقسمت له إنني مستعد، لكن كيف بحق السماوات يمكن أن أكون مستعدًّا؟

همست مرة ثانية، مجمِّعًا كل القطع مثل قطع اللعب: «عد حتى عشرة». وحين همست «خمسة» بصوت كالصفير، صدمتني حقيقة مرعبة: «اللفافة في حوزة الفتاة الربانية».

الشرارة التي شعرت بها حين احتكت بي، الطاقة الكهربية التي سرت خلال أوردتي، وحين التقت أعيننا.

*اللعنة.*

لا بد أنها أصابتني بالعدوى.

اضطربت معدتي بشعور من الغثيان. قبل أن أتمكن من إيقاف نفسي، كانت سمكة أبي سيف المشوية التي تناولتها في ذلك الصباح تشق طريقها إلى أعلى، انحنيت حين شعرت بالقيء يحرق حلقومي ويسقط متناثرًا على الرمل.

«عنان!». تغضَّن أنف «كايا» وأنا أسعل؛ دليلًا على القلق الذي طغى عليه شعور بالاشمئزاز، ربما تكون قد ظنت أن بي ضعفًا، لكن هذا أفضل من أن تكتشف الحقيقة.

كورت قبضتي، وأنا شبه متيقن من أني أشعر بالسحر يهاجم دمي، إذا كان الماجي يمكن أن تصيبنا عدواه، فسيهزموننا قبل أن تاح لنا فرصة إخراجهم.

« لقد كانت هنا». مسحت فمي بظاهر يدي. «اللفافة مع الربانية، ينبغي أن حدد موقعها قبل أن تؤذي أحدًا آخر».

«ماذا؟». انعقد حاجبا «كايا». «كيف عرفت هذا؟».

فتحت فمي لأشرح الأمر حين ثار الشعور الواخز المقزز تحت فروة رأسي مرة أخرى. استدرت. تزايد الشعور بالوخز... وبلغ أوج قوته حين وليت وجهي ناحية الغابة الجنوبية.

ورغم أن الهواء كانت تفوح منه رائحة اللحم المتفحم والدخان الأسود، فقد التقطت الرائحة العابرة للبحر مرة أخرى، إنها هي، لا بد أنها هي مختبئة بين الأشجار.

قالت «كايا» بانفعال: «عنان، ماذا تعني؟ كيف علمت أنها هنا؟».

أُحكمت قبضتي حول قطعة اللعب المشوهة، وترك ملمسها براحة يدي حكة، هذه الكلمة توحي بمعانٍ أقذر من كلمة الدودة، إذا كنت لا أكاد أستوعب الفكرة، فكيف سيكون رد فعل «كايا»؟

كذبت قائلًا: «قروي أخبرني أنهم رحلو ا إلى الجنوب».

«أين القروي لآن؟».

أشرت بشكل أعمى إلى جثة، لكن إصبعي هبط على الجثة المحترقة لطفل. انطلقت سحابة فيروزية أخرى نحوي، عامرة بإكليل الجبل والرماد، وقبل أن أتمكن من الهرب، مرت السحابة من يدي بحرارة مؤلمة، تلاشى العالم في جدار من النيران، نزفت الصرخات في أذني.

«أغيثوني..».

«عنان!».

عدت إلى الواقع على حين غرة، سَرَت موجة باردة على حذائي.

*الشاطئ*، اعتصرت قطعة اللعب، *ما زلت على الشاطئ*.

سألَت «كايا»: «ماذا حدث؟ كنتَ تَئِن..».

تلفتُّ حولي باحثًا عن الفتاة، لا بد أنها هي التي وراء هذا، إنها تستخدم سحرها اللعين في ملء عقلي بالأصوات.

«عنان..».

«ينبغي أن نستجوبهم». تجاهلت القلق الذي في عيني «كايا»، إن كان أحد القرويين يعرف إلى أين تتجهان، فقد يكون هناك آخر لديه معلومات أيضًا».

ترددت «كايا» وزمّت شفتيها، ربما كانت تريد الاصطياد، لكن واجبها كأميرال يأتي أولًا، وسيظل هكذا دائمًا.

سرنا إلى القرويين الناجين، وركزت على الموج لتجاهل صرخاتهم، لكن الصيحات كانت تتزايد كلما اقتربنا.

*سبعة*... رحت أعد في رأسي. *ثمانية*... *تسعة*....

انا ابن حاكم أوريشا الأعظم.

انا ملكهم القادم.

«الهدوء!».

جلجل صوتي في الليل بقوة لا يبدو أنها تنبع مني، حتى «كايا» نظرت إليّ بدهشة بينما هدأت الصيحات حتى تلاشت.

«نحن نبحث عن زالي أديبولا، لقد سرقت شيئًا قيّمًا من البلاط، وقد علمنا أنها متجهة إلى الجنوب، والآن نريد أن نعرف لماذا».

تفحصت الوجوه السمراء لمن يتعمدون ألا تلتقي أعينهم بعيني، باحثًا عن أي دليل على الحقيقة، كان الهواء كثيفًا بخوفهم مثل الرطوبة، وتسرب الخوف إلى جلدي.

«... *أرجوك أيتها الآلهة* ...».

«... *إنه إن قتلني*...».

«... *بحق الآلهة هل سرقتْ* ...».

كاد قلبي يقفز من بين أضلعي وأصواتهم تهجم على نحو متقطع، في صورة أفكار مبتورة تنذر بأن تقهرني. المزيد من السحب الفيروزية تتصاعد في الهواء، وتندفع نحوي مثل الزنابير. بدأت في السقوط إلى الخلف في ظلام عقلي.

«أجيبوه!».

الشكر للسماوات، أعادني صوت «كايا» المرتفع إلى الواقع.

طرفت عيني وتشبثت بمقبض سيفي.

سحقني المعدن الأملس بواقعه.

بمرور الوقت، تلاشى خوفهم، لكن ظل شعورهم الموهِن....

دمدمت «كايا»: «لقد قلت *أجيبوه*، لا تجعلوني أكرر ما أقوله».

ظلت نظرة القرويين مثبتة على الأرض.

مع استمرار صمتهم، اندفعت «كايا» إلى الأمام.

تعالت الصرخات وهي تقبض على عجوز من شعرها الأشيب، سحبت «كايا» المرأة المُعِيلة في الرمال.

«أميرال...». اختنق صوتي و «كايا» تجرد سيفها، وضعت النصل على رقبة المرأة المجعدة. سقطت قطرة دم واحدة على الأرض.

قالت «كايا» بصوت كالصفير: «تريدون أن تظلوا صامتين؟ ابقوا صامتين وستموتون!».

صاحت فتاة صغيرة: «نحن لا نعرف شيئًا». تجمد كل من على الشاطئ.

كانت يدا الفتاة ترتعشان، فدفعت بهما في الرمل.

«يمكننا أن ندلك على أخيها وأبيها، يمكننا أن نخبرك عن مهارتها في استخدام الهراوة. لكن لا توجد نفسٌ في إيلورين تعلم أين ذهبت أو لماذا».

صوبت نحو «كايا» نظرة صارمة، فأنزلَت المرأةَ مثل دمية من قاش قديم، مشيت متثاقلًا خلال الرمال الرطبة حتى وصلت إلى الفتاة.

تزايد ارتعاشها وأنا أقترب منها، لكن لا يمكنني أن أحكم إن كان هذا من خوفها أم من برودة موجات الليل التي تلعق ركبتيها. لم تكن ترتدي سوى منامة مشبعة بالمياه، ممزقة وبالية حول جسدها.

«ما اسمك؟».

في هذا الموقع القريب منها، رأيت بشرتها البنية بلون أشجار البلوط بارزة في مقابل تدرجات اللون الكستنائي والبني الضارب إلى الحمرة الأكثر دكنة للقرويين، ربما يكون في دمائها بعض النبل، قد تكون من أب كان يلعب بذيله.

حين لم تجب، انحنيت محتفظًا بانخفاض صوتي: «كلما كانت إجابتك سريعة، كان انصرافك سريعًا».

قالت «يامي» بصوت مختنق، وكانت يداها تقبضان على الرمل وهي تتحدث: «سوف أخبرك بكل شيء تريد معرفته، لكن ما عليك إلا أن تتركنا لحالنا».

أومأت، هذا تنازل بسيط بغض النظر عن أداء الواجب، لا أريد أن أرى المزيد من الجثث.

لا يمكنني أن أسمع مزيدًا من الصرخات.

مددت يدي إلى أسفل وحللت الحبل الذي يربط معصميها، فأجفلتها لمستي: «أعطنا المعلومات التي نحتاج إليها وأعدك بأن يكون قومك آمنين».

«آمنين؟».

نظرت «يامي» في عيني بكراهية طعنتني كالسيف.

رغم أنها لم تفتح فمها، كان صوتها يرن في رأسي:

«*لقد انتهى الأمان منذ زمن طويل*».

# الفصل الثاني عشر

# زالي

***آلمتني*** عيناي بعد ساعات من البكاء الصامت حين أوقفنا «نائلة» لإراحتها، ولم تمر خمس ثوانٍ حتى كانت قد أغفت هي و «زين» على الأرض المغطاة بالطحالب، فرارًا من واقعنا المحطم إلى أمَنة النعاس.

فحصت «أماري» الأرض وهي ترتجف من برد الغابة، في النهاية وضعت عباءتها ونامت عليها، وكأن كبرياءها الملكية جعلتها تضِنُّ على الأرض برأسها العاري، حدقت فيها متذكرة مدى قربها من النيران حين جررتها إليها. تبدو الذكرى بعيدة الآن، وكأن شخصًا آخر كان يحمل كل هذه الكراهية، والآن ليس بي سوى غضب هادئ يغلي برفق، غضب لا أشعر بضيق لوجوده، أستطيع أن أراهن بخمسمائة قطعة من الفضة أنها لن تعيش يومًا آخر.

تدثرت بعباءتي واحتضنت ظهر «نائلة»، مستمتعة بنعومة الفرو على بشرتي، ومن خلال الأوراق التي تلقي بظلالها على الأرض، كانت السماء العامرة بالنجوم تعيد تأجيج سحر رؤيا «ماما أجبا» في ذهني.

همست لنفسي: «لقد عاد». ورغم ما شهده اليوم من حماقات، تظل تلك الحقيقة الأصعب في التصديق، يمكننا استعادة سحرنا.

يمكننا أن ننتعش مرة أخرى.

«أويا...».

همست باسم إلهة الموت والحياة، شقيقتي المعبودة التي منحتني هبة السحر في طفولتي، كنت كثيرًا ما أناديها وكأنها تنام في مهدي، لكن الآن وأنا أبحث عن كلمات أدعو بها، لا أعرف ماذا أقول.

«*با ماي سورو*». حاولت، لكن هذا يفتقر إلى ما كانت أنشودة «ماما أجبا» تتسم به من إقناع وقوة، كانت تؤمن بصلتها مع «أوريونميلا» لدرجة أن بإمكانها استدعاء شعور مسبق. الآن، أريد فقط أن أومن بأن شخصًا ما هناك في الأعالي.

دعوت بدلًا من ذلك: «*ران ماي لا وو».أغيثيني*، هذه العبارة تبدو أكثر واقعية بدرجة كبيرة، وتلائمني بشكل كبير «ماما أجبا تقول إنك اخترتني. وبابا يتفق معها، لكنني... خائفة، هذا الأمر مهم جدًّا، ولا أريد أن أفسده».

التعبير عن هذا بصوت مرتفع جعل الخوف ملموسًا، كثقل جديد معلق في الهواء، لم أتمكن من حماية بابا، كيف يظن بي أن أنقذ الماجي؟

لكن مع التنفيس عن الخوف، شعرت بالراحة وإن كانت قليلة للغاية، تريحني فكرة أن تكون «أويا» هنا إلى جانبي، ولا يعلم سوى الآلهة كيف يمكنني أن أجتاز هذا بدونها.

قلت مرة أخرى: «فقط أغيثيني، *ران ماي لاوو*. من فضلك، حافظي على سلامة بابا بغض النظر عما يحدث، اجعليه وماما أجبا بخير».

لعدم معرفتي بما يمكنني قوله غير ما قلت، خفضت رأسي، ورغم إحساسي بالتيبس، شعرت وكأنني أرى دعواتي تعرج إلى السماء، تمسكت بلحظة الرضا الوجيزة التي منحني إياها هذا الشعور، فجعلتها تطفو فوق الألم والحزن، تمسكت بتلك اللحظة إلى أن احتضنتني بين ذراعيها، وصارت تهدهدني حتى استسلمت للنوم.



حين *استيقظت*، بدا لي أن هناك ما يريب، أن شيئًا غير طبيعي قد حدث، وأنه ليس صوابًا ألبتة.

نهضت متوقعة أن أجد «نائلة» نائمة، لكن لم يكن لها أي أثر يُرى. اختفت الغابة، فلا أشجار، ولا طحالب. بدلًا من ذلك، كنت أجلس في حقل من سيقان الخيزران الشاهقة التي تدوي بصفير الريح في الهواء.

همست: «ما هذا؟». وقد أربكني الإحساس الجديد والضوء.

نزلت بنظري إلى يدي ثم رفعت رأسي مرة أخرى بغتة، لا توجد ندوب أو حروق تلطخ يدي، كانت يدي خالية من كل شيء مثلما كانت يوم وُلدت.

نهضت في حقل الخيزران اللانهائي الذي يمتد طولًا وعرضًا، وحتى حين وقفت على قدمي، كانت الجذوع والأوراق أعلى مني بكثير.

في البُعد، صارت النباتات مبهمة، متلاشية إلى اللون الأبيض عند خط الأفق، وبدا الأمر كأنني أتجول في لوحة فنية بلا نهاية، محاصرة داخل خيزرانها المرسوم على الخيش، لم أكن نائمة، وكذلك لست مستيقظة.

أنا هائمة في عالم سحري بين النوم واليقظة.

تحرك الطين تحت قدمي وأنا أسير خلال النباتات السماوية.
بدت الدقائق وكأنها ساعات، ومع ذلك فإن الوقت لا يهمني في هذا التشوش، كان الهواء باردًا ومنعشًا، مثل جبال إبدان حيث نشأت. قلت في نفسي: *إن هذا قد يكون حرمًا*، قد يكون هبة للراحة من الآلهة.
كنت مستعدة لاعتناق الفكرة حين استشعرت وجود شخص آخر، توقف قلبي حين استدرت، بدا أن تنفسي توقف تمامًا حين ظهرت لي الحقيقة.
أدركت التوقد في عينيه الكهرمانيتين أولًا، في نظرة لا يمكنني أن أنساها بعد اليوم، لكن الآن بينما يقف ساكناً بدون سيف أو غير محاط بألسنة اللهب، تبينت انحناء عضلاته، واللون الزاهي لبشرته النحاسية، والخيط الأبيض الغريب الذي في شعره. حين يكون بهذا السكون، تكون الملامح التي يتشابه فيها مع «أماري» صارخة، من المستحيل أن تخطئها العين، *إنه ليس القائد فحسب*....
إنه الأمير.
ظل يحدق بي لفترة طويلة، وكأنني جثة قامت من بين الأموات، لكنه بعد ذلك كور قبضتيه: «أطلقي سراحي من هذا السجن حالًا».
«أُطلق سراحَك؟». انعقد حاجباي في ارتباك: «أنا لم أفعل هذا!».
«هل تتوقعين مني أن أصدق هذا؟ حتى وأنا أرى وجهك اللعين في عقلي طوال اليوم؟». مدَّ يده نحو سيفه، لكنه لم يجد شيئًا.
للمرة الأولى، لاحظت أن كلينا يرتدي ملابس بيضاء بسيطة، عرضة للهجوم بدون أسلحتنا.
سألت ببطء: «وجهي؟».
قال الأمير منفعلًا: «لا تتظاهري بالجهل، لقد شعرت بما فعلته بي في لاجوس، وتلك... تلك *الأصوات*، وتلك الهجمات التي حدثت دفعة واحدة، أوقفي تلك الهجمات فورًا، أوقفيها وإلا فستدفعين الثمن!
كان غضبه مشوبًا بحرارة قاتلة، لكن نبرة التهديد تلاشت وأنا أتدبر كلماته، إنه يظن أنني جئت به إلى هنا، ويظن أن هذه المقابلة بإرادتي.
*مستحيل*، رغم أنني كنت أصغر من أن تعلمني ماما سحر الموت، رأيته يتكشف، كان السحر يأتي في الأرواح الباردة والسهام الحادة والظلال الملتوية، لكنه لم يأتِ في الأحلام قط، إنني لم ألمس اللفافة حتى بعد أن هربنا من لاجوس، بعد أن التقت أعيننا وشعرت بطاقة كهربية تدغدغ

جلدي، إن كان السحر قد جاء بنا إلى هنا، فلا يمكن أن يكون سحري، لا بد أنه...».

«أنت».

شهقت في ذهول، كيف يمكن هذا؟ لقد فقدت الأسرة المالكة السحر منذ أجيال مضت، لم يلمس أحد من الماجي العرش منذ سنوات.

«أنا ماذا؟».

عادت عيناي إلى الخط الأبيض في شعره، والذي يمتد من صدغه حتى قفاه.

«أنت فعلت هذا، *أنت* جئت بي إلى *هنا*».

تيبست كل عضلة في جسم الأمير، واستحال الغضب الذي في عينيه إلى رعب، هبت نسمة باردة بيننا، وسيقان الخيزران تتمايل في صمت.

قال حاسمًا أمره: «كاذبة، أنت تحاولين فقط أن تدخلي في عقلي».

«لا، أيها الأمير الصغير، إنك أنت الذي دخلت في عقلي».

طَفَت على سطح ذاكرتي قصص أمي القديمة، وحكاويها عن القبائل العشر والسحر المختلف الذي يمكن لكل منها تسخيره. في طفولتي، كان الحَصَدةُ مثل ماما هم الذين أريد معلومات عنهم، لكنها كانت تصر على أن أعرف كلًّا من القبائل الأخرى بنفس القدر، كانت تحذرني دائمًا من الواصلين، الماجي الذين يسخرون قوة السيطرة على العقل والروح والأحلام، *هؤلاء هم من ينبغي أن تنتبهي* لهم يا صغيري «زيل»، *إنهم يستخدمون السحر في اقتحام عقلك*.

جمدت الذكرى دمي، لكن الأمير كان أكثر ذهولًا من أن يكون ذا قدرات مخيفة، وبهذه الطريقة التي يحدق بها في يديه المرتعشتين، بدا وكأنه يفضل أن ينهي حياته بيده على أن يستخدم السحر في مطاردة سحري.

لكن كيف يمكن أن يحدث هذا؟ إن الربانيين يتم اختيارهم بواسطة الآلهة عند الميلاد. لم يولد الأمير ربانيًا، والكوسيدي لا يستطيع اكتساب السحر، كيف صار الآن من الماجي على حين غرة؟!

نظرت إلى العناصر المحيطة بي، متمعنة في تأثير قدراته الواصلة، كانت سيقان الخيزران تتمايل في الريح غير مدركة للمستحيلات التي تتفجر من حولنا.

إن القدرة المطلوبة لفعل كهذا غير متصورة، حتى الواصل المحنَّك يحتاج إلى تعويذة لفعل هذا، كيف أمكنه تذليل الآشي في دمه لفعل هذا

بينما هو لا يدرك أنه من الماجي؟ ما الذي يحدث بحق الآلهة؟

عادت عيناي إلى الخط الأبيض المتعرج الممتد خلال شعر الأمير، العلامة الحقيقية الوحيدة الدالة على الماجي. إن شعرنا دائمًا يكون صارخ البياض مثل الثلوج التي تغطي قمم جبال إبدان، وهذه علامة شديدة الثبات، لدرجة أن أكثر الصبغات سوادًا لا يمكنها إخفاء شعر الماجي لأكثر من بضع ساعات. ورغم أنني لم أرَ خطًّا كهذا بين الماجي أو الربانيين، لا يمكنني إنكار وجوده، فهو يعكس بياض شعري على كل حال.

لكن ما الذي تعنيه؟ نظرت إلى السماوات. ما هي اللعبة التي تلعبها الآلهة؟ ماذا لو لم يكن الأمير وحده؟ إذا كانت الأسرة المالكة تستعيد سحرها....

*لا.*

لا يمكن أن أدع الخوف يفقدني السيطرة على زمام الأمور.

لو كانت الأسرة المالكة تستعيد سحرها، لعرفنا هذا بالفعل.

أخذت نفسًا عميقًا، كابحة عقلي قبل أن يذهب إلى ما هو أبعد، كانت اللفافة مع «أماري» في لاجوس، وقد اصطدمت بأخيها حين كنا نهرب به، ورغم أنني لا أفهم لماذا، فلا بد أن ما حدث قد حدث حينئذٍ. «عنان» أيقظ قدراته بنفس الطريقة التي أيقظت بها قدراتي... بلمس تلك اللفافة اللعينة.

ذكرت نفسي *بأن الملك قد لمس اللفافة*، وكذلك «أماري»، وربما الأميرال أيضًا. ولكن لم تستيقظ لديهم أية قدرات، هذا السحر يكمن لديه فقط.

«هل يعرف والدك؟».

ومضت عينا الأمير، فأدركت الإجابة التي أريدها.

تكلفت الابتسام وأنا أقول: «بالطبع لا. لو كان الملك يعرف، لكنت الآن ميتًا بالفعل».

شحب وجهه، وكان شحوبه كاملًا على نحو جعلني أكاد أضحك، كم من الماجي سقطوا على يديه... ذُبحوا، أهينوا، استغلوا؟ كم حياة أنهاها ليدمر نفس السحر الذي يسري الآن في أوردته؟

خطوت نحو الأمير وقلت: «سأعقد صفقة معك. اتركني وشأني وسوف أكتم سرك الصغير. لن يعرف أحد أنك مجرد ساحر قذ...».

اندفع الأمير إلى الأمام.

في لحظة كانت قبضته تحيط برقبتي، والتالية...

فتحت عيني *على اتساعهما*. التقطت أذني الصوت المألوف لصراصير الليل وأوراق الشجر المتراقصة. تردد صوت شخير «زين» منتظمًا وحقيقيًّا بينما كانت «نائلة» تعدل من وضع جسدها إلى جانبي.

انتفضت إلى الأمام وقبضت على هراوتي لمحاربة عدو غير موجود.

رغم أني تفحصت الأشجار، استغرق الأمر بضع لحظات لأقنع نفسي أن الأمير لن يظهر.

استنشقت الهواء الرطب شهيقًا وزفيرًا في محاولة لتهدئة أعصابي. رقدت وأغمضت عيني، لكن النوم لم يعد بسهولة. ولست واثقة إذا كان سيعود بسهولة بعد ذلك. أنا الآن أعرف سر الأمير. الآن لن يوقفه إلا موتي.

# الفصل الثالث عشر

# زالي

***عندما استيقظت*** في صباح اليوم التالي، كنت أكثر إرهاقًا مما كنت عليه عندما ذهبت للنوم.

أشعر كأنني سُرقت، كأن لصًا ذهب بأحلامي.

في المعتاد يكون السُّبات هروبًا، استراحة من البؤس الذي أواجهه عندما استيقظ، ولكن حين كانت كل أحلامي تنتهي بيدي الأمير الملفوفتين حول حلقي، صارت الكوابيس مؤلمة مثل الواقع سواء بسواء.

دمدمت بسخط، إنها مجرد أحلام، ماذا عليَّ أن أخاف؟ حتى لو كان سحره قويًا، تعلم الآلهة أنه مرعوب لدرجة تحول دون استخدامه له.

كان «زين» يصيح عبر الأرض الصغيرة الخالية من الشجر وهو يكيل الضربة تلو الضربة بتركيز لا يتزعزع، متمرنًا كما لو كان هذا هو تدريبه الصباحي المعتاد، باستثناء أنه لن يمارس تدريبًا آخر هذا العام، بسببي، قد لا يلعب الأجبون مرة أخرى.

شعوري بالذنب يزيد من إرهاقي، ويجذبني مرة أخرى إلى الأرض، يمكنني أن أعتذر بقية أيام حياتي، ولن يكون ذلك كافيًا، لكن قبل أن أغرق أكثر في شعوري بالذنب، جذبتْ عينيَّ حركةٌ مضطربة. كانت «أماري» تتقلب في عباءة بنية كبيرة، مستيقظة من سُباتها الملكي، أثار المشهد طعم المرارة في فمي، وأعاد إلى ذهني صورة «عنان».

في ضوء معرفتي لعائلتها، كنت مندهشة أنها لم تقطع رقابنا ونحن نيام.

بحثت في شعرها الداكن عن خط مطابق لأخيها، واسترخت عضلاتي عندما لم أجد شيئًا من ذلك، ولا يعلم سوى الآلهة كم كانت الأمور ستزداد سوءًا لو أنها استطاعت أن تحبسني داخل رأسها أيضًا، وما زلت أحدق في «أماري» حتى تعرفت على العباءة التي تستخدمها كبطانية. نهضت وتكومت إلى جانب «زين».

«ما هذا الذي تفعل؟!».

تجاهلني واستمر في ممارسة الرياضة، وكانت الهالات التي تحت عينيه تحذرني كي أتركه وشأنه، لكن غضبي كان أشد من أن أتوقف الآن.

همست بصوت كالصفير: «عباءتك، لماذا أعطيتها لها؟».

وجه «زين» ضربتين أخريين قبل أن يتمتم: «لقد كانت ترتجف».

«*ثم ماذا؟*».

رد بقوة: «ثم ماذا؟ ليس لدينا أي فكرة عن المدة التي ستستغرقها هذه الرحلة، وآخر شيء نحتاج إليه هو أن تمرض».

«أنت تعرف أنها معتادة على ذلك، أليس كذلك؟ كيف لمن يكون مثلك أن يضمن لها تحقيق ما تريد؟».

«زيل! كانت تشعر بالبرد ولم أكن أستخدم عباءتي، هذا كل ما في الأمر».

استدرت مرة أخرى نحو «أماري» محاولة التخلص من هواجسي، ولكن في عينيها رأيت عيني أخيها، شعرت بيديه حول رقبتي.

«أريد أن أثق بها».

« لا، أنت لا تريدين ذلك».

«حسنًا، حتى لو أردت، ما أمكنني ذلك، والدها أمر بالغارة، وشقيقها أحرق قريتنا، ما الذي يجعلك تعتقد أنها مختلفة؟».

«زيل...». خفت صوت «زين» مع اقتراب «أماري»، رقيقة ورزينة كما هي دائمًا، ليست لدي أي طريقة لمعرفة ما إذا كانت سمعتنا أم لا، في كلتا الحالتين لا يمكنني أن أتظاهر بالاهتمام.

أعطته العباءة قائلة: «أعتقد أن هذه لك، أشكرك».

قال لها «زين»: «لا عليك». وأخذ العباءة وطواها ووضعها في حقيبته. «سيكون الجو أكثر دفئًا عندما ندخل الغابة، ولكن أخبريني إن احتجتِ إليها مرة أخرى».

ابتسمت «أماري» لأول مرة منذ التقينا، وتصلبت ملامحي حين رأيت «زين» يرد الابتسامة بمثلها، ينبغي أن يكون الأمر أبعد من وجه صبوح بالنسبة له حتى ينسى أنها ابنة وحش.

سألت: «هل هذا كل شيء؟».

«إمم، حسنًا، في الواقع...». زاد صوتها هدوءًا، «كنت فقط أتساءل... ما الذي نخطط للقيام به؟ إمم...».

أفلتت قرقرة طويلة من معدة «أماري»، تضرج خداها بحمرة الخجل، ووضعت يدها على بطنها النحيل، وفشلت في كبت قرقرة أخرى.

اعتذرت وقالت: «كل ما أكلته بالأمس كان رغيفًا من الخبز».

«رغيف كامل؟». سال لعابي لهذا الخاطر، لقد مرت شهور دون أن أحصل على شريحة جيدة، هذا رغم أنني لا أتخيل أن الطوب العتيق الذي نحصل عليه بالمقايضة من السوق يمكن أن يُقارن برغيف طازج من المطبخ الملكي.

كنت أتوق لتذكير «أماري» بحظوظها الجيدة، لكن معدتي هي الأخرى بدأت تتقلب وتضطرب من خوائها، فقد مرَّ أمس دون وجبة واحدة، إن لم آكل سريعًا، فستتذمر معدتي أيضًا.

بحث «زين» في جيوب سِرْواله الأسود وسحب خريطة «ماما أجبا» الذابلة، تبعنا إصبعه وهو يمر على الساحل من إيلورين، وتوقف مباشرة خارج نقطة تدل على مستعمرة سوكوتو.

«نحن تفصلنا ساعة تقريبًا عن هذا المكان، وهو أفضل مكان للتوقف قبل أن نتجه شرقًا إلى شاندومبلي، سنجد هناك تجارًا وطعامًا، ولكننا بحاجة لشيء نبادله».

«ماذا حدث للعملات التي حصلت عليها مقابل سمكة أبي شراع؟».

أفرغ «زين» حقيبتي، تأوهت حين سقطت بضع عملات فضية وغطاء رأس «أماري» على الأرض. تنهد «زين» قائلًا: «لقد ضاع معظمها في النار».

سألت «أماري»: «ماذا يمكننا أن نبادل؟».

حدق «زين» في حسن ملابسها، والتي ينم طرازها الأنيق وطولها وبطانتها الحريرية، حتى في وجود بقع الطين وبضعة آثار حروق، عن أصول نبيلة صارخة.

تابعت «أماري» عيني «زين» وانعقد حاجباها: «لا يمكن أن تكون جادًّا».

تدخلت بقولي: «يمكن استبدالها بعدد معقول من العملات، ونحن ذاهبون إلى الغابة، بحق الآلهة. لن يمكنك النجاة إن ارتديت هذه الملابس».

فحصت «أماري» سروالي المجعَّد والداشيكي القصير الخاص بي، متشبثة بقماش ثوبها بقوة أكبر. كنت مندهشة من أنها تعتقد أنها مختارة

بينما يمكنني أن أسقطها أرضًا وأقطعه بسهولة.

«لكن ماذا سأرتدي؟».

«عباءتك». أشرت إلى الثوب البني الرث: «سوف نستبدل الثوب ببعض الطعام ونحصل على ملابس جديدة في الطريق».

تراجعت «أماري» ونظرت إلى الأرض.

«كنت على استعداد للتهرب من حراس والدك لحفظ اللفافة، لكن لا يمكنك أن تتخلي عن ثوبك الغبي!».

«لم أخاطر بكل شيء من أجل اللفافة». انكسر صوت «أماري»، للحظة لمعت عيناها بنُذُر البكاء: «والدي قتل أعز أصدقائي».

«أعز أصدقائك أم خادمتك؟».

ناداني «زين» محذرًا.

«ماذا؟». استدرت ناحيته: «هل أعز أصدقائك يكوون ملابسك ويصنعون طعامك بدون أجر؟». احمرت أذنا «أماري»: «لقد كانت بينتا تأخذ أجرًا».

«أجر هائل، بالتأكيد».

«أنا أحاول مساعدتك». أمسكت «أماري» بتنورة فستانها: «لقد تخليت عن *كل* شيء لمساعدتكم أيها الناس...».

قلت وأنا أغلي: «أنتم أيها الناس؟».

«يمكننا إنقاذ الربانيين...».

«تريدين إنقاذ الربانيين، لكنك ترفضين بيع ثوبك اللعين».

«حسنًا!». طوحت «أماري» بيديها في الهواء «اللعنة، سأفعل ذلك، أنا لم أقل لا قطُّ».

«أوه، شكرًا لك، أيتها الأميرة الكريمة، منقذة الماجي!».

«كُفِّي عن هذا». لكزني «زين» بينما كانت «أماري» تسير خلف «نائلة» لتغير ثيابها، تحركت أصابعها الرقيقة إلى الأزرار الموجودة على ظهرها، لكنها ترددت ناظرة عبر كتفها، دارت عيناي في محجريهما وأنا و «زين» ننظر إلى الناحية الأخرى.

*أميرة*.

«ينبغي أن تقلعي عن هذا». دمدم «زين» ونحن أمام أشجار الماهوجني المحلية التي تحف بغابات سوكوتو النابضة بالحياة. كانت عائلة صغيرة

من حيوانات البابونيم ذات المؤخرة الزرقاء تتأرجح متدلية من الفروع، وتهز الأوراق اللامعة في مرورها منها.

«إن كانت لا تعرف كيف تتصرف في وجود ربانية ليست عبدة عند والدها، فلها الحرية في أن تعود إلى قصرها اللطيف».

«إنها لم تفعل أي خطأ قط».

«وهي لم تفعل أي صواب كذلك».

لكزت «زين» بدوري. لماذا يصر بهذا الشكل على الدفاع عنها؟ كأنه حقًّا يعتقد أنها تستحق ما هو أفضل، وكأنها ضحية بشكل أو بآخر.

«أنا آخر شخص يمكن أن يعطي فرصة لأحد من النبلاء، لكن انظري إليها يا زيل، لقد فقدت لتوها أعز صديقاتها، وبدلًا من الحداد، ها هي تخاطر بحياتها لمساعدة الماجي والربانيين».

«هل يفترض أن أشعر بالضيق لأن والدها قتل خادمة الماجي الوحيدة التي أحبتها؟ أين كان غضبها كل هذه السنوات؟ أين كانت بعد الغارة؟».

«لقد كانت في السادسة من عمرها». حافظ «زين» على نبرته محايدة: «طفلة، مثلك تمامًا».

«إلا أنها حصلت على قبلة من والدتها تلك الليلة، لكننا لم ننل ذلك».

استدرت لأركب «نائلة»، شاعرة أنني أعطيت «أماري» وقتًا كافيًا، لكن عندما نظرت إليها، كان ظهرها العاري لا يزال مكشوفًا.

«بحق الآلهة...».

ترنح قلبي حين اكتشفت الندبة البشعة البارزة بطول العمود الفقري لـ «أماري»، كانت العلامة تقطع بشرتها بشكل متعرج، على نحو مروِّع جعل بشرتي نفسها ترتعش من الألم.

«ماذا؟».

استدار «زين» قبل أن تلتفت «أماري»، وتنفَّس بعمق حين رأى العلامة. حتى الندوب التي تغطي ظهر بابا لا يبلغ مظهرها نصف بشاعة ما لديها.

«كيف تجرؤان!». اندفعت «أماري» تغطي نفسها بالعباءة.

قلت بسرعة: «لم أكن أحاول أن أختلس النظر، أعدك، لكن... بحق الآلهة، ماذا حدث يا أماري؟!».

«لا شيء، حادثٌ جرى حين كنت أنا وأخي صغيرين».

تدلى فك زين «أخوك فعل هذا بك؟».

«لا! ليس عمدًا، لم أكن... هو لم يفعل...». توقفت أماري، مرتجفة بانفعالات لا أستطيع أن أتبين مصدرها «أردتما ثوبي، ها هو، هيا بنا نستبدله ونواصل ما نحن بصدده!».

قربت عباءتها من جسدها واعتلت ظهر «نائلة»، مخفية وجهها، وبدون أن يكون لدينا شيء آخر لنقوله، لم يكن أمامنا أنا و «زين» خيار سوى أن نحذو حذوها.

غمغم «زين» باعتذار قبل أن يحث «نائلة» على السير، حاولت الاعتذار أنا أيضًا، ولكن الكلمات توقفت حين نظرت إلى ظهرها الذي تغطيه العباءة.

*يا للآلهة!*

لا أريد أن أتخيل الندوب الأخرى المختفية في كل بشرتها.

كان الجو دافئًا حين وصلنا إلى الجزء الخالي من الأشجار في الغابة والذي يميز مستعمرة سوكوتو. كان أطفال كوسيديون يجرون بمحاذاة ضفة البحيرة كالكريستال، وهم يشقشقون في مرح حين سقطت فتاة في البحيرة، وكان المسافرون يقيمون معسكرًا بين الأشجار والبقاع الموحلة، وعربات التجار ومركباتهم تعرض بضاعتها على طول الشاطئ الصخري، وقد اجتاحتني رائحة لحم الأنتيلوبنتاي المتبل في إحدى العربات، وهو ما جعل معدتي تقرقر.

قيل لي دائمًا قبل الغارة: إن سوكوتو كانت موطنًا لأفضل المعالجين، وكان الناس يسافرون من جميع أنحاء أوريشا، على أمل أن يتم علاجهم بلمسة من سحرهم، وبينما كنت أفحص المسافرين، حاولت أن أتخيل كيف يبدو هذا، لو بابا لا يزال معنا، لراق له هذا، في لحظة لجوء بعد فقدان منزلنا.

قالت «أماري» بصوت خفيض: «مكان سلمي للغاية». وهي متشبثة بثوبها في أثناء نزولنا عن «نائلة».

سألها «زين»: «ألم تأتي إلى هنا من قبل؟».

هزت رأسها: «لقد غادرت القصر بالكاد».

على الرغم من أن الهواء المنعش كان يملأ رئتي في أثناء السير، أعاد المنظر إحياء ذكرى اللحم المحترق، في البحيرة رأيت الموجات الهادئة للسوق العائمة في بلدي، وقارب جوز الهند الذي يجب أن أكون به وأنا

أكافح مع «كانا» من أجل حزمة من لسان الحمل، لكن مثل إيلورين، ذهب السوق، واحترق كل شيء في قاع البحر، ظلت الذكريات مستقرة بين الأخشاب المتفحمة.

قطعة أخرى مني تستحوذ عليها الأسرة المالكة.

قال «زين»: «قوما باستبدال الثوب، وسوق آخذ نائلة للحصول على مشروب، ولتحاولا العثور على بضعة أماكن لبيع الطعام».

أزعجني احتمال الاستبدال مع «أماري»، لكنني علمت أنها لن تترك جانبي حتى تحصل على ملابس جديدة، فارقنا «زين»، وسرنا خلال مواقع المعسكر نحو صف عربات التجار.

عقدت حاجبي قائلًا: «يمكنك أن تهدئي». كانت «أماري» تجفل لمجرد نظر أي شخص ناحيتها، «إنهم لا يعرفون من أنت، ولا يهتم أحد بعباءتك». «أعرف ذلك». كانت «أماري» تتحدث بسرعة، لكن توترها بدأ يخف، «كل ما في الأمر أنني لم أختلط بأناس كهؤلاء من قبل».

«يا للرعب! هؤلاء أوريشيون ليسوا مكرسين فقط لخدمتك».

تنفست «أماري» بعمق لكنها ابتلعت أي رد، أكاد أشعر بالضيق، أين المتعة إن كانت لا ترد الهجوم؟

«اللعنة، انظري إلى هناك!». أبطأت «أماري» من سيرها ونحن نمرُّ بزوجين يقيمان خيمتهما، كان الرجل يستخدم الكروم لربط العشرات من الفروع الطويلة الرفيعة في مخروط، بينما شريكته تصنع طبقة واقية بتكوين كومة من الطحالب، «هل يستطيع الناس بالفعل أن يناموا في هذه الأماكن؟».

جزء مني يحثني على تجاهلها، لكنها كانت تحدق في الخيمة البسيطة وكأنها مصنوعة من الذهب، «لقد اعتدنا بناء هذه الخيم طوال الوقت عندما كنت صغيرة، إذا تم بناؤها بشكل صحيح فإنها تمنع حتى الثلج».

«هل هناك ثلج في إيلورين؟». تألقت عيناها مرة أخرى، وكأن الثلج أسطورة قديمة عن الآلهة، كم هو غريب أنها ولدت لحكم مملكة لم ترها حتى،

أجبت: «في إبدان، حيث كنا نعيش قبل الغارة».

عند ذكر الغارة، صمتت «أماري»، اختفى الفضول من عينيها، قبضت على عباءتها بقوة أكبر وثبتت تركيزها على الأرض.

«هل هذا ما حدث لأمك؟».

تصلبت ملامحي؛ كيف يمكن أن تكون جريئة على سؤال كهذا وهي لا تستطيع أن تطلب طعامًا؟

«أعتذر إن كان في هذا تطفل شديد... كل ما في الأمر أن والدك ذكرها بالأمس».

تخيلت وجه ماما، كان يبدو أن بشرتها الداكنة تتوهج في غياب الشمس، *كانت تحبك بشدة*، كلمات بابا يتردد صداها في ذهني، *لو كانت حية لكانت فخورة جدًّا الآن*.

أجبت أخيرًا: «لقد كانت من الماجي، وكانت قوية في هذا، أبوك محظوظ أنها لم تمارس سحرها خلال الغارة».

عاد عقلي إلى خيال تسخير ماما لسحرها، خيال القوة المميتة بدلًا من الضحية العاجزة، كانت ستنتقم لسقوط الماجي، وهي تجوب شوارع لاجوس مع جيش من القتلى، وكانت هي التي ستحيط رقبة «ساران» بظل أسود.

همست «أماري» بصوت خفيض كدت لا أسمعه: «أعرف أن هذا لن يغيِّر شيئًا، لكني آسفة، إن ألم فقدان شخص تحبينه أمر...». أغمضت عينيها بقوة. قالت: «أعلم أنك تكرهين والدي، وأتفهم لماذا تكرهينني أنا أيضًا».

حين تغلغل الحزن في وجه «أماري»، خفت حدة الكراهية ذاتها التي تتحدث عنها داخلي، ما زلت لا أفهم كيف يمكن أن تكون خادمتها قد مثلت بالنسبة لها أي شيء أكثر من مجرد خادمة، ولكن لا سبيل لإنكار ما تشعر به من أسى.

لا، هززت رأسي بينما عقدة الذنب تتضخم فيما بيننا، سواء كانت حزينة أم لا، لن تبلغ شفقتي، إنها ليست الوحيدة التي تسعى لإشباع فضولها.

«إذن هل كان أخوك دائمًا قاتلًا بلا قلب هكذا؟».

استدارت «أماري» ناحيتي، وقد ارتفع حاجباها دهشةً.

«لا تظني أنك بإمكانك أن تسألي عن والدتي ثم تخفي حقيقة تلك الندبة الفظيعة».

ثبَّتت «أماري» عينيها على عربات التجار، لكن مع ذلك، رأيت الماضي يتراقص خلف عينيها. أجابت أخيرًا: «لم يكن خطأه، لقد أجبرنا والدنا على المبارزة».

«بسيوف فعلية؟» ارتدَّ رأسي إلى الوراء بقوة، لقد جعلتنا «ماما أجبا» نتدرب لسنوات قبل أن يتاح لنا الإمساك بهراوة.

«عائلة والدي الأولى كانت مدللة». صار صوتها بعيدًا، «كانت ضعيفة، وقد قال إنهم ماتوا بسبب هذا، وما كان ليسمح بحدوث نفس الشيء لنا».

كانت تتحدث كما لو أن هذا أمر طبيعي، وكأن كل الآباء المحبين يريقون دم أطفالهم، كنت دائمًا أتصور القصر ملاذًا آمنًا، لكن بحق الآلهة، هل هذا ما كانت عليه حياتها؟

زممت شفتي وقلت: «لا يمكن أن يفعل زين هذا، لا يمكن أن يؤذيني قط».

تصلبت ملامحها وهي تقول: «عنان لم يكن لديه خيار، لديه قلب طيب، كل ما في الأمر أن هناك من أضله».

هززت رأسي، من أين يأتي ولاؤها هذا؟ فيما سبق من حياتي كنت أعتقد أن من ينتمون لأصول نبيلة يتمتعون بالأمان، لم أتخيل أبدًا مدى القسوة التي يمكن للأسرة المالكة أن توقعها بمن ينتمون إليها «أصحاب القلوب الطيبة لا يتركون ندوبًا كهذه، لا يحرقون قرى عن بكرة أبيها».

لا يطوقون رقبتي بأيديهم ويحاولون دفني في الأرض، حين لم ترد «أماري»، علمت أن هذا هو آخر ما سنقوله عن شقيقها، حسنًا، إن لم تقل الحقيقة بشأن «عنان»، فلن أقولها أنا.

ابتلع سره في صمت، بدلًا من التركيز على لحم الأنتيوبنتاي المشوي ونحن نقترب من عربات التجار ومركباتهم، وكنا على وشك الاقتراب من تاجر عجوز لديه بضاعة وفيرة حين تشبثت «أماري» بحقيبتي.

قالت: «لم أشكرك قط على إنقاذ حياتي هناك في لاجوس». وحولت نظرها إلى الأرض ثم تابعت: «لكنك حاولت قتلي مرتين... لذا ربما تلغي هذه تلك؟».

استغرق الأمر ثانيةً كي أدرك أنها تمزح، اندهشت حين وجدت أنني ابتسمتُ، ابتسمتْ للمرة الثانية اليوم وجعلتني أحصل على لمحة من السبب الذي يجعل من الصعب جدًّا على «زين» أن ينظر بعيدًا.

قال كوسيدي عجوز وهو يشير لنا كي نقترب: «آه، سيدتان جميلتان». وتقدم إلى الأمام بينما يلمع شعره الأشيب في ضوء الشمس.

«من فضلكما». اتسعت ابتسامة التاجر وبرزت تجاعيد وجهه المرن، «ادخلا، أعدكما أن تجدا شيئًا يعجبكما».

سرنا إلى الدرجات الأمامية لمركبته التي تسحبها اثنتان من الشيتانيرات الضخمة، تواجه أعينهما أعيننا، مررت بيدي على فرائهما المبرقش، وتوقفت لأفحص بإصبعي أخاديد القرن السميك البارز من جبهة إحداهما، فخرخرت الركوبة ولعقت يدي بلسانها المسنن قبل أن أدخل إلى الحيز الواسع الذي به البضائع.

اجتاحتني رائحة الأقمشة القديمة النفاذة ونحن نمر عبر المركبة المكتظة، في أحد الأطراف، كانت «أماري» تتحسس الملابس القديمة، وكنت أقف لأفحص قربة من جلد السويدي المصنوع من جلد المونجكس.

سأل التاجر: «عمَّ تبحثان في السوق؟». وكان يحمل مجموعة من القلادات المتلألئة. مال التاجر نحونا، واتسعت عيناه العميقتان اللتان تميزان من ينتمون للحدود الشمالية من أوريشا «هذه اللآلئ تأتي من خلجان جيميتا، ولكن هذه المجوهرات اللامعة تأتي من مناجم كالابرار، أثق في أنها يمكن أن تدير رأس أي شخص، رغم أنني متأكد من أنه ليست لديكم مشكلة في هذا الصدد».

ابتسمت قائلة: «نحن بحاجة إلى مستلزمات السفر، نحتاج إلى قربة وبعض معدات الصيد، وربما حجر قدَّاحة».

«كم معكما؟».

«ما الذي يمكن أن نحصل عليه مقابل هذه؟».

سلمته ثوب «أماري» وقام بفرده، ورفعه إلى الضوء القادم من الخارج. مرر أصابعه على العُرى كخبير في القماش، مستغرقًا وقتًا إضافيًا في فحص الحروق المحيطة بالحافة، «إنه متقن الصنع، لا سبيل لإنكار ذلك، هذه قماشة متينة، وقَصَّة ممتازة، كان يمكنني أن أتغاضى عن الحروق، ولكن هذا لا يمكن أن تصلحه حافة جديدة...».

ضغطت قائلة: «ثم ماذا؟».

«ثمانون قطعة فضية».

«لن نأخذ أقل من..».

«أنا لست في مجال المساومة يا عزيزتي! أسعاري معقولة وكذلك عروضي، ثمانون، كلمة أخيرة».

كزززت على أسناني، لكنني كنت أعلم أنه ما من سبيل لإقناعه بمقابل أعلى، إن التاجر الذي تاجر في جميع أنحاء أوريشا لا يمكن خداعه مثل نبيل معزول.

«ما الذي يمكننا أن نحصل عليه مقابل ثمانين قطعة؟». سألت «أماري» وهي تحمل سِرْوالًا أصفر مجعدًا وداشيكي أسود بلا أكام.

«مع هذه الملابس... وهذه القربة... وسكين تقشير... وبضع قطع من جر القداحات...»، بدأ التاجر في تعبئة سلة مجدولة، وهو يجمع المستلزمات لنواصل طريقنا.

همست «أماري»: «هل هذا يكفي؟».

أومأت قائلة: «في الوقت الحالي، إن أعطانا هذا القوس..».

قاطعني التاجر قائلًا: «لا يمكنكما تحمل ثمنه».

«لكن ماذا لو لم ينتهِ هذا الأمر في شان...في المعبد؟».

خفضت «أماري» صوتها: «ألن نحتاج الى المزيد من المال؟ المزيد من الطعام؟ المستلزمات؟».

«لا أعرف». هززت كتفي: «سنعرف».

استدرت للانصراف، لكن «أماري» عبست ومدت يديها في حقيبتي.

سحبت «أماري» غطاء رأسها المطرز بالمجوهرات، وسألت: «كم يساوي هذا؟».

جحظت عينا التاجر في رأسه وهو يحدق في الزخارف التي لا تقدر بثمن.

قال بصوت خفيض: «يا للآلهة! أين وجدت هذا بحق الآلهة؟».

قالت أماري: «لا يهم، كم ستدفع؟».

قلب التاجر غطاء الرأس في يديه، وفَغَر فاه حين رأى ليوبانيرة الثلوج المرصعة بالماس، رفع عينيه لـ «أماري» ببطء وتعمد، وتطلع إليَّ، لكن ملامحي كانت محايدة.

قال التاجر: «لا أستطيع أن آخذ هذا». ودفع بغطاء الرأس بعيدًا.

«لماذا؟». دفعت «أماري» بغطاء الرأس بين يديه: «أتأخذ الثوب عن جسدي ولا تأخذ التاج عن رأسي؟».

«لا أستطيع». هز التاجر رأسه، لكن الآن والذهب يستقر في يده، بدأت قناعته تهتز: «حتى لو أردت، ليس هناك ما يمكنني مبادلته به، إنه يستحق أكثر من كل شيء لدي».

سألتُ: «إذن كم يمكنك أن تدفع؟».
وقف التاجر، وخوفه يزاحم جشعه، ونظر إلى «أماري» مرة أخرى، قبل أن يحدق في غطاء الرأس اللامع في يديه، وأخرج حلقة مفاتيح من جيبه ودفع صندوقًا جانبًا ليكشف عن خزانة حديدية، بعد إزالة قفلها وفتحها، راح يتفقد كومة براقة من العملات داخلها.
«ثلاثمائة قطعة ذهبية».
ملت إلى الأمام، هذا الكم من العملات يمكن أن يكفي عائلتنا حياة كاملة، وربما حياتين! استدرت لأحتفل مع «أماري» حين أعادتني النظرة التي في عينيها....
*لم أكن لأحصل على هذا لولا خادمتي، هذا هو الشيء الوحيد الذي بقي لي منها.*
كان هناك الكثير من الألم في عينيها، ألم عرفته، ألم اعتدت عليه مذ كنت صغيرة، في أول مرة عجزت فيها عائلتي عن دفع الضريبة الملكية.
على مدى أشهر عمل «زين» وبابا في صيد أسماك الشمس من الفجر إلى الغسق، وفي الليل كانا يأخذان عملًا إضافيًا من الحراس، وفعلا كل شيء ممكن لإبعادي عن ذلك، ولكن في النهاية فشلت جهودهما، في ذلك اليوم دخلت السوق العائمة، وفي يدي تميمة ماما الذهبية، وكان هذا هو الشيء الوحيد الذي أمكننا استعادته من مقتنياتها، لانقطاعها وسقوطها على الأرض حين قام الحراس بجرها بعيدًا.
بعد أن ماتت ماما، تشبثت بهذه التميمة كأنها آخر قطعة باقية من روحها،. ما زلت أفرك رقبتي أحيانًا، بعد ابتلائي بفقدانها.
«ليس عليك أن تفعلي هذا». كانت هذه الكلمات تلذعني وأنا أقولها في وجه هذا الكم من الذهب، لكن تجريدي من تميمة ماما بدا مثل انتزاع قلبها،. لهذا وجع شديد لا يمكنني حتى أن أتمناه لـ «أماري».
رقت عيناها وابتسمت: «لقد سخرت مني لعدم رغبتي في خلع ثوبي من قبل، لكنك كنت محقة، لقد كنت أركز على ما فقدت بالفعل، ولكن بعد كل ما فعله والدي، لن تكون تضحياتي كافية قط». أومأت «أماري» إلى التاجر، و قد اتخذت قرارها النهائي «لم أستطع إنقاذ بينتا، ولكن بالذهب من هذه الصفقة... يمكننا إنقاذ الربانيين».
رحت أحدق في «أماري» بينما يأخذ التاجر غطاء الرأس ويكوم الذهب في أكياس مخملية. قال مبتسمًا: «خذا القوس، خذا أي شيء تريدانه!».

دارت عيناي في المركبة، واستقرت على حقيبة جلدية قوية مزينة بدوائر وخطوط، انحنيت لأفحص نسيجها القوي لكني توقفت حين أدركت أن تصميمها يتكون بالكامل من صلبان نقطية، مررت بيدي على علامة العشيرة المخبأة، الرمز السري لـ «أويا»، شقيقتي المعبودة. لو عرف الحراس الحقيقة المخبأة في تصميم الحقيبة، فمن الممكن أن يستولوا على مركبة التاجر بأكملها، وربما يقطعون يديه.

صاح التاجر: «كوني حذرة!».

رفعت يدي بغتة قبل أن أدرك أنه يتحدث إلى «أماري».

كانت تقلب مقبضًا فارغًا في يديها: «ما هذا؟ لا يوجد نصل؟».

«أبعديه عن نفسك وانفضيه».

كما هو الحال مع هراوتي، أدى نفض المقبض إلى فرد نصل طويل بطرف منحنٍ مميت، ينزلق في الهواء بحركات قاتلة، رشيقًا بشكل مدهش في يدي «أماري» الصغيرة.

«سآخذ هذا».

حذرني التاجر قائلًا: «إن كنت لا تعرفين كيفية استخدامه...».

«لماذا تفترض أنني لا أعرف؟».

عقدت حاجبي وأنا أنظر لـ «أماري» وأعود إلى ذكرها لحادثة تدريب. افترضت أن الندبة جاءت من سيف أخيها، ولكن هل كانت تمسك سيفًا أيضًا؟ على الرغم من هروبها من لاجوس، لا أستطيع أن أتخيل الأميرة تخوض غمار معركة.

حزم التاجر مجموعتنا من العملات والبضائع وأرسلنا في طريقنا، وقد أعطانا كل شيء نحتاج إليه في السفر إلى شاندومبلي. عدنا لمقابلة «زين» في صمت، لكن بين الندبة وغطاء الرأس والسيف، لم أكن أدري بماذا أفكر.. أين الأميرة المدللة التي أردت قتلها خنقًا؟ وهل يمكنها فعلًا الضرب بالسيف؟

بينما كنا نمر بشجرة بابايا، توقفت، ورحت أهز الجذع حتى سقطت فاكهة صفراء، أعطيت «أماري» لحظات قليلة للمضي قدمًا قبل إسقاط البابايا الناضجة على رأسها.

في طرفة عين، بدا أن «أماري» غير واعية.... كيف يمكنني تفسير هذا؟ لكن حين مرت الفاكهة بصوت كالصفير بالقرب منها، وضعت سلتها. استدارت، وفردت النصل الجديد بسرعة لا تُبارى.

فتحت فمي دهشة والبابايا الناضجة تسقط على الأرض، مقسومة إلى شريحتين نظيفتين، ابتسمت «أماري» والتقطت قطعة، وقضمت منها قضمة النصر.

«إن كنت ترغبين في ضربي، فعليك أن تبذلي مجهودًا أكبر من هذا».

# الفصل الرابع عشر

# عنان

*اقتلها.*

اقتل السحر.

خطتي هي كل ما لدي.

وبدون ذلك، ينزلق العالم من بين أصابعي، تنذر لعنة الماجي بأن تخترق بشرتي.

سأعقد معك صفقة. تهمس الفتاة في ذهني، وتزمُّ شفتيها وهي تتكلم، لا أحد يجب أن يعرف أنك... قذر صغير.

«اللعنة!».

كززت على أسناني، لم يمنع هذا بقية خطابها الحقير، مع ذكرى صوتها، طفت عدواي إلى السطح، مع وخز حار تحت جلدي، ومع ارتفاعها تزايدت الأصوات المبتورة، وعلا صوتها، وصار أكثر حدة.

كانت مقاومتي للسحر مثل إجبار نفسي على ابتلاع قالب طوب.

*واحد... اثنان...*

كنت أعد وأنا أكافح، والهواء من حولي بدأ في التحول إلى البرودة، وقد تجمع العرق على جبيني، وحين أتيح لي كبت سحري، كانت أنفاسي تُفْلِت في دفعات غير منتظمة. لكن تم درء الخطر. للحظة وجيزة، صرت آمنا. وحدي....

«عنان».

جفلتُ وتحققت من أن خوذتي لا تزال في موقعها، مرَّرت إبهامي على المقبض للمرة الخمسين اليوم.

أقسم إنني أشعر بهذا الخط الأبيض الجديد يزداد.

أمام عيني «كايا» مباشرة.

كانت تتقدم راكبة إلى الأمام وهي تناديني كي أتبعها، لا بد أنها لا تدرك أنني كنت أركب وراءها طوال اليوم، متفاديًا خط رؤيتها.

قبل ساعات فقط كادت ترى هذا، وقد فاجأتني وأنا أحدق في انعكاس صورتي بأحد الجداول. لو أنها رحلت مبكرًا قليلًا... لو أنني بقيت في الخارج وقتًا أطول قليلًا!

*ركّز يا «عنان»!*

ماذا أفعل؟ إن الأسئلة الافتراضية لن تجدي.

اقتل الفتاة! اقتل السحر، هذا كل ما ينبغي عليَّ فعله.

ألصقت فخذيَّ بجانبي ليوبانيرة الثلوج « لُولا»، وحثثتها على متابعة «كايا»، مع الحرص على تفادي القرون البارزة من ظهرها، وركوبتي إن ضربتها بقوة أكبر مما ينبغي، فستلقيني عن سرجي.

«الآن». جذبت مقود «لولا» حين تذمرت. «لا تكوني كسولة قذرة».

كشفت «لولا» عن أنيابها المشرشرة لكنها أسرعت من خطاها، كانت تخترق أشجار بلوط الماريولا فتدخلها وتخرج منها، وتمر أسفل حيوانات البابونيم التي تتقافز على الفروع المغطاة بالفاكهة.

ربَّتُّ على فروها المرقط في امتنان حين لحقنا بـ «كايا»، فأصدرتْ زمجرة منخفضة أخرى لكنها حكّت وجهها في يدي.

قالت «كايا» حين اقتربت منها: «قل لي، ماذا قال لك القروي؟».

«مرة أخرى؟ اللعنة! إنها لا تكل».

«إن هذا لا يضيف شيئًا، أحتاج أن أسمعه مرة أخرى». مدت «كايا» يدها خلف البانثير الخاص بها لإطلاق صقر النار أحمر الصدر الخاص بها من قفصه، جثم الطائر على سرج الركوبة بينما كانت «كايا» تثبت ملحوظة في قدمه، وهي على الأرجح رسالة لأبي، *تجري متابعة آثار اللفافة في الجنوب، كذلك، أشتبه في أن «عنان» من الماج....*

قلت كاذبًا: «لقد ادعى أنه صانع خرائط، زارته اللصة وأماري بعد هروبهما من لاجوس».

رفعت «كايا» ساعدها، ونشر الصقر جناحيه العريضين قبل أن يصعد في السماء.

«كيف عرف أنهما ستذهبان إلى الجنوب؟».

«لقد رآهما تخططان لمسارهما».

نظرت «كايا» بعيدًا، لكن ليس قبل أن أتبين الشك يلمع في عينيها. «كان ينبغي ألا تستجوب أحدًا بدوني».

قلت منفعلًا: «والقرية كان لا ينبغي حرقها. لا أفهم سببًا للوسوسة بشأن ما كان ينبغي أو لا ينبغي حدوثه».

اهدأ يا «عنان». ليست «كايا» هي التي تثير حفيظتي.

لكن شفتيها مزمومتان بالفعل، لقد أغضبتها أكثر مما ينبغي.

تنهدت وقلت: «آسف، لم أقصد هذا».

«عنان، إن كنت لا تستطيع التصرف...».

«أنا بخير».

ثبتت عينيها عليَّ وهي تقول: «هل أنت بخير فعلًا؟ لأنك إن كنت تعتقد أنني نسيت حكايتك الصغيرة، فأنت مخطئ بشكل محزن».

*اللعنة على السماوات!*

كانت «كايا» موجودة في المرة الأولى التي هاجمني فيها السحر على شواطئ إيلورين، في الليلة التي ملأ فيها السحر رأسي بالأصوات.

تقلصت أمعائي وأنا أكبت الشر ليعود إلى حيث أتى.

«لن أسمح بأن يموت الأمير تحت عيني. إذا حدث ذلك مرة أخرى فستعود إلى القصر».

انقبض قلبي بشدة جعلتني أشعر بألم يمزق صدري، لا يمكنها أن ترسلني إلى البيت بهذه الطريقة.

ليس قبل أن تموت الفتاة.

*سوف أعقد معك صفقة*، زحف صوتها مرة أخرى إلى ذهني، وكان الصوت قويًا وكأنها تهمس في أذني. اتركني وشأني وسأكتم سرك الصغير، لن يعرف أحد أنك... *قذر صغير.*

صرخت: «لا! لم تكن حكاية. على الشاطئ، أنا... أنا..». أخذت نفسًا عميقًا. اهدأ. «اعتقدت أنني رأيت جثة أماري. هذا كل شيء، كنت خجلًا من عدم تحمل أعصابي لهذا».

«أوه، عنان...». تلاشت صلابة «كايا»، ومدت يديها فأمسكت يدي، «سامحني، لا يمكن أن أتخيل كم كان هذا فظيعًا».

أومأت وضغطت يدها بدوري، بقوة شديدة، أترك يدها، لكن قلبي زادت دقاته سرعة في صدري، بدا أن سحابة فيروزية تنبعث من صدري، مندفعة مثل دخان أنابيب العادم، عادت رائحة إكليل الجبل والرماد، وطفت صرخات الفتاة المحترقة على السطح مرة أخرى....

*حرارة النيران تلعق وجهي، الدخان الخانق يملأ رئتي، مع كل ثانية يزحف الحريق إلى جسدي، ويقفي على أي فرصة للهروب.*

*«أغيثوني!».*

*سقطت على الأرض، رئتاي ترفضان الهواء الفاسد، قدماي تحاصرهما النيران...*

*«أغيثوني!».*

جذبت مِقود «لُولا»، فأطلقتْ زمجرة تهديد وتوقفتْ بِي بغتة.

التفتت «كايا» قائلة: «ما هذا؟».

غرزت يدي في فراء «لولا» لإخفاء رعشتها، الوقت يتسرب من بين يدي، والسحر يزداد قوة.

مثل طفيل يتغذى على دمي.

«أماري». اختنق صوتي. احترق حلقي كما لو كان لا يزال ممتلئًا بالدخان.

«أنا قلق. لم تغادر القصر من قبل. يمكن أن تصاب بأذى».

قالت «كايا» لتهدئتي: «أعلم». ترى هل تتحدث بنفس الطريقة مع أبي عندما يثور غضبه؟ «لكنها ليست عاجزة تمامًا. أتظن أن الملك قضى كل هذه السنوات في التأكد من أن كليكما يمكنه استخدام السيف عبثًا؟».

تصنعت الإيماء، متظاهرًا بالإنصات بينما واصلت «كايا» حديثها. مرة أخرى، سكتُّ عن اللعن قبل أن أنطق به، متجاهلًا أن هذا يجعل الهواء من حولي شحيحًا. ولكن حتى حين انحسر سحري، ظل قلبي يدق بعنف.

القوة تحترق بداخلي، لقد صرت موضع سخرية، صار العار يجللني.

*اقتلها*؛ ذكَّرت نفسي بهذه الكلمة.

سوف أقتل الفتاة. سوف أقتل هذه اللعنة.

إذا لم أستطع....

أجبرت نفسي على التنفس بعمق.

إذا لم أستطع، فقد مِتُّ بالفعل.

# الفصل الخامس عشر

## أماري

*لقد اعتدت أن أحلم بالتّسلق.*

في وقت متأخر من الليل، حين يكون جميع من في القصر قد ذهبوا للنوم. «بينتا» وأنا كنا نركُض عبر القاعات المنقوشة في ضوء الكشافات، وننزلق فوق الأرضيات المبلطة في رحلتنا إلى غرفة الحرب الخاصة بأبي، يدًا في يد، كنا نقرِّب الشعلة من خريطة منسوجة يدويًا لأوريشا، وهي خريطة كانت تبدو لعيوننا كبيرةً مثل الحياة نفسها حين كنا صغارًا، كنت أعتقد أنني أنا و«بينتا» سنرى العالم معًا.

كنت أعتقد أننا إذا غادرنا القصر فقد نكون سعداء.

الآن وأنا أتشبث جانب الجبل الثالث الذي تسلّقناه اليوم، تساءلت عما جعلني أحلم بصعود أي شيء أعلى من درج القصر، التصق العَرق ببشرتي، وتشبع به القماش الخشن للداشيكي الأسود، وكان سرب لا نهاية له من البعوض يطنُّ ويلدغني في ظهري، مستمتعًا بأنني لا أستطيع رفع يدي عن الجبل بما يكفي لضربه وإبعاده.

مرَّ يوم كامل آخر من السفر، مع ليلة من النوم المريح تستوجب الشكر، على الرغم من دفء الجو منذ غادرنا سوكوتو وتقدمنا أكثر في الغابة، شعرت أن «زين» وضع عباءته فوقي مرة أخرى في اللحظة التي بدأت أغفو فيها، وبمستلزماتنا الجديدة، أتى الأكل بسهولة، حتى لحم الفوكسر وحليب جوز الهند صارا في مذاق الدجاج المتبّل والشاي من مطبخ القصر، اعتقدت أن الأشياء تتحسن أخيرًا، لكنني أشعر الآن بصدري ضيقًا حرجًا، لدرجة أنني لا أكاد أستطيع التنفس.

في ذلك الوقت المتأخر من اليوم كنا قد صعدنا الآلاف من الأمتار، إلى ارتفاع مَنَحَنا مناظر مذهلة للغابة من تحتنا، يغطي اللون الأخضر بكافة درجاته الأرضَ، فتتكون منه مظلات لا نهائية تحت أقدامنا، ويتدفق نهر سريع الجريان متعرج خلال الدغل الاستوائي، ويمثل المسطح المائي

الوحيد في مرمى البصر، ويظل يصغر ويصغر ونحن نتسلق، حتى يصير مجرد خط أزرق رفيع.

سألت بين لهاثي: «كيف يمكن أن يوجد أي شيء على هذا الارتفاع؟ ». أخذت نفسًا عميقًا وجذبت الصخرة التي تعلوني بقوة، في وقت سابق من الرحلة، كنت لا أختبر قوة قبضتي، وتذكرني ركبتاي المخدوشتان بعدم تكرار ذلك الخطأ.

حين تكون الصخرة ثابتة، أرفع نفسي إلى أعلى في الجبل، وأقحم قدمي العارية في أحد الشقوق، ثارت بداخلي رغبة ملحّة في البكاء، لكني وأدتها، لقد قمت بالفعل بإخفاء دموعي مرتين، سيكون من المهين البكاء مرة أخرى.

صاح «زين» من خلفي: «إنها محقَّة». وهو يبحث عن منطقة واسعة بما يكفي لتسلق «نائلة»، لقد صارت ليونيرتُهم فزعة بعد أن كادت تسقط من الجبل الأخير، والآن تتسلق فقط بعد أن يثبت «زين» أن الأمر آمن.

نادت «زالي» من أعلى: «استمري في الصعود، إنه هنا، لا بد أنه هنا».

سأل «زين»: «هل رأيته بالفعل؟». عدت بذاكرتي إلى اللحظة التي كانت في كوخ «ماما أجبا»، اللحظة التي تفجر فيها المستقبل أمام أعيننا، بدا كل شيء سحريًّا حينئذ، كانت سرقة اللفافة في الواقع فكرة رائعة.

«لقد رأينا أنفسنا نتسلق...». ذُهلت لهذا الخاطر.

سأل «زين» ملحًّا: «لكن هل رأيت هذا المعبد الأسطوري؟ مجرد أن ماما أجبا رأتنا نتسلق لا يعني أن شاندومبلي حقيقة واقعة».

صاحت «زالي»: «توقفي عن الكلام واستمري في التسلق، ثقي بي، أعلم أن الأمر حقيقي».

إنه نفس المنطق الذي كانت تصرخ به طوال اليوم، العناد الذي حملنا من جرف إلى جرف، الحقيقة والمنطق لا يهمانها، إنها بحاجة ملحة لهذا، والفشل ليس في عالم الاحتمالات بالنسبة لها.

نظرت إلى أسفل للرد على «زين»، لكن منظر أشجار الغابة من ارتفاع آلاف الأمتار جعل عضلاتي تتقلص، ألصقت جسدي بالجبل وتشبثت بالصخور بإحكام.

ناداني «زين» قائلًا: «لا تنظري إلى أسفل، أنت تبلين بلاءً حسنًا».

«أنت تكذب».

بدا على وجهه شبه ابتسامة: « فقط استمري في التسلق».

امتلأت أذني بصوت نبضات قلبي وأنا أنظر إلى أعلى مرة أخرى، الحافة القادمة في مجال الرؤية، ورغم أن ساقيّ ترتعشان، فإنني دفعت بنفسي لأعلى، يا للسماء الحنون! ليت «بينتا» يمكنها أن تراني الآن.

وجهها الجميل ينزف في ذهني بكل مجده السابق، للمرة الأولى منذ أن شاهدتها تموت، أتخيلها حية، مبتسمة وإلى جانبي، ذات ليلة من الليالي كنا في غرفة الحرب حين خلعت قلنسوتها، تدلى شعرها العاجي في صورة شرائط حريرية حول رأسها.

*وماذا سترتدين حين نجتاز جبال الأولاسيمبو؟* لقد سخرت مني عندما أخبرتها بخططي للفرار إلى بحر أديتونجي، حتى لو فررت، الملكة نفسها ستسقط ميتة قبل أن تسمح لك بارتداء بنطلون، فوضعت يدها على رأسها وتظاهرت بالصراخ، مقلدة نبرة صوت أمي، فضحكت بشدة في تلك الليلة حتى كدت أبلل نفسي.

على الرغم من الظروف، ظهرت ابتسامة على وجهي، «بينتا» كانت قادرة على تقليد جميع من في القصر. ومع ذلك فقد زالت ابتسامتي حين تذكرت أحلامنا الضائعة وخططنا المهجورة، كنت أعتقد أن بإمكاننا الهروب، من خلال الأنفاق التي تحت القصر، بمجرد خروجنا، لن نعود أبدًا، كان كل شيء يبدو أكيدًا في تلك اللحظة، لكن هل كانت «بينتا» تعرف دائمًا أن هذا حلم لن تراه يتحقق؟

ظل السؤال يطاردني حين وصلت إلى الحافة التالية وسحبت نفسي إلى أعلى، صار الجبل منبسطًا لمسافة صغيرة وواسعة للاستلقاء في العشب البري.

أنا أنزل بركبتي إلى الأرض، تهاوت «زالي» في حديقة من البروماليهات المحلية، فسحقت البتلات الحمراء والأرجوانية النابضة بالحياة تحت أقدامها، فانحنيت وشممت رائحتها العطرة. كانت «بينتا» ستحب هذه النباتات.

سألت وقد بث عطر القرنفل الهدوء في نفسي: «هل يمكننا البقاء هنا؟ لا أستطيع تخيل التسلق أكثر من هذا، إن وعد شاندومبلي يمكن أن يذهب بنا أبعد مما ينبغي».

رفعت رأسي بينما تشق «نائلة» طريقها على الحافة، وتبعها «زين»، يقطر منه العرق، خلع الداشيكي الذي بلا أكمام فخفضت عيني... آخر مرة رأيت فيها جسد صبي عاريًا كانت المربيات يحمّمْنني أنا و «عنان».

صعدت الدماء دافئة إلى وجنتي حين أدركت البعد الذي يفصلني الآن عن القصر في الحقيقة، فرغم أن القانون لا يحظر الاختلاط بين أفراد العائلة المالكة والكوسيديين كما يحدث بين الماجي والكوسيديين، فإن أمي كان من الممكن أن تضع «زين» بالسجن مقابل ما فعله لتوِّه.

هرولت بعيدًا، متلهفة لزيادة المسافة بين جلد «زين» العاري ووجهي المحمر، لكنني وأنا أتحرك اصطدمت أصابعي بشيء أملس وأجوف.

استدرت فوجدت نفسي وجهًا لوجه أمام جمجمة مكسورة.

صحت: *«اللعنة!»*. وزحفت إلى الخلف، وقد وقف الشعر على مؤخرة عنقي، وقفزت «زالي» واقفة وفردت هراوتها، جاهزة للقتال في أي لحظة.

سألت: «ما الأمر؟».

أشرت إلى جمجمة مكسورة ملقاة فوق كومة من العظام المهشمة، كانت فتحة واسعة تعلو موضع عينها دليلًا على ميتتها العنيفة.

سألت: «هل يمكن أن تكون لمتسلق آخر؟ شخص أخفق في التسلق؟».

أجابت «زالي» بثقة غريبة: «كلا، ليس الأمر كذلك». مالت برأسها وانحنت لإلقاء نظرة فاحصة، مرت دفقة باردة من الهواء، نزلت «زالي» لأسفل، ومدت يدها نحو العظم المشروخ، لم تكد أصابعها تلمس الجمجمة حين....

بدأت ألهث حين تحولت حرارة الغابة الخانقة إلى برودة مجمِّدة، كانت البرودة تلدغ جلدي، وتصل إلى العظم مباشرة، لكن الموجة الجليدية استمرت فقط لبرهة، وتلاشت بأسرع ما يمكن؛ لتتركنا في ذهول على سفح الجبل.

*«آخ!»*. كان صوت «زالي» كالصفير كمن عاد إلى الحياة بعد موت، وقبضت على البروماليهات بقوة جعلت الزهور تسقط عن أغصانها.

سأل «زين»: «ماذا كان هذا بحق الآلهة؟».

هزت «زالي» رأسها، وكانت عيناها تزدادان اتساعًا كل ثانية.

«لقد شعرت به، كانت هذه روحه... حياته!».

قلت وقد أدركت الأمر: «إنه السحر». بغض النظر عن عدد المرات التي رأيته فيها، فإن إشاراته لا تنفك تختلط عليَّ، وحتى مع عودة تحذيرات أبي في الطفولة من السحر إلى السطح، امتلأ قلبي بالرهبة.

«هيا». اندفعت «زالي» إلى الأمام، واثبةً أعلى المنحدر التالي، «كان هذا أقوى من أي شيء شعرت به من قبل، لا بد أن المعبد قريب!».

اندفعت خلفها، مُنحّيةً خوفي جانبًا في رغبتي للوصول إلى الحافة الأخيرة، حين رفعت نفسي فوق الجرف الأخير، لم أكن أصدق عيني، شاندومبلي!

إنه فعلًا هنا.

كانت كومة من الطوب المغطى بالطحالب مكدسة في جبال من الأنقاض، وكانت تغطي كل بوصة من الهضبة، وهذا الدمار هو كل ما بقي من المعابد والأضرحة التي غطت هذه الأرض يومًا ما، على عكس الغابة والجبال.

أسفلنا، لا توجد صراصير ليل تزقزق، ولا توجد طيور تصيح، ولا يوجد بعوض يطن، وما من دليل على أن حياةً على الإطلاق كانت هنا من قبل سوى الجماجم المكسورة المتناثرة حول أقدامنا.

وقفت «زالي» أمام جمجمة، وانعقد حاجباها رغم عدم حدوث شيء.

سألتُ: «ما هذا؟».

انحنت وهي تقول: «روحها. إنها صاعدة».

«صاعدة إلى أين؟». تراجعت إلى الوراء، وتعثرت في قطعة من الأنقاض.

دفقة باردة أخرى ملأتني بفزع مكتوم، لكنني لا أستطيع معرفة ما إذا كان حقيقيًّا أم في رأسي فقط. «لا أعرف». حَكّت «زالي» رقبتها، «ثمة شيء في المعبد يعمل على تضخيم الآشي لدي، أستطيع أن أشعر بسحري بالفعل».

قبل أن أتمكن من طرح سؤال آخر، انحنت «زالي» ولمست جمجمة أخرى.

اندفعت يدي نحو صدري؛ هذه المرة لم يهبَّ علينا برد جليدي، بل ومضت صورة مشربة بالذهب. قامت معابد وأبراج رائعة، في منشآت مذهلة مزينة بشلالات أنيقة، ويجول بها رجال ونساء وأطفال سُود في ثياب أنيقة من قماش السويدي، وتنتشر على بشرتهم خطوط ورموز جميلة في دوامات أنيقة من اللون الأبيض.

على الرغم من أن الومضة لم تدم إلا لحظة، فإن صورة الأراضي الخصبة تداعب ذاكرتي وأنا أنظر إلى الأنقاض المتهدمة أمامي، لقد كان

شاندومبلي دائمًا مصدرًا للضوء.

والآن لم يعد سوى الهواء.

سألت «زالي»: «ماذا حدث هنا برأيك؟». رغم أنني كنت أخشى أن أعرف بالفعل، لقد دمر أبي جمال السحر في حياتي، لماذا لا يكون قد فعل نفس الشيء في جميع أنحاء العالم؟

انتظرت أن تجيب «زالي»، لكنها لم ترد، كان وجهها يزداد جمودًا مع مرور كل ثانية، هي ترى أكثر.. شيئًا لا أستطيع رؤيته.

بدأ ضوء أرجواني ناعم في التوهج من أصابعها، طافيًا على السطح وهي تستكشف قوتها لأول مرة. تصاعد فضولي وأنا أراقبها، ما الذي يمكنها رؤيته أيضًا؟ رغم أن التفكير في السحر لا يزال يجعل نبضي متسارعًا، وجزء مني يتمنى أن يُجرِّب فورته ولو مرة، وبدأ قوس قزح الذي انفجر من يد «بينتا» في ملء ذهني حتى سمعت «زين» ينادي.

«انظرا هذا».

تابعنا صوت «زين» حتى صرنا نواجه البِنية القائمة الوحيدة على الجبل، كان المعبد يرتفع إلى عنان السماء، وقد تم بناؤه مقابل آخر انحدار صخري، على عكس الطوب الحجري، كانت هذه البِنية من معدن تم طلاؤه باللون الأسود، مختلطًا بألوان صفراء وقرنفلية توحي بأنه كان يومًا ما يشرق بالذهب، وكانت الكروم والطحالب نامية على الجانبين، فتحجب صفوفًا لا حصر لها من الحروف السحرية القديمة منحوتة في إفريز المعبد.

اتجهت «زالي» نحو مدخل بدون باب، لكن «نائلة» أطلقت زمجرة قصيرة، «حسنًا يا نائلة!». منحتها «زالي» قبلة على أنفها، «ابقَي هنا، اتفقنا؟».

نَعرَت «نائلة» وتهاوت فوق كومة من الحجارة المتهدمة، مع استقرار «نائلة» سرنا خلال الفتحة واستقبلتنا هالةٌ سحريةٌ كثيفةٌ جدًّا حتى أنا استطعت أن أشعر بثقلها في الغرفة، فهُرع «زين» إلى جوار «زالي» وأنا أجول بيدي في الهواء، ودبذبات الطاقة السحرية تنزلق خلال أصابعي مثل حبيبات الرمال المتساقطة.

تسربت أشعة الضوء من الفتحة الدائرية المتصدعة فوقنا، فأضاءت سقف القبة المنقوش، وكانت التصميمات تتألف من صفوف من الأعمدة، مزينة بزجاج ملون وبلورات متلألئة.

لماذا لم يدمروا هذا؟ تعجبت وأنا أمرر أصابعي على النقوش، المعبد لم يُمس على نحو غريب، كشجرة وحيدة في غابة محترقة.

صاح «زين» من الجانب الآخر من الغرفة: «هل تَريان أي أبواب؟».

ردت «زالي»: «لا شيء!». البِنية الوحيدة المرئية عبارة عن تمثال يستند إلى الجدار الخلفي، ويجتمع عليه الغبار والكروم الزائدة، وسرنا إليه، وأمرَّ «زين» يديه على الحجر المتهالك، فبدا أن التمثال لامرأة عجوز ترتدي ثيابًا تنم عن الثراء، ويستقر تاج ذهبي في لفائفها البيضاء المنحوتة، وهو المعدن الوحيد الذي لم يتأثر في الأفق.

سألت: «هل هي إلهة؟». وأنا أتفحص التمثال عن قرب، في كل سنوات عمري، لم أرَ قطُّ تجسيدًا لإله واحد. لا أحد يجرؤ أن يضع تمثالًا في القصر، وكنت أفترض دائمًا أن أول مرة سأرى فيها إلهًا أو إلهة، أنه سيتم تجسيد ذلك مثل اللوحات الملكية المعلقة في البهو الرئيسي، ولكن على الرغم من تشوهه، فإن هذا التمثال يحمل لمسة ملكية لا يمكن لأكثر اللوحات روعة أن تحققها.

« ما هذا؟)). أشار «زين» إلى شيء في يد المرأة.

«يبدو كبوق». مدت «زالي» يدها لتفحصه، «هذا غريب...».

مررت يدها على معدنه الصدئ، «أكاد أسمعه في رأسي».

سألت: «ماذا يقول؟».

«إنه بوق يا أماري، ولا يقول شيئًا».

احمرت وجنتاي. «حسنًا، إن كان هذا نحتًا فلا ينبغي أن يصدر أصواتًا على الإطلاق!».

«اصمتي فحسب». أسكتتني «زالي» ووضعت كلتا يديها على المعدن، «أعتقد أنه يحاول أن يقول لي شيئًا ما».

حبستُ أنفاسي وقد انعقد حاجباها، وبعد بضع لحظات طويلة بدأت يداها في التوهج بضوء فضي لامع، وبدا أن البوق يقتات على الآشي الذي لديها، فيزداد توهجه كلما اعتصرت نفسها.

حذرها «زين» بالقول: «كوني حذرة».

«أنا كذلك». أومأت «زالي»، رغم أنها بدأت ترتجف، «إنه قريب. يحتاج فقط إلى دَفعة أخرى».

دوّى صرير بطيء تحت أقدامنا، وصحت بصوت كالعواء لدى سماعي لهذا الصرير، وفزِعنا في دهشة حين انزلقت بلاطة كبيرة بعيدًا عن

الأرضية، وكشفت الفتحة عن درجات سلم حلزوني يصل إلى غرفة معتمة لدرجة جعلت كل ما فيها يتشح بالسواد، همستُ: «هل هي آمنة؟». جعل الظلام دقات قلبي تتضاعف سرعتها، وانحنيت كي أحصل على رؤية أفضل، لكن لم يكن هناك مصدر للضوء في مرمى البصر.

هزت «زالي» كتفيها قائلة: «لا يوجد باب آخر، ما الخيار الذي أمامنا؟».

ركض «زين» للخارج، وعاد بعظمة فخذ متفحمة ملفوفة في قطعة ممزقة من عباءته، تراجعنا إلى الوراء أنا و«زالي»، لكنه تجاوزنا مندفعًا وأشعل القماشة بحجر القدَّاحَة فصنع كشافًا مؤقتًا.

قال: «اتبعاني». وقد قلّلت لهجتُه الآمرة خوفي.

بدأنا في النزول تحت قيادة «زين»، وعلى الرغم من أن ذُبالة الضوء الصادرة عن الكشاف كانت تنير خطانا، فإن الضوء لم يكن يمس شيئًا آخر، ووضعت إ حدى يدي على الحائط الخشن وأنا أعد أنفاسي حتى وصلنا أخيرًا إلى الطابق التالي، وفي اللحظة التي نزلت فيها قدمي عن الخطوة الأخيرة، أُغلقت الفتحة.. فوقفنا بفرقعة تُصم الآذان.

*«اللعنة!»*.

رنت صرختي في الظلام، وألقيت بنفسي نحو «زالي»، وقلت وأنا أرتجف: «ماذا نفعل الآن؟ كيف نخرج من هنا؟».

استدار «زين» كي يصعد الدرج مهرولًا، لكنه توقف عندما سمعنا صوت فحيح في الهواء، وفي ثوانٍ انطفأ كشافه، فصرنا في سواد تام، وصاحت «زالي»: «زين».

تعالى صوت الفحيح، حتى ارتطمت بي دفقة دافئة من الهواء مثل هطول المطر، وحين استنشقتها أدت في الحال إلى بطء في عضلاتي، ثم بدأت تُربك عقلي.

«سُم». استطاع «زين» أن يصيح بهذه الكلمة بصوت أجش قبل أن أسمع صوت جسده يرتطم بالأرض. لم أجد فرصة للشعور بالخوف قبل أن يعم الظلام.

# الفصل السادس عشر

## عنـان

***كان السكون يلفُّ الهواء*** حين انحدر فيْلَقِي إلى سوكوتو، ولم يمضِ وقت طويل حتى عُرف السبب.

كنا الحراس الوحيدين في الأفق.

همست لـ «كايا»: «أين الدوريات؟». كان الصمت يُصِم الآذان، بدا وكأن هؤلاء الناس لم تقع أعينهم على خاتم أوريشا من قبل، السماء وحدها تعلم ما سيفعله أبي إذا شهد افتقارهم الكامل للاحترام.

ترجَّلنا عن الركائب بجانب بحيرة بلغ من صفائها أنها تعكس صورة الأشجار المحيطة كالمرآة، و «لُولا» تكزُّ على أسنانها لمجموعة من الأطفال، فتفرقوا مهرولين وهي تشرب.

«نحن لا نعين حراسًا في مستعمرات السفر، ففي هذا إهدار؛ لأن المقيمين يتغيرون كل بضعة أيام». فكّت «كايا» خوذتها ومرت الرياح خلال شعرها، كانت فروة رأسي تتوق لنفس الشعور، لكن لا بد لي أن أظل مُخفيًا الخط الأبيض.

*اعثر عليها*. استنشقت الهواء النظيف المنعش، محاولًا أن أنسى خطي، ولو للحظة. وعلى عكس حرارة لاجوس وضبابها، هذه المستعمرة الصغيرة متجددة؛ جوها منعش، وقد لطَّفت الأنفاسُ الباردة اللهيبَ المتأجج في صدري وأنا أحاول أن أكتم اللعن، ولكن دقات قلبي تسارعت وأنا أتمعن في الربانيين المحيطين، وكنت أركز بقوة على الانتهاء من الفتاة.

لم أتوقف عن التفكير في الكيفية التي يمكن بها أن تنهيني.

أمسكت بمقبض سيفي وعيناي تتنقلان من ربَّاني إلى ربَّاني، لم أرَ مدى سحر الفتاة بعد، فكيف أصد هجومها؟

وماذا لو كانت تحارب بكلماتها؟ أصابتني وخزة رعب، والسحر بداخلي يزداد. كل ما عليها فعله هو أن تشير إلى خوذتي، وتتعرف على اللعنة المخبأة تحتها، فترى «كايا» الخط الأبيض، ويخرج سري للعالم فيراه.

*ركزي يا «عنان»!* أغمضت عيني، وأمسكت بَيْدَق السينيت الدافئ بقوة، لا يمكنني أن أظل في هذا التذبذب، يجب أن أقوم بواجبي، أوريشا لا تزال تحت الهجوم.

وبينما تقحمُ الأرقامُ الترتيبَ في رأسي، مددت يدي نحو المقبض المنحني لسكين الرماية. بسحر أو بدون سحر، فإن الرمية الصحيحة ستوقع بها، والنصل الحاد لا يزال بإمكانه تمزيق صدرها.

ولكن مع كل تخطيطي ومناوراتي، من الواضح أن الفتاة ليست هنا، ورغم أنه لا يوجد نقص في عدد الربانيين المحملقين، فإن نظرتها الفضية ليست بينهم.

أطلقت سكين الرماية بينما شيء لا أدري كنهه ينقبض في صدري، ويغوص مثل خيبة الأمل، ويتنفس تنفس الصعداء.

«خذوا هذه الملصقات». أعطت «كايا» تعليماتها للجنود، فسلمت كلًّا من الرجال العشرة لفافة بها مخطوطة رقِّية تحمل صورة وجه الفتاة الأنيق. «ابحثوا عما إذا كان أي شخص قد رآها أو رأى ليونيرة بقرون ثور، وهي في المعتاد لا تُرى بهذا القرب من ساحلنا». استدارت «كايا» نحوي وشفتاها مزمومتان تصميمًا. «سوف نفتش التجار، إنْ كانتا قد جاءتا إلى الجنوب حقًّا، فهذا هو أول موضع للحصول على المستلزمات».

أومأت وحاولت الاسترخاء، لكن هذا القرب من «كايا» يجعل الأمر مستحيلًا، فكل حركة ضئيلة لا تغيب عنها عيناها، وكل صوت يجعل أذنيها تنتفضان فعليًّا.

وأنا أسير وراءها، كان الإجهاد الناجم عن كبت قواي يتزايد مع كل خطوة، ازداد حديد دروعي ثقلًا حتى صار كالرصاص، ورغم أننا كنا نسير ببطء فلم أكن أستطيع الحفاظ على إيقاع ثابت، وبمرور الوقت بدأت أتخلف، وانحنيت للأمام، مريحًا يدي على ركبتي، *فقد كنت بحاجة فقط لالتقاط أنفا ...»*.

«ماذا تفعل؟».

نهضت بغتة، متجاهلًا تزايد لعناتي للحدة التي في صوت «كايا».

«ال...الخيام». أشرت ناحية المآوي الطبيعية أمامي، «كنت أتفقدها»، على عكس القوائم المعدنية وجلود الهيبون المرنة التي نستخدمها في بناء خيامنا، هذه الخيام مصنوعة من الفروع وتغطيها الطحالب. في الحقيقة، هناك كفاءة غريبة في هيكلتها، وتقنيات يمكن للجيش تطويرها.

«ليس هذا وقت تأمل العمارة البدائية». قربت «كايا» ما بين عينيها: «ركز على المهمة المطروحة».

دارت على كعبها، وصارت تسير بسرعة أكبر الآن وقد أهدرتُ لها وقتها، فأسرعت في متابعتها، لكن بينما كنا نقترب من العربات والشاحنات، وقعت عيني على امرأة بدينة، على عكس بقية من في المعسكر، لم تكن تحملق مغضبة، ولم تكن تنظر إلينا على الإطلاق، وكان انتباهها موجَّهًا نحو حزمة من البطانيات تضمها إلى صدرها.

مثل عطسة مكبوتة، قفزت لعنتي إلى السطح، كانت عواطف الأمومة تضرب مثل لطمة في الوجه؛ مصحوبة بشرارات غضب، بالإضافة إلى ومضات خوف ضئيلة، لكن قبل كل شيء آخر تأججت الحماية، مزمجرة مثل ليوبانيرة ثلوج تحرس شبلها الوحيد، ولم أفهم السبب حتى بدأت الحزمة التي تضمها إلى صدرها في البكاء.

*إنه طفل..*

نزلت عيناي إلى بشرة المرأة الكستنائية ثم إلى الصخور المسننة المثبتة في يدها، وتغلغل في عظامي، لكن عزمها كان أقوى تأججًا.

«عنان!».

عدت إلى الانتباه منتفضًا، وكنت مضطرًّا لذلك كلما نادتني «كايا» باسمي.

ولكن مع وصولي إلى شاحنات التجار نظرت خلفي نحو المرأة، كابتًا اللعن رغم ما يحدثه هذا من احتراق في معدتي، تُرى ما الذي يخيفها؟ وما العلاقة التي يمكن أن تربطني بطفلها؟

«انتظري». أوقفت «كايا» ونحن نمرُّ من شاحنة تاجر تجرها شيتانيرات أحادية القرن، وكانت المخلوقات المرقطة تنظر نحوي بعيون برتقالية اللون، وأنيابها الحادة تطل من وراء الشفاه المخططة باللون الأسود.

«ماذا؟».

أطلّت سحابة فيروزية على المدخل، أكبر من تلك السحب التي ظهرت من قبل. «هذه شاحنة بها مجموعة كبيرة من الاختيارات». حاولت الاحتفاظ بصوتي منخفضًا قدر الإمكان.

*ورائحة ملح البحر تدل على روح الفتاة.*

على الرغم من أنني أحارب سحري، فإن رائحتها تحيطني عندما أمر خلال السحابة، ظهرت الربانية في ذهني بصورة كاملة، وبشرتها الداكنة تكاد تضيء تحت شمس سوكوتو.

استمرت الصورة للحظة واحدة فقط، لكن حتى الومضة كانت تجعل أحشائي مضطربة، والسحر يقتات على دمي مثل كائن طفيلي، فعدَّلت خوذتي. نحن ندلِفُ من باب الشاحنة.

«مرحبًا، مرحبًا!».

كانت الابتسامة العريضة للتاجر العجوز تقطر من وجهه الداكن مثل الطلاء الرطب، وكان يقف متشبثًا بجانبي الشاحنة مستندًا عليهما.

دفعت «كايا» باللفافة في وجهه، «هل شاهدت هذه الفتاة؟».

نظر التاجر شزرًا ونظف نظاراته في قميصه.

ببطء، يشتري الوقت، أخذ الورقة، «لا أستطيع أن أقول إنني رأيتها».

تكونت قطرات من العرق على جبينه، وألقيت نظرة على «كايا»؛ فكانت تلاحظ أيضًا ما ألاحظه.

لست في حاجة للسحر لأعرف أن هذا الأحمق يكذب.

درت حول الشاحنة الصغيرة، باحثًا، مسقطًا البضائع لأحصل على رد، ولمحت زجاجة على شكل دمعة بها صبغ أسود فوضعتها في جيبي.

ظل التاجر ساكنًا لبرهة من الوقت، وكان سكونه كثيفًا لدرجة لا توحي بأنه ليس لديه ما يخفيه، وتوتر الرجل حين اقتربت من أحد الأقفاص؛ لذلك دققت الأرض بقدمي، فطارت الألواح الخشبية، وانكشفت خزانة حديدية.

«لا...».

دفعت «كايا» التاجر إلى الجدار وفتشته، وقذفت ناحيتي بحلقة مفاتيح، فجربت كلًّا من المفاتيح في قفل الخزانة المخبأة، *كيف جرؤ أن يكذب عليَّ؟*

حين وصلت إلى المفتاح الصحيح فتحت الخزانة على مصراعيها، متوقعًا العثور على دليل إدانة، لكني وجدت جواهر غطاء رأس «أماري»، فتوقفت الأنفاس في حلقي.

أعادني المشهد إلى وقت سابق، إلى أيام كنا فيها طفلين، إلى اليوم الذي ارتدت فيه هذا لأول مرة، وإلى اللحظة التي جرحت فيها...

*لففت نفسي بستائر مستوصف القصر، وكانت معركة خضتها لكتم صرخاتي، وبينما كنت أجثم مرتعدًا، كشف الأطباء الذين يعالجون جروح «أماري» ظهرها، فأنقبضت معدتي حين رأيت الشق الذي أحدثه السيف، وكان الجرح الذي يمتد بطول عمودها الفقري قانيًا بشعًا، والدم ينزف منه أكثر وأكثر كل ثانية.*

*«أنا آسف». كنت أبكي في الستائر التي تلفني، مرتعبًا في كل مرة تجعلها إبر الطبيب تصرخ. «أنا آسف،». كنت أتمنى أن أصيح. «أعدك، لن أوذيك مرة أخرى!».*

*لكن لم تخرج الكلمات من فمي.*

*كانت مستلقية على السرير، وهي تصرخ.*

*وتدعو أن ينتهي العذاب.*

*بعد ساعات، كانت «أماري» ترقد مخدرة، مستنزَفة، لدرجة أنها لا تقوى على الكلام. وحين كانت تتوجع، دلفت خادمتها «بينتا» إلى فراشها، وهمست بشيء رسم ابتسامةً على شفتي «أماري» بطريقة ما.*

*كنت أنصت وأراقب باهتمام، وكانت « بينتا» تريح «أما ري» بطريقة لم تُتَح لأحد منا، وكانت تغني لها حتى تنام بصوت منغوم، وعندما تنام «أما ري»، كانت «بينتا» تأتي بتاج قديم محدَّب لأمي وتضعه على رأس «أماري»...*

لم يمر يوم دون أن ترتدي «أماري» ذلك التاج، وكانت تلك هي المعركة الوحيدة التي لم تفز فيها أمي قط، فقد كان نزعه عن رأسها يحتاج إلى جوريليونة كاملة.

كي يكون هذا هنا، لا بد أن تكون أختي قد ماتت.

دفعتُ «كايا» جانبًا وصوبتُ نصلي نحو عنق التاجر.

«عنان..».

أسكتُّ «كايا» بيدي، ليس هذا وقت الرُّتب أو الترقيات. «من أين أتيت بهذا؟».

قال التاجر بصوت أجش: «أ... أعطتني إياه الفتاة! بالأمس!».

أمسكت بالمخطوطة الرقِّيَّة، «هي؟».

« لا». هز التاجر رأسه. «لقد كانت هناك، لكن فتاة أخرى هي التي أعطتني إياه، وكانت بشرتها نحاسية، ولها عينان لامعتان... عينان مثل عينيك!».

*«أماري»*.

هذا يعني أنها لا تزال حية.

قاطعتني «كايا» قائلة: «ماذا اشتروا؟».

«سيفًا... بعض القِرَب. لقد بدا كأنهم يشرعون في رحلة، كأنهم متجهون إلى الغابة».

اتسعت عينا «كايا»، وانتزعت المخطوطة الرقِّيَّة من يدي. « لا بد أنهم متجهون إلى المعبد، إلى شاندومبلي».

«ما مدى قرب هذا المكان؟».

«يبعد يومًا كاملًا بالركائب، لكن...».

«هيا نرحل». أمسكت بغطاء الرأس واتجهت نحو الباب، «إن حثثنا الركائب على السرعة، يمكننا اللحاق بهما».

صاحت «كايا»: «انتظر. ماذا سنفعل معه؟».

قال التاجر مرتعدًا: «من فضلك، لم أكن أعرف أنه مسروق! أنا أدفع ضرائبي في الوقت المحدد، أنا مخلص للملك!».

ترددت، محدقًا في الرجل البائس.

أنا أعرف ما يجب أن أقوله.

وأعرف ما كان أبي سيفعله.

سألت «كايا»: «عنان؟». كانت تضع يدها على نصلها، وكنت بحاجة لإعطاء الأمر، لا يمكن أن أبدو ضعيفًا، *واجبك قبل نفسك*.

«من فضلكما!». توسل التاجر، متكئًا على ترددي، «يمكنكما أخذ عربتي، يمكنكما أخذ كل شيء لدي...».

قاطعته «كايا» قائلة: «لقد شاهد أكثر ما ينبغي».

قلت بصوت كالفحيح: «انتظري فقط». وكنت أسمع صوت دقات قلبي، ومضت صورة الجثث المحترقة من إيلورين في ذهني، واللحم المحروق، والطفل الباكي.

افعل ذلك، كنت أدفع نفسي، *إن مملكة واحدة تستحق أكثر من حياة رجل واحد*.

ولكن قد تم بالفعل إسالة الكثير من الدماء. وكثير منها سال على يدي....

قبل أن أستطيع قول أي شيء، وثب التاجر إلى المخرج وثبة واحدة جعلت الر جل على الباب، وانفجر الهواء بلون قرمزي.

تناثرت الدماء عبر صدري.
تهاوى التاجر إلى الأرض، متكومًا بسقطة قوية مكتومة.
برز سكين الرماية الخاص بـ «كايا» من ظاهر رقبته.
بعد شهقة مرتجفة، راح التاجر ينزف في صمت. نظرت «كايا» نحوي وهي تنحني لتستخلص سكينها وكأنها تجذب وردة رائعة من حديقة.
«لا ينبغي أن تتحمل من يقفون في طريقك يا عنان!». سارت «كايا» على الجثة، ومسحت نصلها لتنظيفه، «خاصة هؤلاء الذين يعرفون أكثر مما ينبغي».

## الفصل السابع عشر

# أماري

صعد ***ضباب رقيق*** من عقلي، وعيناي ترفّان مع عودتي إلى الوعي. كانت رؤياي تجمع بين الماضي والحاضر، للحظة، كان اللون الفضي لعيني «بينتا» مضيئًا.

لكن حين مرت الهلوسة، كان وميض لهب الشمعة يتراقص على الحوائط الصخرية المسننة، وهرول أحد القوارض بجانب قدمي فقفزت إلى الخلف، وحينئذ فقط أدركت أنني مكبلة، وأشترك في القيد مع «زين» و«زالي» بحبال قاسية.

«شباب!». تقلبت «زالي» خلفي، والنعاس يقطر من صوتها، وراحت تتقلب وتدور، لكن مع كل تقلباتها لم تنقطع الحبال.

«ماذا حدث؟». جاءت كلمات «زين» مختلطة، ورغم أنه شد نفسه، فإن قوته الهائلة لم تفلح في الحد من قبضة الحبال. على مدى فترة قصيرة كانت صيحاته هي الأصوات الوحيدة في الغار، لكن بمرور الوقت ثمة صوت آخر صار أعلى؛ تجمدنا حين سمعنا صوت أقدام تقترب.

قالت «زالي» بصوت كالفحيح: «سَيفُكَ، هل يمكنك الوصول إليه؟».

احتكت أصابعي بـ «زالي» وأنا أمد يدي إلى الخلف إلى حيث مقبضي، لكني لم أجد إلا الهواء.

همست مجيبة: «غير موجود، كل شيء غير موجود!».

فحصنا الكهف ضعيف الإضاءة، بحثًا عن نحاس مقبضي الأصفر. أو لمعان هراوة «زالي»، لم يكن لدينا حتى...

«اللفافة!». دوى صوت عميق.

توترت حين ظهر رجل متوسط العمر في ضوء الشمعة، يرتدي ثوبًا بلا أكمام من القماش السويدي. كانت دوامات وأنماط من اللون الأبيض تغطي كل بوصة من بشرته الداكنة.

أخذت «زالي» نفسًا سريعًا.

«سينتارو...».

همست: «*ماذا؟*».

«من هناك؟». صاح «زين»، وهو يحاول تخليص نفسه من الحبال كي يرى، وكشف عن أسنانه متحديًا.

الرجل الغامض، حتى عينه لم تطرف.

كان الرجل يستند إلى هراوة منحوتة من الصخر، ممسكًا بالوجه المنحوت في مقبضها، وكان هناك هياج لا يمكن إنكاره يشتعل خلف عينيه الذهبيتين، وبدأت أعتقد أنه لن يستطيع الحركة على الإطلاق حين هرول إلى الأمام بغتة، فقفزت «زالي» حين أمسك الرجل بخصلة من شعرها.

«مستقيم». غمغم الرجل برنة إحباط في صوته، «لماذا؟».

صاح «زين»: «ارفع يدك عنها».

على الرغم من أن «زين» لا يُشكل أي تهديد، فإن الرجل تراجع، تاركًا شعر «زالي»، وسحب اللفافة من نطاق ثوبه، وضاقت عيناه الذهبيتان.

« لقد أُخذ هذا من قومي منذ سنوات». كانت لهجته تطن طنينًا غليظًا وثقيلًا، مختلفة عن لهجات أوريشا التي سمعتها، فحدقت في اللفافة المفضوضة في يده، وتعرفت على بعض الرموز على المخطوطة الرقية مكتوبة على جلده، «لقد سرقوها منا!». «اكتسب صوته نبرة عنيفة». «لن أتيح لكم فعل الشيء نفسه».

قلت بانفعال: «أنت مخطئ، لسنا هنا للسرقة!».

«هذا بالضبط ما قاله من كانوا قبلكم». أبدى الرجل استهزاءه وهو ينظر لي، «رائحة نتنة تشي بأنكم مثلهم».

تراجعت منكمشة عند كتفي «زين»، فنظر الرجل إليَّ بكراهية لا أملك لها ردًا.

اندفعت «زالي» قائلة: «إنها لا تكذب». بصوت مفعم بالاقتناع، «نحن مختلفون، أرسلتنا الآلهة، وقادتنا عرافة إلى هنا!».

«*ماما أجبا*»... عدت بذاكرتي إلى آخر كلماتها، كنت أريد أن أصرخ بالقول إننا نسعى للقيام بهذا، لكن كيف يمكنني أن أقول هذا بينما كل ما أتمناه الآن لو أنَّ عينيَّ لم تقعا على هذه اللفافة قط؟

اتسعت فتحتا أنف السينتارو، ورفع ذراعيه فتخلخل الهواء بخطر السحر. *إنه سيقتلنا*... قلبي يدق بعنف في صدري، هذا هو المكان الذي ستنتهي به رحلتنا.

رنت تحذيرات والدي القديمة في رأسي: *في مواجهة السحر لا تكون أمامنا فرصة للانتصار.. في مواجهة السحر نحن عُزّل..*

في مواجهة السحر سنموت....

قالت «زالي» بصوت مختنق: «لقد رأيت ماذا كانت هذه من قبل، رأيت الأبراج والمعابد، السينتاروهات الذين كان يبدون مثلك.

أنزل الرجل ذراعيه ببطء، وأدركت أن «زالي» قد جذبت انتباهه. ابتلعت ريقها بصعوبة، ودعوت السماوات لها أن تجد الكلمات المناسبة.

«أعرف أنهم جاءوا إلى منزلك، ودمروا كل شيء كنت تحبينه، لقد فعلوا نفس الشيء معي، فعلوه مع آلاف الناس الذين يبدون مثلي». انكسر صوتها وأغمضت عيني، خلفي، كان «زين» قد تصلّب جسده. جف حلقي حين أدركت عمن تتحدث «زالي»، كنت محقة.

أبي دمر هذا المكان.

عدت بذاكرتي إلى كل الدمار، الجماجم المشروخة، النظرة الحزينة في عيني «زالي»، قرية إيلورين الهادئة تشتعل فيها النيران، الدموع تنساب على وجه «زين».

امتلأ عقلي بشلال الضوء الذي أفلت من راحة «بينتا»، أكثر جمالًا من أشعة الشمس ذاتها. أين كنت سأكون الآن لو أن أبي أتاح لـ «بينتا» أن تعيش؟ كيف كانت أوريشا كلها ستبدو لو أنه أعطى لهؤلاء الماجي الفرصة؟

شعرت بخجل يجعلني أريد أن أزحف إلى داخل نفسي والرجل يرفع ذراعيه مرة أخرى.

أغمضت عيني بقوة استعدادًا للألم....

اختفت الحبال كأنها انشقت الأرض و ابتلعتها، وظهرت أمتعتنا من جديد إلى جانبنا.

مازلت مذهولة بالسحر حين سار الرجل الغريب مبتعدًا، متكئًا على هراوته، وحين نهضنا نطق بأمر بسيط.

«اتبعوني».

# الفصل الثامن عشر

## زالي

***كانت المياه تقطر أسفل*** الجدران المنحوتة ونحن نسير في أعمق أعماق الجبل، على وقع الصوت المكتوم المنتظم لهراوة دليلنا، بينما شموع ذهبية تَصْطَفُّ على الحجارة المسننة، وتضيء الظلام بلهب ناعم، وحين مرت قدمي على الصخر البارد، حدقت في الرجل، و مازلت غير مصدقة أن سينتارو يقف أمام عيني. قبل الغارة كان زعماء قبائل الماجي العشرة فقط هم الذين يقابلونهم في هذه الحياة، سوف تسقط «ماما أجبا» عن مقعدها حين أخبرها عن هذا.

لَكَزتُ «أماري» جانبًا حتى أقترب من السينتارو، ورحت أتفحص العلامات المسطورة على رقبة الرجل، والتي تهتز على جلده مع كل خطوة، وتتراقص مع ظلال اللهب.

أجاب الرجل وقد استشعر نظرتي على نحو ما: «إنها تُعرف باسم السينباريا، لغة الآلهة، القديمة قِدَم الزمن نفسه».

*إذن فهذا هو شكلها*، ملت إلى الأمام لدراسة الرموز التي ستصبح في يوم من الأيام اللغة المنطوقة لليوروبا، وتتيح لنا اللغة التي سنمارس بها سحرنا.

أجبت: «إنها جميلة».

أومأ الرجل: «الأشياء التي تخلقها السماء الأم دائمًا تكون كذلك».

فتحت «أماري» فمها لكنها أغلقته سريعًا، كأنها تراجعت عما كانت ستقوله، وثار شيء بداخلي: وهي تسير وتنظر ملء عينيها نحو الأشياء التي لا يحق رؤيتها إلا لأقوى الماجي فقط في التاريخ.

تنحنحت وبدا أنها تنبش بعمق حتى تجد صوتها مرة أخرى، سألت: «أستَمِيحُك عذرًا، لكن هل لك من اسم؟».

استدار السينتارو ونظر بسخرية قائلًا: «كل واحد له اسم يا طفلتي!».

«أوه، لم أقصد...».

قاطعها قائلًا: «ليكان، أولامي ليكان».

دغدغ وقع الاسم أقصى زوايا عقلي، «أولامي ليكان». كررت الاسم، «ثروتي... تزيد!».

استدار «ليكان» ناحيتي بنظرة ثابتة لدرجة جعلتني مقتنعة أنه يرى داخل روحي، «هل تذكرين لغتنا؟».

«أجزاء من هنا وهناك». أومأت: «علمتني أمي ذلك عندما كنت صغيرة».

«أمك كانت حاصدة؟».

فَغَرْتُ فمي من المفاجأة، لا يمكن التعرف على قدرات ماجي بمجرد النظر فقط.

سألت: «كيف عرفت؟».

أجاب «ليكان»: «يمكنني أن أستشعر الأمر، الدماء الحاصدة تجري كثيفة في عروقك».

«هل يمكنك الشعور بالسحر لدى من ليسوا من الماجي أو الربانيين؟». انسكب السؤال من فمي، وفي ذهني «عنان»، «هل من الممكن أن يكون السحر في دم الكوسيدي؟».

«نحن السينتاروهات لا نعرف هذا الفرق، كل شيء ممكن حين يتعلق الأمر بالآلهة، والمهم هو إرادة السماء الأم».

استدار الرجل، وتركني والأسئلة التي لدي أكثر من الأجوبة، أي جزء من إرادة السماء الأم يتعلق بيدي «عنان» الملفوفتين حول عنقي؟

حاولت أن أدفع أفكاري عنه بعيدًا ونحن نتحرك. وبدا وكأننا سرنا كيلو مترًا كاملًا عبر الأنفاق قبل أن يقودنا «ليكان» إلى داخل قبة مظلمة واسعة مجوفة في الجبل، رفع يديه بنفس الجدية السابقة، مما جعل الهواء يطن بطاقة روحية.

راح الرجل ينشد: «*أيمولي أوون أوريشا*». وتعويذة اليوروبا تنساب من بين شفتيه مثل الماء الجاري، «*تان سي مي ني كيا بآيي. تان إيمولي سي إيبازي أوون أومو ريل!*».

دفعة واحدة، انطفأت كل ألسنة اللهب التي تحف بالجدران، مثلما حدث لكشاف «زين» المرتجل، لكن في لحظة، عادت للاشتعال بحياة جديدة، فغمرت كل بوصة من الحجارة بالضوء.

«أوه...».

«يا...».

«للآلهة...».

كان العجب يلفُّنا ونحن ندخل القبة المزينة بجدارية جعلتني روعتُها لا أقوى على النطق، وكان كل متر من الحجر مغطّى برسومات نابضة بالحياة تُظهر الآلهة العشرة، وقبائلَ الماجي، وكل ما بينهما، كانت الرسومات أكثر بكثير من الصور الساذجة التي كانت موجودة للآلهة قبل الغارة، والرسومات التي كانت تُخبأ من حين لحين، والأنسجة النادرة التي كانت تخرج فقط تحت جنح الظلام، فقد كانت تلك أشعة متقطعة من الضوء، أما هذه الجدارية فتشبه التحديق في عين الشمس.

قالت «أماري»: «ما هذا؟». ودارت حول نفسها لاستيعاب المناظر كلها دفعة واحدة.

أشار لنا «ليكان» بيده فجذبت معي «أماري»، وأسندتها حين تعثرت، ضغط بيديه على الحجر قبل أن يجيب: «إنها أصل الآلهة».

تطاير الشرر من عينيه الذهبيتين وأفلتت طاقة مشرقة من راحة يده إلى الحائط، ومع مرور الضوء بطول الطلاء، توهجت الرسومات ودبت الحياة في الأشكال ببطء.

قالت «أماري»: «اللعنة». متشبثة بمعصمي، وازدهر السحر والضوء بينما كانت روح كل لوحة تتحرك أمام أعيننا.

«في البداية، خلقت أمنا السماء الجنة والأرض، وبعثت الروح في الظلام الهائل». دارت الأضواء الزاهية من راحتي العجوز التي تعرفت إليها باعتبارها التمثال الذي في الطابق الأول، كانت أرديتها البنفسجية تنزلق مثل الحرير حول جسدها الملكي بينما كانت العوالم الجديدة تبزغ إلى الحياة، «على الأرض، خلقت السماء الأم البشر، أبناء الدم والعظم، وفي الجنة أنجبت الآلهة من الذكور والإناث، وكل منهم سيأتي لتجسيد جزء مختلف من روحها».

على الرغم من أنني سمعت ماما تحكي هذه القصة من قبل، فإنها لم تكن. واقعية قط كما هي الآن، فهي تتجاوز عالم الأساطير والخرافات إلى واقع التاريخ، كنا جميعًا نحدق بأعين واسعة وأفواه مفتوحة بينما البشر والآلهة يبزغون من السماء الأم دفعة واحدة، وفي حين سقط البشر على الأرض السمراء، طفت الآلهة حديثة الولادة في السحب فوقنا.

«السماء الأم تحب جميع أطفالها، ويُخلقون جميعًا على هيئتها، ولتربطنا جميعًا ببعضنا، تقاسمت مواهبها مع الآلهة، ووُلد الماجي الأول،

وأخذ كل معبود جزءًا من روحها، في صورة سحر كان من المفترض أن يمنحوه للبشر على الأرض، أخذت إيموجا الدموع من عيني السماء الأم وأصبحت إلهة البحر».

أسقطت إلهة داكنة البشرة مذهلة بعيون زرقاء نابضة بالحياة دمعة واحدة على العالم، وعندما هبطت دمعتها، انفجرت، فخلقت المحيطات، والبحيرات، وجداول المياه.

«إيموجا جلبت الماء لأشقائها من بني الإنسان، وعلَّمتْ مَن عبدُوها كيف يتحكمون في حياتها، ودرس تلاميذها شقيقتهم المعبودة بانضباط لا يلين، واكتسبوا سيادة البحور».

تذكرت فجأة *ولادة سحرة المد والجزر*، فوقنا، يُخضِع أعضاء قبيلة الأومي المطليون المياه لإرادتهم، فيجعلونها ترقص بسهولة وبراعة.

حكى «ليكان» أصل إله بعد إله، مع شرح كل معبود وقبيلته من الماجي على التوالي، فعرفنا «سانجو»، الذي أخذ النار من قلب السماء الأم لخلق سحرة النار؛ «أياو»، الذي أخذ الهواء من نفس السماء الأم لخلق سحرة الريح، ودرسنا تسعة آلهة من الذكور والإناث حتى لم يبقَ سوى واحد فقط.

انتظرت حتى بدأ «ليكان» الحديث، لكنه استدار ناحيتي، ونظرته تنوء بالترقب.

«أنا؟». خطوت للأمام، وشعرت بالعرق في راحتي وأنا آخذ مكانه. هذا هو الجزء الذي أعرفه جيدًا من القصة، الحكاية التي حكتها لي ماما كثيرًا لدرجة أن «زين» نفسه يستطيع إعادة روايتها، لكن عندما كنت طفلة، كانت مجرد أسطورة، خيالًا يمكن أن ينسجه البالغون لأعيننا صغارًا، لأول مرة بدت الحكاية حقيقية، مغزولة في نسيج حياتي نفسها.

قلت بصوت عالٍ: «على عكس إخوتها وأخواتها، اختارت «أويا» أن تبقى للنهاية، لم تأخذ شيئًا من السماء الأم مثل إخوتها، بدلًا من ذلك، طلبت من السماء الأم العطاء».

رحت أنظر بينما شقيقتي المعبودة تتحرك بقوة إعصار، مجسَّدة بكل قوتها وتألقها، وركع الجمال الأوبسيدي أمام خالقته، والأردية الحمراء تتطاير مثل الريح، ذهب المنظر بقدرتي على التنفس، وكانت وقفتها رمزًا للقوة، وتحت بشرتها السوداء تختمر العاصفة.

واصلت قائلة: «لقاء صبر وحكمة أويا، كافأتها السماء الأم بالسيادة على الحياة، لكن حين تقاسمت أويا هذه الهبة مع عبيدها، تحولت القدرة إلى السيادة على الموت».

تسارعت نبضات قلبي أثناء عرض الحصدة من قبيلة إيكيو قدراتهم المميتة، الماجي الذين وُلِدت لأكون منهم، حتى في اللوحات، كانت ظلالهم وأرواحهم تزأر، قيادة لجيوش الموتى، وتدميرًا للحياة في عواصف الرماد.

تعيدني العروض السحرية إلى أيامي في إبدان، وأنا أشاهد الشيوخ المنتخبين حديثًا يعرضون براعتهم لقبيلتنا الحاصدة، وحين تم انتخاب ماما، كانت ظلال الموت السوداء التي تدور حولها هائلة، كانت مرعبة، لكنها كانت مذهلة في رقصها إلى جانبها.

في تلك اللحظة عرفت أنني طالما ظللت حية، فلن أرى شيئًا بهذا الجمال أبدًا، فكنت آمل فقط في يوم من الأيام أن أنضم إليها، أردت أن تشاهدني وتشعر بنصف ما أشعر به من فخر بها.

«أنا آسفة». شعرت بانسداد حلقي، بدا على الفور أن «ليكان» يفهم ما حدث، بإيماءة واحدة، تقدم للأمام، مواصلًا الحكاية.

«كانت أويا أول من أدرك أن أطفالها لن يستطيعوا جميعًا التعامل مع هذه القوة العظيمة، لذا صارت انتقائية، مثل أمها، فتقاسمت قدرتها مع الذين أظهروا الصبر والحكمة فقط، وحذا أشقاؤها حذوها، وسرعان ما تضاءل سكان الماجي، وفي هذا العصر الجديد، أُنعم على جميع الماجي بشعر أبيض ملتف، تحية لصورة السماء الأم».

أرجعت خصلاتي المستقيمة إلى الوراء، فشعرت بالسخونة في وجنتي، حتى لو نجحت فيما يتعلق بالحكمة، فلن يكون هناك إله في الأعالي يظن أنني صبورة....

تحولت نظرة «ليكان» إلى المجموعة الأخيرة من الرسومات على الجدارية السماوية، حيث يركع رجال ونساء مجسدون برموز بيضاء ويتعبدون.

«لحماية إرادة الآلهة على هذه الأرض، خلقت السماء الأم قومي، السينتاروهات، تحت قيادة «مامالاوو»، نعمل كأوصياء روحيين، مهمتنا ربط روح السماء الأم بالماجي على الأرض».

توقف مؤقتًا حين نهضت رسمة امرأة فوق السينتاروهات وفي إحدى يديها خنجر من عاج وحجر متوهج في اليد الأخرى، ورغم أنها كانت ترتدي أثوابًا جلدية مثل إخوتها وأخواتها، كان يستقر ثمة إكليل مزخرف على رأس «ماملاوو».

سألت: «ما الذي تمسكه؟».

أجاب «ليكان»: «خنجر عَظمي». وأخرجه من ثيابه. «أثر مقدس منحوت من الهيكل العظمي لأول سينتارو». بدا الخنجر كأنه يستحم في ضوء أزرق باهت، تنبعث منه طاقة تقشعر لها الأبدان كالجليد. كانت نفس السينباريا المرسومة على ذراعَي «ليكان» تشع بالضوء في مقابل مقبضها. «من يسخرها يستمد القوة من قوة حياة جميع من سخروها من قبل».

«في يدها اليمنى تحمل ماملاوو حجر الشمس، وهو قبس حي من روح السماء الأم، وبحملها روح السماء الأم يربطها الحجر بهذا العالم، ويبقي السحر حيًّا، وكل مائة عام كانت ماملاوو تحمل الحجر والخنجر واللفافة إلى معبد مقدس لأداء طقوس الربط، وبإسالة دمها بالخنجر واستخدام القوة المشبع بها الحجر، تغرس ماملاوو الرابطة الروحية للآلهة في دم السينتارو. طالما نجا نسلنا، كذلك فإن السحر ينجو».

بينما كانت «ماملاوو» تنشد في الجدارية، كانت كلماتها ترقص عبر الجدار في الرموز المطلية، وكان خنجر العاج يقطر من دمها، ويعم توهج حجر الشمس الجدارية كلها بالضوء.

«ثم كان هذا الذي حدث!». حدق «زين» في الجدارية بعينين جامدتين، صلبًا في وقفته. «لم تؤدِّ الطقس؟ لهذا مات السحر؟».

رغم أنه يقول السحر، أسمع ماما في صوته، هذا ما جعلها بلا حول ولا قوة.

وهكذا أخذها الملك بعيدًا.

اختفت الشرارة من عيني «ليكان» وفقدت اللوحات حياتها النابضة، وفي لحظة، مات سحر الجدارية، لم يعد أكثر من طلاء عادي جاف.

«مذبحة الماجي - الغارة، كما يسميها قومك - لم تكن حادثًا عارضًا، قبل أن أرحل إلى الحج، دخل ملككم معابد شاندومبلي مطالبًا بعبادة زائفة. في الحقيقة، كان ساران يبحث عن سلاح ضد الآلهة». استدار «ليكان» فصرنا لا نرى وجهه، ونرى فقط الرموز المرسومة على ذراعيه، وقد بدا

أنها تتقلص وهو يسقط في ضوء الشموع، ويذبل بفعل وجع القلب الذي يشعر به، «لقد عرف الطقوس، وعرف كيف كان السحر في أوريشا مرتبطًا بدم السينتاروهات، وحين عدت، كان ساران قد ذبح شعبي، قاطعًا رابطة السماء الأم ومقتلعًا السحر من عالمنا».

وضعت «أماري» يدها على فمها، ودموع صامتة تنساب على وجنتيها الورديتين، لا يمكن أن أتخيل كيف يكون رجل واحد بهذه القسوة، ولا أعرف ماذا كنت سأفعل لو كان هذا الرجل والدي.

استدار «ليكان» إلينا مرة أخرى، وفي تلك اللحظة أدركت أنني لن أفهم أبدًا وحدته، أو ألمه. بعد الغارة، كان لا يزال لديَّ «زين» وبابا. ولم يكن لديه سوى هياكل عظمية؛ جثث وآلهة صامتة. «وقد أشرف ساران على المذابح، واحدة تلو الأخرى، بينما كان قومي ينزفون على هذه الأرضية وقد اختفى السحر، وكلف حراسه بقتل قومك».

أغمضت عيني لإبعاد صور النار والدم التي تستدعيها ذكرى الغارة.

صيحات بابا، بينما كان أحد الحراس يكسر ذراعه.

تملُّص ماما من سلسلة الماجيست السوداء التي حول عنقها.

صرخاتي وهم يجرونها بعيدًا.

صاح «زين»: «لماذا لم يفعلوا شيئًا؟ لماذا لم يوقفوه؟».

وضعت يدًا على كتفه، وضغطت للتهدئة من غضبه، كنت أعرف شقيقي وأعلم أن صرخاته تخفي الألم.

«قومي مكلفون بحماية الإنسان، وليس مسموحًا لنا بقبض تلك الحياة».

توقفنا لبرهة طويلة دون أن يقطع الصمت سوى شهقات «أماري»، وأنا أحدق في الجدران المرسوم عليها، فأدركت إلى أي مدى سيذهب الآخرون لإيقافنا.

سألت «أماري» وهي تمسح عينيها: «لكن السحر عاد الآن، أليس كذلك؟». ناولها «زين» قطعة ممزقة من عباءته، ولكن بدا أن رقته لم تزدها إلا بكاءً، تابعت «أماري» قائلة: «لقد أجْدَت اللفافة مع زالي وماما أجبا، ولقد تحولت بها صديقتي أيضًا، إذا استطعنا توصيل اللفافة إلى كل الربانيين في أوريشا، ألن يكون هذا كافيًا؟».

«كسر ساران العلاقة القديمة بين الماجي والآلهة في الأعالي حين ذبح السينتاروهات، اللفافة أعادت السحر؛ لأنها تمتلك القدرة على تكوين

علاقة عديدة مع الآلهة، لكن لكي تكون هذه العلاقة دائمة وتعيد السحر مرة أخرى للأبد، علينا أن نقوم بأداء الطقس المقدس». جذب «ليكان» اللفافة في خشوع. «لقد أنفقت سنوات أبحث عن القطع الأثرية المقدسة الثلاثة، وراح بحثي منها كلها تقريبًا عبثًا، واستطعت استعادة الخنجر العظمي، لكن في بعض الأحيان كنت قلقًا من أن يتمكن ساران من إتلاف القطعتين الأخريين».

قالت «أماري»: « لا أعتقد أنه يمكن تدميرهما، لقد أمر والدى أميرالًا لديه بالتخلص من اللفافة وحجر الشمس، لكنه فشل».

«لقد فشل الأميرال الذي لدى والدك؛ لأن القطع الأثرية لا يمكن تدميرها بأيادٍ بشرية، لقد مُنحت الحياة من خلال السحر، والسحر فقط هو الذي يمكن أن يميتها».

قلت بإلحاح: «لذلك يمكننا أن نفعلها؟ لا يزال بإمكاننا إعادة السحر؟».

لأول مرة، ابتسم «ليكان»، والأمل يطل مشرقًا من خلف عينيه الذهبيتين.

«لقد اقترب موعد الانقلاب المئوي؛ أي الذكرى المئوية العاشرة لهِبَات السماء الأم للبشرية، وفي هذا فرصة أخيرة لتصحيح أخطائنا، فرصة واحدة أخيرة للإبقاء على السحر حيًّا».

سأل «زين»: «كيف؟ ماذا علينا أن نفعل؟».

فرد «ليكان» اللفافة، وراح يفسر رموزها وصورها. «في الانقلاب المئوي، تظهر جزيرة مقدسة قبالة الساحل الشمالي لبحر أورينيون، حيث تضم معبد آلهتنا، لا بد أن نأخذ اللفافة، وحجر الشمس، والخنجر العظمي إلى هناك ونقرأ التعويذة القديمة على اللفافة، إذا أكملنا الطقس، يمكننا إنشاء روابط دم جديدة واستعادة الاتصال، وتأمين السحر لمائة سنة أخرى».

سألت «أماري»: «وهل سيصبح كل ربانيٍّ من الماجي؟».

«إذا أتممت الطقس قبل الانقلاب، فسيتحول كل رباني بلغ سن الثالثة عشرة».

الانقلاب المئوي. كررت ذلك في رأسي، وأنا أحسب الوقت المتبقي أمامنا، يصادف التخرج الصيفي لدى «ماما أجبا» قمرًا غير مكتمل، بعد موسم صيد سمك التايجر السنوي، إذا اقترب الانقلاب....

قال «زين» متعجبًا: «انتظر. هذا بعد أقل من شهر!».
«ماذا؟». توقف قلبي. «ماذا يحدث لو فاتنا ذلك؟».
«إن فاتكم هذا فلن ترى أوريشا السحر مرة أخرى».
هوت معدتي كأنني دفعت من فوق جبل، شهر واحد! إما شهر واحد وإما لا ر جعة للسحر للأبد!
هز «زين» رأسه: «ولكن السحر يعود بالفعل، لقد عاد مع اللفافة، إذا استطعنا إيصاله إلى كل الربانيين...».
قاطعه «ليكان» قائلًا: «لن يجدي هذا، اللفافة لا تصلك بالسماء الأم، اللفافة تبدأ صلتك بشقيقتك المعبودة فقط، وبدون طقوس لن يبقى السحر إلى ما بعد الانقلاب، إعادة إرساء علاقة الماجي بالسماء الأم هي الطريقة الوحيدة».
أخرج «زين» خريطته، وحدد «ليكان» مسارًا إلى حيث سيظهر المعبد المقدس، أدعو أن يكون الموقع قريبًا، لكن عيني «زين» جحظتا قلقًا.
قالت «أماري» وهي ترفع يديها: «انتظر. لدينا اللفافة والخنجر العظمي، ولكن أين هو حجر الشمس؟ تطلعت إلى ثيابه في توقع، لكن لم يظهر حجر متوهج».
«لقد كنت أتتبع الحجر من واري منذ أن طفا إلى الشاطئ أول مرة، كنت أسير وراء دليل عليه في إيبيجي حين أعادتني روحي إلى هنا، ومن المفترض أن هذا قد حدث كي أقابلكم».
سألت: «إذن هو ليس معك؟».
هز «ليكان» رأسه، وكاد «زين» ينفجر. «إذن كيف من المفترض أن نفعل هذا؟ السفر وحده سوف يستغرق شهرًا كاملًا!».
صار الجواب صارخًا مثل اللوحات التي على الحائط، لن يصبح الربانيون من الماجي أبدًا، «ساران» سوف يظل دائمًا مسيطرًا.
سألت «أماري»: «هل يمكنك مساعدتنا؟».
«يمكنني مساعدتكم». أومأ «ليكان». «لكن لي حدود، لا يمكن إلا لامرأة أن تصبح المامالاوو. لا أستطيع أداء الطقس».
ألحت «أماري»: «لكن عليك أن تفعل ذ لك، أنت السينتارو الوحيد الموجود!».
هز «ليكان» رأسه قائلًا: «لا تسير الأمور هكذا، السينتاروهات ليسوا مثل الماجي، إن صلتكم بالآلهة متجذرة في دمائكم، هذه الصلة بالسماء الأم

هي المطلوبة لإكمال الطقس».

«إذن من يستطيع فعل ذلك؟».

نظر «ليكان» إليَّ نظرات ثقيلة. «ماجي. ماجي واحد مربوط بالآلهة».

استغرق الأمر بعض الوقت حتى استوعبنا كلماته، وحين استوعبناها كدت أضحك.

«إذا كانت السماء الأم جاءتك باللفافة عن طريق فتاة من نسل ساران، فإرادتها واضحة».

كدت أرد بالقول إن إرادتها خاطئة، لا أستطيع إنقاذ الماجي، أنا بالكاد أستطيع أن أنقذ نفسي.

«ليكان، لا». انقبضت معدتي مثلما حدث حين أمسكت بي «أماري» لأول مرة في السوق. «لست قوية بما فيه الكفاية، لم يسبق لي تلاوة تعويذة، قلت إن اللفافة فقط هي التي تصلني بأويا، أنا أيضًا لست متصلة بالسماء الأم!».

«يمكنني تغيير ذلك».

«إذن غير نفسك، غير زين!». دفعت أخي إلى الأمام، حتى «أماري» ستكون مرشحة أفضل مني.

لكن «ليكان» أمسك بيدي وقادني إلى الأمام، مواصلًا السير خلال القبة، وقبل أن أتمكن من الاعتراض، قاطعني.

«الآلهة لا تخطئ».

---

تجمعت *حبات العرق* على جبهتي ونحن نتسلق مجموعة أخرى من الخطوات الحجرية، مررنا بسُلَّم بعد سُلَّم، صاعدين نحو الجزء العلوي من الجبل، مع كل خطوة كان ذهني يضرب أخماسًا في أسداس، ويذكرني بكل احتمالات فشل هذا الأمر.

ربما لو كان لدينا حجر الشمس بالفعل...

لو لم يكن الحرس الملكي يقْتفون أثرنا...

لو استطاع «ليكان» العثور على شخص آخر للقيام بالطقوس الغبية...

ضاق صدري، وقد ناء ظهري باحتمالات الفشل. عادت ابتسامة بابا المبتورة إلى ذهني، وتذكرت الأمل الذي كان في عينيه. ما دام ليس لدينا سحر، فلن يتعاملوا معنا باحترام.

نحن بحاجة إلى هذا الطقس؛ إنه أملنا الوحيد، بدونه لن نحصل على القوة.

سوف تعاملنا الأسرة المالكة دائمًا باعتبارنا ديدانًا.

«نحن هنا».

في النهاية، وصلنا إلى قمة الدرج وخرجنا إلى حيث يتلاشى ضوء النهار، قادنا «ليكان» إلى برج حجري متلألئ يصعد من قمة الجبل، فوق نفس المعبد الذي دخلناه في البداية، على الرغم من أن بضع بلاطات متصدعة تميز المدخل، فإن الموقع لم يُمس بدرجة كبيرة، ثمة أعمدة شاهقة تدعم البناء، منحنية في صفوف من الأقواس الأنيقة.

«ياااه». شهقت متعجبة وأنا أمرر أصابعي على السينباريا التي تميز كل عمود، حيث كانت الرموز متوهجة في ضوء الشمس الغارب الذي يتسرب إلى الداخل من خلال المداخل المقوسة.

«هنا». أشار «ليكان» إلى التركيبة الوحيدة في البرج، وهي عبارة عن حوض أوبسيدي يغلي به ماء أزرق صافٍ، وقد بدأ السائل في تكوين فقاعات وهو يقترب، رغم عدم وجود ألسنة لهب تتراقص في الأفق.

«ما هذا؟».

«هذه صحوتكم. حين أنتهي، ستكون روحك قد عادت للارتباط بالسماء الأم».

سألت «أماري»: «يمكنك أن تفعل ذلك؟».

أومأ «ليكان»، وشبح ابتسامة يدغدغ شفتيه: «لقد كان هذا واجبي مع قومي، ولقد تدربت على ذلك طوال حياتي». شبك «ليكان» يديه معًا، وفي نظرته نعومة وعدم تركيز، ثم تحول فجأة، وتطلع إلى «زين» و«أماري».

أشار إليهما قائلًا: «يجب أن ترحلا، لقد كسرت بالفعل قرونًا من التقاليد حين سمحتُ لكما بالوصول إلى هذا الحد، لا أستطيع السماح لكما بمراقبة أكثر طقوسنا قداسة».

تقدم «زين» أمامي وقد بدأت عضلاته تتوتر متحديًا: «فلتذهب إلى الجحيم، لن أتركك وحدك مع أختي».

همست «أماري»: «ينبغي أن تبقى، ليس من حقي أن أرى...».

«لا». مد «زين» يده أمام «أماري»، موقفًا إياها قبل أن تهرول هابطة الخطوات الحجرية. «ابقي. بدوننا، لن تكون هناك طقوس».

زمَّ «ليكان» شفتيه: «إن بقيتا فأنتما ملزمان بالسرية».

لوح «زين» بيديه قائلًا: «نتعهد بذلك. لن نقول أي شيء».
قال «ليكان» محذِّرًا: «لا تستهينا بهذا التعهد، فالموتى لن يستهينوا به».

تحول «ليكان» بنظرته النارية إلى «أماري»؛ فجعلتها نظرتُه تذوب. هدأ «ليكان» بما يسمح بأن يمسك بحافة الحوض الأوبسيدي، بدأ الماء يغلي على الفور تحت لمسته.

«ما هذا؟».

«هذه صحوتكم. حين أنتهي، ستكون روحك قد عادت للارتباط بالسماء الأم».

سألت «أماري»: «يمكنك أن تفعل ذلك؟».

أومأ «ليكان»، وشبح ابتسامة يدغدغ شفتيه: «لقد كان هذا واجبي مع قومي، ولقد تدربت على ذلك طوال حياتي». شبك «ليكان» يديه معًا، وفي نظرته نعومة وعدم تركيز، ثم تحول فجأة، وتطلع إلى «زين» و «أماري».

أشار إليهما قائلًا: «يجب أن ترحلا، لقد كسرت بالفعل قرونًا من التقاليد حين سمحتُ لكما بالوصول إلى هذا الحد، لا أستطيع السماح لكما بمراقبة أكثر طقوسنا قداسة».

تقدم «زين» أمامي وقد بدأت عضلاته تتوتر متحديًا: «فلتذهب إلى الجحيم، لن أتركك وحدك مع أختي».

همست «أماري»: «ينبغي أن تبقى، ليس من حقي أن أرى...».

«لا» . مد «زين» يده أمام «أماري»، موقفًا إياها قبل أن تهرول هابطة الخطوات الحجرية. «ابقي. بدوننا، لن تكون هناك طقوس».

زمَّ «ليكان» شفتيه: «إن بقيتما فأنتما ملزمان بالسرية».

لوح «زين» بيديه قائلًا: «نتعهد بذلك. لن نقول أي شيء».
قال «ليكان» محذِّرًا: «لا تستهينا بهذا التعهد، فالموتى لن يستهينوا به».

تحول «ليكان» بنظرته النارية إلى «أماري»؛ فجعلتها نظرتُه تذوب. هدأ «ليكان» بما يسمح بأن يمسك بحافة الحوض الأوبسيدي، بدأ الماء يغلي على الفور تحت لمسته.

جف حلقي حين اقتربت من الحوض وارتطم وجهي بموجة جديدة من البخار. «أويا»، ساعديني. لا أستطيع أن أبيع سمكة دون أن أتسبب في دمار قريتي بأكملها، كيف من المفترض أن أكون الأمل الوحيد للماجي؟

«إن وافقت على هذا، يجب أن توقظوا الآخرين».
كبت «ليكان» شهقة محبطة. «لقد أتت بكم السماء الأم إلى هنا...».
«من فضلك يا ليكان. يتعين عليك هذا. لا يمكن أن أكون الوحيدة».
طقطق «ليكان» بلسانه وأشار لي نحو الحوض. قال موافقًا: «حسنًا. لكن حب أن أوقظك أولًا».

أخذت خطوة حذرة داخل الحوض، وانزلقت ببطء حتى صار الماء يغطيني كلي ما عدا رأسي. طفت ملابسي حولي، بينما كانت الحرارة تهدئ كل طرف من أطرافي، كقُبلة ذهبت بإجهاد التسلق الذي قمنا به طوال اليوم.

«لنبدأ».

أخذ «ليكان» يدي اليمنى وأخرج الخنجر العظمي من طيات ردائه.
«لفتح مغاليق القوة الإلهية، لا بد أن نضحي بالأقدس بالنسبة لنا».
«هل تستخدم سحر الدم؟». خطا «زين» نحوي، وقد تيبس جسمه من الخوف.

قال «ليكان»: «نعم، لكن أختك ستكون آمنة، سوف تكون الأمور تحت سيطرتي».

تسارعت دقات قلبي وأنا أتذكر جسد ماما الذابل بعد استخدامها سحر الدم لأول مرة، مزقت القدرة التي بلا حدود عضلاتها، حتى مع مساعدة المعالجين، واستغرق الأمر شهرًا كاملًا لاستعادة قدرتها على المشي.

لقد كانت مخاطرة لإنقاذ «زين» عندما كاد يغرق وهو طفل، وهي تضحية أتاحت له التشبث بالحياة. ولكن في التضحية بنفسها كادت تموت.

أكد «ليكان» لي أنني «سأكون آمنة»، وبدا كأنه يقرأ أفكاري. «ليس الأمر كما كان حين كان الماجي يستخدمون سحر الدم. السينتاروهات لديهم القدرة على توجيه الأمور».

أومأت، على الرغم من أن رعدة خوف سرت في حلقي.
قال «ليكان»: «سامحيني، قد يكون هذا مؤلمًا».

أخذت نفسي بصعوبة وهو يجرح راحة يدي، وكززت على أسناني من الألم حين بدأ الدم ينزف، تحول الألم إلى صدمة حين أضاء دمي بضوء أبيض.

حين نزلت القطرات في الماء، شعرت أن شيئًا فارقني، شعرت بما هو أكثر من مجرد جرح، وحولت القطرات الحمراء السائل الأزرق الصافي إلى اللون الأبيض؛ وكان يزداد غليانًا مع سقوط المزيد من الدم.

«استرخي الآن». انخفض صوت «ليكان» الهادر إلى نبرة هادئة، ورفَّت عيناي قبل أن أغمضها، «صفِّي ذهنك، خذي أنفاسًا عميقة، حرري نفسك من قيودك الدنيوية».

رددت ردًّا مقتضبًا، هناك من القيود ما يستعصي على العد، وكانت نيران إيلورين تلعق عقلي، وأصداء صرخات «بيسي» ترن في أذني. ويدا الأمير تلتفان حول عنقي، وتضغطان أكثر.

لكن بينما كان جسدي يقطر من الماء الساخن، بدأت الضغوط في التلاشي.

سلامة بابا... غضب «عنان»... غرقت الأعباء واحدًا تلو الآخر، وتركتني وسط الأمواج حتى بدا أن وفاة ماما تتبخر مع البخار.

طمأنني «ليكان» قائلًا: «حسنًا، إن روحك يجري تطهيرها، تذكري، أيًّا كان ما تشعرين به، فسأكون موجودًا».

وضع يدًا على جبهتي وأخرى على صدري قبل أن يتلو: «*أوموماما. أرابينرين أويا. سي إيبون آيباي ري. تيو إيدان ميمو ري سايلي*».

دارت قوة غريبة في بشرتي. بدأ الماء يغلي بكثافة جديدة، وتوقفت أنفاسي حين سيطرت الحرارة عليها.

«*أومو ماما*..».

ابنة السماء الأم. كررت هذا في رأسي.

«*أرابينرين أويا*...».

*شقيقة «أويا».*

«*سي إيبون آيباي ري*...».

*اكشفي عن هبتك الثمينة.*

«*تيو إيدان ميمو ريي سايلي*».

*أطلقي سحرك المقدس.*

اهتز الهواء بطاقة كهربائية، أقوى من أي شيء آخر شعرت به من قبل، متجاوزًا ضجة خاتم «عنان»، ومتفوقًا على الرجة الناتجة عن لمس المخطوطة الرِّقِّية لأول مرة، وصارت أطراف أصابعي دافئة، متوهجة

بضوء أبيض، وبينما كان «ليكان» يهتف، سرت القوة في أوردتي، ما جعلها تتوهج تحت بشرتي.

*«أومو ماما، أرابينرين أويا ...»*.

كلما علا صدى تعويذته، زاد تفاعل جسدي. اجتاح السحر كل خلية في كياني، وكان ينبض بينما «ليكان» يضع رأسي تحت الماء، وصارت جمجمتي على أرضية الحوض، وسرى في حلقي نوع جديد من الهواء. أخيرًا فهمت كلمات «ماما أجبا».

إنه يشبه التنفس لأول مرة.

*«أومو ماما ...»*.

برزت عروقي من جلدي مع تزايد السحر، مما جعلها تتوهج تحت بشرتي تورُّم يوشك أن ينفجر. خلف عيني كانت رقائق باللون الأحمر ترقص حولي، مرتطمة مثل الأمواج، دائرة مثل الأعاصير.

حين فقدت نفسي في فوضاها الجميلة، برزت لمحة من «أويا»، وكانت النار والريح ترقصان حولها كالأرواح، متطايرة مثل الحرير الأحمر لتنورتها.

*«أرابينرين أويا ...»*.

استوقفني رقصها، مشعلًا كل شيء لم أدرك أبدًا أنه كان محاصرًا بداخلي، فكانت تحرق جسدي مثل اللهب، إلا أنها كانت تبعث القشعريرة في بشرتي مثل الثلج، متدفقة في موجات عشوائية.

*«سي إيبون آيباي ري...»*. صاح «ليكان» على الماء. *«تيو إيدان ميموري سايلي»*.

في دفقة نهائية واحدة، انفجر التسونامي وتدفق السحر عبر كل بوصة في كياني، انطبع السحر في كل خلية، مختلطًا بدمي، مالئًا عقلي. وفي قوته لمحت البداية والنهاية دفعة واحدة، والعلاقات التي لا انفصام لها تربط حياتنا جميعًا.

دار غضب «أويا» حولي أحمر قانيًا.

وأشرقت فضة عينَي السماء الأم....

«زالي!»

فتحت عيني لأجد «زين» يهزني من كتفي.

سألني: «أنت بخير؟». وهو يميل على حافة الحوض.

أومأت، لكنني لم أستطع حمل نفسي على الكلام، لا توجد كلمات، فقط شعور واخز متلكئ.

سألت «أماري»: «هل يمكنك الوقوف؟».

حاولت دفع نفسي خارج الحوض، لكن بمجرد قيامي بهذا، صار العالم كله يدور.

قال «ليكان» موجِّهًا: «لا تتحركي. جسمك بحاجة للراحة. سحر الدم يستنزف قوة الحياة منك». الراحة. كررت الكلمة في ذهني. الراحة في وقت لا نملكه، إن كان دليل «ليكان» فيما يتعلق بموقع حجر الشمس صحيحًا، فنحن بحاجة إلى التوجه نحو إيبيجي للعثور عليه، وأنا لا يمكنني أن أكمل الطقس بدون الحجر، ووقتنا بدأ ينفد بالفعل، بقي على الانقلاب ثلاثة أرباع شهر فقط.

قال «ليكان» ملحًّا، مستشعرًا استعجالي بشكل أو بآخر: «عليك اقتطاع ليلة واحدة، إن إيقاظ السحر يشبه إضافة حاسة جديدة، جسمك يحتاج وقتًا للتكيف مع الضغط».

أومأت وأغمضت عيني، وتكومت على الحجر البارد، غدًا تبدئين، ستتجهين إلى إيبيجي، وتعثرين على الحجر، وستذهبين إلى الجزيرة المقدسة، وستؤدين الطقس.

كررت الخطة مرارًا وتكرارًا، فجلب تكرارها النوم إلى عيني، إيبيجي. الحجر. الجزيرة. الطقس.

مع مرور الوقت تلاشى ذهني إلى سواد ناعم، على بعد ثوانٍ من النوم، وكنت على وشك النوم حين أمسك «ليكان» بكتفي وجذبني لأقف على قدمي.

صاح «ليكان»: «ثمة شخص قادم، لا بد أن نذهب!».

# الفصل التاسع عشر

# عنـان

*- لقد جرجرونا إلى منتصف العالم.*
*- لماذا لا يخبروننا بما سرقت؟*
***- إذا كانت تلك الحقيرة تظن أنني على استعداد للموت على هذا الجرف.***

نادتني «كايا» من أسفل: «عنان، على رسلك!». استغرقت لحظة لأدرك أنها ليست مجرد صوت آخر في رأسي.

كلما اقتربت من شاندومبلي، زادت الأصوات علوًا.

اللعنة على السماوات، إن شكاوى الحراس تطن مثل نحل العسل داخل جمجمتي وعلى الرغم من أنني أريد منعها، فإنني لا أستطيع كبت اللعن بداخلي، وحتى أدنى مجهود لفعل ذلك يجعل ساقيّ تنزلقان في الجرف.

لدغة السحر تثني كل شيء بداخلي، كفيروس يدمر كياني كله، لكن ليس لدي خيار، لا أستطيع الصعود وإضعاف نفسي.

يجب أن أفتح الباب للظلمات.

إن مقاومتي لقواي لها لسع أسوأ من الحرق الذي يحرق معدتي، وفي كل مرة أصطدم فيها بفكرة خارجية عني يقشعر بدني، وكل ومضة من عاطفة شخص آخر تجعل شفتي تلتويان.

السحر يغلي بداخلي، سامًّا، مثل ألف عنكبوت تزحف على بشرتي، وإنه يريد المزيد مني. اللعنة تأبى إلا أن تشق طريقها فيّ...

على نحو مترنِّح، ينهار موطئ قدمي.

الحجارة عند قدمي تتدهور مثل انهيار جليدي.

صحت بصوت مرتفع حين ارتطم جسدي بالحائط، بينما قدماي تبحثان عن موطئ جديد.

صاحت «كايا» من الحافة المنخفضة: «عنان!». كانت صيحتها مربكة أكثر منها مفيدة، انتظرَتْ مع الركائب والجنود الآخرين، بينما أراقب

أحد المسارات.

انزلق الحبل والقدَّاحة من جيوب حزامي وأنا أتمايل، وكذلك انزلق غطاء الرأس.

*لا!*

على الرغم من أن ذلك يمثل مخاطرة، فإنني مددت يدي اليسرى، وأمسكت غطاء الرأس قبل أن يتفادى قبضتي، وبينما اكتشفت قدمي موطئ قدم جديدًا، صعدتْ إلى السطح ذكرياتٌ لا أستطيع مقاومتها.

*«اضربي يا أماري»*.

رددت جدران قبو القصر الحجرية صدى أمر والدي، عند عمق كبير تحت الأرض، حيث كانت أوامره قانونًا، وارتجفت يدا «أماري» الصغيرتان، وهي تكاد لا تقوى على رفع السيف الحديد.

لم يكن مثل السيوف الخشبية التي كان يجبرنا على المبارزة بها، بأنصال غير حادة كانت تسبب كدمات لكنها لا تقطع، فقد كان الحديد حادًّا، ذا حافة مسننة، وبالضربة الصحيحة لا نصاب برضوض فحسب؛ بل ننزف.

*«لقد قلت: اضربي!»*. كانت صيحات أبي مثل الرعد، وأمره لا يمكن لأحد أن يتحداه، إلا أن «أماري» هزت رأسها، وتركت سيفها يسقط.

جفلت حين سقط مقعقعًا على الأرض، صلبًا وحادًّا، والتحدي يرن في كل كلمة.

*«التقطيه!». أردت أن أصرخ.*

على الأقل إذا ضربت، يمكنني أن أدافع عن نفسي.

*«اضربي يا أماري»*.

وصل صوت أبي إلى جواب منخفض لدرجة تجعله يحطم الصخر.

ومع ذلك تماسكت واستدارت بعيدًا، تدفقت الدموع من وجهها، لم يرَ أبي سوى الضعف. بعد كل هذا الوقت، أعتقد أن هذا ربما كان نقطة قوة.

استدار أبي نحوي، بوجه مظلم، يتمايل في ظلال ضوء المشعل.

«*أختك* اختارت نفسها، كمَلِك يجب عليك أن تختار أوريشا».

اختفى كل الهواء من الغرفة، وضاقت بنا بعد سعة، وتردد صدى أوامر أبي في رأسي، أوامره كي أحارب نفسي.

«اضرب يا عنان». اشتعل الغضب في عينيه: «يجب *أن تقاتل الآن!*».

صرخت «أماري» وغطت أذنيها، كل شيء فيَّ كان يرغب في أن يهرول إلى جانبها؛ لأحميها، لأنقذها، لأعدها بأننا لن نضطر للقتال أبدًا.

*«واجبك قبل نفسك»*. واصل أبي حديثه بصوت أجش، *«أرني أن بإمكانك أن تكون ملكًا!»*.

في تلك اللحظة، توقف كل شيء.

تقدمت إلى الأمام بسيفي.

«عنان!».

أعادني صياح «كايا»، مخترقًا أعمق أعماق ذكرياتي.

التصقت بجانب الجبل، وإحدى قدمي متدلية، بصيحة عالية، واصلت التسلق، ولم أتوقف حتى وصلت إلى الحافة القادمة، وتصبب العرق من جسدي وأنا أفرك بإبهامي خاتمًا مزخرفًا في غطاء رأس «أماري».

لم نتحدث عن هذا قط ولا مرة واحدة. حتى بعد كل هذه السنوات، «أماري» كانت ألطف من أن تثير هذا الموضوع، أما أنا فكان خوفي يمنعني من إثارته.

واصلنا الحياة، وبيننا دائمًا هوة غير مرئية، لم يكن على «أماري» أبدًا العودة إلى القبو، أما أنا فلم أغادره.

رغم أن عضلاتي ترتعش، فقد وضعت غطاء الرأس في جيبي، لا يوجد وقت لأضيعه، لقد خذلت أختي ذات مرة، لن أكرر هذا الخطأ مرة أخرى.

مع صعودي، نبضت روح الماجي كما لم يحدث من قبل، لا بد أنها موجة لا تستطيع التحكم فيها. رائحة روحها الشبيهة برائحة ملح البحر قوية لدرجة طغت على رائحة القرنفل القادمة من البروميليادات تحت أنفي. توقفت حين لاحظت الجذوع المفلطحة عند قدمي.

*آثار...*

لقد كانت هنا.

إنها قريبة.

*أنا قريب.*

*اقتلها*، دق قلبي بعنف وأنا أنشب أظفاري في الحافة الجبلية، اقتلها، اقتل السحر.

حين تكون الفتاة في قبضتي أخيرًا، سيكون كل هذا مستحقًّا للعناء الذي بُذل، وستعود إليَّ مملكتي مرة أخرى.

وكزني غطاء رأس «أماري» في جانبي وأنا مستمر في الصعود. لم أستطع إنقاذها من أبي حينذاك، لكنني اليوم سأنقذها من نفسها.

# الفصل العشرون

# زالي

*«أسرع»*. نادى «ليكان» ونحن نركض عبر قاعات المعبد، كان «زين» يحملني على كتفيه، وقبضته مشددة حول خصري.

سألت «أماري»: «من هذا؟». رغم أن الرعشة التي في صوتها توحي بأنها تعرف. أخوها جرحها مرة. فمن يقول إن هذا لن يحدث مرة أخرى؟

سألتُ عن هراوتي بين أناتي، الحديث يستنفد كل طاقتي، لكنني أحتاجها لأقاتل، أحتاجها لإبقائنا أحياء.

«تكادين لا تقوين على الوقوف». أمسكني «زين» قبل أن أنزلق من على ظهره.

«اصمتي! وبحق الآلهة حاولي أن تتشبثي بي!».

وصلنا إلى طرف مسدود في القاعة، وضغط «ليكان» راحة يده على الحجر، تراقصت الرموز المكتوبة بالحبر على جلده وانتقلت إلى الحائط، وحين خلت ذراعه اليمنى من السينباريا، دق الحجر، وانزلق عن فتحة تفضي إلى غرفة ذهبية، فوَلَجْنَا إلى الفجوة المخبأة العجيبة، والممتلئة من الأرض إلى السقف بأرفف بها لفافات ملونة رقيقة.

سأل «زين»: «هل نختبئ هنا؟».

اختفى «ليكان» خلف رفٍّ ضخم قبل أن يعود بحزمة من اللفافات السوداء. قال مفسِّرًا: «نحن هنا لاسترداد هذه التعاويذ، ينبغي أن تنضج قواها إن كانت ستؤدي دور مامالاوو».

قبل أن يتمكن «زين» من الاعتراض، قام «ليكان» بدفعها إلى صندوقي الجلدي مع المخطوطة الرقِّية الخاصة بالطقس.

قال «ليكان»: «حسنًا، اتبعوني!».

بتوجيهات «ليكان»، درنا حول زوايا المعبد بسرعة جديدة، هابطين مجموعات لا تنتهي من الدرج، وانزلق جدار آخر فصرنا في جانب المعبد المشوه، لتستقبلنا حرارة الغابة.

تحت أشعة الشمس المتلاشية، شعرت بنبضات في رأسي، كان الجبل بأكمله يضج بالحياة، ورغم أن جلبة الطاقة الروحية كانت تطن من قبل، فإن أرضيات المعبد الآن تجتاحني حتى بصرخات وصيحات مسكونة. تدور الأرواح الشبيهة بالظلال للسينتاروهات المذبوحين حول جسدي مثل المغناطيسات حين تنجذب إلى المعادن.

*إحياء السحر مثل إضافة حاسة جديدة، طفَتْ كلمات «ليكان» إلى السطح يحتاج جسمك إلى وقت ليعتاد الأمر.*

إلا أن التعود لا يأتي، والسحر يسحق كل حاسة أخرى، مما يجعل الرؤية تكاد تكون مستحيلة، ورؤيتي تروح وتجيء بينما «زين» يركض بي عبرالأنقاض، أوشك «ليكان» أن يقودنا إلى أحراش الغابة حين تذكرتها.

«نائلة!».

«انتظر». همس «زين» خلف «ليكان»، متوقفًا بشكل مباغت. «ليونيرتنا بالخارج من ناحية المقدمة».

«لا يمكننا المخاطرة...».

«لا!». صرخت. ضغط «زين» يده على فمي لخنق الصوت، سواء وُجد حراس أم لا، لن أتخلى عن «نائلة». لن أترك أقدم أصدقائي خلفي.

أطلق «ليكان» تنهيدة محبطة، لكننا عدنا إلى المعبد، عادت رؤيتي تدريجيًا وأنا ألتصق بجانب المعبد، لأطل إلى الخارج على المقدمة.

عبر مقبرة الجماجم والآثار، رأيت «عنان» يصل أسفل المعبد آخذًا بيد الأميرال، والجنود الباقون يحثُّون ركائبهم على الحافة الأخيرة، وثمة دافع مجنون يظهر في عينيه، وقد صارت رغبته في أن يعثر علينا أعمق من ذي قبل، فبحثت عن الأمير الذي كان يرتعد في أحلامه، وبدلًا من ذلك، لم أرَ سوى اليدين الملفوفتين حول عنقي.

أمام «عنان»، كان ثلاثة من الحراس يركلون الأحجار المنهارة والعظام المكسورة، لقد اقتربوا.

صاروا أقرب من أن يكون متاحًا لنا الاختباء.

*«سيون، إيمي أوكان، سيون. سيون، إيمي أوكان، سيون»*. رتَّل «ليكان» تعويذة بصوت خفيض، وكأنه يدخل خيطًا في إبرة، مطوِّحًا بهراوته على شكل دوائر، فاستدعت الكلمات ملفًّا من دخان أبيض يدور ويلتف كالدوامات عبر الهواء.

*النوم، الروح، النوم، ترجمتُ ما قاله «ليكان»، النوم، الروح، النوم....*

رأينا الملف يسعى على الأرض مثل الثعبان، ويلف نفسه حول ساق أقرب حارس، وراح يضغط حتى تسرب في جلده، فتدحرج الحارس إلى الأمام، وتعثر خلف كومة من الحجارة، ومضت عيناه بوميض أبيض فيه من روح «ليكان» قبل أن يتدحرج مغشيًّا عليه.

انزلق الملف الأبيض عن جسده وأعاق الجندي التالي بنفس الطريقة، وحين سقط، سحب «عنان» والأميرال ليوبانيرة الثلوج الشرسة بعيدًا عن الحافة.

همست «أماري» بصوت كالصفير: «ليكان». وقطرات العرق تتكون على جبينها، بهذه السرعة لن نفلح. سوف يجدوننا قبل أن نخرج.

زاد «ليكان» سرعة تلاوته أكثر وأكثر، وراح يطوح هراوته كأنه يقلب التيوباني في وعاء من الحديد، وانسابت الروح نحو الحارس الأخير، على بعد ثوانٍ من «نائلة»، لمعت عيناها الصفراوان بخبث الضوارى. *لا، يا «نائلة». من فضلك...*

«*آخ!*». دوّت صرخة الحارس المدوية في الهواء، وحلقت أسراب طيور عاليًا في السماء، وتدفق الدم من فخذه حين أخرجت «نائلة» أنيابها العملاقة.

استدار «عنان» بركوبته، والموت يطل من عينيه في جنون، وهبطوا عليَّ جميعًا وضيقوا الخناق كحيوان مفترس أمسك بطريدته أخيرًا.

«نائلة!».

طاحت ليونيرتي عبر الأنقاض المدمرة، ووصلت إلينا في لحظات، وربط «زين» جسدي في السرج قبل أن يندفع الآخرون جميعًا نحوي.

أطلق «زين» لها العنان، بينما كان «عنان» والأميرال يسحبان سيفيهما قبل ان يتمكنا من الوصول إلينا، وانطلقت «نائلة» مخترقة جانب الجبل، وتهاوت الحجارة المكسورة تحت حوافرها في فرارها قافزة على الحافة الضيقة.

«هناك!». أشار «ليكان» إلى الدغل الكثيف. «هناك جسر بعد بضعة كيلومترات. إذا عبرنا عليه ثم هدمناه، فلن يكونا قادريْنِ على متابعتنا!».

شد «زين» مِقْوَد «نائلة» فراحت تطوي الغابة بسرعة فائقة وهي تتفادى الكروم والأشجار الضخمة. نظرت خلال الدغل، فرأيت الجسر على البعد، لكن صيحة تنذر بالخطر ذكرتني بأن «عنان» في إثرنا. اختلست نظرة إلى الخلف، وكانت الفروع السميكة ترتطم بجسد ليوبانيرة

الثلوج الخاصة به وهي تخترق الدغل، وقد كشفت عن أسناها البشعة كلما اقتربت، جائعة مثل سيدها.

صرخ «عنان»: «أماري!».

توترت «أماري» والتصقت بي بشدة، «أسرعي!».

«نائلة» بالفعل تعدو أسرع مما رأيتها في أي وقت مضى، لكن بطريقة ما وجدت القوة لتزيد من سرعتها. كانت وثباتها تطيل حياتنا، وتخلق مسافة مطلوبة بيننا وبين مطاردينا.

انطلقنا خلال الدغل وتوقفنا بغتة أمام الجسر المتهالك، وكانت الأخشاب المتآكلة مرتبطة معًا بجذوع الكروم الذابلة، ومع كل هبة هواء كان البنيان كله يهتز.

قال «ليكان» آمرًا: «الواحد تلو الآخر، لن يتحملنا جميعًا، زين، قُد زالي..».

«لا». انزلقت إلى الأرض، وكدت أسقط على الأرض حين لمست قدمي الطين، شعرت أن قدمي كالماء، لكني أجبرت نفسي على التماسك. «نائلة أولًا - ستستغرق الوقت الأطول».

«زيل..».

صرخت: «اذهبي! الوقت ينفد من بين أيدينا!».

كزَّ «زين» على أسنانه وأمسك «نائلة» من مقودها، وقام بتوجيهها عبر الجسر المتأرجح، منكمشًا من الخوف والخشب يئن مع كل خطو ة، وفي الثانية التي عبرا فيها دفعت «أماري» إلى الأمام، لكنها لم تفلت ذراعي.

قالت بصوت مختنق: «أنت مرهقة، لن تستطيعي العبور وحدك».

جذبتني إلى الجسر، وانقلبت معدتي حين وقعت في خطأ النظر إلى أسفل، تحت ألواح الخشب المتآكلة، وكانت صخور حادة تبرز نحو السماء، مهدده بطعن أي شخص يجعله سوء حظه يسقط.

أغمضت عيني وأمسكت بكروم الغابة، وهي بالفعل مشقوقة ومهترئة، فقبض الرعب صدري بقوة لدرجة جعلتني لا أستطيع التنفس.

قالت «أماري» بلهجة آمرة: «انظري إليَّ!». وأجبرتني على فتح عيني. على الرغم من أن جسدها نفسه كان يهتز كان عزمها الأكيد يطل من نظرتها الكهرمانية. لم أعد قادرة على رؤية شيء فأمسكتْ بيدي، وراحت تقودني قسرًا لوحًا بلوح والألواح تئن من تحتنا، وحين توسطنا الجسر اندفع «عنان» من وسط الدغل الكثيف، والأميرال على بعد لحظات منه.

فات الأوان. لن نُفْلِت.

دق «ليكان» الأرض بهراوته: «*أجباجو أوو أوون أوريشا . ياي ماي ناي أجبارا آري!*».

انفجر جسده بوهج أبيض قوي أحاط بجسمَي الركوبتين، وأسقط هراوته ورفع ذراعيه، ومعهما، طار الحيوانان إلى السماء.

صرخ «عنان» والأميرال وهما ينزلقان عن ظهري ليوبانيرتيهما، وقد اتسعت عيونهما من الرعب، وأعاد «ليكان» ذراعيه إلى الوراء، فطارت كل من الركوبتين وسقطتا أسفل الجرف.

*ياللآلهة!....*

تلوَّى جسداهما الضخمان وتثنيا، وتأرجحت حوافرهما نحو السماء، لكن صرخاتهما توقفت حين اخترقتهما الصخور.

استولى هياج مرعوب على الأميرال، وبصرخة حلقومية وثبت واقفة على قدميها، وانطلقت نحو «ليكان» بسيفها.

«أيها الدودة...».

اندفعت إلى الأمام فقط لتجد نفسها محاصرة في مكانها بسحر «ليكان»، هُرع «عنان» لمساعدتها، لكنه صار محاصرًا أيضًا في الضوء الأبيض - ذبابة أخرى في شبكة «ليكان».

صاح «ليكان»: «اهربوا!». وقد برزت أوردته من جلده، جذبتني «أماري» إلى الأمام بأسرع ما يمكن، على الرغم من أن الجسر يضعف مع كل خطوة لنا.

أمرتها قائلة: «اذهبي، لا يمكن أن يحتملنا نحن الاثنتين!».

«لا يمكنك...».

فتحت عيني قسرًا: «سأهرب. اجري. إن لم تجرِي الآن فسنسقط معًا!».

اغرورقت عينا «أماري» بالدموع، لكن لم تكن هناك لحظة يمكن إضاعتها وثبت عبر الجسر وقفزت على الحافة، فسقطت على الجانب الآخر سقطة قوية.

ورغم أن ساقيَّ كانتا تهتزان، اندفعت إلى الأمام، وجرجرت قدمي بمحاذاة الكروم. هيا. حياة «ليكان» على المحك.

أفلت من الجسر صرير مرعب، لكنني واصلت طريقي، وكدت أصل الجانب الآخر، وأصبحت قاب قوسين أو أدنى من العبور....

انقطع غصن من الكروم فجأة.

صارت معدتي في حلقي عندما تهاوى الجسر تحت قدمي، وتأرجحت قدماي، في محاولة مستميتة للإمساك بأي شيء، وتشبثت بلوح خشبي حين ارتطم الجسر بجرف الصخور.

*«زالي!»*.

كان «زين» ينادي بصوت مبحوح وهو يطل من على الحافة، وارتعش جسدي حين تشبثت بلوحة حجرية. حتى الآن أسمعها وهي تنشق، وكنت أعلم أنها لن تصمد.

*«تسلقي!»*.

من خلال رؤيتي المعتمة، الغائمة بالدموع، رأيت كيف شكّل الجسر المكسور سلّمًا، وكانت ثلاثة ألواح هي كل ما كنت بحاجة إليه كي أصل إلى يدي «زين» الممدودتين.

ثلاثة ألواح بين الحياة والموت.

*تسلقي!* أمرت نفسي، لكن جسدي لا يتحرك. تسلقي! صرخت مرة أخرى، تحركي! تحركي الآن!

بيد مرتجفة، أمسكت باللوح الذي يعلوني ورفعت نفسي إلى أعلى.

*واحد.*

أمسكت باللوح التالي ورفعت نفسي مرة أخرى، وقد صار قلبي في حلقي عين انقطع غصن آخر من الكروم.

*اثنان.*

لم يبق سوى لوح واحد فقط. يمكنك أن تفعلي ذلك، لم تأتِي إلى هنا كي تموتي، مددت يدي نحو اللوح الأخير.

«لا!».

تهاوى اللوح تحت وطأة قبضتي.

مر الوقت في لحظة خِلْتها دهرًا، جلدت الريح ظهري بجنون، وراحت تدفعني نحو قبري، أغمضت عيني لتحية الموت.

«آخ!».

قوة رعدية سحقت جسدي وطردت الهواء من صدري، والتف الضوء الأبيض حول بشرتي - بسحر «ليكان».

مثل يد إله، رفعتني قوة روحه، دافعة لي إلى أحضان «زين». استدرت لأواجهه حين تحررت الأميرال من قبضته.

«ليكان...».

انغرس سيف الأميرال في قلب «ليكان».

جحظت عيناه وانفتح فمه عن آخره.

تناثرت دماء «ليكان» حين سقطت على الأرض.

«لا!». صرخت بأعلى صوتي.

أخرجت الأميرال سيفها بقوة، وتهاوى «ليكان» على الأرض، منتقلًا من عالمنا في لحظة. وبينما كانت روحه تغادر جسده، سرت في جسدي، وللحظة، رأيت العالم من خلال عينيه.

*- وأنا أجري في طوابق المعبد مع الأطفال السينتارو، كانت غبطة لا مثيل لها تبدو في نظرته الذهبية - استوى جسده بينما كانت «المامالاوو» تنقش كل جزء من جلده، وتلون الرموز الجميلة باللون الأبيض - صعدت روحه، المرة تلو المرة، مرتحلة عبر أشلاء قو مه المذبوحين - وحامت روحه كما لم يحدث من قبل وهو يمر بصحوته الأولى والوحيدة-*

وبنهاية الرؤيا، بقيت همسة واحدة، كلمة تتأرجح في سواد عقلي.

همست روحه: «عيشي، أيًّا كان ما ستفعلينه، فابقي على قيد الحياة».

# الفصل الواحد والعشرون

## عنان

*قبل اليوم،* لم يكن للسحر وجه.

لم يكن يتعدى حكايات المتسولين والهمسات الخافتة في قصص الخدم. لقد. مات قبل أحد عشر عامًا. وكان يعيش فقط في ظل الخوف الذي بعيني أبي.

السحر لم يتنفس، لم يضرب ولم يهجم.

السحر لم يقتل ركائبي ولم يحبسني داخل قبضته.

أطللت من على حافة الهاوية، فكان جسد «لولا» ثاويًا، مطعونًا بصخرة مسننة، عيناها مفتوحتان في حملقة فارغة، والدم يلطخ فراءها المرقط، عندما كنت طفلًا شاهدت «لولا» تمزق جوريليونة متوحشة ضِعف حجمها.

في مواجهة السحر، لم تستطع أن تقاوم.

«واحد...». همست لنفسي، محوِّلًا وجهي عن المشهد المروع. « اثنان... ثلاثة... أربعة... خمسة...».

أردت أن تبطِّئ الأرقام نبضي، ولكن قلبي صار يدق بقوة أكبر في صدري، ولا توجد أية تحركات، ولا هجمات مضادة.

في مواجهة السحر أصبحنا نملًا.

راقبت صفًّا من المخلوقات سداسية الأرجل حتى شعرت بشيء لزج تحت الكعب المعدني لحذائي. تراجعت بسرعة وتتبعت القطيرات القرمزية إلى جثث الماجي. لا يزال الدم يتسرب من صدره.

رحت أفحصه، وأنا أرى «لماجي حقًّا لأول مرة، حين كان حيًّا، كان يبدو ثلاثة أمثال حجمه الحقيقي، وحشًا مغلفًا باللون الأبيض، وكانت الرموز التي تغطي بشرته الداكنة تتوهج وهو يرمي ركوبتينا عبر الهواء. وبموته اختفت الرموز، وبدونها يبدو بشريًّا على نحو غريب، فارغًا بشكل غريب.

ولكن حتى في موته، كان جثمانه يحيط حلقي بالبرودة، كان يُمسك حياتي في يديه.

لديه فرصة أكيدة كي يلقي بها بعيدًا.
احتكت إبهامي ببيدق أبي المشوه، وشعرت بوخز في جلدي وأنا أتراجع مبتعدًا عن جثمانه. *لقد فهمت الآن يا أبي.*

في وجود السحر سنموت.

*لكن بدونه...*

انحرفت نظراتي عائدة إلى الرجل الميت، إلى الأيدي التي أنعمت عليها السماء، والأقوى من الأرض. لا نجاة لأوريشا في وجود قدرة من هذا النوع. لكن إن استخدمتها في إنجاز المهمة...

زحف مذاق مرير على لساني مع رسوخ الاستراتيجية الجديدة. سحرهم سلاح، وسحري يمكن أن يكون سلاحًا أيضًا. إن كان هناك من الماجي من يستطيع إلقائي في جرف بموجة من يده، فالسحر فرصتي الوحيدة للحصول على اللفافة مرة أخرى.

لكن الفكرة ذاتها تجعل حلقي ينسد. لو كان أبي هنا....

نزلت بنظري إلى البيدق، كنت أكاد أسمع صوته في رأسي.

*واجبك، قبل نفسك.*

أيًا كانت التكلفة أو الرهان.

حتى لو كان خيانة لكل شيء أعرفه، يأتي واجبي لحماية أوريشا أولًا. رفعت يدي عن البيدق.

لأول مرة أتركه.

بدأ الأمر ببطء، متقطعًا، يزحف من طرف لطرف، وتحرر الضغط الذي في صدري، والسحر الذي أكبته بدأ يتململ تحت جلدي، ومع الإحساس النابض ترنحت معدتي، واضطربت بكل ذرة من شعوري بالاشمئزاز، لكن أعداءنا سوف يستخدمون هذا السحر ضدنا.

إن أردت الوفاء بواجبي وإنقاذ مملكتي، فلا بد أن أفعل نفس الشيء.

غصت في الدقات الدافئة النابضة بداخلي، ببطء، ظهرت سحابة وعي الماجي، وكانت غامضة وزرقاء مثل الأخريات، وتتلوى فوق رأسه، وحين لمستها بيدي أتاني جوهر الرجل الميت أولًا: رائحة مختلطة، صدئة، مثل الأخشاب المحروقة والفحم.

زممت شفتي وأنا أغوص في النفس المتلكئة، مادًا يدي لها بدلًا من أن أفر بعيدًا. بدأت ذكرى واحدة تومض في ذهني، يوم هادئ كان معبده فيه يعج بالحياة، كان يركض عبر العشب المُشذَّب، يدًا بيد مع صبي صغير.

كلما فككت القبضة عن سحري زادت الومضة اتساعًا، نفحة من الهواء الجبلي النظيف تملأ أنفي. أغنية بعيدة ترن في أذني، كل التفاصيل صارت ثرية وقوية، أغنية بعيدة كما لو كانت الذكرى المخزنة في وعيه هي ذكراي.

بمرور الوقت، بدأت الإلمام بمعرفة جديدة من أجل الرسوخ؛ روح، اسم، شيء بسيط....

«ليكان...».

دقت كعوب معدنية على الجرف الحجري.

*اللعنة!* في ذهول، كبتُّ سحري.

اختفت رائحة الأخشاب والفحم في لحظة، وعاد ألم حاد في معدتي للظهور بدلًا منها.

أصيبت قنطرة أنفي حين ترنح رأسي من صوت السوط، وبعد لحظات برزت «كايا» من الدغل الكثيف.

كان شعرها الذي بلله العرق ملتصقًا ببشرتها البنية الملطخة الآن بدم «ليكان». مع اقترابها رفعت يدي لأتأكد من أن خوذتي لا تزال تغطي رأسي، لقد كان ذلك أقرب مما ينبغي....

تنهدت قائلة، وهي جالسة بجانبي: «ليست هناك طريقة للعبور، قد استكشفت كيلومترًا كاملًا، بعد تدمير الجسر لا يمكننا التنقل بين هذا الجبل والذي يليه».

*أرقام.* في الومضة الوجيزة التي حصلت عليها من «ليكان»، خمنت هذا، كان ذكيًا، فقد اتبع المسار الوحيد الذي سيسمح لهم بالهروب.

«طلبت منه ألا يفعل ذلك». أزالت «كايا» درعها الأسود، «كنت أعلم أن هذا لن يجدي». أغمضت عينيها، «سيلومني على تمردهم، لن ينظر إليَّ بنفس الطريقة مرة أخرى».

أعرف النظرة التي تتحدث عنها، وكأنها الشمس، وهو السماء، إنها النظرة التي يحتفظ بها أبي لها. النظرة التي يفصح عنها حين يعتقد أنهما وحدهما. ملت بعيدًا ورحتُ أعبث بحذائي، لست واثقًا مما ينبغي أن أقوله. «كايا» لا تنهار أمامي أبدًا، وقبل اليوم كنت أعتقد أنها لا تنكسر على الإطلاق.

وفي يأسها رأيت نفسي: رأيت تنازلي، هزيمتي، لكن هذا ليس مكاني، يجب ان أكون ملكًا أقوى من ذلك.

قلت منفعلًا: «كفي عن الولولة». لم نخسر الحرب بعد.

السحر له وجه جديد.

هذا يعني ببساطة أنني يجب أن أهاجم بنصل جديد.

قلت: «هناك مركز حراسة شرق سوكوتو». *اعثري على الماجي. اعثري على اللفافة.* «يمكننا إرسال خبر الجسر المنهار بصقر النار الخاص بك، إن أرسلوا مجموعة كبيرة من عمال التراحيل يمكننا بناء جسر آخر».

«رائع». دفنت «كايا» وجهها بين يديها. «لنجعل الأمر أسهل للديدان حتى تعود وتقتلنا عند استعادة قدراتها».

«سنعثر عليهم قبل أن يحدث ذلك». *سأقتلها.*

إنني من سوف ينقذنا.

سألت «كايا»: «بأية أدلة؟ إن توفير الرجال والمستلزمات فقط سيستغرق أيامًا. وبناءه...».

قاطعتها قائلًا: «ثلاثة أيام». *كيف تجرؤ على التشكيك في منطقي؟* سواء كانت أميرالًا أم لا، «كايا» لا يمكن أن ترفض أمرًا مني.

واصلت قائلًا: «إن عملوا طوال الليل يمكنهم إنجاز العمل. لقد رأيت عمال تراحيل يبنون قصورًا في أقل من هذا».

«أي فائدة ستكون للجسر يا عنان؟ حتى لو بنيناه، فلن يكون هناك أثر لتلك الدودة حين يتم بناؤه».

توقفت ونظرت عبر الجرف. كادت رائحة روح الفتاة الشبيهة برائحة ملح البحر تذهب، متلاشية في دغل الغابة. وبحلول الليل فلن أكون قادرًا على استشعار الربانية على الإطلاق.

*إلا إذا..*

استدرت نحو المعبد، متذكرًا حين جعل الأصوات تفيض في ذهني. إذا كان يمكنه ذلك، فربما يمكن أن يتيح لسحري استشعار المزيد.

«شاندومبلي». بدلت قطع السينيت في ذهني. «لقد أتوا إلى هنا للحصول على إجابات، ربما أمكنني العثور على بعضها أيضًا».

نعم، *هذا هو الحل*، إذا اكتشفت ما يضخِّم لعنتي، يمكنني استخدامه في اقتفاء أثر الفتاة هذه المرة فقط.

«عنان...».

قاطعتها قائلًا: «سوف يجدي هذا. استدعي عمال التراحيل وقودي البناء أثناء قيامي بالبحث. ستكون هناك آثار للفتاة هناك. سأكشف عن قرائن تبين وجهتهم».

وضعت بيدق أبي في جيبي؛ في غيابه، كان الهواء يرتطم باردًا بجلدي، هذه المعركة لم تنته بعد. هذه ليست سوى بداية الحرب.

«ابعثي برسالة واجعي فريقًا. أريد هؤلاء العمال على هذه الحافة بحلول الفجر».

«عنان، كقائد...».

قاطعتها: «أنا لا أخاطبك كقائد لك، أنا آمرك كأمير لك».

تصلبت ملامح «كايا».

انهار شيء ما بيننا، لكنني أرغمت نفسي على أن تظل نظرتي محايدة. أبي لم يكن ليتحمل ضعفها. ولا أنا يمكنني ذلك.

«حسنًا». زمَّت شفتيها على شكل خط مشدود. «رغبتك أوامر بالنسبة لي».

بينما كانت تسير في شموخ مبتعدة، رأيت وجه الماجي في ذهني، صوتها البائس، عيونها الفضية.

حدقت عبر الفراغ إلى حيث اختفت روحها الشبيهة بملح البحر بين أشجار الغابة.

همست: «استمري في الجري».

*أنا قادم لك.*

# الفصل الثاني والعشرون

# أماري

***في القصر***، كانت كل نافذة أو شباك في رواقي يسمح فقط بأن أنظر إلى الداخل، وكان لأبي الجناح الجديد المُشيَّد بعد أن وُلدت، وقد أصرَّ على أن تطلَّ كل نافذة أو كل شباك على البلاط فقط، وكان أكثر ما يمكنني رؤيته من العالم الخارجي بساتين الليوباردات بحديقة القصر اليانعة. القصر هو كل ما ينبغي أن تهتمي به، هذا هو ما كان أبي يقوله عندما كنت أتوسل إليه لرؤية إطلالة أخرى، مستقبل أوريشا يُقرَّر داخل هذه الجدران، *وكأميرة، يُحدَّد مستقبلك بها أنت أيضًا*.

حاولتُ الالتزام بكلماته، والسماح لحياة القصر بإشباعي مثلما حدث مع أمي، ولقد بذلت جهدًا في التواصل مع المعارف الآخرين وبناتهم، حاولت أن أجد الترفيه في نميمة القصر، ولكن في الليل اعتدت التسلل إلى رواق «عنان» والتسلق إلى الشرفة المطلّة على عاصمتنا، كنت أتخيل ما يكمن وراء الجدران الخشبية للاجوس، والعالم الجميل الذي كنت أشتاق إليه.

*يومًا ما، سأهمس لـ «بينتا»*.

*في يوم من الأيام سترد الابتسام*.

وبينما كنت أحلم، لم أتخيل أبدًا جحيم الغابة، بكل هذا البعوض والعرق والأحجار المُسننة، لكن بعد أربعة أيام في الصحراء، صرت مقتنعة أنه لا حدود لأشكال الجحيم التي يمكن أن تحتويها أوريشا. الصحراء لا توفر أي لحم فوكسر للأكل، ولا توفر ماء أو حليب جوز الهند للشرب. كل ما تقدمه لنا هو الرمل.

جبال لا نهائية من الرمال.

على الرغم من الوشاح الملفوف بإحكام حول وجهي، لدرجة أنني أتنفس بالكاد، تستقر حبات الرمل في فمي.. في أنفي.. في أذني، بتصميم لا يباريه إلا حرارة الشمس الحارقة، في لمسة أخيرة لهذه الأرض اليباب القاتمة، كلما سافرنا خلال هذه الأرض زادت لهفتي للإمساك بمقود

«نائلة» وحثِّها في الاتجاه الآخر، ولكن حتى لو استدرنا الآن، فأين سأذهب بحق السماء؟

أخي يطاردني، وأبي ربما يرغب في الحصول على رأسي، ولا أكاد أتوقع كل الأكاذيب التي نسجتها أمي في غيابي، ربما لو كانت «بينتا» لا تزال في القصر لخاطرت بالعودة وأنا أجر أذيال الخيبة، لكنها ذهبت هي الأخرى.

هذا الرمل هو كل ما لدي.

تضخم الحزن بداخلي وأنا أغمض عيني وأتخيل وجهها، يكاد يأخذني مجرد التفكير العابر فيها بعيدًا عن جحيم هذه الصحراء، لو كانت هنا لكانت الآن باسمة وضاحكة على حبات الرمل التي علقت بين أسنانها، وكانت سترى الجمال في كل هذا. لقد كانت «بينتا» ترى الجمال في كل شيء.

قبل أن أتمكن من إيقاف نفسي، أخذتني أفكاري عن «بينتا» إلى أبعد من ذلك، وأعادتني إلى أيامنا في القصر، في صباح أحد الأيام، عندما كنا صغارًا، ساعدتها على التسلل إلى رواق أمي، حريصة على أن أُرِيها مجوهراتي المفضلة، وحين صعدت على منضدة التزين، فتشت عن القرى التي كان «عنان» سيراها في زياراته العسكرية.

قلت متذمرة: «*هذا ليس عدلًا، سوف يقطع كل الطريق حتى إيكوي، سوف يرى البحر الفعلي*».

«*ستحصلين على فرصتك*». ظلت «بينتا» في الخلف، ويداها مشدودتان إلى جنبيها، وبغض النظر عن عدد المرات التي أشرت إليها فيها كي تنضم إليَّ، أصرَّت أنها لا تستطيع ذلك.

«يومًا ما». وضعت قلادة الزمرد الثمينة الخاصة بأمي على رأسي، مفتونة بلمعانها في ضوء المرآة، سألت: «ماذا عنك؟» حين نرحل، «ما القرية التي تريدين رؤيتها؟».

«أي شيء». فقدتْ عينا «بينتا» التركيز، «كل شيء». عضَّت شفتها السفلى حين ظهرت ابتسامة على وجهها، «أعتقد أنني أحب الكل، لا أحد في عائلتي سافر في أي وقت مضى وراء أسوار لاجوس».

«لمَ لا؟». لويت أنفي ونهضت على قدمي، ومددت يدي نحو العلبة التي كانت تحوي غطاء الرأس العتيق لأمي، كان أعلى من متناول يدي، فملت إلى الأمام.

«*أماري، لا تفعلي!*».

قبل أن توقفني كلمات «بينتا» فقدت اتزاني، وفي اضطرابي أسقطت العلبة، وخلال ثانيتين سقط كل شيء آخر إلى الأرض.

لا أعرف كيف وصلت أمي بهذه السرعة، ردَّد المدخل المقوس لغرفتها صدى صوتها وهي ترى الفوضى التي أحدثتها.

حين لم أستطع الكلام، كانت «بينتا» هي التي تقدمت، «*أعتذر بشدة يا مولاتي، لقد طُلب مني تلميع مجوهراتك، أتت الأميرة أماري لمساعدتي فقط، إن كنتِ لا بد معاقبةً أحدًا، فعاقبيني أنا*».

«*أنت شقيَّة كسول*». جذبت أمي «بينتا» من معصمها. «أماري أميرة، هي ليست هنا للقيام بالأعمال المنزلية بدلًا منك!».

«أمي، هذا ليس...».

«*اهدئي*». ردت أمي منفعلة، وراحت تجر «بينتا» مزمجرة، «*من الواضح أننا كنا متساهلين جدًّا معك. سوف يعلمك هذا السوط ما لم تتعلمي*».

«*لا يا أمي! انتظري*».

تعثرت «نائلة»، وسحبتني من أعماق شعوري بالذنب، وتلاشى وجه «بينتا» الصغير من ذهني، بينما كان «زين» يكافح لمنعنا من السقوط من على جبل من الرمال، فأمسكت بالركاب الجلدي، بينما انحنت «زالي» إلى أسفل لتدليك فروة «نائلة».

قالت «زالي» مهدئة: «أنا آسفة يا فتاة، أعدك بأن نصل إلى هناك سريعًا».

«هل أنت متأكدة؟». خرج صوتي جافًّا، هشًّا مثل الرمال المحيطة بنا، لكنني لا أستطيع معرفة كون الغصة التي في حلقي من نقص الماء أم من ذكرى «بينتا».

رد «زين»: «لقد اقتربنا». بعينين نصف مغمضتين لتفادي أشعة الشمس، حتى وعيناه شبه مغمضتين تشدني نظرته البنية العميقة، ما يجعل الدماء تصعد إلى وجنتي، «إن لم نصل هناك اليوم، فسنهبط إيبيجي غدًا».

سألت «زالي»: «لكن ماذا لو كان حجر الشمس ليس في إيبيجي؟ ماذا لو كان دليل ليكان خاطئًا؟ أمامنا فقط ثلاثة عشر يومًا حتى الانقلاب. وإذا لم يكن هنا، *فستصيبنا اللعنة*».

*لا يمكن أن يكون مخطئًا*....

هذه الفكرة جعلت معدتي الفارغة تضطرب، كل التصميم الذي شعرت به في شاندومبلي تقوَّض. *اللعنة!* لو كان «ليكان» لايزال حيًّا لصار كل هذا أسهل بكثير، بتوجيهاته وسحره، ما كانت مطاردة «عنان» لنا ستمثل خطرًا، وكانت ستتاح لنا الفرصة للعثور على حجر الشمس، وربما كنا الآن في طريقنا إلى الجزيرة المقدسة لأداء الطقس.

ولكن بذهاب «ليكان» لم نعد أقرب إلى إنقاذ الماجي، كل ما هنالك هو أن الوقت ينفد من بين أيدينا، ونحن نهرول باتجاه حتفنا.

«ليكان لن يقودنا إلى ضلال، إنه هنا». توقف «زين» مؤقتًا، مادًّا عنقه. «وما لم يكن هذا سرابًا فقد وصلنا».

نظرت أنا و «زالي» عبر كتفي زين العريضتين، والحرارة ترتد عن الرمال في موجات، ويغيم بها الأفق، لكن بمرور الوقت تبلور جدار متشقق من الطين على مرمى البصر. لدهشتي، كنا مجرد ثلاثة من العديد من المسافرين في طريقهم إلى المدينة الصحراوية من جميع الاتجاهات، وبخلافنا، يسافر العديد من الجماعات المهاجرة في قوافل من الأخشاب المقوَّاة والمزينة بالذهب، وتكون المركبات شديدة الزخرفة بشكل يوحي بأنها لا بد مملوكة لنبلاء.

سرَتْ نبضة إثارة في دمي وأنا أُضيِّق عيني لأحدَّ بصري، حين كنت طفلة، سمعت أبي ذات مرة يحذر الجنرالات من مخاطر الصحراء، وهي أراضٍ يهيمن عليها سحرة الأرض، ويزعم أن سحرهم يمكن أن يحوِّل كل حبةٍ واحدة من الرمال إلى سلاح فتاك، وفي وقت لاحق من تلك الليلة أخبرت «بينتا» بما عرفته وهي تمشط خصلات شعري المتشابكة.

قالت لي مصحِّحة: *هذا غير صحيح، سحرة الأرض في الصحراء سلميُّون، يستخدمون سحرهم لإنشاء مستعمرات من الرمال.*

في تلك اللحظة تصورت كيف يمكن أن تبدو مدينة رملية، غير مقيدة بالقوانين والمواد التي تحكم الهندسة المعمارية لدينا، لو أن سحرة الأرض يحكمون الصحراء حقًّا لانهارت مدنهم الرائعة، مختفية باختفائهم.

لكن بعد أربعة أيام في الصحراء البشعة، تألقت مستوطنة إيبيجي الصغيرة، أول علامة للأمل في هذه الأرض القاحلة البائسة، شكرًا للسماء!

ربما تكون النجاة قد كتبت لنا بعد كل هذا.

أطلت علينا خيام الصفيح وأكواخ الأهيري من الطمي ونحن نسير بحذاء الجدار، على غرار مساكن الأحياء الفقيرة في لاجوس، وكانت الأكواخ

الرملية محكمة ومربعة، غارقة في أشعة الشمس، ولاح لنا أكبر أكواخ الأهيري عن بُعد، حاملًا ختمًا أعرفه جيدًا، حيث كانت ليوبانيرة الثلوج المنحوتة تومض في أشعة الشمس، وقد كشفت عن أنيابها الحادة مستعدة للنهش.

قلت بصوت أجش: «مركز حراسة». متوترة في سرج «نائلة»، على الرغم من أن الخاتم الملكي منقوش في الجدار الطيني، يتمايل في ذهني مثل الرايات المخملية في غرفة عرش أبي، وبعد الغارة ألغى الختم القديم، وهو عبارة عن ليونيرة مُطهَّمَة بقرنَيْ ثور كانت تجعلني دائمًا أشعر بالأمان. بدلًا من ذلك، أُعلن أن قوتنا ستمثلها ليوبانيرات الثلوج: وهي ركائب قاسية، غير مهجَّنة.

أخرجتني «زالي» بغتة من أفكاري حين نادتني بصوت كالفحيح، وترجلت من فوق «نائلة» ولفَّت وشاحها بشكل أحكم حول وجهها، وحثتني لفعل الشيء نفسه.

«هيا بنا ننقسم». انزلق «زين» عن ظهر «نائلة» وسلمنا قربته. «لا ينبغي رصدنا معًا، فلتذهبوا لإحضار الماء، وسوف أجد مكانًا أبقى به».

أومأت «زالي» وسارت مبتعدة، لكن مرة أخرى جذب «زين» نظري.

«هل أنت بخير؟».

أومأت بشكل مفتعل، على الرغم من أنني لا أستطيع حمل نفسي على الحديث، لمحة واحدة من الختم الملكي جعلت حلقي وكأنه امتلأ بالرمل.

«فقط كن على مقربة من زالي».

*لأنك ضعيف*، تخيلته يبصق، رغم أن عينيه الداكنتين كانتا طيبتين؛ *لأنه بالرغم من السيف الذي تحمله، لا يمكنك حماية نفسك*.

ضغط ذراعي ضغطة خفيفة قبل أن يمسك مقود «نائلة» ويسير بها في الاتجاه المعاكس، وحدَّقت من الخلف في بنيته المتينة، مقاومة رغبتي في متابعته حتى نادت «زالي» باسمي بصوت كالفحيح.

*سيكون هذا جيدًا*، رسمت ابتسامة على وجهي، رغم أن «زالي» لم تنظر ناحيتي. اعتقدت أن الأمور بدأت تتحسن بيننا بعد سوكوتو، ولكن أيًّا كان حُسن النية الذي ربحته، فقد سُحق في الدقيقة التي ظهر فيها شقيقي في المعبد. على مدى الأيام الأربعة الماضية، لم تتحدث «زالي» إليَّ، كما لو أنني الشخص الذي قتل «ليكان»، في المرات الوحيدة التي بدت فيها تنظر إليَّ بالفعل، ضبطتها تحدق في ظهري.

ظللت قريبة ونحن نواصل السير في الشوارع الفارغة، بحثًا عن الطعام دون فائدة، وحلقي يصرخ طلبًا لكوب ماء بارد، ورغيف طازج من الخبز، وقطع شهية من اللحم، ولكن على عكس الحي التجاري في لاجوس، لا يوجد واجهات محلات ملونة، ولا عروض للمباهج النضرة، وتبدو البلدة وكأنها تعاني من الجوع الذي تعانيه الصحراء المحيطة بها تقريبًا.

قالت «زالي» بصوت خفيض: «اللعنة!». وتوقفت حين زادت رعشتها، وعلى الرغم من أن الشمس ترسل أشعتها بقوة، فإن أسنانها كانت تصطك وكأنها في حمام جليدي، منذ يقظتها رعشتها تزداد أكثر فأكثر، ناكصة على عقبيها متى شعرت بأن أرواح الموتى قريبة.

همستُ: «هل هم بهذه الكثرة؟».

بدأت تلهث حين توقفت إحدى الرجفات، «إن الأمر يشبه السير بين المدافن».

«في ظل هذه الحرارة، ربما نكون كذلك».

« لا أدري». نظرت «زالي» حولها، وأحكمت لفَّ وشاحها. «في كل مرة تصيبني فيها الرجفة، أذوق طعم الدم».

اجتاحتني موجة برودة، على الرغم من تسرب العرق من كل مسامي، وإذا كان من الممكن أن تتذوق «زالي» الدم، فأنا لا أريد أن أعرف لماذا.

«ربما..». سكت عن الكلام، وتوقفت وسط الرمال، بينما مجموعة من الرجال تتدفق إلى الشارع، على الرغم من أنهم يتخفون وراء قبعات وأقنعة، كانت ملابسهم المغطاة بالغبار تحمل خاتم أوريشا الملكي.

*حراس.*

أمسكت بـ «زالي» وهي تمد يدها نحوي، وكان كل الجنود تفوح منهم رائحة الخمور، وبعضهم كان يتعثر مع كل خطوة. ارتعشت قدماي وكأنهما من الماء.

ثم، بنفس السرعة التي جاءوا بها، تفرقوا، واختفوا بين أكواخ الأهيري الطينية.

«تمالكي نفسك». دفعتني «زالي» عنها، فقاومت كي لا أسقط في الرمل، ولم يكن هناك تعاطف في نظرتها؛ على عكس «زين»، عيناها الفضيتان كانتا تشتعلان غضبًا.

«لقد كنت فقط...». جاءت كلماتي ضعيفة، رغم أنني أردتها قوية. «أعتذر. لقد بغتَني ما حدث».

«إن كنت ستتصرفين كأميرة صغيرة، فلتتحولي إلى جانب الحراس، لست هنا لحمايتك، أنا هنا لأقاتل».

«هذا ليس عدلًا». أحطت جسمي بذراعَي. «أنا أقاتل أيضًا».

«حسنًا، بما أنك ترين أن والدك خلق هذه الفوضى، لو كنت مكانك لقاتلت بقوة أكبر قليلًا».

بهذا استدارت «زالي»، راكلة الرمال وهي تمضي غاضبة، وكان وجهي يحترق وأنا أتبعها، حريصة على وجود مسافة هذه المرة.

واصلنا المضي نحو ساحة إيبيجي المركزية، حيث توجد مجموعة من الشوارع المتشابكة والأكواخ المربعة المبنية من الطمي الأحمر، مع اقترابنا رأينا المزيد من النبلاء، واضحين بقفَاطِينهم الحريرية المشرقة ومرافقيهم التابعين لهم. على الرغم من أنني لم أتعرف إلى أي منهم، ضبطت وشاحي، قلقة من أن أقل زلة سوف تكشف هويتي، لكن ماذا يفعلون هنا، على هذا البعد الكبير جدًّا من العاصمة؟ هناك الكثير من النبلاء، ولا يفوقهم عددًا إلا عمال التراحيل.

توقفت للحظة، مذعورة من عددهم الذي امتلأ به الدرب الضيق، قبل اليوم، لم أكن رأيت إلا لمحات من العمال الذين يُؤتى بهم للعمل في القصر، وكانوا دائمًا مرحين، يتحلون بالنظافة وحسن التربية التي ترضى عنها أمي. مثل «بينتا»، كنت أعتقد أنهم يعيشون حياة بسيطة وآمنة داخل جدران القصر. لم أفكر أبدًا من أين أتوا، وفي أي مكان آخر ربما ينتهي بهم المطاف.

«اللعنة...». هذا المنظر يكاد يكون أصعب من قدرتي على التحمل. معظمهم من الربانيين، وعدد العمال يفوق عدد القرويين بمراحل، وليس عليهم إلا أسمال بالية، وبشرتهم الداكنة تقرحت تحت أشعة الشمس الحارقة، وقد شوهتهم الأوساخ والرمال التي يبدو أنها احترقت في أجسامهم، وكل منهم لا يكاد يزيد على هيكل عظمي يسير على قدمين.

همست: «ماذا يحدث؟». وأنا أحصر عدد الأطفال الذين في السلاسل، جميعهم تقريبًا صغار، حتى الأكبر ما زال يبدو أصغر مني، بحثت عن الموارد التي لا بد أنهم يبحثون عنها، والطرق الممهدة حديثًا، والقلعة الجديدة المقامة في هذه القرية الصحراوية، لكن لا توجد علامة على جهودهم. «ما الذي يفعلونه هنا؟».

التقت عينا «زالي» بعيني فتاة داكنة ذات شعر أبيض طويل مثلها، وكانت العاملة ترتدي ثوبًا أبيض ممزقًا، وعيناها غائرتان، تكاد تخلو من كل مظاهر الحياة.

غمغمت «زالي»: «إنهم عمال تراحيل، يذهبون إلى حيث يقال لهم».

«بالتأكيد ليس الأمر دائمًا بهذا السوء؟».

«في لاجوس، رأيت أناسًا كانوا يبدون أسوأ من هذا».

سرت نحو مركز الحراس في الساحة المركزية بينما كانت أحشائي منقبضة، ورغم أنه لا يوجد طعام يملأ معدتي، فإنها كانت مضطربة بالحقيقة، بعد كل هذه السنوات من الجلوس صامتة على الطاولة.

أحتسي الشاي بينما الناس يموتون.

مددت يدي لملء قربتي من البئر، متفادية عيني الحارس الحذرتين، ومدت «زالي» يدها للسبب نفسه....

انقض الحارس بسيفه في غضب.

تراجعنا إلى الخلف، بقلوب تدق بعنف، واخترق سيفه الحافة الخشبية حيث كانت يد «زالي» تستقر قبل ثوانٍ فقط. قبضت على هراوتها في نطاق خصرها بيد مرتجفة من الغضب.

تبعت عيناي السيف صعودًا حتى وصلتا إلى الجندي المحملق الذي يحمله، وكانت الشمس قد أكسبت بشرته البنية الضاربة إلى الحمرة لونًا داكنًا، لكن نظرته كانت مشرقة.

قال لـ «زالي» كمن يبصق: «أعلم أنكم أيتها الديدان لا تعرفون القراءة والكتابة، لكن بحق السماء تعلموا كيف تعدون».

ضرب بسيفه لافتة باهتة، وحين سقطت الرمال من حنايا الخشب، ظهرت رسالتها المتلاشية بوضوح: *كأس واحدة = قطعة ذهبية واحدة.*

«هل أنت جاد؟!». كانت «زالي» تغلي.

همست: «يمكننا أن نتحمل هذا». ومددت يدي في حقيبتها.

«لكنهم لا يستطيعون!». وأشارت إلى العمال، هذه المجموعة الحاملة للدلاء تشرب ماءً ملوثا جدًا قد لا يختلف كثيرًا عن الرمال، لكن ليس هذا وقت التمرد، كيف لا ترى «زالي» ذلك؟

«أعتذر أشد اعتذار». خطوت إلى الأمام، واستدعيت أكثر نبرة تدل على الاحترام لدي، كادت نبرتي تبدو قابلة للتصديق، حُقَّ لأمي أن تفتخر بي

وضعت ثلاث عملات ذهبية في يد الحارس، وأخذت قربة «زالي»، مجبرة إياها على التراجع و أنا أملؤها.

«هنا».

دفعت بالقربة في يدها، لكن «زالي» طقطقت بلسانها اشمئزازًا.

أمسكَت بالقربة وسارت عائدة إلى العمال، مقتربة من الفتاة الداكنة في الثوب الأبيض.

قالت «زالي» ملحة: «اشربي، بسرعة قبل أن يراك المشرف عليك».

لم تُضِع العاملة الصغيرة ثانية، فشربت الماء بنهم، وهي بلا شك تتذوق أول شربة لها منذ أيام، وحين ارتشفت جرعة كبيرة مشبعة، مرَّرت القربة إلى الربانية المكبلة أمامها، وبعد تردد، ناولت القربتين الباقيتين إلى سائر العمال.

«أنت طيبة للغاية». همست الفتاة لـ «زالي»، وهي تلعق آخر قطرات على شفتيها.

«آسفة أنني لا أستطيع فعل أكثر من ذلك».

«لقد فعلت أكثر مما ينبغي».

سألتُ: «لماذا هناك الكثير منكم؟». محاولة تجاهل حلقي الجاف.

«لقد أرسلَنا المشرفون إلى هنا للساحة». أومأت الفتاة نحو بقعة تُرى بالكاد وراء جدار الطين، في البداية لم يكن يبرز شيء بين الكثبان الرملية الحمراء وموجات الرمال، ولكن سرعان ما ظهر المدرج بصعوبة.

*اللعنة!....*

لم أرَ أبدًا بنية بهذه الضخامة، ففي مجموعة من الأقواس والأعمدة المتآكلة، كانت الساحة تمتد على نطاق واسع عبر الصحراء، وتغطي الكثير من أرضها القاحلة.

«أنتم تقومون ببنائه؟». قطَّبْتُ جبيني، لا يمكن أن يوافق أبي أبدًا على أن يبني مشرفو التراحيل صرحًا كهذا هنا، الصحراء شديدة الجدب، ولا تحتمل كل هذا العدد من الناس.

هزت الفتاة رأسها: «نحن نتنافس في هذا، يقول المشرفون: إن فزنا، فسوف يسددون جميع ديوننا».

«تتنافسون؟». عقدت «زالي» حاجبيها. «على ماذا؟ حريتكم؟».

«والثروة». صاح العامل الذي أمام الفتاة والماء يقطر من ذقنه. «ذهب يكفي لملء البحر».

قاطعته الفتاة: «هذا ليس السبب الذي يجعلنا نتنافس، النبلاء أغنياء بالفعل، ليسوا بحاجة للذهب، إنهم يبحثون عن آثار بابليوواي؟».

سألت: «بابليوواي؟».

ذكرتني «زالي» قائلة: «إله الصحة والمرض، كل إله له أثر أسطوري، أثر بابليوواي هو أوهون إيزو آيي، جوهرة الحياة».

«هل هذا حقيقي فعلًا؟».

أجابت «زالي»: «مجرد أسطورة. قصة يحكيها الماجي للربانيين قبل النوم».

قالت الفتاة: «ليست أسطورة، لقد رأيتها بنفسي، إنها أقرب إلى الحجارة منها إلى الجواهر، لكنها حقيقية، وتهب حياة أبدية».

أمالت «زالي» رأسها وانحنت للأمام.

خفضت صوتها، وهي تقول: «بمَ تشبه هذه الحجارة؟».

# الفصل الثالث والعشرون

# زالي

***تعجُّ*** *الساحة* بثرثرة النبلاء المخمورين، بينما الشمس تختفي وراء الأفق، وعلى الرغم من هبوط الليل كان المدرج ساطع الأضواء بالفوانيس المعلقة على الجدران المقامة على أعمدة. مررنا بجحافل من الحراس والنبلاء تمتلئ بهم المدرجات المنحوتة في الحجارة، وأمسكت بـ «زين» مستندة عليه، وتعثرت ونحن نجتاز درجات الرمال المتآكلة.

غمغم «زين»: «من أين أتى هؤلاء جميعًا؟». شقَّ طريقه وسط اثنين من الكوسيديين يرتديان قُفطانين تغطيهما الأوساخ، ورغم أن إيبيجي لا يمكن أن تباهي بأكثر من بضع مئات من السكان، فإن الآلاف من المتفرجين تمتلئ بهم المدرجات، وعدد مفاجئ منهم تجار ونبلاء، كل منهم كان يحدق في الحوض العميق بأرضية الساحة، متَّحِدين في حماسهم للألعاب.

قال «زين» ونحن نجلس: «أنت ترتجفين». كانت القشعريرة تسري في جلدي جيئة وذهابًا.

همست: «هناك المئات من الأرواح، مات الكثيرون هنا».

«من المنطقي أن يبني العمال هذا المكان؛ ربما مات منهم العشرات».

أومأت وارتشفت من قربتي على أمل أن أغسل طعم الدم من فمي، بغض النظر عما آكله أو أشربه، لا تذهب النكهة النحاسية، هناك عدد كبير جدًّا من الأنفس حولي محاصرة في جحيم الأبادي.

تعلمت دائمًا أنه عندما يموت الأوريشيون، تصعد الأرواح المباركة إلى العافية: السلام. تحرر من الآلام الأرضية، وحالة من الوجود لا تتحقق إلا في حب الآلهة، وأحد واجباتنا المقدسة كحصدة كان يتمثل في توجيه الأرواح التائهة إلى العافية، وفي المقابل كانوا يمنحوننا قوتهم.

لكن الأرواح التي أثقلتها الخطيئة أو الصدمة لا تصعد إلى العافية، ولا يمكنهم الارتفاع عن هذه الأرض. وبينما تقيِّدهم آلامهم، يبقون في الأبادي، ويعيشون ثانية أسوأ لحظات ذكرياتهم البشرية مرارًا وتكرارًا.

عندما كنت طفلة، كنت أظن أن الأبادي أسطورة، تهديد مريح لمنع الأطفال من سوء التصرف، لكن كحاصدة مستيقظة، أستطيع الشعور بعذاب الأرواح، عذابهم الذي لا يُخفَّف، وألمهم الذي لا نهاية له. فحصتُ الساحة، وأنا غير قادرة على تصديق عدد الأرواح المحاصرة في جحيم الأبادي بين هذه الجدران. لم أسمع أبدًا بشيء كهذا، ماذا حدث هنا بحق الآلهة؟

همست «أماري»: «هل يجب أن ننظر حولنا؟ هل نبحث في الساحة عن أدلة؟».

قال «زين»: «لننتظر حتى تبدأ المنافسة، سيكون الأمر أسهل حين ينشغل الجميع».

وبينما كنا ننتظر، نظرت عبر حرائر النبلاء المزخرفة لتفقُّد الأرضية المعدنية العميقة للساحة. إنه لمشهد غريب بين قوالب الطوب الرملي التي تملأ الأقواس والدرجات المتصدعة. بحثت عن علامة لسفك الدماء في الحديد: ضربة سيف، جرح أحدثته المخالب العملاقة لركائب متوحشة، لكن المعدن لم يُمس ولم يفقد بريقه، *ما نوع هذه المنافسة؟*...

جرس في الهواء.

اتجهت عيناي لأعلى بغتة حين أثار الجرس هتافات الحماس، ووقف الجميع على أقدامهم، مما أجبرني و «أماري» على الوقوف على الدرجات لمجرد الرؤية، وازدادت الهتافات ارتفاعًا عندما صعد رجل ملثم يلتف بثياب سوداء سُلَّمًا معدنيًّا، صاعدًا إلى منصة مرتفعة فوق أرضية الساحة، كانت تحيط به هالة غريبة، شيء مهيمن، شيء ذهبي...

أزال المذيع قناعه ليكشف عن وجه مبتسم بلون بني فاتح لوَّحته الشمس، وضع مخروطًا معدنيًّا على شفتيه.

«هل أنتم جاهزون؟».

زَأَرَ الحشد بقوة جعلت طبلة أذني تطِنُّ، ودوَّى صوت رعدي عميق في البعد، وكان يرتفع أكثر وأكثر حتى...

انفتحت البوابات المعدنية بقوة على جانبي أرضية الساحة، وتدفقت موجة لا نهائية من الماء، *لا بد أن هذا سراب*، ومع ذلك تدفق الماء لترًا بعد لتر، وغطَّى الماء الأرضية المعدنية، متلاطم الأمواج كالبحر.

همست بصوت خفيض كالفحيح: «كيف يمكن هذا؟». وتذكرت العمال الذين لا يزيدون على الجلد والعظم، الكثيرون منهم يموتون شوقًا

للماء وهم يهدرونه على هذا.
صاح المذيع: « لا أسمعكم، هل أنتم جاهزون لمعركة العمر؟».
مع صيحات الحشد المخمور، انفتحت البوابات المعدنية على جانبي الساحة. واحدة تلو أخرى، طفت عشر سفن خشبية، وأبحرت عبر موجات البحر المؤقت، وكانت كل سفينة تمتد على مسافة عشرة أمتار تقريبًا، بصوارٍ عالية، وأشرعة مرفوعة، وطفت السفن، بينما كانت أفراد طواقمها يتخذون مواقعهم، ويشغلون صفوف الدفات الخشبية وخطوط المدافع.
على كل سفينة، وقف رُبَّان يرتدي ملابس صارخة عند المقدمة، لكن حين نظرت إلى الطواقم، توقف قلبي.
كانت العاملة ذات الثياب البيضاء تجلس بين عشرات المجدفين، والدموع ملء عينيها الداكنتين، والفتاة التي أخبرتنا بالحجر كان صدرها يرتفع وينخفض، وكانت تمسك بمجداف كأنها تتشبث بالحياة.
«هذه الليلة يتنافس عشرة قادة من جميع أنحاء أوريشا على ثروة أكبر من ثروة ملك، القبطان والطاقم اللذان سيفوزان سيستحمان في بحر من المجد، محيط من الذهب الذي لا نهاية له!». رفع المذيع يديه وتدحرج اثنان من الحراس في صندوق كبير من القطع الذهبية المتلألئة، وسرت موجة من الرهبة والجشع خلال المدرجات. «القواعد بسيطة - للفوز، لا بد أن تقتل ربان وطاقم كل قارب آخر، على مدى الشهرين الماضيين، لم ينجُ أحد من معركة الساحة، هل هذه الليلة ستكون، أخيرًا، ليلة تتويج المنتصر؟».
اندلعت هتافات الحشد مرة أخرى، وانضم الربابنة لنا، وتألقت عيونهم لكلمات المذيع، فعلى عكس أطقمهم العاجزة، لم يكونوا خائفين.
كل ما يريدونه هو الفوز فقط.
«إذا فاز أحد الربابنة الليلة، فجائزة خاصة ستكون في انتظاره، اكتشاف حديث أكبر من أي جائزة لدينا عرضناها من قبل، ليس لدي شك في أن الشائعات عن عظمتها هي التي جاءت بالكثير منكم الليلة». تبختر المذيع عبر منصته، مكثرًا من التشويق، وتصاعدت الرهبة في داخلي وهو يرفع المخروط المعدني إلى شفتيه مرة أخرى.
«القبطان الذي سيفوز سيذهب بما هو أكثر من مجرد الذهب، سيحصل على جوهرة الحياة، التي كانت مفقودة حتى هذه اللحظة ذاتها،

أثر بابليوواي الأسطوري، هبة الخلود!».

أخذ المذيع الحجر المتوهج من عباءة، توقفت الكلمات في حلقي، وكان حجر الشمس يتألق بلمعان أكبر من اللوحة التي بعث فيها «ليكان» الحياة، بحجم جوزة الهند. كان الحجر يشع بألوان برتقالية، وصفراء، وحمراء تنبض تحت سطحه الخارجي البلوري الأملس، وهذا هو بالضبط ما نحتاج إليه لإكمال الطقس.

آخر شيء نحتاجه لإعادة السحر.

«الحجر يمنح الخلود؟». رفعت «أماري» رأسها: «ليكان لم يذكر هذا».

رددت: « لا، لكن يبدو أن ذلك ممكن».

«من تعتقدين أنه سيفو...؟».

قبل أن تنتهي «أماري»، دوت عبر الهواء انفجارات تُصمُّ الآذان.

ارتَّجت الساحة بينما كانت السفينة الأولى تحترق.

انطلقت قذيفتان من الفوهات المعدنية للمدافع نحو الهدف بلا هوادة، واصطدمت القذيفتان بمجدِّفي القارب التالي، حاصدة الأرواح على إثر الاصطدام.

«آه!» ألم بغيض انتشر في جسدي، على الرغم من أن شيئًا لم يمسسني، وغلّف طعم الدم السميك لساني أقوى من أي وقت مضى.

صاح «زين»: «زيل!». على الأقل، أعتقد أنه صاح، من المستحيل أن أسمعه وسط الصرخات، وأثناء غرق السفينة، اختلطت هتافات الجماهير بصرخات الموتى التي تجتاح عقلي.

قلت: «أشعر به». وكززت على أسناني لتجنب الصرخات المبتورة. «كل أحد، كل موت».

سجن لا أستطيع الهرب منه.

اهتزت الجدران بتأثير انفجار قذيفتي المدفع، وتطاير الخشب المحطَّم عبر الهواء حين غرقت سفينة أخرى، وانهمرت الدماء والجثث إلى الماء، بينما كان الناجون الجرحى يصارعون حتى لا يغرقوا.

كل وفاة جديدة تصدمني بشدة مثل روح «ليكان» في شاندومبلي، فتتدفق خلال عقلي وجسمي. رأسي تجتاحه ذكريات مبتورة يائسة، وجسدي صار مأوًى لكل آلامهم. أعي هذا العذاب وأغيب عنه جيئة

وذهابًا، في انتظار أن ينتهي الرعب، حصلت على لمحة من الفتاة ذات الرداء الأبيض، الآن فقط صارت غارقة في اللون الأحمر.

لا أعرف كم من الوقت دام هذا؛ عشر دقائق، عشرة أيام؟

حين توقف سفك الدماء في النهاية، كنت أضعف من أن أفكر، أو أتنفس. لم يبقَ إلا القليل من السفن العشر أو ربابنتها، وقد انفجر كل منها على يد الآخرين.

دوَّى صوت المذيع فوق صرخات المتفرجين: «يبدو أن ليلة أخرى لن يكون بها منتصر!». وراح يلوح بالحجر حريصًا على أن يقع الضوء عليه.

تألق الحجر على خلفية البحر القرمزي، مضيئًا فوق الجثث العائمة بين شظايا الخشب. منظر جعل الحشد يصرخ بصوت أعلى مما سبق طوال الليل. إنهم يريدون المزيد من الدم.

يريدون معركة أخرى.

«سنرى إن كان ربابنة الغد يمكنهم الفوز بهذه الجائزة الرائعة!».

ملْتُ نحو «زين» وأغمضت عيني. بهذا المعدل، سنموت قبل أن نلمس هذا الحجر.

# الفصل الرابع والعشرون

# عنان

***غطّت الصيحات البعيدة*** من مشرفي عمال التراحيل على صلصلة عمال البناء الخافتة، وطغت صيحات «كايا» الساخطة على كل هذا، ورغم ترددها، بدت بمظهر من يقود المجاميع، بعد ثلاثة أيام تحت قيادتها، كاد الجسر يكتمل.

لكن بينما كان طريقنا إلى الجانب الآخر من الجبل يطول؛ لم أقترب قيد أُنملة من العثور على أية أدلة. ومهما طال بي الطريق، يظل المعبد معضلة، لغزًا لا نهاية له لا أستطيع له حلًّا. حتى تخفيف قبضتي على سحري ليس كافيًا لتعقُّب الفتاة، الوقت ينفد من بين يدي.

لو أن لدي أي فرصة للعثور على الفتاة، يجب أن أتخلى عن كل ما لدي من السحر.

هذه الحقيقة تطاردني، متحدية كل شيء أومن به، لكن البديل أسوأ بكثير، واجبك قبل نفسك، أوريشا أولًا.

أخذت نفَسًا عميقًا، أطلقت فيه كل قيد أخير شيئًا فشيئًا، قلَّ الوجع الذي في صدري، بمرور الوقت، وصعدت لسعة السحر إلى بشرتي.

آمل أن تكون رائحة البحر أول ما سيقابلني، لكن مثل كل الأيام حتى الآن، كانت رائحة الأخشاب والفحم فقط هي التي تملأ القاعات الضيقة.

حين اجتزت زاوية جديدة، صارت الرائحة طاغية، وثمة سحابة فيروزية معلقة في الهواء، مررت بيدي خلاها، بشكل يُتيح عودة وعي «ليكان» المتلكئ.

*«ليكان، توقف!».*

رنَّت صيحات ضاحكة حين اجتزت زاوية أخرى، التصقت بالحجر البارد حين استبدَّت بي ذكريات السينتارو، ومرَّ أطفال وهميون يصرخون وأجسادهم العارية عليها رسومات، وفرحتهم القافزة يتردد صداها، حادة في مقابل الجدران الحجرية.

ذكّرت نفسي بأنهم *ليسوا* حقيقيين، و قلبي يدق في صدري بعنف، لكن حتى وأنا أحاول التشبث بالكذبة كان اللمعان العابث في عيني الطفل يُناصر الحقيقة.

مضيت قدمًا والشعلة في يدي، مهرولًا في قاعات المعبد الضيقة، للحظة علقَت نفحة من رائحة ملح البحر في الهواء، مغلفة برائحة الفحم، واجتزت الزاوية فظهرت سحابة فيروزية أخرى، هُرِعت إليها، وأنا أكزُّ على أسناني بينما تسود الومضة الجديدة من وعي «ليكان»، وصارت رائحة الأخشاب الخاصة به طاغية، وأزيح الهواء، فارتفع صوت ناعم.

«*لكن هل لديك اسم؟*».

تيبس جسدي، تجسد شكل «أماري» الخجول أمام عيني، حدقت أختي بي في خوف، والخوف يخفي نظرتها الكهرمانية، اخترقت أنفي رائحة حمضية، تقلص أنفي من شعور الحرق، «*كل واحد له اسم يا طفلتي*».

«*أوه، لم أقصد...*».

«ليكان». رنَّ صوته في رأسي، «أولامي ليكان».

كدت أضحك عندما رأيت «أماري»، تبدو سخيفة في ملابس عامة الناس، لكن حتى بعد كل هذا، فهي نفس الفتاة التي عرفتها دائمًا: شبكة من العواطف مغزولة وراء جدار من الصمت.

تدخلت ذاكرتي الخاصة... النظرة الوجيزة التي تبادلناها عبر الجسر المنهار، اعتقدت أنني سأكون منقذها؛ بدلًا من ذلك كنت سبب ألمها.

«ثروتي... زادت؟».

ظهرت ذكرى «ليكان» عن فتاة الماجي، فومضت عائدة للحياة في اشتعال المصباح.

«*هل تذكرين لغتنا؟*».

أومأت قائلة: «*أجزاء من هنا وهناك*». «*أمي علمتني إياها عندما كنت صغيرة*».

أخيرًا. بعد كل هذه الأيام، رائحة البحر تصدمني مثل عاصفة من الرياح، ولكن للمرة الأولى منذ أن تلاقت مساراتنا، لم تجعلني صورة الفتاة أمد يدي إلى سيفي، من خلال نظرة «ليكان» كانت ناعمة إلا أنها لافتة للنظر، بدا أن بشرتها الداكنة تتوهج في ضوء المصباح، مبرزة الأشباح التي خلف عيونها الفضية.

إنها هي، رنت أفكار «ليكان» في ذهني، أيًّا كان ما سيحدث، يجب *أن تظل على قيد الحياة.*

تساءلت بصوت عالٍ: «إنها هي من أجل ماذا؟». لم يجبني إلا الصمت.

صور الفتاة و «أماري» تلاشت، وتركتني أحدق حيث اعتادوا أن يكونوا، اختفت رائحتها، ورغم أنني أحاول الوصول إلى الومضة مرة أخرى، لا يحدث شيء، أنا مجبر على المضي قدمًا.

بينما رددت زوايا المعبد وأركانه صدى وقع خطواتي، شعرت بالتغير في جسدي، صار كبْتِي للّعن استنزافًا دائمًا، وأصبح عبئًا على كل نفَس أتنفسه، على الرغم من أن ضجة السحر في رأسي ما زالت تجعل بطني منقبضًا، فإن جسدي مستمتع بحريته الجديدة. يبدو كأنني قد قضيت سنوات أغرق تحت الماء.

للحظة، كنت مضطرًّا لسحب الهواء إلى رئتي.

بأنفاس عميقة، واصلت المضي في المعبد، عابرًا قاعاته بقوة جديدة، ورحت أطارد أشباح «ليكان»، وأبحث عن إجابات، على أمل العثور على الفتاة مرة أخرى، وعندما اجتزت زاوية أخرى، طغت عليَّ رائحة روحه، ودخلت الغرفة المُقبَّبَة. نبضت بقايا وعي «ليكان» أقوى مما كانت طوال الأسبوع، وبدا أن السحابة الفيروزية تشمل الفضاء بأكمله. قبل أن أتمالك نفسي، أضاءت الغرفة باللون الأبيض.

على الرغم من أنني أقف في الظل، عمَّ وعي «ليكان» الجدران المسننة بالضوء، وسقط فكّي وأنا أدرس الجدارية المذهلة للآلهة، كل صورة كانت تغمرها الألوان الرائعة.

قلت في رهبة المنظر المذهل: «ما هذا؟». كانت اللوحات معبرة حتى بدا كأنها ستُبعث حية.

رفعت مشعلي إلى الآلهة من الذكور والإناث، إلى الماجي الذين يرقصون عند أقدامهم، إنها مهيبة، داهمة. تكشف كل شيء لُقِّنت الاعتقاد فيه.

في نشأتي، قادني أبي للاعتقاد بأن من يتشبثون بأسطورة الآلهة ضعفاء، يعتمدون على كائنات لا يستطيعون رؤيتها قط، مكرسين حياتهم لكيانات مجهولة الهوية.

اخترت أن أضع إيماني في العرش، في أبي، في أوريشا. لكن الآن، وأنا أحدق في الآلهة، لا أستطيع حتى أن أحمل نفسي على الكلام.

أتأمل المحيطات والغابات التي تنبع من لمستهم، في عالم أوريشا الذي أنشأته أيديهم، بدا أن فرحة غريبة تطل من طبقات الطلاء، مالئة أوريشا بنور لم أكن أتخيل أنها تتحمله.

أجبرتني رؤية الجدارية على رؤية الحقيقة، مؤكدة على كل شيء أخبرني أبي به في غرفة العرش، الآلهة حقيقية، على قيد الحياة، توصل خيوط حياة الماجي. ولكن إذا كان كل هذا صحيحًا، فلماذا بحق السماء قام أحدهم بتكوين صلة معي؟

تفرست في كل صورة مرة أخرى، ملاحظًا الأنواع المختلفة من السحر والتي بدا أنها تنبع من يدي الآلهة. عندما وصلت إلى إله يرتدي ثيابًا غنية من الكوبلت، توقفت. توهج سحري الملعون لدى رؤيتي له.

كان الإله يقف طويل القامة، بعضلات مفتولة. وكان يمتد عبر صدره العريض كوشاح «إيبيلي» أزرق غامق، نابضًا بالحياة في مقابل بشرته البنية الداكنة. ودخان فيروزي كان يتلوى في يديه، تمامًا مثل الغيوم الرفيعة التي تبدو مع لعنتي. حين أحرك مشعلي، تسري نبضة من الطاقة تحت فروة رأسي، ويرن صوت «ليكان» في رأسي مع ظهور سحابة زرقاء أخرى.

«أخذ أوري السلام من السماء الأم ليصبح إله العقل، والروح، والأحلام، على الأرض، ووهَب هذه الهدية الفريدة لعباده، وسمح لهم بالاتصال بجميع البشر».

همست لنفسي: «إله العقل والروح والأحلام...». مجمِّعًا كل الأجزاء، الأصوات، ومضات عواطف الآخرين، الأحلام الغريبة التي وجدت نفسي محاصرًا بها، هذا هو الأمر.

إلهُ مَنشئي.

اعتَمل الغضب بداخلي مع هذا الإدراك. ماذا لديك من حق؟ قبل بضعة أيام لم أكن أعرف أن هذا الإله موجود، ومع ذلك أخذ على عاتقه أن يسُمَّني؟

صرخت: «لماذا؟». وصوتي يتردد صداه داخل القبة، وكنت أتوقع تقريبًا أن الإله سيصرخ مجيبًا لي، ولكن لم يجبني سوى الصمت.

غمغمت لنفسي: «سوف تندم على هذا». وأنا لا أدري إن كان هذا يجعلني مجنونًا أم أن بوسعه في مكان ما، على الرغم من كل ضجيج العالم، أن يسمعني. يجب أن يندم هذا اللقيط اليوم. السحر الذي لعنني به سوف يكون بمثابة انقضاء السحر.

شعرت بأحشائي تتلوى، فدرت حول نفسي. أحسست بمعدتي تنقبض وأنا أستدعي لعنتي أكثر. لا سبيل لمحاربته. للعثور على الإجابات التي أحتاجها، هناك مكان واحد فقط يمكنني الذهاب إليه.

انزلقت على الأرض وأغمضت عيني، وتركت العالم يتلاشى كالسحر الذي يسري في عروقي. إن كنت سأقتل اللعنة، فأنا بحاجة إلى كل شيء.

أحتاج إلى الحلم.

# الفصل الخامس والعشرون

# زالي

*«هل هذا واضح؟»*.

نظرت «أماري» خلال القاعات الحجرية المؤدية بعيدًا عن أرضية الساحة، وكانت الأقواس المتهدمة منحنية فوق رءوسنا، والحجارة المشققة تحت أقدامنا، وبعد انقطاع صوت وقع الأقدام، أومأت «أماري» فاندفعنا، وسرنا على نحو متعرج بين الأعمدة المتآكلة دخولًا وخروجًا، مسرعين كي ننتهي قبل أن يرانا أحد.

بعد ساعات من موت آخر رجل ومغادرة المتفرجين لمقاعدهم، نزح الحراس بحر الساحة الأحمر، فاعتقدت أن أهوال الألعاب ستنتهي عند هذا الحد، لكن الآن تدوي طرقعات العصي خلال المدرجات الفارغة. ويقود الحرس مجموعة جديدة من العيال لتنظيف الدماء والبقايا التي لم تُزل حين قاموا بنزح الاستاد، لا يمكنني تخيل عذابهم، فهم ينظفون آثار فوضى الليلة فقط ليصبحوا وقودًا لمذبحة الغد، *فقررت أنني سأعود*. سأنقذهم بعد أداء الطقس وإعادة السحر، وبعد أن يصبح بابًا آمنًا وسليمًا، فسوف أحشد مجموعة من سحرة الأرض لإغراق هذه الوحشية في الرمال، هذا المذيع سيدفع ثمن كل حياة مهدرة للماجي، كل نبيل سيُسأل عن جرائمه.

تركت أفكار الانتقام تهدئني ونحن نلتصق بجدار غير مستو، وأغمضت عيني، وركَّزت تفكيري قدر الإمكان. آثار حجر الشمس الآشي في دمي. حين فتحت عيني، كان توهجه باهتًا، مثل يراعة مختفية وسط الظلام، ولكن مع مرور الوقت نما حتى صارت الهالة المحيطة بحجر الشمس تسخن أسفل قدمي.

همست: «أسفلنا». سرنا خلال القاعات الفارغة ونزلنا السلالم، وكلما اقتربنا من أرضية الساحة الملطخة بالعفن، زاد عدد الذين اضطررنا لتفاديهم، وحين وصلنا إلى القاع، كنا فعليًا على بُعد مرمى حجر من

الحراس المحتالين والعمال المكسورين، وكانت عصيهم تضرب مواضع خطواتنا، وانزلقنا خلف مدخل مقنطر.

قلت بصوت كالفحيح: «إنه هنا». مشيرة إلى باب حديدي كبير. أنار الفتحات ضوءٌ ساطع، فامتلأ المدخل المقنطر بحرارة حجر الشمس، ومررت بأصابعي على مقبض الباب المعدني، فكان عبارة عن عجلة تدوير صدئة مقفلة بقفل ضخم، أخرجت الخنجر الذي أعطاني إياه «زين» وأقحمته في ثقب المفتاح الضيق بالقفل، وعلى الرغم من أنني حاولت الدفع إلى الأمام، فإنني اصطدمت بنمط مسنن معقد.

همس: «هل يمكنك التقاطه؟».

«أحاول». إنه أكثر تعقيدًا من القفل المعتاد بشكل يحول دون اختراقه. أحتاج إلى شيء أكثر حدة، شيء به خطاف.

أمسكت مسمارًا رقيقًا صدئًا على الأرض وضغطته في الحائط، لثني طرفه، وعندما انثنى، أغمضت عيني وركزت على الملمس الدقيق لأسنان القفل. كوني صبورة. درس «ماما أجبا» يتردد صداه في ذهني. *ليكن الشعور هو عينيك*.

زادت سرعة دقات قلبي وأنا أنصت إلى صوت أي خطوات مقتربة، ولكن عندما دفعت سكيني، تهاوت الأسنان، وبهزة أخرى إلى اليسار... ارتفع صوت طقطقة خفيفة، وانهار القفل، وشعرت براحة شديدة كدت معها أبكي، وأمسكت بالعجلة وسحبت إلى اليسار، لكن المعدن لم ينكسر.

«إنه عالق!».

راحت «أماري» تراقب «زين» وهو يجذب العجلة الصدئة بكل قوته، وكانت أصوات الصرير المعدني عالية بما يكفي لإغراق صيحات الحراس، لكن العجلة لم تتزحزح.

همست: «كن حذ رًا!».

«أحاول!».

«حاول أكثر...».

انفصلت العجلة بطقطقة مكتومة، فحدَّقنا في المعدن المكسور بيد «زين». ماذا يفترض أن نفعل الآن بحق الآلهة؟

دفع «زين» جسده نحو الباب، ورغم أنه اهتز نتيجة الارتطام فإنه لم يفتح.

همست «أماري»: «ستلْفِت انتباه الحراس!».

همس «زين» بدوره: «نحن بحاجة إلى الحجر! هل من طريقة أخرى للحصول عليه؟».

كنت أنكمش مع كل دفعة لجسد «زين»، لكنه كان محقًّا، فقد كان الحجر قريبًا جدًّا لدرجة أن حرارة توهجه تدفئني مثل نار أُضرمت حديثًا.

مرت بذهني سلسلة من اللعنات. اللعنة، *ليتنا كان لدينا مساعدة أخرى من الماجي*. يمكن أن يقوم أحد سحرة المعادن بتشويه الباب المعدني، ويمكن لحارق أن يذيب المقبض في الحال.

ذكرت نفسي *بنصف الشهر، نصف شهر لإتمام هذا بشكل صحيح*. إن كنا سنستعيد حجر الشمس في الوقت المناسب للانقلاب، يجب أن نحصل عليه الليلة.

تزحزح الباب بمقدار ملليمتر، فشهقت. لقد اقتربنا، بضع طرقات أخرى وينفتح على مصراعيه، بضع دفعات أخرى ويصبح الحجر لنا.

«مهلًا!».

ارتفع صوت حارس عبر الهواء، فتجمدنا في أماكننا. دقت خطوات الأقدام على الأرضية الحجرية، متجهة نحونا بسرعة مخيفة.

«هنا!». أشارت «أماري» إلى قسم مقابل باب حجر الشمس، تصطف به قنابل المدافع وصناديق البارود. ونحن نجلس القرفصاء خلف الصناديق، اندفع ماجي صغير إلى داخل الغرفة، وشعره الأبيض متوهج في الضوء الخافت، وفي ثوان كان محاصرًا من قبل المذيع وحارس آخر، وقد توقفوا بغتة حين رأوا الباب نصف المفتوح المؤدي إلى حجر الشمس.

«أيها الدودة». لوى المذيع شفتيه مزمجرًا، «مع من تعمل؟ من فعل هذا؟».

قبل أن يتمكن الصبي الصغير من الكلام، أسكتته ضربة من عصي المذيع، فوقع على الأرض الحجرية. وبينما كان يصرخ، اشترك حارس آخر في الضرب.

انكمشت خلف الصندوق، والدموع تلسع عيني، وكان ظهر الصبي مسلوخًا بالفعل من «عُلق» سابقة، لكن أيًّا من الوحشين لم يتوقف، فكان سيموت تحت ضرباتهما.

سيموت بسببي.

«زالي، لا!».

أوقفتني زجرة «زين» لثانية، لكن هذا لا يكفي لإيقافي، فاندفعت خارجة من نقطة اختبائنا، مقاومة الغثيان الذي شعرت به حين رأيت الطفل. كانت ضربات غاضبة تمزق جلده، والدم يسيل على ظهره، وكان لا يبقيه على قيد الحياة إلا خيط رفيع، خيط يكاد يتآكل أمام عيني.

قال المذيع مهتاجًا وهو يسحب خنجرًا: «من أنتِ بحق الجحيم؟». شعرت بوخز في جلدي بنصل الماجيست الأسود، وركض ثلاثة آخرون من الحراس إلى جانبه.

«شكرًا للآلهة!». تصنعت الضحك، وأنا أبحث عن الكلمات لإصلاح الأمر، «لقد كنت أبحث عنك في كل مكان!».

عقد المذيع حاجبيه غير مصدق، واشتدت قبضته على عصاه، وسأل مكرِّرًا: «تبحثين عني؟ في هذا القبو؟ بجوار الحجر؟».

كان الصبي يئنُّ، وانكمشتُ أنا حين ركله حارس في رأسه، فصار جسده يرقد بلا حراك في بركة من دمه. بدا أنه تلقى ضربة قاتلة، لكن لماذا لا أستطيع أن أشعر بروحه؟ أين ذاكرته الأخيرة؟ أين ألمه الأخير؟ إذا كان قد ذهب مباشرة إلى العافية فقد لا أشعر به، ولكن كيف يمكن لأي شخص أن يمر في سلام بعد موت كهذا؟

تحاملت على نفسي للنظر مرة أخرى إلى المذيع المزمجر. لا شيء يمكنني القيام به الآن، فقد مات الصبي. وما لم أفكر في شيء سريع، فسأموت أنا أيضًا.

«كنت أعرف أنني سأجدك هنا». ابتلعت ريقي بشدة. إن عذرًا واحدًا فقط يكفي، «أريد أن ألتحق بألعابك، دعني أتنافس مساء الغد».

قالت «أماري» متعجبة حين صرنا أخيرًا في أمان الرمال: «*لا يمكنك أن تكوني جادة*! لقد رأيت حمام الدم. ولقد *شعرتِ به*، الآن تريدين أن تكوني فيه؟».

صحت فيها: «أريد الحجر، أريد أن أبقى على قيد الحياة!». ورغم غضبي، زحفت صورة الصبي المضروب إلى رأسي مرة أخرى.

*هذا أفضل. أن أضرب حتى الموت أفضل من تفجيري على متن سفينة*، لكن بغض النظر عن اجتهادي في محاولة إقناع نفسي، كنت أعلم أن هذه الكلمات ليست صحيحة. فلا كرامة في موت كهذا، مضروبًا حتى يلفظ

أنفاسه الأخيرة مقابل شيء لم يفعله، ولم أستطع حتى مساعدة روحه في المرور. لم يكن بوسعي أن أكون الحاصدة التي يحتاج إليها وإن أردت ذلك.

غمغمت: «الساحة تعج بالحراس، إذا لم نتمكن من الحصول عليه الليلة، فلن تكون هناك وسيلة إلى سرقته في الغد».

تدخل «زين» بغتة: «لا بد أن هناك شيئًا». كانت حبيبات من الرمل قد التصقت بقدميه المغطاتين بالدم. «لن يحتفظ بحجر الشمس هنا هذه الليلة بعد كل هذا، إذا اكتشفنا أين سيودَع الحجر...».

«أمامنا ثلاثة عشر يومًا قبل الانقلاب، ثلاثة عشر يومًا لعبور أوريشا والإبحار إلى الجزيرة المقدسة. ليس لدينا وقت للبحث، فنحن بحاجة للحصول على الحجر والمضي!».

قالت «أماري»: «لن يكون لحجر الشمس أية فائدة لدينا حين تصطف جثثنا على أرضية الساحة. كيف النجاة؟ إن المنافسة تترك الجميع موتى!».

«لن نلعب مثلما يلعب الآخرون كلهم».

مددت يدي في حقيبتي وسحبت واحدة من لفائف «ليكان» السوداء، وتألق حبر أبيض على الملصق، وكانت ترجمة ما عليه هي: «إنعاش الموتى». كانت التعويذة ممارسة شائعة بالنسبة للحصدة، حيث تمثل في الغالب التقنية الأولى التي يتقنها الماجي الجديد، ويمنح السحر من يتلوها عون روح محاصرة في جحيم الأبادي في مقابل مساعدة تلك الروح على المرور إلى الحياة الآخرة.

من بين كل التعويذات التي في لفائف «ليكان»، كانت هذه هي الوحيدة التي كنت أعرفها مسبقًا. كل شهر، كانت ماما تقود مجموعة من الحصدة إلى قمم الجبال المعزولة في إبدان وتستخدم هذه التعويذة في تطهير قريتنا من الأنفس المحاصرة.

اندفعت قائلة: «لقد كنت أدرس هذه اللفافة، وبها تعويذة كانت ماما تتلوها في كثير من الأحيان. إذا تمكنت من إتقانها، فسأكون قادرة على تحويل أرواح الموتى في الساحة إلى جنود فعليين».

صاحت «أماري»: «هل أصابك خبل؟». يمكنك التنفس بالكاد في المدرجات وسط كل هذه ا لأرواح. لقد احتجت ساعات لاستعادة قوتك والوقوف على قدميك، فإن كنت لم تستطيعي معالجة الأمور هناك، فما الذي يجعلك تظنين أن بإمكانك تلاوة السحر فيما يلي؟».

«لقد غلبني الموتى؛ لأنني لم أكن أعرف ما ينبغي فعله. لم أكن أملك زمام الأمور، إذا تعلمت هذه التعويذة وقمت بتسخيرهم، يمكن أن يكون لدينا جيش خفي، هناك الآلاف من الأرواح الغاضبة في تلك الساحة!».

استدارت «أماري» نحو «زين» قائلة: «أخبرها أن هذا خبل. من فضلك».

عقد «زين» ذراعيه وعدَّل من وقفته، متدبرًا الخطورة وهو ينظر بين «أماري» وبيني.

«فكري فيما إذا كان بوسعك فعل هذا. بعدما نقرر».

جلبت *ليلة صافية* إلى الصحراء برودة لا تقل قسوة عن شمسها الحارقة، وعلى الرغم من أن الرياح المجمِّدة للأوصال تُطيِّر الرمال عن الكثبان الرملية المحيطة بإيبيجي، فقد كانت بشرتي تتصبب عرقًا. لساعات، حاولت أداء التعويذة، لكن جاءت كل محاولة أسوأ من الأخيرة، وبعد هنيهة اضطررت لإرسال «زين» و «أماري» إلى الكوخ الذي استأجرناه. على الأقل الآن أستطيع أن أفشل وحدي.

رفعت لفافة «ليكان» في ضوء القمر، في محاولة لفهم ترجمة اليوروبا المدونة تحت السينباريا. منذ الصحوة، صارت ذاكرتي للغة القديمة دقيقة وواضحة كما كانت حين كنت صغيرة، لكن بغض النظر عن عدد مرات تلاوتي للكلمات، لا يتدفق الآشي لدي، لا يحدث سحر، وكلما زاد إحباطي زاد إحساسي بأنني ما كان ينبغي لي أن أفعل هذا بنفسي.

كززت على أسناني: «هيا. أويا، با ماي سورو!».

إذا كنت أخاطر بكل شيء للقيام بعمل الآلهة، فلماذا لا يُوجَدون حين أكون في أمسِّ الحاجة إليهم؟

أطلقت زفرة مرتجفة وهوت بي ركبتاي، ورحت أمرر يدي في الموجات الجديدة في شعري. لو كنت من الماجي قبل الغارة، لكانت معلِّمة القبيلة قد علمتني التعويذات وأنا صغيرة، وكانت ستعرف بالضبط ما يجب القيام به لتذليل طريق خروج الآشي الآن.

«أويا، من فضلك». أعدت النظر إلى اللفافة، وحاولت اكتشاف ما أفتقده. يفترض أن تؤدي التعويذة إلى بعث جديد؛ أي حلول روح الميت في المواد الملموسة من حولي، وإذا سارت الأمور على ما يرام، يجب أن

يتشكل البعث الجديد من الكثبان الرملية، لكن مرت ساعات ولم أتمكن من نقل حبة واحدة من الرمال.

و أنا أمرر يدي على النص المكتوب، جعلتني الندبة الجديدة في كفي أتوقف، فرفعتها في ضوء القمر، ورحت أتفقد الموضع الذي جرحني فيه «ليكان» بالخنجر العظمي. لا تزال ذكرى توهج دمي بضوء أبيض تملأ ذهني. كانت موجة الآشي مبهجة، عبارة عن دفقة تخطف الأبصار لا يمكن أن يسببها إلا سحر الدم.

*إذا استخدمت ذلك الآن...*

زادت سرعة دقات قلبي لهذه الفكرة. سوف تتدفق التعويذة بسهولة، ولن تكون لدي مشكلة في بعث حشد من الأرواح ورفعها عن الأرض.

ولكن قبل أن تغريني الفكرة بالمزيد، تبادر صوت ماما الخشن إلى ذهني، مع بشرتها الغائرة، وأنفاسها الضحلة، والمعالجين الثلاثة الذين كدُّوا إلى جانبها إلى ما لا نهاية.

همست وهي تضغط يدي بعد أن استخدمت سحر الدم لإعادة «زين» إلى الحياة: عديني. أقسمي الآن! أيًّا كان ما سيحدث، فلا تفعلي ذلك أبدًا، فإن فعلت، *فلن تبقي على قيد الحياة*.

وعدتها. أقسمت على الآشي الذي سيسري في أوردتي يومًا ما، لا يمكنني أن أخلف وعدي؛ لأنني لست قوية بما يكفي لتلاوة تعويذة.

ولكن إن لم يُجدِ هذا، فما هو الاختيار الذي لدي؟ لا ينبغي أن يكون الأمر بهذه الصعوبة، قبل ساعات فقط كان الآشي ينبض في دمي، الآن لا أشعر بشيء.

*انتظري دقيقة*.

حدقت في يدي، متذكرة الرباني الصغير الذي نزف حتى الموت أمام عيني. لم تكن روحه فقط التي لا أستطيع الشعور بها. لم أشعر بكثير من الموتى على مدى ساعات.

استدرت إلى اللفافة مرة أخرى، أبحث عن معنى خفي وراء كلماتها، بَدَوْتُ وكأنني نزفت سحري حتى الجفاف في الساحة، لم أشعر بأي شيء منذ...

*«مينولي»*.

الفتاة ذات الثياب البيضاء، والعينين الكبيرتين الفارغتين.

لقد حدث الكثير دفعة واحدة، ولم أدرك أن روح الفتاة قد مررت اسمها.

في الموت، مررت الأرواح الأخرى من الساحة آلامها، مررت كرهها، شعرت في ذكرياتهم بلسع سياط الحراس. ذقت ملح الدموع الساقطة على لساني، لكن «مينولي» أحضرتني إلى حقول مينا الطينية، حيث كانت هي وأشقاؤها ذوو الأنوف الحادة يعملون في الأرض على محصول الذرة الخريفي.. على الرغم من أن أشعة الشمس كانت فتاكة وكان العمل صعبًا، فقد مرت كل لحظة بابتسامة، بأغنية.

«*لاو ناي إيجبو كانلي ماي أوريشا، إيوو ناي موا جبوجيولي*».

غنيت الكلمات بصوت عالٍ، والرياح تحمل صوتي. وأنا أكرر الكلمات كان صوت مفعم بالعاطفة يغني في رأسي.

هناك قضت «مينولي» لحظاتها الأخيرة، متجاهلة الساحة الوحشية من أجل ساحة مزرعة سلمية في عقلها. لقد اختارت أن تعيش هناك.

واختارت أن تموت هناك.

«مينولي». همست بالتعويذة في أعماق ذهني، «*إيماي أوون تاي أواتاي سون، موكي بي يين ناي أوناي. إي بادا جادي نينيو إيا ميموين. سيوري فيون ماي بيليو إيبيون آيباي راي*».

على حين غرة تكونت دوامات الرمال أمامي، انكمشتُ وأنا أتراجع إلى الوراء حين ارتفعت دوامة شبيهة بالضباب ودارت في موجات قبل العودة مرة أخرى إلى الأرض.

«مينولي؟». نطقت السؤال بصوت عالٍ، رغم أنني في قرارة نفسي كنت أعلم الإجابة، وحين أغمضت عيني، ملأت رائحة التربة أنفي، وانزلقت بذور الذرة الملساء من خلال أصابعي. ذكراها مشرقة: نضيرة، نابضة بالحياة، حية. إذا استقرت فيَّ بنفس هذه القوة، يجب أن أصدق أنها كذلك أيضًا.

كررت التعويذة بقناعة، ومددت يدي نحو الرمال. «*مينولي؛ أدعوك اليوم اخرجي في هذا العنصر الجديد، باركيني بواسطة ...*».

قفزت السينباريا البيضاء من المخطوطة الرقية وسرت على جلدي، ورقصت الرموز على ذراعي، مزودة جسدي بقوة جديدة، وقد دخلت رئتي كنفس الهواء الأول بعد الغوص تحت الماء، وبينما تتطاير دوامات الرمل

حولي بقوة عاصفة، ظهرت شخصية محببة من الزوبعة، مفعمة بمظاهر الحياة الخشنة.

«يا للآلهة!». حبست أنفاسي حين مدت روح «مينولي» يدًا من الرمال، واحتكت أصابعها المحببة بخدي *قبل أن يتلاشى العالم كله إلى اللون الأسود.*

## الفصل السادس والعشرون

# عنان

***هواء منعش ملأ رئتي،*** لقد عدت. والأحلام عاشت، منذ ثوانٍ فقط كنت أجلس تحت صورة «أوري».. والآن أقف في حقل الخيزران الراقص.

همست غير مصدق وأنا أمرر أصابعي على الجذوع الخضراء المتهدلة: «لقد تم ما أردت». لا يزال الأفق أبيض غائمًا، يحيط بي مثل السحب في السماء، لكن هناك شيئًا مختلفًا. في آخر مرة، كان الحقل يمتد مَدَّ بصري، والآن يشكل الخيزران الذابل دائرة ضيقة من حولي.

مررت بأصابعي على جذع آخر، مندهشًا للأخاديد الخشنة التي تنبثق من مركزه. استعرض عقلي طرق الهروب وخطط الهجوم، إلا أن جسدي يشعر بالألفة على نحو غريب. إن هذا ليتجاوز مجرد الراحة المرتبطة بعدم كبت سحري، حيث أشعر بأنني أتنفس من جديد. كان هواء الحلم يحمل سلامًا غير طبيعي، كما لو كان أكثر من أي مكان آخر في أوريشا، فإلى هنا أن....

ركز *يا «عنان»*. مددت يدي نحو بيدق السينيت، لكنني لا أستطيع التشبث به هنا، هززت رأسي بدلًا من ذلك، كما لو كنت أستطيع التخلص من الأفكار الغادرة بهزة رأس. ليس هذا بيتًا، ليس سلامًا، ليس سوى جوهر لعنتي.

لو أنجزت ما يجب عليَّ فعله، فلن يكون هذا المكان موجودًا، *اقتلها! اقتل السحر*. تضخم واجبي في ذهني حتى صار مهيمنًا على كياني، ولا خيار أمامي.

يجب أن أتبع خطتي.

تصورت وجه الفتاة. في هبّة نسيم مفاجئة، افترقت نباتات الخيزران، تجسدت مثل سحابة متكثفة، وجسمها يتشكل كدخان أزرق يتطاير من قدميها إلى ذراعيها.

كتمت أنفاسي، ورحت أعُدُّ الثواني. حين انقشع الضباب الأزرق، توترت عضلاتي، وتفجرت الحياة في شكلها الكوسيدي.

وقفت وظهرها لي، وشعرها مختلف عما كان عليه من قبل، فالخصلات البيضاء التي كانت من قبل تتدلى في صورة شرائط ناعمة تنساب الآن على ظهرها في صورة موجات متدفقة.

استدارت بنعومة، بحسن يكاد يكون سماويًا، ولكن حين التقت عيناها الفضيتان بعيني، ظهرت المتمردة التي أعرفها.

«أراك صبغت شعرك». أشارت إلى اللون الذي يخفي خطي الأبيض وابتسمت ابتسامة متكلفة، «قد ترغب في إضافة طلاء آخر. ما زال جزء من الدودة التي بداخلك ظاهرًا».

*اللعنة*، لقد مرت ثلاث ساعات فقط منذ أن صبغته آخر مرة. بدافع الغريزة، لمست خطي، فاتسعت ابتسامة الفتاة.

«أنا فعلًا سعيدة أنك دعوتني إلى هنا، أيها الأمير الصغير. هناك شيء أتوق لمعرفته. لقد رباكما نفس اللقيط، لكن أماري لا يمكن أن تقتل ذبابة. لذا أخبرني، كيف أصبحت بهذه الوحشية؟».

تبخر سلام الحلم في لحظة، وهمستُ من بين أسناني: «أنت أيتها الحمقاء، كيف تجرُئين على سبِّ ملكك!».

«هل استمتعت بزيارتك للمعبد أيها الأمير الصغير؟ كيف شعرت حين رأيت كل شيء دمره؟ هل كنت فخورًا؟ ملهَمًا؟ متحمسًا لفعل الشيء نفسه؟».

ومضت ذكريات «ليكان» عن السينتاروهات في ذهني. الشقاوة التي في عيني الصبي الراكض. آثار وأنقاض المعبد أكدت أن تلك الأرواح أزهقت.

كنت أدعو بأصغر جزء مني ألا يكون هذا بيدي أبي.

ضربني الشعور بالذنب مثل السيف الذي اخترق صدر «ليكان»، لكن لا أستطيع أن أنسى ما على المحك. *واجبك قبل نفسك*.

هؤلاء الناس ماتوا حتى تعيش أوريشا.

«هل يمكن أن يكون هذا؟». خطت «زالي» خطوات إلى الأمام، ساخرة. «هل هذا الذي أراه ندم؟ هل الأمير الصغير يُخبِّئ قلبًا صغيرًا واهنًا؟».

«أنت جاهلة جدًا». هززت رأسي. «عمياء أعماها جهلها، لقد كان والدي إلى جانبكم يومًا ما، لقد كان يدعم الماجي!».

أصدرت الفتاة صوتًا يدل على الاعتراض. إنني أمقت الطريقة التي تزحف بها تحت بشرتي.

صحت: «قومك أخذوا عائلته! *قومك هم السبب في الغارة!*».
عادت إلى الوراء كأنما لكمتها في الأمعاء.
«هل يقتحم رجال أبيك منزلي ويأخذون أمي منا ويكون هذا خطئي؟».
ملأت ذكرى سيدة ذات بشرة داكنة رأسها بوضوح جعلها تقفز إلى عقلي. مثل الفتاة، كانت المرأة ذات شفتين ممتلئتين، وعظام وجنتيها بارزة، وفي عينيها ارتفاع طفيف. الفرق الوحيد هو نظرتها، ليست فضية. مظلمة كالليل.
الذكرى قوّت شيئًا بداخلها.
شيئًا أسود.
مخلوطًا بالكراهية.
قالت الفتاة بصوت أعلى قليلًا من الهمس: «لا أطيق الانتظار، لا أطيق الانتظار حتى يكتشف من أنت، لنرَ كيف ستكون جرأتك حين ينقلب أبوك على ابنه».
سرت برودة عنيفة أسفل عمودي الفقري، إنها مخطئة.
كان أبي على استعداد لأن يغفر لـ «أماري» الخيانة. عندما أقضي على السحر، فسيصفح عني في هذا.
«لن يحدث هذا أبدًا». حاولت أن أبدو قويًّا. «أنا ابنه، السحر لن يغير هذا».
قالت بابتسامة مفتعلة: «أنت محق، أنا متأكدة من أنه سوف يتركك لتعيش».
استدارت وتراجعت إلى داخل الخيزران. قناعتي تذوي تحت تأثير سخريتها، غزت تحديقة أبي الفارغة ذهني، ومعها شح الهواء من حولي.
*واجبك قبل نفسك*. سمعت صوته، ثابتًا، لا يهتز، أوريشا لا بد أن تأتي دائمًا أولًا.
حتى لو كان ذلك يعني قتلي....
كانت الفتاة تلهث. شعرت بالتوتر، ورحت أتلفت حولي متفحصًا الخيزران المتمايل.
سألت: «ما هذا؟» *هل استدعيت روح أبي هنا؟*
لكن لم يظهر شيء. على الأقل لا يوجد بشر، وبينما كانت الفتاة تخطو إلى الأفق الأبيض طاوية الحلم، كان الخيزران يزدهر تحت قدميها.

نما الخيزران ليصل طوله في مستوى رأسي تقريبًا، وازداد اخضراره الذي يصل للشمس. أخذت خطوة احترازية أخرى نحو الأفق، واتسعت موجة الخيزران.

«ما هذا بحق السماء؟». كموجة تكسرت على الرمال، انتشر الخيزران فعمَّ الأفق، دافعًا أمامه الحد الأبيض للحلم. دفقة من الدفء تطن في صميم كياني. سحري....

هي تسخره بطريقة ما.

قلت آمرًا: «لا تتحركي!».

لكن الفتاة انطلقت، راكضة إلى الفضاء الأبيض، والحلم يستجيب لنزواتها، وحشيًا وحيًا تحت قيادتها. وبينما كانت تعدو، يتغير الخيزران الذي ينمو تحت قدميها إلى طين رخو، سرخس أبيض، أشجار شاهقة، تنمو في أعالي السماء، وتحجب الشمس بأوراقها المسننة.

«توقفي!». صرخت، واثبًا عبر العالم الجديد الذي ينمو في أعقابها. اندفاع السحر يصيبني بالدوار، منزلقًا أسفل صدري، بصوت كالنقر الخفيف في عقلي.

على الرغم من صيحاتي، فقد ظلت تجري، وفي أعقابها حريق، بينما يتحول الطين الرخو تحت قدميها إلى صخرة صلبة، ولم تتوقف حتى صارت على شفا جرف هار.

«اللعنة». زفرت وهي ترى الشلال العظيم الذي تكوَّن بفعل لمستها، ويعلو زبَدُه في جدار لا نهائي من اللون الأبيض، ويصب في بحيرة زرقاء تومض زُرقتها مثل يواقيت أمي الزرقاء.

حدقت فيها في ذهول، وما زال رأسي ينبض بنقرات السحر المتدفق الخفيفة. على حافة الجرف، كانت أوراق الشجر باللون الأخضر الزمردي تملأ الشقوق بطول الحجارة المسننة. وراء الحافة الخارجية للبحيرة، تغيم ضفة صغيرة من الأشجار في اللون الأبيض.

سألت: «كيف بحق السماء فعلت هذا؟». هناك لمسة جمال في هذا العالم الجديد لا يمكنني إنكارها، فهو يكسب جسمي كله طنينًا كما لو كنت قد احتسيت زجاجة كاملة من الرَّم.

لكن الفتاة لا تعيرني أي انتباه. بدلًا من ذلك، تمايلت متخففة من سروالها المجعد. وقفزت صارخة إلى الهاوية فارتطمت بالماء فبدا المنظر كالرشاش.

ملت على الحافة حين طفَت على السطح مرة أخرى مبللة حتى النخاع. لأول مرة منذ عرفتها، ابتسمت. الفرح الحقيقي يضيء عينيها. أعادتني الصورة بشكل أسرع مما أستطيع إيقافه. تستعيد أذناي ذكرى ضحك «أماري»، تلت صرخات أمي....

*صرخت أمي: «أماري!». متشبثة بالحائط حين كادت تنزلق.*

*قهقهت «أماري» وهي تندفع مبتعدة، مبللة لأرض المبلطة ببقايا ماء الاستحمام الذي على جسدها، على الرغم من قيام جيش من الممرضات والمربيات، بمطاردتها، فلم تكُن سرعتهن تقارن بسرعة رضيعة لا تُفلُّ إرادتها، والآن بعد أن اتخذت «أماري» قرارًا بالهروب، فقد خسرن.*

*لن تتوقف حتى نحصل على ما تريد.*

*قفزت فوق مربية ساقطة وانطلقت، وأنا أضحك بشدة لدرجة أنني لا أستطيع التنفس، وفي لحظة انزلق قميصي عن رأسي، وفي اللحظة التالية طار سروالي في الهواء، وضحك خدم المنازل في أثناء مرورنا، وكانوا يكبتون قهقهاتهم حين تحدق أمي فيهم.*

*حين وصلنا إلى حمام السباحة الملكي صرنا مصدرَي أذى عاريين، وقفزنا في اللحظة التي جعلت قفزتنا تُغرق أروع عباءات أمي....*

لا أستطيع تذكر آخر مرة قهقهت فيها «أماري» حتى اندفع الماء من أنفها، وبعد أن أصبتها، لم تكن معي قط مثلما كانت من قبل، كان ضحكها مقصورًا على أمثال «بينتا».

رؤية الفتاة تسبح أعادت كل ذلك، لكن كلما طال تحديقي، قل تفكيري في أختي، انزلقت الفتاة من الجزء العلوي من ثيابها فاضطربت أنفاسي. كان الماء يلمع حول بشرتها الداكنة.

نظرت بعيدًا، وحوَّلت رأسي، في محاولة للتركيز في دراسة الأخاديد في الجرف بدلًا من ذلك، فالنساء مُشَتِّتات للانتباه، كما يقول أبي، *ركِّز على العرش.*

مجرد القرب من الفتاة يبدو كأنه خطيئة، ويهدد القانون غير القابل للمخالفة المُصمم للمباعدة بين الماجي والكوسيديين. ولكن على الرغم من القاعدة، تعيدني عيني مرة أخرى، فمن المستحيل عدم التحديق.

تأكدت أن هذه طريقة أخرى للدخول إلى رأسك، ولكن عندما طفت إلى السطح، لم أجد الكلمات المناسبة.

إن كانت خدعة، فقد أصابت الهدف.

سألت بحدة: «حقًّا؟». حاولت تجاهل تعرجات جسدها تحت الماء الرقراق.

نظرت لأعلى وعقدت حاجبيها، وكأنها تتذكر أنني موجود، «اغفر لي، أيها الأمير الصغير، هذه هي أكثر مياه رأيتها منذ أحرقت منزلي».

زحف القرويون الباكون من إيلورين إلى ذهني. سحقت شعوري بالذنب كما تُسحق البقَّة. *أكاذيب*. هذا خطؤها.

ساعدت «*أماري*» في سرقة اللفافة.

«أنت مجنونة». عقدت ذراعي. *نظرت بعيدًا*. ظللت أحدق.

«إذا كان ماؤك يكلف قطعة ذهبية لكل كوب، فقد كنت ستفعل نفس الشيء بالضبط».

*قطعة ذهبية للكوب*؟ رحت أفكر فيما قالته وهي تغوص تحت السطح. حتى بالنسبة للعائلة الملكية، فإن عملة كهذه باهظة، لا أحد يمكنه تحمل تلك الأسعار، ولا حتى في...

*إيبيجي*.

اتسعت عيناي. لقد سمعت عن الحراس المحتالين الذين يحكمون تلك المستعمرة الصحراوية، وهم محتالون بما يكفي لزيادة السعر، خصوصًا حين يكون الماء شحيحًا. كل شيء حولي كفيل بإزالة الابتسامة من وجهي. هي أحد أسباب ذلك، ولكنها لا تعرف ذلك.

أغمضت عيني لترك الحلم، لكن ذكرى ابتسامة «أماري» جعلتني أتوقف.

ناديت بصوت أعلى من صوت الماء الصاخب: «أختي، هل هي بخير؟».

حدَّقت الفتاة في وجهي لفترة طويلة. لم أتوقع إجابة، لكن شيئًا غير قابل للفهم كان يحترق في عينيها.

أجابت أخيرًا: «إنها خائفة، وينبغي ألا تكون الوحيدة الخائفة، أنت الآن دودة، أيها الأمير الصغير». ازدادت عيناها سواداً. «ينبغي أن تخاف أنت أيضًا».

---

*هواء كثيف غزا رئتي*.

كثيفو ثقيل وساخن.

فتحت عيني لأرى صورة «أوري» الملونة فوق رأسي، لقد عدت.

«أخيرًا»، على الرغم من نفسي، ابتسمت، كل هذا سينتهي عما قريب، حين أمسك بها وبهذه اللفافة، سينتهي تهديد السحر إلى الأبد.

تقاطر العرق أسفل ظهري بينما كان عقلي يستعرض الخطوات التالية. ما مدى اقتراب الجسر من الانتهاء؟ وما هي السرعة التي سنسافر بها إلى «إيبيجي»؟

نهضت واقفًا على قدمي وأمسكت بمصباحي. يجب أن أجد «كايا». لم أدرك أنها موجودة بالفعل إلا حين تلفتُّ حولي.

سيفها مُشرعٌ، مصوب إلى قلبي مباشرة.

«كايا»؟

اتسعت عيناها العسليتان. أدنى ارتعاشة في يدها ارتج لها نصلها، عدلت من موقعها، فثبتت هدفها على صدري، «ماذا كان هذا؟».

«ماذا كان؟ ماذا؟»

قالت بصوت خفيض: «لا تنكر، لقد كنت تغمغم، ورأسك...كان محاطًا بالضوء!».

تردد صدى كلمات الفتاة في أذني.

أنت الآن دودة، أيها الأمير الصغير، يجب أن تكون خائفًا أيضًا.

«كايا، ضعي السيف».

ترددت. رفعت عينيها إلى شعري، خط.... لا بد أنه ظهر مرة أخرى.

«ليس كما تعتقدين».

«أعرف ما رأيته!». تقاطر العرق من جبهتها، متجمعًا على الشفة العليا. اقتربت بنصلها، فاضطررت للتراجع نحو الحائط.

«كايا، إنه أنا، عنان، لن أوذيك أبدًا».

قالت بصوت خفيض: «كم من الوقت مرَّ على هذا؟ منذ متى وأنت من الماجي؟». قالت الكلمة بصوت كالفحيح وكأنها لعنة، وكأنني صورة طبق الأصل من «ليكان»، ليس الصبي الذي عرفَتْه منذ الولادة. الجندي الذي درَّبْته لسنوات.

«أصابتني عدوى الفتاة. ليس الأمر دائمًا».

«أنت تكذب». الْتوت شفتاها في اشمئزاز. «هل... هل تعمل معها؟».

« لا! كنت أبحث عن أدلة! خطوت إلى الأمام. «أعرف أين تكون...».

صرخت «كايا»: «اثْبت مكانك!». تجمدت ويداي في الهواء.

ليس في عينيها أي إدراك.

فقط خوف جامح.

همست: «أنا في جانبك. لقد كنت كذلك طوال ما مضى من وقت، في إيلورين شعرت أنها ذاهبة جنوبًا، في سوكوتو شعرت أنها ذهبت لهذا التاجر». ابتلعت ريقي بقوة، وزاد نبضي حين أخذت «كايا» خطوة أخرى إلى الأمام. «لست عدوك يا كايا! أنا السبيل الوحيد لتعقبها!».

حدقت «كايا» في وجهي، وزادت رجفة نصلها.

توسلت قائلًا: «إنه أنا، عنان، ولي عهد أوريشا، وريث عرش ساران».

حين ذكرت أبي، ترنحت «كايا»، وأخيرًا سقط سيفها إلى الأرض، شكرًا للسماء، ارتجفت ساقي وأنا أهوي على الحائط.

أسندت «كايا» رأسها بيديها لبضع دقائق قبل أن تنظر في وجهي، «هذا هو السبب في أنك كنت تتصرف بشكل غريب جدًّا طوال الأسبوع؟».

أومأت، ولا يزال القلب ينبض بقوة في صدري. «أردت أن أخبرك، لكن كان لدي شعور بأنك ستردين على هذا النحو».

«آسفة». مالت على الحائط. «لكن بعد ما فعلته تلك الدودة معي، كان ينبغي أن أتأكد، إذا كنت واحدًا منهم...». عادت عيناها إلى الخط الذي في شعري. «كان عليَّ التأكد من أنك في جانبنا».

«دائمًا». قبضت على بيدق أبي. «لم أتردد أبدًا، أريد إنهاء السحر، ينبغي أن أحافظ على أوريشا آمنة».

راحت «كايا» تفحصني، محتفظة بالحد الأدنى من الحذر. «أين الدودة الآن؟».

اندفعت قائلًا: «إيبيجي. أنا متأكد من ذلك».

«جيد جدًّا». انتصبت «كايا» وأغمدت سيفها. «لقد جئت؛ لأن الجسر قد انتهى. إذا كانوا في إيبيجي، فسآخذ فريقًا وأغادر هذه الليلة».

«ستأخذين فريقًا؟».

قالت «كايا»: «يجب أن تعود إلى القصر حالًا، إذا اكتشف الملك هذا...».

عاد صوت الفتاة: لا أستطيع الانتظار. لا أستطيع الانتظار حتى يكتشف ماذا تكون، *دعنا نَرَ مدى جرأتك عندما ينقلب والدك على ابنه*.

قلت: «لا! أنت تحتاجينني. لا يمكنك تتبعهم دون قدراتي».

«*قدراتك؟ أنت* عبء يا عنان! في أي لحظة يمكن أن تتحول ضدنا أو تعرض نفسك للخطر. *ماذا لو اكتشف شخص ما؟* فكر فيما سيظنه الملك!».

مددت يدي نحوها: «لا يمكنك. لن يفهم!».

نظرت «كايا» في المدخل، بوجه شاحب. بدأت في التراجع.

«عنان، واجبي...».

«واجبك لي. آمرك بأن تتوقفي!".

انطلقت «كايا» واثبة، مخترقة القاعات خافتة الإضاءة. عدوت خلفها واندفعت للأمام، وأسقطتها إلى الأرض.

« كايا، من فضلك، فقط... أخ!».

دفعت بكوعها في عظم صدري، فتوقف الهواء في حلقي، وتحررت من قبضتي، مهرولة للنهوض على قدميها لتصعد الدرج.

«أغيثوني!». صار صراخها محمومًا الآن، ويتردد صداه خلال قاعات المعبد.

«كايا، توقفي!». لا يمكن أن يعلم أحد بهذا، لا يمكن أن يعرف أحد ماذا أكون.

صرخت: «إنه واحد منهم! لقد كان كذلك طوال الوقت».

«كايا!».

«أوقفوه! عنان من الماج...».

تجمدت «كايا» كأنها ارتطمت بجدار غير مرئي، وتلاشى صوتها وابتلعه الصمت، وكانت كل عضلاتها ترتجف.

دارت الطاقة الفيروزية من كفي إلى جمجمة «كايا»، فشلَّها تمامًا كما فعل سحر «ليكان»، صارع عقل «كايا» للتحرر من قبضتي الذهنية، ضد قوة لم أكن أعرف حتى أن بإمكاني التحكم فيها.

*لا*....

حدقت في يدي المرتجفتين. لا أدري! خوفُ مَن يسري في عروقي.

*أنا حقًّا واحد منهم.*

أنا الوحش الذي أطارده.

صارت أنفاس «كايا» مضطربة وراحت تتلوى. استمر سحري في التمدد خارج نطاق السيطرة. أفلتت صرخة مكتومة من فم «كايا».

«*اتركني!*».

رددت صارخًا والخوف يلتف حول رقبتي: «لا أعرف كيف!». لقد ضخَّم المعبد قدراتي، كلما حاولت كبت سحري، زادت شراسة محاولته الخروج.

تزايدت صرخات «كايا» من العذاب، وتحولت عيناها إلى اللون الأحمر، وتدفق الدم من أذنيها، منسابًا على رقبتها.

أفكاري تسير بسرعة مليون متر في الثانية. تهاوت كل البيادق التي في ذهني فصارت ترابًا، لا توجد طريقة لإصلاح هذا.

إذا كانت تخافني من قبل، فهي الآن تكرهني.

توسلت مسترضيًا لها. ينبغي أن أستوعبها، لا بد أن تنصت لي، فأنا مليكها القادم....

«*آخ!*».

أفلتت شهقة مرتجفة من بين شفتي « كايا»، وعادت عيناها إلى وضعهما السابق.

تبخر الضوء الفيروزي الذي يكبلها وصار عدمًا.

ارتطم جسدها بالأرض.

«كايا!» ركضت إلى جانبها ووضعت يدي على رقبتها، لكن نبضها كان ضعيفًا تحت أصابعي. بعد لحظة، كان قد انقطع تقريبًا.

صرخت: «لا!» وكأن صرخاتي يمكن أن تبقيها على قيد الحياة. تسرب الدم من عينيها، ومن أسفل أنفها، وسرى من فمها.

«أنا آسف». خنقتني الدموع. حاولت مسح الدم عن وجهها، لكنني جعلته ينتشر على بشرتها بدلًا من ذلك. ضاق صدري، وامتلأ بصدى دمها.

«أنا آسف»، زغللت عيناي. «أنا آسف. أنا آسف جدًّا».

قالت بصعوبة: «دودة».

ثم لم يكن شيء. جسدها تصلب.

تلاشى الضوء من عينيها العسليتين.

لا أعرف كم من الوقت جلست حاملًا جثة «كايا»، وتقاطر الدم على البلورات الفيروزية التي تبطن شعرها الأسود، علامة على لعنتي، وبينما كان الحديد والنبيذ يومضان، ملأت رائحتهما أنفي، وبدأت شظايا وعي «كايا» تترسخ، ورأيت اليوم الأول الذي التقت فيه بأبي، والطريقة التي احتضنته بها حين قتل الماجي عائلته، وتبادلا قبلة مستترين بالعرش بينما كان «إيبيل» ينزف عند أقدامها.

الرجل الذي قبّل «كايا» غريب، ملك لم أقابله أبدًا. بالنسبة له، كانت «كايا» أكثر من شمسه، كانت كل ما بقي من قلبه.

و أنا أخذتها بعيدًا.

في ذهول، أسقطت جثة «كايا»، متراجعًا عن الفوضى الملوثة بالدماء، وكبتُّ سحري حتى صار الألم الذي في صدري موهنًا، حادًّا مثل سيف قد أضعه أيضًا في ظهر «كايا».

لا يمكن أن يعرف أبي أبدًا.

هذه الوحشية لم تحدث قط.

ربما كان أبي سيتغاضى عن كوني من الماجي، لكنه لن يغفر هذا أبدًا.

بعد كل هذا الوقت، سرق السحر حبَّه مرة أخرى.

تراجعت خطوة إلى الوراء، ثم خطوة أخرى. تراجعت خطوات وخطوات، حتى شعرت بالخطأ الفظيع. هناك طريقة واحدة فقط للخروج من هذه الورطة.

وهي تنتظر في إيبيجي.

## الفصل السابع والعشرون

# أماري

***على الرغم من أن الألعاب*** لم تبدأ بعد، فإن الساحة تضجُّ بصرخات الترقب. دوَّت الهتافات المخمورة في القاعات الحجرية، وكل متفرج متعطش للدماء، *دمائنا*. ابتلعت ريقي بقوة وألصقت قبضتي بجانبي لإخفاء يدي المرتجفتين.

*كوني شجاعة يا «أماري»، كوني شجاعة.*

رن صوت «بينتا» في رأسي بوضوح أورثني لسعة في عيني. عندما كانت على قيد الحياة، كان صوتها يعزز شيئًا ما بداخلي، ولكن كلماتها هذه الليلة تتلاشى وسط دعوات الساحة للمذبحة.

«إنهم سيحبون هذا». ابتسم المذيع وهو يقودنا نحن الثلاثة تحت الأرض، «النساء لا يتنافسن أبدًا كربابنة. وبسببك، ستكون الجائزة مضاعفة».

أصدرت «زالي» صوتًا يدل على الاعتراض، لكنه صوت يفتقر إلى سخريتها المعتادة. «سعيدة أن دماءنا تستحق بعض الزيادة».

«الجديد يستحق المزيد دائمًا». ابتسم لها المذيع ابتسامة مثيرة للاشمئزاز. «تذكري أنه في حالة دخولك في هذا *النشاط*، يمكن لدودة مثلك تحصيل قدر لا بأس به من العملات».

أمسكت «زالي» ذراع «زين» قبل أن يتمكن من الرد ومنحت المذيع نظرة قاتلة، وانزلقت أصابعها بطول هراوتها المعدنية، كدت أهمس لها أن تفعل ما تفكر به.

إذا ضربت المذيع حتى يفقد صوابه، فربما تكون أمامنا فرصة أخرى لسرقة حجر الشمس. أي شيء سيكون أفضل من مصير ينتظرنا إذا ركبنا ذلك القارب.

«كفى كلامًا». أخذت «زالي» نفسًا عميقًا ورفعت يدها عن هراوتها.

غاص قلبي ونحن نواصل التقدم، إلى حتفنا نمضي.

عندما دخلنا القبو الصدئ الذي يضم السفينة، لم يكد أحد من الطاقم ينظر إلى أعلى. بدا العمال صغارًا أمام الجسم الضخم للسفينة الخشبية، وقد أضعفتهم سنوات من العمل الشاق، رغم أن معظمهم من أوريشا، بدا أن أكبرهم سنًا أكبر بعام واحد فقط أو اثنين من «زين». أزال حارس قيودهم، في لحظة حرية زائفة قبل المذبحة.

«مُريهم بما يحلو لك». أشار المذيع كما لو كان العمال قطيعًا من الماشية، «لديك ثلاثون دقيقة لوضع الاستراتيجيات، ثم تبدأ الألعاب».

وبهذا استدار، متراجعًا من القبو المظلم، وبمجرد رحيله، سحب «زين» و«زالي» أرغفة من الخبز وقِرَبًا من أحزمتنا وقاما بتوزيعها في جميع أنحاء الحشد. توقعت أن يلتهم العمال الوليمة الهزيلة، لكنهم حدقوا في الخبز منتهي الصلاحية وكأنها المرة الأولى التي يرون فيها طعامًا.

قال «زين» ملاطفًا: «كلوا، ولكن ليس بسرعة كبيرة، كلوا ببطء وإلا فستمرضون».

تحرك رباني صغير لأخذ قضمة من الخبز، لكن امرأة هزيلة أوقفته.

غمغمت: «اللعنة». لا يمكن أن يكون الطفل أكبر كثيرًا من العاشرة.

سأل كوسيدي أكبر سنًا: «ما هذا؟ فكرتك عن الوجبة الأخيرة؟».

طمأنهم «زين» قائلًا: «لن يموت أحد، اتبعوا توجيهاتي وسترجعون بأعماركم وبالذهب».

لو أن «زين» شعر بنصف الرعب الذي شعرت به، فلن يظهر ذلك عليه، كان يقف طويل القامة، مستوجبًا للاحترام، والثقة تغلب على صوته ومشيته، وبمشاهدته، من الممكن تقريبًا الاعتقاد بأننا سنكون بخير.

*تقريبًا.*

تحدثت امرأة تمتد عبر عينها نُدبة مروعة: « لا يمكنك خداعنا بالخبز، حتى لو فزنا، فسوف تقتلنا وتحتفظ بالذهب».

«نحن نسعى للحصول على الحجر»، هز «زين» رأسه، «لا نريد الذهب، تعاونوا معنا وأعدكم أن بإمكانكم الاحتفاظ بكل قطعة».

تفقدت الحشد وأنا أكره كل ذرة مني تود منهم أن يتمردوا. بدون طاقم، لن نتمكن من دخول الساحة. «زالي» و «زين» لن يكون أمامهما خيار سوى البقاء خارج السفينة.

*كوني شجاعة يا «أماري»*، أغمضت عيني وأخذت نفسًا عميقًا. تحت الأرض، صار صوت ذكرى «بينتا» أعلى وأقوى داخل رأسي.

«ليس أمامكم خيار». استدارت كل العيون ناحيتي وتضرجت وجنتاي بالخجل.

كوني *شجاعة*. أستطيع أن أفعل ذلك، هذا لا يختلف عن إلقاء الخطابات في القصر.

«هذا ليس عدلًا وليس حقًّا، لكنه يحدث، سواء أردتم العمل معنا أم لا، عليكم كوب القارب».

التقت عيناي بعيني «زين» ودفعني إلى الأمام. تنحنحت وأنا أسير، واجتهدت في أن يبدو صوتي قويًا، «كل رُبان آخر يتنافس هذه الليلة يريد فقط أن يفوز، ولا يعنيهم مَن قُتل أو من أوذي. نحن نريدكم أن تعيشوا، ولكن هذا سيحدث فقط إن وثقتم بنا».

نظر الطاقم حول القبو قبل أن يتجه إلى الأقوى.

بينهم.. رباني يبلغ طوله نفس طول «زين» تقريبًا، كانت مجموعة من الندوب تمتد عبر ظهره وهو يمشي وينظر في عيني «زين».

بدا أن الهواء يحبس أنفاسه ونحن ننتظر قراره، كادت ساقاي تنهاران حين مد يده.

«ماذا تريد منا أن نفعل؟».

# الفصل الثامن و العشرون

# أماري

*«المتحدّون في مواقعهم!»*.

دوى صوت المذيع أسفل الساحة. خفق قلبي في صدري. مرت ثلاثون دقيقة غائمة بينما كان «زين» يناقش الاستراتيجيات ويوزع المهام. يقود مثل جنرال محنك، أنضجته سنوات الحرب. تعلق العمال بكل كلمة لـ «زين»، والشرر يتطاير من أعينهم.

أومأ «زين»: «حسنًا. هيا بنا نَقُمْ بهذا».

بمزيد من التغذية والأمل المتجدد، تحرك العمال بهدف. ولكن حين اختلط الجميع على سطح السفينة، صارت قدماي ثقيلتين كالرصاص. اقترب هدير الماء المتدفق، مرجِعًا جميع الجثث التي غرقت في فورته. كنت أستطيع أن أشعر بالماء يسحب أطرافي بالفعل.

*حان الوقت*...

في لحظات، ستبدأ الألعاب.

استقر نصف العمال في مواقع التجديف الخاصة بهم، واستعدوا لمنحنا السرعة. أخذ الباقون مواقعهم حول المدافع في التكوين الفعال الذي تصوره «زين»: عاملان يناوران بالفوهة للتصويب، واثنان لتحميل البارود في المؤخرة. وسرعان ما أصبح الجميع على متن القارب.

الجميع إلا أنا.

مع ارتفاع الماء، أجبرت قَدَمَيَّ الرصاصيتين على الحركة وأنا أستقل السفينة. سرت عبر سطح السفينة لأصل إلى موقعي خلف مدفع، ولكن «زين» سدَّ طريقي.

«ليس عليك فعل هذا».

رن الرعب بصوت عالٍ للغاية في أذني حتى إنني احتجت إلى بعض الوقت لفهم كلمات «زين»: *ليس عليك فعل هذا*.

*ليس عليك أن تموتي*.

«هناك ثلاثة أشخاص فقط يعرفون بأمر الطقس. إذا صعدنا جميعًا على متن القارب...». تنحنح، وابتلع الفكرة القاتلة. «لم أقطع كل هذا الطريق من أجل لا شيء. بغض النظر عن أي شيء، لا بد أن ينجو أحدنا».

*اتفقنا*. انزلقت الكلمة إلى حافة شفتي، متلهفة كي تنطق بها شفتاي.

بدلًا من ذلك قلت بصوت مختنق: «لكن زالي ينبغي أن تبقى إن كان على أحد أن يبقى».

«إن كانت لدينا فرصة بدونها على متن هذه السفينة، فسأكون أول من يقنع أختي بدلًا منك».

«لكن...». توقفت وماء الساحة يفيض، مرتطمًا بالقارب. في دقائق ستكون الغرفة مغطاة، محاصرة لي داخل حجرة الدفن هذه. إن كنت سأجري، يجب أن يكون هذا الآن. في لحظة سيكون الأوان قد فات.

ألح «زين»: «أماري، اذهبي فحسب، من فضلك. سنقاتل أفضل إذا كنا غير مضطرين للقلق بشأن تعرضك للأذى».

نحن. كانت حالتي المزاجية لا تكاد تسمح لي بالضحك. خلفنا كانت «زالي» تتشبث بالسياج، بعينين مغمضتين وشفاه تسرع في تلاوة التعويذة. على الرغم من خوفها الواضح، لا تزال تحارب. لا أحد يسمح لها بالهرب.

*إن كنت ستتصرفين مثل أميرة صغيرة، فاتجهي ناحية الحراس. أنا لست هنا لحميتك. أنا هنا لأقاتل.*

همست لـ «زين»: «أخي يطاردني، وكذلك والدي. إن بقائي خارج هذا القارب لا يبقيني على قيد الحياة ولا حتى سر اللفافة، بل يمنحني بعض الوقت فقط». وبينما يرتطم الماء بقدمي، خطوت إلى الأمام، وانضممت إلى فريق على المدافع. قلت كذبًا: «أستطيع أن أفعل هذا».

يمكنني القتال.

*كوني شجاعة يا «أماري».*

هذه المرة أتمسك بكلمات «بينتا» وألفها حول جسدي مثل حُلة مدرعة. يمكن أن أكون شجاعة. بالنسبة لـ «بينتا»، يجب أن أكون كل شيء.

لفت «زين» نظري للحظة، ثم أومأ. انصرف ليأخذ مكانه. بصوت هادر، انطلق القارب للأمام على الماء، ليأخذنا إلى المعركة. أبحرنا عبر النفق الأخير.

ازدادت صرخات الحشد وحشية، في سعار لدمائنا. لأول مرة أتساءل عما إذا كان أبي يعلم بهذا «الترفيه». وإذا علم، فهل يهتم؟

قبضت على سياج السفينة بأقصى ما أستطيع، في محاولة عقيمة لتهدئة أعصابي. قبل أن أتمكن من تدعيم نفسي، دخلنا الساحة، مكشوفين، ليرانا العالم في الفضاء الفسيح.

انتشرت رائحة محلول ملحي وخل مثل موج البحر وأنا أحاول التحديق في المشهد المذهل. اصطف النبلاء في الصفوف القليلة الأولى فوق الساحة، وحرائرهم الهفهافة تتطاير وهم يدقون بقبضاتهم على السياج.

حين استدرت، ضاق قلبي عندما التقت عيناي بعيني رباني واسع العينين على قارب آخر. كان وجهه الخالي من التعبير يحكي الحكاية كلها.

لكي يعيش أحدنا، لا بد أن يموت الآخر.

شبكت «زالي» أصابعها وطرقعت مفاصلها، وهي تسير إلى مقدمة السفينة. كانت تتلو التعويذة، وتعزل نفسها عن المُشتتات قبل أن نبدأ.

هتف الحشد بكل قارب جديد يدخل إلى موقع الألعاب، لكن بينما كنت أتفرس في الخصوم، أتاني خاطر رهيب. في الليلة الماضية كانت هناك عشرة قوارب.

اليوم هناك ثلاثون.

# الفصل التاسع والعشرون

# زالي

لا....

عددت مرارًا وتكرارًا، في انتظار أن يعلن شخص ما أن هناك خطأ. لا يمكن أن نقهر تسعة وعشرين قاربًا آخر، خُطتنا أن نقهر عشرة.

ناديت على «زين» وأنا أركض نحوه بشكل فضح كل خوفي: «لا أستطيع ذلك! لا يمكنني أن أهزمهم جميعًا».

تلتني «أماري» وهي ترتجف حتى كادت تسقط على سطح السفينة، وكان الطاقم على إثرها وأخذوا يمطرون «زين» بأسئلة لا نهاية لها، فتطاير الشرر من عينيه ونحن نتكالب عليه، في محاولة للتركيز على أي شيء واحد، لكن بعد ذلك حزم أمره، وأغمض عينيه.

«هدوء!».

علا صوته فوق صراخنا المحموم، فأسكت صرخاتنا، شاهدناه وهو يفحص الساحة بينما يُحمس المذيع الحشد.

«آبي، خذ القارب الذي على اليسار، ديلي، خذي القارب الذي على اليمين، كوِّنا تحالفًا مع الطواقم. قل لهم إننا سوف نستمر لفترة أطول إذا استهدفنا القوارب الأبعد».

«لكن ماذا لو أن..؟».

صاح «زين» متجاوزًا اعتراضهما: «اذهبا!». مرسلًا الأخ وأخته مهرولين. استمر قائلًا: «أيها المجدفون، هناك خطة جديدة؛ ليبق نصفكم فقط يا رفاق على المجاديف. استمروا في تحريكنا، لن نكتسب الكثير من السرعة، لكننا سنموت إذا بقينا في سكون». تبارى نصف العمال في استئناف مواقعهم على المجاديف الخشبية، ورجع «زين» إلينا، وقد بُعِث بطل الأجبون حيًّا في عينيه. «الباقون منكم ينضمون إلى خط تجميع المدفع ويصوبون على القوارب في المقدمة. أريد نيران مدفعية ثابتة، لكن وازنوا أنفسكم، فالبارود لن يكفينا لفترة طويلة».

سأل «باكو» أقوى أفراد الطاقم: «والسلاح السري؟».

تبخر الهدوء العابر الذي شعرت به تحت قيادة «زين». ضاق صدري بشدة حتى شعرت بألم حاد يرتفع في جانبي، وأردت أن أصرخ بأن السلاح ليس جاهزًا. *إذا وضعت ثقتك فيها، فستموت.*

أستطيع أن أتصور الأمر الآن: «زين» يصرخ فوق الماء، وأنا أحبس أنفاسي محاولة دفع سحري إلى الخارج. أنا لست من الماجي كما كانت ماما.

ماذا لو لم أستطع أن أكون الحاصدة التي يحتاجون إليها؟

أكد له «زين»: «إنه تحت السيطرة، فقط احرص على أن نبقى على قيد الحياة فترة تسمح لنا باستخدامه».

«مَن على استعداد... *لخوض معركة العمر؟*».

هدر الحشد ردًّا على تحفيز المذيع. وكانت صرخاتهم تعلو حتى فوق صوته المكبَّر، وتشبثت بذراع «زين» والطاقم ينقسم، بحلق جاف جدًّا حتى إنني لا أستطيع التحدث. «ما خطتي؟».

«مثل القديمة. نحن فقط بحاجة أن تستخرجي المزيد».

«زين، لا أستطيع...».

قال: «انظري إليَّ». ووضع يديه على كتفي. «كانت ماما أقوى حاصدة رأيتها في حياتي، وأنت ابنتها. أعرف أنك تستطيعين فعل هذا».

انقبض صدري، لكنني لا أدري إن كان هذا خوفًا أم شيئًا آخر.

«فقط حاولي». ضغط على كتفي. «حتى الإيقاظ يمكن أن يكون مفيدًا».

«عشرة... تسعة... ثمانية... سبعة...».

صاح قبل أن يضع نفسه على مستودع الأسلحة: «ابقَيْ حية!».

«ستة... خمسة... أربعة... ثلاثة...».

تعالت الهتافات إلى مستويات تصم الآذان وأنا أركض إلى سياج السفينة.

«اثنان...».

لا توجد فرصة للتراجع الآن، إما أن نحصل على الحجر....

«واحد!».

- أو نموت في المحاولة.

ارتفع صوت البوق فقفزت إلى البحر، واصطدمت بالبحر الدافئ بسرعة مندفعة. عندما ارتطمت، اهتزت سفينتنا.

انطلق أول مدفع.

انتشرت الاهتزازات في الماء، مخترقة صميم كياني، وجمَّدت أرواحُ الموتى الفضاءَ من حولي؛ قتلى جدد من ألعاب اليوم.

قلت في نفسي: «حسنًا». متذكرة عودة «مينولي». شعرت بقشعريرة تخز بشرتي مع اقتراب الأرواح، وتجعل لساني بمذاق الدم رغم أنني أُبقي على فمي مغلقًا. النفوس متلهفة للمستي، للحصول على وسيلة للعودة إلى الحياة. هذه هي.

إن كنت حاصدة حقًّا، فعلي أن أُظهر هذا الآن.

*«إيماي أوون تاي أواتاي سيون، موكي بي آين ناي أوناي»*.

انتظرت أن يحوم العائدون من الماء أمام عيني، لكن خرج من بين يدي بضع فقاعات فقط، فحاولت مرة أخرى، مستمدة طاقتي من طاقة الموتى، لكن بغض النظر عن مدى شدة تركيزي، لم تُعِد أحدًا.

*اللعنة*. شح الهواء في حلقي، بمعدل أسرع مع تسارع دقات قلبي. لا أستطيع أن أفعل هذا، لا أستطيع إنقاذنا.

دوَّى انفجار فوقنا.

أصابني دوار وأنا أرى السفينة التي بجانب سفينتنا تغرق. انهمرت الجثث والخشب المكسور علينا، واحمر الماء حولي. مرَّ بي مندفعًا إلى أسفل جسد ملطخ بالدماء.

بحق *الآلهة*....

أطبق الرعب على صدري.

قذيفة واحدة إلى اليمين كان من الممكن أن تصيب «زين».

«هيا»: رحت أوجه نفسي والهواء في رئتي يزداد انكماشًا، لا وقت للفشل، أحتاج سحري الآن.

«أويا»، من فضلك، يبدو الدعاء غريبًا، مثل لغة يتم تدريس نصفها، وكلها صار منسيًّا تمامًا. لكن بعد صحوتي، ينبغي أن يكون اتصالنا أقوى من ذي قبل، إذا ناديت فعليها أن تجيب.

*ساعديني، أرشديني، أعيريني قوتك،* دعيني *أحمي أخي وأحرر الأرواح المحاصرة في هذا المكان*.

أغمضت عيني، وجمعت الطاقة الكهربائية للموتى في عظامي. لقد درست اللفافة، أستطيع أن أفعل هذا.

يمكنني أن أكون حاصدة الآن.

*«إيماي أوون تاي أواتاي سيون...»*.

أضاء ضوء أرجواني في يدي، ودارت حرارة حادة في عروقي. التعويذة تفتح مساراتي الروحية، وتتيح للآشي التدفق من خلالي، والروح الأولى تسري في جسدي، جاهزة لأوامري، على عكس «مينولي»، معرفتي الوحيدة بهذا العائد هي موته؛ تقلصت أمعائي من قذيفة المدفع التي هتكت أمعاءه، وحين انتهيت من التعويذة، طفا العائد الأول أمامي، وفي دوامة من الانتقام والفقاعات والدم، أخذ العائد صورة إنسان، وتشكَّل جسده من الماء حولنا، ورغم أن الفقاعات كانت تخفي تعبيره، شعرت بعزم الروح على النضال. صار جنديًا لديَّ، الأول في جيش من الموتى.

لأقصر لحظة، تغلَّب الانتصار على الإرهاق الذي يسري في عضلاتي. لقد فعلتها، أنا حاصدة، شقيقة حقيقية لـ «أويا».

سرت ومضة من الحزن خلالي، لو أن ماما بوسعها أن تراني الآن.

لكن لا يزال بإمكاني تكريم روحها.

سأجعل كل حاصد راحل فخورًا.

*«إيماي أوون تاي أواتاي سيون...»*.

مع *تضاؤل* الآشي بداخلي، أنشدت، وجئت بعائد آخر إلى الحياة، وأشرت إلى سفينة، ثم أعطيت أمري.

*«دمرها!»*.

لدهشتي، اخترق العائدان بسرعة السهم، وصوبا إلى الأمام على هدفي، على بعد لحظات من الضربة. اضطرب الماء حين ضربا، فأصابا جسم السفينة مباشرة، وطارت ألواح الخشب كالرماح، منحرفة مع اندفاع الماء إلى الداخل.

*لقد فعلتها...*

لم أكن أدري هل أبحث عن «أويا» في السماء أم بين يدي، أجابت أرواح الموتى ندائي، إنهم عازمون على إنفاذ إرادتي!

ابتلع الماء السفينةَ بأكملها، فانقلبت السفينة، لكن قبل أن يبرد حماسي، ارتطم ريانيون ساقطون بالماء.

درت، وأنا أتدبر الخسارة المباشرة. حاول الطاقم الساقط الصعود إلى القمة، وراحوا يركلون بأرجلهم نحو حافة الساحة. أصابني الذعر حين رأيت فتاة تندفع إلى الماء بأطراف عرجاء. ضاق صدري بينما بدأ جسدها الغائب عن الوعي في الغوص مثل الرصاص.

*«أنقذوها!»*.

أصدرت الأمر، لكن اتصالي بالعائدين ذبل مثل النفس الأخير الباقي في صدري، أستطيع بالفعل أن أشعر بتلاشي الأرواح المجندة، تاركين هذه الساحة البائسة إلى سلام الدار الآخرة.

بينما كنت أطوح برجلي لأعلى، غاص العائدون مثل أسماك شيطان البحر بقرون وذيول، وأحاطوا بالفتاة قبل أن تصل إلى قاع الساحة. طَن الآشي في عروقي وهم يسحبونها إلى قطعة عائمة من الخشب الطافي، وهو ما منحها فرصة للعيش.

«آخ!». سعلت حين اخترقت السطح، وانفصل عني شيء حين اختفى العائدون، أرسلت عبارات شكر صامتة بفضل أرواحهم وأنا ألهث طلبًا للهواء.

دوى صوت المذيع: «هل رأيتم ذلك؟». ثارت الساحة، دون معرفة ما أغرق القارب.

صاح «زين» من أعلى «زالي». وعلى شفتيه ابتسامة مجنونة رغم الكابوس الذي حولنا. حملت ابتسامته ألقًا لم أره في أكثر من عقد، ضوءًا كان يظهر عليه كلما شاهد سحر ماما.

أشار: «هذا! استمري في فعل هذا!».

تضخم الفخر في صدري، بحرارة تعمني من الداخل، وأخذت نفسًا عميقًا قبل الغوص مرة أخرى.

ثم بدأت في الإنشاد.

# الفصل الثلاثون

# أماري

*فوضى.*

قبل هذه اللحظة، لم أكن أفهم الكلمة مطلقًا، كانت الفوضى تعني صرخات أمي أمام مأدبة غداء. وكانت تعني تدافع أفراد العائلة الملكية إلى كراسيهم المبطنة بالذهب.

الآن الفوضى تحيط بي، تنبض مع كل نفس ودقة قلب، فأراها في الغناء بينما الدماء تملأ الهواء، والصراخ حين تنفجر القوارب فيطويها النسيان.

اندفعت نحو الجزء الخلفي من القارب وغطيت رأسي حين دوى صوت انفجار، واهتزت سفينتنا حين ضرب مدفع آخر جسمها، وطفت سبع عشرة سفينة فقط، ولكن بطريقة ما، ما زلنا في هذه المعركة.

كان الجميع يتحركون أمامي بدقة لا مثيل لها، ويقاتلون رغم الفوضى، برزت الأوتار في رقاب المجدفين وهم يدفعون السفينة إلى الأمام؛ وكان العرق يتصبب من وجوه الطاقم وهم يقومون بتحميل المزيد من البارود في مؤخرات المدافع. صحت في نفسي أن أذهب. *قومي بعمل شيء ما، أي شيء!*

لكن بغض النظر عن محاولتي المستميتة، لم أستطع المساعدة، لم أستطع حتى التنفس.

تقلصت أحشائي حين اخترقت قذيفة مدفعية سطح قارب آخر، وارتطمت صرخات الجرحى بأذني مثل الزجاج المكسور، ورائحة الدم لطخت الهواء، فذكرتني بكلمات «زالي» القديمة، في اليوم الذي أتينا فيه إلى إيبيجي، ذاقت الموت.

اليوم أنا أتذوقه بنفسي.

صاح «زين»: «قادمة!». مشيرًا إلى الدخان، كانت سفينة أخرى تقترب، ومجدفوها يلهثون برماحهم الجاهزة. اللعنة....

سوف يصعدون إلينا.

سينقلون المعركة إلى هنا!

صاح «زين»: «أماري، خذي المجاديف! ساعديني في قيادة هذه المعركة!».

كقائد لا يهاب شيئًا، انطلق، واختفى قبل أن يتمكن من رؤية الشلل الذي حل بقدمي. رئتاي تكافحان من أجل الحصول على الهواء. لماذا لا أستطيع أن أتذكر كيف أتنفس؟

لقد تدربتِ على هذا، وأحكمت قبضتي على سيفي مع اقتراب القارب. *لقد نزفتِ لهذا*.

لكن حين قفز طاقم العدو على متن القارب، تجمدت سنوات من الدروس القسرية في أطراف أصابعي. على الرغم من أنني أحاول أن أفرد نصلي، فإن يدي ترتعش. اضربي يا «أماري». علا صوت والدي في أذني، وحفر بعمق في الندبة التي على ظهري، *ارفعي سيفك يا «أماري»، اهجمي يا «أماري»، قاتلي يا «أماري»*.

«لا أستطيع ذلك...».

بعد كل هذه السنوات، ما زلت لا أستطيع.

لم يتغير شيء. لا أستطيع الحركة. لا أستطيع القتال.

لا يمكنني إلا أن أقف ساكنة.

*لماذا أنا هنا؟ ما الذي دار بخلدي بحق السماء؟* كان من الممكن أن أترك هذه اللفافة وأعود إلى رواقي. ربما كنت الآن لا أزال في حالة حزن على موت «بينتا» في غرفتي، لكنني اتخذت هذا الاختيار، وهو قرار مصيري بدا من قبل صائبًا للغاية. ظننت أنني أستطيع الانتقام لصديقتي العزيزة.

بدلًا من ذلك، سأموت دون أن أبلغ غايتي.

استندت إلى جانب السفينة مختبئة، بينما كان الطاقم يحارب الغزاة، وانسكبت دماؤهم عند قدمي، ودوت صرخاتهم المعذبة، فامتلأت بها أذني.

تغمرني الفوضى، وتجتاحني فلا أكاد أرى. مرت لحظة طويلة كأنها الدهر قبل أن أدرك أن أحد النصال قادم نحوي.

اضربي يا «أماري».

إلا أن أطرافي لا تتحرك. شق النصل الهواء نحو رقبتي.

صرخ «زين» وقبضته ترتطم بفك الرجل.

انهار المهاجم، لكن ليس قبل أن يخترق سيفه ذراع «زين».

«زين!».

صرخ «زين» وهو يمسك بعضلته ذات الرأسين: «ارجعي إلى الخلف».
«أنا آسفة!».
«ليس عليك سوى أن تبتعدي!».
ترقرقت دموع الخجل الساخنة في عيني وهو يعدو مبتعدًا، وتراجعت إلى الركن الخلفي للسفينة. كان ينبغي ألا أصعد. لا ينبغي لي أن أكون هنا. ما كان ينبغي لي أن أغادر القصر أبدًا....
دوى ارتطام هادر في أذني، واهتزت سفينتنا بقوة عنيفة، فسقطتُ أرضًا، وتشبثت بسياج السفينة والقارب يهتز، هذه هي النهاية.
لقد ضُربنا.
قبل أن أتمكن من النهوض على قدمي، انفجرت قذيفة مدفع أخرى خلال سطح سفينتنا. تطايرت شظايا الخشب والدخان في الهواء، ومال القارب ميلة جعلت مقدمته ترتفع إلى أعلى، وملأ الدخان رئتيَّ وأنا أنزلق عبر السطح الملطخ بالدماء.
تشبثت بقاعدة الصاري كمن يتشبث بالحياة نفسها، واندفعت كميات من الماء عبر الأشلاء على السفينة.
مال القارب ميلة أخرى، وبدأ في الغرق.

# الفصل الواحد والثلاثون

# زالي

*«زالي!»*.

اندفعت عائدة إلى السطح ورفعت رأسي. قبض «زين» على سياج السفينة، وهو يكز على أسنانه من التوتر. كان الدم يغطي ملابسه ووجهه، لكنني لم أكن أتبين ما إذا كان دمه.

بقيت تسع سفن أخرى فقط طافية في الساحة. تسع سفن باقية في حمام الدم هذا. لكن مؤخرة قاربنا تئن تحت السطح.

سفينتنا تغرق.

أخذت نفسًا عميقًا وغُصت مرة أخرى في الماء. على الفور، شعرت بمرارة في حلقي. سحائب الدماء الحمراء والحطام تجعل الرؤية مستحيلة.

كافحت لإبقاء عيني مفتوحتين وأنا أركل بقدمي بأقصى ما أستطيع. كل ضربة في الماء ضربة في ماء غليظ وثقيل بالدماء.

*«إيماي أوون تاي أواتاي سيون»*.

على الرغم من مناجاتي، تسرب آخر ما لدي من الآشي من بين أصابعي. لست قوية بما فيه الكفاية. لقد جفَّ سحري. لكن إن لم أستطع فعل ذلك، فقد يموت «زين» و «أماري». ستغرق سفينتنا، وتتلاشى فرصتنا في الحصول على حجر الشمس. لن نستطيع إعادة السحر مرة أخرى.

حدقت في الندبة التي بكفي. لمع وجه ماما خلف عيني.

قلت في نفسي لروحها: أنا آسفة.

ليس لدي خيار.

عضضت يدي، ملأ فمي مذاق الدم النحاسي حين اخترقت أسناني جلدي. انتشر الدم في الماء، متوهجًا بضوء أبيض يلتف حول جسدي. برزت عيناي والنور يسري بداخلي، ويهتز به دمي، ويشع من خلال جوهري.

اخترق الآشي عروقي، وغلت به بشرتي من أسفلها لأعلاها.

*«إيماي أوون تاي أواتاي سيون...»*.

ومَضت موجات حمراء خلف عيني.

«أويا» رقصت لي مرة أخرى.

انثنى الماء حولي، وتلوى بحياة جديدة وعنيفة. سحر الدم يترسخ، منفِّذًا إرادتي. على حين غرة، دار جيش من العائدين أمام عيني.

كانت بشرتهم المائية تنز بفقاعات من الدم والضوء الأبيض، وقد عادوا إلى الحياة بقوة عاصفة. بُعث عشرة آخرون من العائدين للانضمام إلى الجيش، والماء يدور أثناء تشكُّل أجسادهم. كانوا يسحبون الدم والحطام إلى بشرتهم، ويخلقون دروعًا جديدة لجيشي الذي من الأموات. نظروا إليّ حين تقدم آخر العائدين.

«*أنقذوا القارب!*».

انطلقت الأرواح المجندة لي في الماء مثل أسماك القرش مزدوجة الزعنفة، أشرس من أي سفينة أو مدفع في الأفق. رغم أن أحشائي كانت تحترق، غلبت إثارة سحري على فوضى معركتنا.

تضخم السرور بداخلي وهم يتبعون توجيهاتي الصامتة ويختفون في الثقوب التي خلفتها قذائف المدافع. وبعد ثانية بدأت المياه التي بالداخل في الاندفاع إلى الخارج.

*نعم!*

في لحظة، عادت سفينتنا إلى الطفو، فبرزت على السطح. حين خرج كل الماء، اتحد العائدون مع الخشب؛ لترميم الثقوب بالبقايا المائية لأجسادهم.

*لقد نجح الأمر!*

لكن عجبي لم يدم طويلًا.

رغم أن العائدين اختفوا، بقي فيضان سحر الدم.

كان جلدي يغلي وهو يخترقني، ويحرقني كما لو كان سحر الدم يمزق أعضائي. تغلغل العنف خلال عضلاتي.

شعرت بخدر في يدي.

«*أغيثوني!*».

حاولت أن أصرخ، لكن الفقاعات اندفعت في حلقي. غاص الرعب في عظامي. لقد كانت ماما محقة.

سحر الدم هذا سيدمرني.

سبحت إلى السطح، لكن كل ركلة كانت أصعب من سابقتها. فقدت الشعور بذراعي، ثم قدمي.

مثل الأرواح المنتقمة، يجتاحني سحر الدم ويلتصق بفمي، وصدري، وبشرتي. ورغم أنني أقاتل من أجل الوصول للسطح، لا أستطيع الحركة. وبمجرد اقترابي بشدة، صارت سفينتنا تبتعد أكثر وأكثر.

«*زين!*».

البحر القرمزي يخمد صوت صرخاتي.

اختفى الهواء القليل الذي في رئتي.

واندفع الماء داخلًا.

# الفصل الثاني والثلاثون

# أماري

***قبضت على حافة القارب***، وتسارعت نبضات قلبي حين توقف غرقه بغتة.

«لقد فعلتها!». طرق «زين» بقبضة يده على سياج السفينة. «لقد فعلتِها يا زيل!».

لكن حين لم تصعد «زالي» إلى السطح، تلاشى شعور «زين» بالانتصار، صاح باسمها مرارًا وتكرارًا، وظل يصرخ حتى بُحَّ صوته.

ملت على حافة السفينة وفحصت الماء، في بحث محموم عن صدمة شعرات بيضاء وسط هذا اللون الأحمر. هناك سفينة واحدة فقط باقية، لكن «زالي» لا أثر لها يُرى.

«زين! انتظر».

قفز إلى الماء، تاركًا القارب دون ربانه، واستدارت السفينة الأخيرة في الماء، وغيرت مسارها.

دوى صوت المذيع بقوله: «بهذه الطريقة، نفد البارود من يدي آخر المتنافسين! لكن ربانًا واحدًا فقط يمكنه أن يصل إلى النهاية، للفوز، يمكن لربان واحد فقط البقاء على قيد الحياة!

«زين!». صرخت عبر حافة السفينة، وقلبي يرتجف مع اقتراب القارب. لا أستطيع أن أفعل هذا بمفردي. نحن في حاجة إليه لإغراق السفينة الأخيرة.

جدَّف مجدفو العدو بأسرع ما يمكن، رغم أن الذين كانوا على مدافعهم كانوا مسلحين بالنصال، طاقمنا تخلَّوْا عن مواقعهم، وراحوا يتدافعون نحو الرماح والسيوف المثبتة بالسفينة. على الرغم من أنني كنت أرتعش، لم يكن لديهم أي تردد. كانوا مستعدين، متلهفين، على استعداد لإنهاء هذا الجحيم.

دغدغت الراحة كياني حين ظهر «زين» على السطح، وهو يحيط جسم «زالي» الفاقد للوعي بأحد ذراعيه بإحكام. فككت حبلًا من الجانب

ورميته من فوق الحافة، فثبته «زين» تحت ذراعي «زالي» وصرخ فينا كي نسحبها لأعلى.

انضم إليَّ ثلاثة عمال وأنا أرفع «زالي» بقوة إلى السطح. العدو على بعد لحظات الآن، إذا كانت تستطيع استدعاء عائديها مرة أخرى، يمكننا أن نجتاز هذا جميعًا.

«استيقظي!». هززت «زالي»، لكنها لم تتقلب، كان جلدها حارقًا تحت لمساتي، والدم يقطر من زاوية شفتها.

اللعنة، لن يجدي هذا، علينا أن نرفع «زين» مرة أخرى. أنشبت أظفاري في العقد التي تربط جذع «زالي»، لكن قبل أن تنحل آخر عقدة، اخترقت سفينة العدو سفينتنا.

بهدير هائل، قفز منافسونا على متن السفينة.

نهضت على قدمي ولوحت بسيفي مثل طفل يحاول إبعاد ليونيرة بلهب. لم تكن هناك منهجية في هجومي، ولا أية علامة على السنوات التي مرت في ألم.

*اضربي يا «أماري»*. تردد صوت أبي كالرعد في رأسي، فأعادني إلى الدموع التي سُكبت حين أمرني بمحاربة «عنان».. أسقطت سيفي، رفضت.

ثم شق نصل أخي ظهري.

تقلصت معدتي حين انخرط طاقمنا في المعركة، تحفزهم الفرصة في تحقيق النصر. تغلبوا على الطاقم الآخر بكل سهولة، فكانوا يتفادون ضربات سيوفهم لينزلوا بهم ضربات قاتلة، وركض نحونا رجال مخبولون، ولكن برحمة من الآلهة، مزقهم طاقمنا، ومات رجل على بعد خطوات فقط مني، وتجمع الدم في فمه بينما برز سكين من عنقه.

دعوت *ضارعة أن ينتهي هذا. لا رغبة لي إلا أن أتجاوز هذا!*

لكن بينما كنت أدعو، اندفع الربان، وهو يلوح بسيفه أمامه. تمالكت نفسي لتفادي الهجوم، لكن بعد ذلك أدركت أنه ليس قادمًا نحوي.

سيفه موجه إلى أسفل، مائل إلى الجانب.

إنه يستهدف «زالي».

تجمد الوقت مع اقتراب الربان، ونصله البراق يقترب أكثر فأكثر كل ثانية. كل شيء حولي صار هادئًا. تناثر الدم في الهواء.

للحظة، حالت صدمتي دون أن أدرك ما قمت به، لكن حين سقط الربان، سقط معه نصلي، سقط الرجل مطعونًا طعنة اخترقت أحشاءه.

غرقت الساحة في الهدوء، وبدأ الدخان ينقشع.

لم أستطع التنفس حين تحدث المذيع.

«يبدو أن لدينا فائزًا...».

# الفصل الثالث والثلاثون

# زالي

*538*

هذا هو عدد المرات التي انشق فيها جسدي.

عدد الأرواح التي أُجهضت على سبيل التسلية، عدد الأنفس البريئة التي تصرخ في أذني.

طفت الجثث بين الخشب في بحر الدم الذي لا يحده حدٌ، وكان وجودها يلطخ الهواء، ويغزو رئتيَّ مع كل نفس.

*أيتها الآلهة، ساعدينا*. أغمضت عيني، في محاولة للتعامي عن المأساة، وخلال كل ذلك، لم تتوقف الهتافات مطلقًا، ولم ينتهِ الثناء قط، وبينما كنا نقف على المنصة، تصايح الحشد كما لو كان هناك سبب للاحتفال بحمام الدم هذا.

بجانبي، كان «زين»، يحتضنني بشدة ولم يكن قد أفلتني من حضنه حقًّا منذ أن حملني من السفينة. ظلت ملامح وجهه محايدة، لكنني أستطيع الشعور بندمه، وعلى الرغم من أن المنافس بداخله كانت له الغلبة، فما زالت دماء من رحلوا تُجللنا. ربما نكون قد انتصرنا، لكن هذا ليس انتصارًا.

عن يميني، كانت «أماري» لا تزال ساكنة، ويداها تحيطان بمقبضها منزوع النصل. لم تقل كلمة واحدة منذ أن نزلنا عن تلك السفينة، ولكن العمال أخبروني أنها هي التي قامت بحمايتي وقتلت الربان الآخر. لأول مرة، لا يذكِّرني النظر إليها بـ «ساران» أو «عنان». أرى الفتاة التي سرقت اللفافة.

أرى بذور محاربة.

افتعل المذيع ابتسامة عريضة، بينما كان «ديلي» و «باكو» يدحرجان صندوق الذهب المتلألئ بعيدًا. هذا هو الذهب الذي ربما كان ينوي الاحتفاظ به، الذهب المقابل لكل روح أُزهقت.

صرخ الحشد بينما كان طاقمنا يتلقى جائزته، لكنَّ عاملًا واحدًا لم يبتسم للغنيمة، الثروة والحرية من عمال التراحيل ليسا شيئًا حين يطاردهم هذا الرعب كل ليلة.

كززت على أسناني وأنا أقول: «استمر في هذا». مبتعدة عن حماية «زين». «لقد قدمت عرضك بالفعل، دعك من حجر الشمس».

نظر المذيع شزرًا، وقد تجعد جلده البني بخطوط قاسية.

قال بصوت كالفحيح من المخروط المعدني: «لن ينتهي العرض أبدًا، خاصة عندما يتعلق الأمر بدودة».

كلمات المذيع جعلت شفتيَّ ترتجفان، ورغم أني أشعر كأن جسدي صار أجوف، لم أستطع إلا التخطيط. كم من العائدين سأحتاج لاستدراجه إلى المذبحة، وإغراقه في قاع بحره الأحمر؟

لا بد أن المذيع شعر بتهديدي الصامت؛ لأن ابتسامته المفتعلة سقطت عن شفتيه، وتراجع إلى الخلف ورفع مخروطه، مستديرًا مرة أخرى إلى الحشد.

«والآن...». دوى صوته في الساحة، كان يروج للعرض بكلماته، إلا أن وجهه لا يكاد يخفي خيبة أمله.

«أقدِّم... حجر الخلود!».

حتى من مسافة بعيدة، تسرب دفء حجر الشمس إلى عظامي المرتعشة، وكانت أضواء برتقالية وصفراء تنبض وراء السطح الخارجي الكريستالي مثل الحمم المنصهرة. مثل فراشة، انجذبتُ إلى نوره المقدس.

تذكرت أن هذه هي *القطعة الأخيرة*، بحسب ما قاله «ليكان»، باللفافة، والحجر، والخنجر، صار معنا في النهاية كل ما نحتاج إليه، يمكننا الاتجاه إلى المعبد المقدس وأداء الطقس. يمكننا *إعادة السحر*.

«لقد حصلتِ على هذا». وضع «زين» يده على كتفي وضغطها.

«أيًّا كان ما سيحدث، فسأكون بجانبك».

قالت «أماري» بنعومة وقد استعادت صوتها: «أنا أيضًا». ورغم الدم الجاف الذي كان يغطي وجهها، كانت عيناها مطمئنتين.

أومأت لها وخطوت للأمام للوصول إلى الحجر الذهبي. للمرة الأولى يصمت الحشد من حولي، بفضول ثقيل عم الهواء.

أعددت نفسي لما قد يأتي من حمل جزء حي من روح السماء الأم، ولكن بمجرد أن لمست أصابعي السطح المصقول، عرفت شيئًا لم يكن

ليؤهلني لهذا.

مثل الصحوة، ملأني لمس الحجر بقوة أكبر من أي شيء عرفته على الإطلاق. الطاقة المنبعثة من الحجر ترسل الدفء في دمي، وتكهرب الآشي الذي يسري خلال كل وريد.

لهث الحشد في ذهول حين أضاء نور الحجر الفجوات التي بين أصابعي، حتى المذيع تراجع؛ فجُلُّ ما كان يعرفه هو أن الحجر مجرد جزء من خدعه.

استمر سريان الآشي حتى امتلأتُ به، منفجرًا مثل البخار. أغمضت عيني فظهرت السماء الأم، أكثر عظمة من أي شيء تصورته من قبل.

كانت عيناها الفضيتان تلمعان ببريق زاهٍ على بشرة بلون الأبنوس، مزينة ببلورات الكريستال التي تتدلى من غطاء رأسها، وتنحدر لفات بيضاء ضيقة حول وجهها كالمطر، وتنثني بالقوة المشعة من كيانها.

روحها تتضخم من خلالي مثل اختراق البرق لسحابة رعدية. إن هذا أكثر من الشعور بالتنفس.

إنه جوهر الحياة.

«*إيماي أوون تاي أواتاي سيون...*». همست بالكلمات القليلة الأولى من التعويذة بصوت خفيض، واستمتعت بشعور مفاجئ لا مثيل له، وبقوة حجر الشمس، كان بإمكاني استدعاء المئات من العائدين من بين الأموات، وكان بإمكاني قيادة جيش لا يمكن إيقافه.

كان بإمكاننا أن نشق الساحة؛ إنزال المذيع، ومعاقبة كل متفرج هتف للذبح على سبيل التسلية، لكن هذا ليس ما تريده السماء الأم، هذا ليس ما تحتاجه الأرواح.

واحدًا تلو الآخر، تسابق الأموات الصارخون حولي، لا ليكونوا من العائدين، لكن للهروب. يشبه هذا تمامًا ما كان يتم من تطهير تحت قيادة ماما كلما اكتمل القمر، في تطهير أخير لمساعدة الأرواح في المرور إلى العافية.

مع هرب النفوس من الصدمة إلى سلام الحياة الآخرة، بدأت صورة السماء الأم في ذهني في التلاشي. حلَّت محلها إلهة لها بشرة مثل الليل، ترتدي موجات حمراء جميلة بعينين بنيتين داكنتين.

*يا للآلهة!*

أشرقت «أويا» في ذهني مثل الشعلة ضد الظلام، على عكس الفوضى التي لمحتها عندما استخدمت سحر الدم. هذه الرؤية تحمل جوًّا أثيريًّا. وقفت ساكنة، لكن بدا وكأن العالم بأكمله تحول في حضورها. ارتسمت ابتسامة انتصار عبر شفتيها....

«*آخ!*». فتحت عيني بغتة، أشرق حجر الشمس بالضوء، حتى إنني اضطررت للنظر بعيدًا، وعلى الرغم من أن الصدمة الأولى للمسه قد مرت، يمكنني أن أشعر بأزيز قوته في عظامي. بدا وكأن روح السماء الأم انتشرت خلال جسدي، وراحت تضمد كل جرح خلفه الدمار الناتج عن سحر الدم.

مع مرور الوقت، تلاشى الضوء الخاطف للأبصار واختفت صورة «أويا» المذهلة من رأسي، تعثرت للخلف وأمسكت بالحجر وأنا أسقط في أحضان «زين».

همس «زين» وقد اتسعت عيناه ذهولًا: «ماذا حدث للتو؟ الهواء... شعرت كأن الساحة كلها تهتز».

ضغطت حجر الشمس على صدري، في محاولة للتمسك بالصور التي كانت تتراقص في ذهني؛ الضوء الذي ينبعث من البلورات في غطاء رأس السماء الأم؛ الطريقة التي يلمع بها جلد «أويا»، داكنًا وساحرًا مثل ملكة الليل.

*لا بد أن هذا هو ما شعرت به ماما*.. أبهج هذا الإدراك قلبي. هذا هو السبب في أنها كانت تحب سحرها.

هذه هي الطريقة التي أشعر بها أنني على قيد الحياة.

صاح رجل من الحشود: «الخالدة!». فرفَّت عيني، وأعدتُ توجيه انتباهي إلى الساحة، سرت الصيحة في جميع أنحاء المدرجات حتى انضم الجميع إليها، راحوا يهتفون باللقب الزائف، في ثناء مسعور.

سألت «أماري»: «هل أنت بخير؟».

أجبت بابتسامة: «أنا بخير وزيادة».

صار الحجر معنا، واللفافة، والخنجر.

والآن لدينا فرصة بالفعل.

# الفصل الرابع والثلاثون

# أماري

***مرت ساعات*** قبل أن تهدأ الاحتفالات، على الرغم من أنني لا أفهم كيف يمكن لأي شخص أن يشعر بالرغبة في الاحتفال، كان هذا مضيعة هائلة لوقت الحياة، وإهدارًا اقترفته يداي.

حاول «زين» حمايتنا من الجماهير، لكن حتى هو لم يستطع مقاومة قوة المتفرجين ونحن نتدفق خارجين من الساحة، وسار موكبنا خلال شوارع إيبيجي، واختلقت الجماهير ألقابًا للاحتفال بهذه المناسبة، صارت «زالي» «الخالدة»، وفي حين حكم «زين» باعتباره «القائد». حين مررت، صرخ المتفرجون أكثر الأسماء سخافة على الإطلاق، انكمشت خوفًا حين دوى الهتاف مرة أخرى: «الليونيرة!».

أردت أن أصرخ من خطئهم؛ استبدلوا كلمة ليونيرة بلقب أنسب مثل «الجبانة» أو «الدجالة». ليس ثمة ضراوة خلف عيني، ولا يختبئ بداخلي وحش شرير. الاسم ليس أكثر من كذبة، لكن تغذيها الخمر، وليس اهتمام أحد المتفرجين. كانوا فقط بحاجة لكلمة يهتفون بها، لشيء كي يمدحوه.

حين اقتربنا من الأهيري الذي استأجرناه، قام «زين» أخيرًا بتحريرنا، وبتوجيه منه، دخلنا كوخنا الطيني وتعاقبنا على غسل الدماء.

حين جرى الماء البارد على جسدي، فركت بأقصى قوتي، متلهفة لمسح أي بقايا لهذا الجحيم من جسدي، وعندما تحول الماء إلى اللون الأحمر، فكرت في الربان الذي قتلته. *اللعنة*....

كان هناك الكثير من الدم.

كان الدم ينزُّ من زيه البحري الملتصق بجلده، ويتسرب خلال نعلي الجلديتين، ويلطخ طرف سروالي، وفي لحظاته الأخيرة، مدَّ الربان يدًا مرتعشة إلى جيبه. لا أعرف ماذا كان يريد أن يمسك، وقبل أن يتمكن من استردادها، سقطت يده بلا حراك.

أغمضت عيني وضغطت بأظافري على راحتي، وأفلتت مني زفرة عميقة اهتز لها جسدي. لا أدري ماذا يقلقني أكثر: أنني قتلته، أم أنني

يمكنني القيام بذلك مرة أخرى.

*اضربي يا «أماري».* ترددت همسة أبي الخفيضة في أذني.

مسحته من ذهني وأنا أغسل آخر دماء الساحة من بشرتي.

عند العودة إلى الأهيري، كان حجر الشمس متوهجًا داخل حقيبة «زالي»، يضيء اللفافة والخنجر العظمي باللون الأحمر ولون دوار الشمس الأصفر، ومنذ يوم مضى كنت بالكاد أعتقد أننا نمتلك اثنتين من القطع الأثرية المقدسة، ولكن الآن ها هي القطع الأثرية الثلاث مستقرة معنا. الآن وقد بقي اثنا عشر يومًا على الانقلاب المئوي، يمكننا أن نصل إلى الجزيرة المقدسة، وسيتبقى لدينا وقت إضافي. «زالي» يمكن أن تؤدي الطقس، سيعود السحر بالفعل.

ابتسمت في نفسي، متخيلة الأضواء المتلألئة التي أفلتت من يد «بينتا»، دون أن يبتره سيف أبي فظل للأبد. جمالٌ يمكنني مشاهدته كل يوم.

إذا نجحنا، فإن موت «بينتا» سوف يعني شيئًا. وبطريقة أو بأخرى، سينتشر ضوء «بينتا» في جميع أنحاء أوريشا، وقد يأتي يوم تلتئم فيه الفجوة التي تركتها في قلبي.

همس «زين» من إطار الباب: «لا يمكنني تصديق هذا؟».

«شيء من هذا القبيل». منحته ابتسامة صغيرة. «أنا فقط ممتنة أن الأمور قد مرت».

«سمعت أن الكساد قد حل بهم، فبدون الحصول على المال من اللحم الحي، لا يمكنهم رشوة المشرفين لجلب المزيد من عمال التراحيل».

«شكرًا للسماء. فكرت في كل الربانيين الصغار الذين لقوا حتفهم، وعلى الرغم من أن «زالي» ساعدت أرواحهم على العبور، فإن وفاتهم ما زالت عبئًا تنوء به كتفاي. «لقد أخبرني باكو أنه والعمال الآخرين سيستخدمون الذهب لتغطية المزيد من ديون الربانيين، وإذا كانوا محظوظين، يمكنهم إنقاذ مئات الأشخاص من العمل كعمال تراحيل».

أومأ «زين»، ناظرًا إلى «زالي» وهي تنام في زاوية الكوخ.

بعد أن تحممت منذ وقت قصير، ترقد الآن شبه مختبئة على فرو «نائلة» الناعم، وقد استردت عافيتها بعد عرضها الخاطف للأبصار بحجر الشمس. وأنا أراقبها، أصبحت لا أشعر بوخز الانزعاج الذي يظهر عادة في

وجودها، وحين أخبرها الطاقم أنني أنهيت القتال، منحتني نظرة بدا وكأنها شبه ابتسامة.

«هل تعتقدين أن والدك يعلم بهذا؟».

رفعت رأسي بغتة، فحوَّل «زين» نظره وتصلب وجهه.

قلت بهدوء: «لا أدري، لكن إن كان يعلم به، فلست واثقة مما إذا كان سيهتم بإيقافه».

حل بيننا صمت غير مريح، سارقًا لحظات الراحة الموجزة التي ننعم بها، ومدَّ «زين» يده نحو لفافة من الضمادات، لكن وجهه تقلص، لا بد أن الألم الذي في ذراعه أكبر من احتماله.

«اسمح لي». خطوت إلى الأمام، متفادية الضمادات المحمَرَّة حول عضلته ذات الرأسين له، جرح معركته الوحيدة، والذي نتج عن وجودي في طريقه.

غمغم «زين» عندما ناولته اللفافة: «شكرًا». انقبضت معدتي حين عاودني الشعور بالذنب الذي يقتات على كياني.

«لا تشكرني، لو أنني بقيت خارج هذا القارب، ما كان هذا الجرح ليصيبك على الإطلاق».

«ولم أكن لأستعيد زيل أيضًا».

نظر في عيني نظرة بعطفٍ وطيبة جعلتني مسلوبة الإرادة. كنت أظن أنه بالتأكيد سيمقتني، لكن إن كانت لديه أي مشاعر نحوي، فهي مشاعر امتنان.

«أماري، لقد كنت أفكر في...». أخذ يجذب لفة الضمادات، وقام بحلها كي يربطها مرة أخرى. «حين نمر من جومبي، يجب أن نذهب إلى نقطة الحراسة. أخبري الحراس أنك مختطفة، وضعي اللوم كله علينا».

«بسبب ما حدث على متن القارب؟». حاولت الحفاظ على نبرة كلامي، لكن تسللت إليها بعض الحدة. من أين يأتي هذا؟ منذ لحظة واحدة مضت كان يشكرني لكوني هنا.

«لا!». أغلق «زين» الفراغ الذي بيننا، ووضع يدًا مترقبة على كتفي، بالنسبة لشخص بهذا الحجم، تكون هناك حساسية مدهشة تجاه لمسته، «لقد كنت رائعة، لا أريد أن أفكر فيما كان سيحدث لو لم تكوني موجودة، لكن النظرة التي كانت على وجهك بعد ذلك... إذا بقيت، لا أستطيع أن أعدك أنك لن تضطري للقتل مرة أخرى».

حدقت في الأرض، ورحت أعد الشقوق التي في الطين، إنه يعرض عليَّ مهربًا آخر.

يحاول إبقاء يدي بعيدتين عن الدماء.

عدت إلى تلك اللحظة التي كنت فيها على متن القارب، حين ندمت على كل شيء وتمنيت لو أنني لم أسرق اللفافة، هذا هو المهرب الذي دعوت به، لقد كنت أرنو إلى هذا بكل قلبي.

*كان من الممكن أن يفلح هذا....*

على الرغم من أن ومضة عار أصابتني، تخيلت ما سيحدث لو أنني سلمت نفسي، باختراع القصة الصحيحة، وما يكفي من الدموع، والأكاذيب النموذجية، يمكنني أن أقنعهم جميعًا، لو برزت لهم مشعثة، فسيعتقد أبي أن الماجي الأشرار قد اختطفوني. ولكن حتى وأنا أعبث بالاحتمال، عرفت بالفعل رد فعلي.

«سأبقى». أخمدت الجزء الذي يريدني أن أستسلم بداخلي، وأبعدته إلى أقصى أعماقي، «أستطيع أن أفعل ذلك، لقد أثبت هذا الليلة».

«إن مجرد قدرتك على القتال لا تعني أنك...».

«زين، لا تقل لي ما ينبغي أن أفعله!».

كانت كلماته طاعنة مثل الإبرة، وقد جعلتني أعود حبيسة بين جدران القصر.

*«أماري»، اعتدلي في جلستك!*

*لا تأكلي هذا.*

*هذه الحلوى أكثر مما يكفيك -*

لا.

كفاني هذا. لقد عشت تلك الحياة من قبل وفقدت أعز صديقاتي بسببها، الآن بعد أن هربت، لن أعود. مع هروبي، لا بد أن أفعل المزيد.

«أنا أميرة، ولست مجرد زينة. لا تعاملني على غير ذلك، أبي مسئول عن هذا الألم، وأنا سأصلح هذا الأمر».

تراجع «زين» ورفع يديه في استسلام: «حسنًا».

أملت رأسي وقلت: «هذا كل ما في الأمر؟».

«أماري، أنا أريدك هنا، كنت فقط بحاجة إلى معرفة أنه باختيارك.

عندما أخذت تلك اللفافة، لم يكن هناك ما يدل على أن الأمور ستئول إلى ما آلت إليه».

«أوه...». قاومت الابتسام. أريدك هنا، كلماته تشعل النار في أذني، «زين» يريدني فعلًا أن أبقى.

قلت بهدوء مسترخية في جلستي: «حسنًا، شكرًا لك، أريد أن أكون هنا، أيضًا، مهما علا صوت شخيرك».

ابتسم «زين» فاسترخت كل الخطوط الجامدة التي في وجهه، «لست هادئة تمامًا أنت أيضًا أيتها الأميرة، إن طريقة شخيرك كان من شأنها أن تجعلني أدعوك الليونيرة طوال ما مضى من وقت».

«ها». ضاقت عيناي وتشبثت بالقرب، وأنا أدعو ألا يكون وجهي مضرجًا بالحمرة. «سأتذكر هذا في المرة التالية التي تحتاج فيها إلى مساعدة في تناول لفافة من الضمادات».

ابتسم «زين» وأنا أغادر الكهف، ابتسامة غير مكتملة جعلت خطواتي نفسها تتسع، استقبلني هواء الليل المنعش مثل صديق قديم، مفعم برائحة الأوجوجورو وخمر البلح من الاحتفال.

لمحتني امرأة مغطاة الرأس فابتسمت لي ابتسامة عريضة. «الليونيرة!».

حث نداؤها هتافات الذين حولها، تضرج خداي بحمرة الخجل، ولكن هذه المرة لم يبدُ الاسم خاطئًا إلى حد كبير، وبهذه الموجة من الخجل، تفاديت الحشد وتلاشيت في الظلال.

ربما أكون قد ارتكبت خطأ.

ربما تكون هناك ليونيرة تحيا بداخلي بعد كل هذا.

# الفصل الخامس والثلاثون

## عنان

***هواء الصحراء*** بلا حياة.

يجرح مع كل شهيق.

بدون توجيهات «كايا» المستمرة، كل الأنفاس تتداخل، وينغصها السحر الذي أخذها.

لم أدرك مطلقًا كيف مرَّ وقت ركوب الخيل إلى جانب «كايا»، فحين يسافر المرء، تندمج الدقائق في الساعات، وتمتزج الأيام بالليالي. تتضاءل إمدادات الغذاء أولًا، ويتبعه الماء من قريب.

أمسكت القربة المثبتة بسرج بانثنيرتي المسروقة وضغطت على آخر قطرات لإخراجها. إذا كان «أوري» حقًّا يراقبني من أعلى، فلا بد أنه يضحك الآن.

*هجوم الماجي.*

*مقتل «كايا».*

*تتبع اللفافة.*

*أنا..*

ينبغي أن تصل الرسالة الني أرسلتها إلى البيت مع الجنود قريبًا.

في ضوء معرفتي بأبي، فسوف يوفد الحراس في لحظة تلقيه لها، ويأمرهم بالعودة برأس الجاني أو لا يعودون على الإطلاق. لا أظن أنه يعرف أن الوحش الذي يطارده هو أنا.

شعوري بالذنب يمزق أحشائي مثل السحر الذي أساومه. لن يدرك أبي مدى معاقبتي لنفسي.

*اللعنة!*

طنَّ رأسي وأنا أكبت سحري، في أعمق أعماق عظامي، أبعد ما كنت أتخيل أن يصل. لم يعد الآن مجرد وجع في صدري أو أنفاس ملتهبة أقاومها، بل رعشة مستمرة تهتز لها يداي. الكراهية المتقدة في عيني «كايا»، السم في كلمتها الأخيرة.

دودة.

أسمعها مرارًا وتكرارًا، جحيم لا أستطيع منه فكاكًا، بهذه الكلمة الكريهة، كان من الممكن أيضًا لـ «كايا» أن تعلن أنني لا أصلح لأن أكون ملكًا.

هذه الفِرية تقلل كل شيء عملت من أجله في أي وقت مضى، الواجب الذي قاتلت لأدائه، المصير الذي فرضته «كايا» نفسها عليَّ.

*اللعنة!* أغمض عيني على ذكرياتها في ذلك اليوم.

إن «كايا» هي التي وجدتني، بعد أن آذيت «أماري»، متكومًا في أحلك ركن من أركان غرفتي، أمسك بالنصل الملطخ بالدماء.

عندما رميت السيف على الأرض، وضعته «كايا» مرة أخرى في يدي.

*أنت قوي يا «عنان»! ابتسمت. لا تدع هذه القوة تخيفك، أنت ستكون في حاجة إليها طوال حياتك، ستحتاج إليها لتكون ملكًا.*

قلت بسخرية: «القوة». إنها تلك القوة التي أحتاج إليها الآن، كنت أستخدم السحر فقط لحماية مملكتي. «كايا» من بين كل الناس كان يجب أن تفهم هذا.

الرمال تسفع وجهي في أثناء مروري بجدران الطين في إيبيجي. أبعدت أفكار «كايا» عني، لقد ماتت، لا يمكنني تغيير ذلك.

تهديد السحر لا يزال حيًّا.

*اقتلها*، في جوف الليل، كنت أتوقع أن تكون المستعمرة الصحراوية نائمة، لكن شوارع إيبيجي تتباهى ببعض بقايا احتفال. يأخذ النبلاء الأدنى منزلة والقرويون رشفات وافرة من كئوسهم، فلا تدري أيهم أعظم سُكرًا من صاحبه. أحيانًا يهتفون بأسماء أسطورية، يهتفون باسم «الليونيرة»، «القائد» أو «الخالدة».

لا أحد يعير أي انتباه للجندي الأشعث الراكب وسطهم، أو يهدر نظرة على الدم المجفف الذي يغطي بشرتي، لا أحد يدرك أنني أميرهم.

جذبت زمام بانثيرتي، فتوقفت أمام قروي بدا واعيًا لدرجة أنه تذكر اسمه. مددت يدي لنزع الملصق المجعَّد.

ثم التقط أنفي رائحة البحر.

على الرغم من أنني كبتُّ كل جزء من لعنتي، فإنها تضرب بقوة، جلية مثل نسيم المحيط، تضرب مثل أول قطرة ماء على مدى الأيام. فجأة أتت كل الأشياء معًا.

*إنها هنا.*

*شد الزمام* وأجبرت البانثنيرة على الاتجاه نحو الرائحة.

*اقتلها، اقتل السحر.*

أعد حياتي مرة أخرى.

توقفت في حارة تصطف على جانبيها أكواخ الأهيري الرملية. رائحة البحر هي السائدة الآن، إنها هنا. مختفية، خلف واحد من هذه الأبواب. ضاق صدري وأنا أترجل عن البانثنيرة وأخرج سيفي، ونصله يلمع في ضوء القمر.

ركلت الباب لأول.

صاحت امرأة: «ماذا تفعل؟». حتى مع تباطؤ خواطري بفعل الوهج، كنت أستطيع أن أرى أنها ليست هي.

*ليست الفتاة.*

ليست من أحتاج إليها.

تنفست بعمق وبحثت مرة أخرى، تاركًا رائحة ملح البحر تقودني، إنه هذا الباب، هذا الأهيري، الشيء الوحيد الذي يقف في طريقي.

ركلت الباب الطيني وركضت إلى الأمام، وقد كشفت عن أسناني مدمدِمًا.

رفعت سيفي لقتال -

لا أحد هنا.

مفارش مطوية وملابس قديمة تصطف على الجدران، جميعها ملطخة بالدماء.

لكن الكوخ فارغ، مملوء فقط بفرو الليونيرة المتساقط ورائحة الفتاة التي لا لبس فيها.

«مهلًا!». صرخ رجل من الخارج، لم أستدر لأرى.

كانت هنا، في هذه المدينة، في هذا الكوخ.

والآن ذهبت.

«لا يمكنك فقط أن...». أمسكتْ يد بكتفي.

في لحظة، كانت يداي تطبقان على رقبة الرجل.

أطلق الرجل صرخة وأنا أشير بنصلي إلى قلبه.

«أين هي؟».

صرخ الرجل: «لا أعرف عمن تتحدث».

سحبت نصلي على صدره، فظهر خط رفيع من الدم، وكانت دموعه تبدو فضية تقريبًا في ضوء القمر.

همست الفتاة بصوت «كايا»: دودة، لن تكون ملكًا أبدًا.

لا يمكنك أن تمسني.

أحكمت قبضتي على رقبة الرجل.

«أين هي؟ ».

# الفصل السادس والثلاثون

# زالي

***بعد ستة أيام*** من السفر عبر جحيم الصحراء، كانت غابات وادي نهر جومبي الكثيفة مشهدًا مرحبًا به، حيث تضج الأرض الجبلية بالحياة، وتمتلئ بأشجار ضخمة، حتى إن جذع إحداها يصلح أن يكون كوخًا من أكواخ الأهيري. تخللنا هذه الأشجار العملاقة الشاهقة، وضوء القمر ينسكب بين أوراقها بينما نحن نسير نحو نهر متعرج، طرَقَ هديرُه الهادئ أذني مثل أغنية، وهو ناعم نعومة ارتطام أمواج المحيط.

قالت «أماري» كهرَّة مسرورة: «هذا مهدِّئ للأعصاب جدًّا».

«أعلم هذا، يكاد يكون شبيهًا بالعودة إلى البيت».

أغمضت عيني لاستيعاب الصوت الرقيق، حتى يملأني بالهدوء الذي كان يسود الصباحات الباكرة التي كنا نقضيها مع بابا في شد شبكة الصيد. في هذا العمق من البحر، بدا وكأننا نعيش في عالمنا الفريد. هذه هي المرة الوحيدة التي شعرت فيها بالأمان حقًّا، لا يمكن للحراس أن يمسونا.

استرخت عضلاتي وأنا أستكين للذكرى، لم أشعر بهذا السكون في أسابيع. في ظل تناثر القطع الأثرية المقدسة ووجود سيف «عنان» في خاصرتنا، بدا أن كل ثانية سُرقت، أو استُعيرت على أقصى تقدير. لم يكن لدينا ما نحتاج إليه للطقس، وكانت فرص حصولنا على القطع الأثرية أصغر بكثير من فرص التعرض للقتل، ولكن الآن، لدينا كل شيء: اللفافة وحجر الشمس والخنجر العظمي في حوزتنا، للمرة الأولى، أشعر بما هو أكثر من الارتياح. الآن وقد بقيت ستة أيام حتى الانقلاب المئوي، أشعر أخيرًا بأنه يمكننا الفوز.

سألت «أماري»: «هل تعتقد أنهم سوف يقولون قصصًا عن هذا؟ عنَّا؟».

قال "زين» معترضًا: «يجدر بهم هذا، مع كل هذه الصعوبات التي خضناها وصولًا لهذا السحر، من حقنا الحصول على مهرجان كامل».

«من أين ستبدأ القصة؟»، عضت «أماري» شفتها السفلية، «ماذا سيطلقون عليها؟ الذين جاءوا بالسحر؟ الذين استعادوا السحر والقطع الأثرية المقدسة؟».

«ليس في هذا جرس موسيقي». دعكت أنفي واستلقيت على ظهر «نائلة» الفرو، «إن عنوانًا كهذا لن يصمد لاختبار الزمن».

اقترح «زين»: «ماذا عن شيء أبسط؟ 'الأميرة وصياد السمك'؟».

«هذا يبدو وكأنه عنوان قصة حب».

دارت عيناي في محجريهما. كنت أستطيع أن أسمع الابتسامة في صوت «أماري». ليس لدي شك في أنني إذا جلست، فسأجد «زين» يبتسم أيضًا.

قلت مشاكسة: «يبدو الأمر وكأنه قصة حب. لكن هذا ليس دقيقًا، إذا كنتما تريدان قصة حب بهذا الإلحاح، فلماذا لا تسمونها الأميرة ولاعب الأجبون؟».

استدارت «أماري» بغتة، وقد تضرّج خداها بحمرة الخجل. «لم أقصد أنني.. لم أكن أحاول أن أقول..». أطبقت فمها قبل أن تتفوه بشيء آخر.

حدجني «زين» بنظرة نارية، لكنها كانت تفتقر إلى الغضب الحقيقي، ونحن نقترب من نهر جومبي، لا أستطيع أن أحدد هل من المُحَبَّب أم من المزعج أنَّ أدنى تهكم يجعلهما يمتنعان عن الحديث؟!

«اللعنة، إنه وحش!». انزلقت على ذيل «نائلة» وثبَّتُّ قدمي على الحجارة الكبيرة الملساء التي تبطن الضفة الطينية. كان الماء يمتد إلى مسافة كبيرة، في مسار متعرج خلال قلب الغابة وجذوع الأشجار الضخمة. ركعت في الوحل ورفعت الماء إلى شفتي، وأنا أتذكر كيف كان حلقي يحترق شوقًا لهذا في الصحراء. طعم الماء المثلج جيد للغاية في هذا الهواء الرطب حتى شعرت برغبة عارمة في أن أغمر وجهي كاملًا به.

قال «زين»: «زيل، ليس بعد. سيكون هناك ماء حيث سنتجه، لايزال أمامنا طريق نقطعه».

«أعرف، لكن فقط خذ رشفة، ويمكن أن تستفيد نائلة من الراحة».

فركت قرن «نائلة» ودفنت وجهي في رقبتها، وابتسمت حين احتضنتني بدورها. حتى هي كرهت الصحراء. ومنذ أن رحلنا، زادت خطوتها اتساعًا عن ذي قبل.

وافق «زين» قائلًا: «من أجل نائلة، ليس من أجلك».

قفز وجثم بجوار النهر، و راح يملأ قربته بحذر، ارتسمت ابتسامة على شفتي، هذه فرصة أعظم من أن أضيعها.
أشرت قائلة: «بحق الآلهة! ما هذا؟».
«ماذا..؟».
اندفعت نحوه، صرخ «زين» قبل أن ينقلب، مرتطمًا بماء النهر محدثًا دويًا هائلًا، شهقت «أماري» حين عاد «زين» إلى الظهور مبللًا وأسنانه تصطك من تأثير البرد، رمقني بنظرة مغضبة، وظهرت على وجهه تكشيرة قميئة.
«سوف أقتلك».
«عليك أن تمسك بي أولًا».
قبل أن أتمكن من الانطلاق، اندف «زين» إلى الأمام، وأمسك بساقي.
صرخت وهو يسحبني إلى أسفل، كان الماء باردًا حتى إنه كان يخترق بشرتي مثل إبر «ماما أجبا» الخشبية.
«اللعنة!». حاولت التنفس بصعوبة.
ضحك «زين» قائلًا: «هل أفادتك فعلتك؟».
«هذه هي المرة الأولى التي أخدعك فيها منذ ردح من الزمن، لذلك سأقول نعم».
قفزت «أماري» من على «نائلة» وهي تضحك وتهز رأسها، «أنتما الاثنان سخيفان».
صارت ابتسامة «زين» ممتزجة ببعض العبث، «نحن فريق يا «أماري»، ألا ينبغي أن تكوني سخيفة أنت أيضًا؟».
«بالتأكيد لا». تراجعت «أماري» مبتعدة، لكن فرصتها في ذلك كانت ضعيفة، ارتفع «زين» وسط الماء مثل أفعى أنهار أوريشية. ابتعدت «أماري» بضعة أمتار قبل أن يصطادها. ابتسمتُ وهي تضج بالضحك، وراحت تصرخ بكل عذر تبادر إلى ذهنها حين ألقى بها «زين» على ظهره.
«لا أستطيع السباحة».
قال ضاحكًا: «إن العمق ليس كبيرًا».
«أنا أميرة».
«ألا تستحم الأميرات؟».
قالت: «اللفافة معي!». وأخرجتها من خصرها؛ لتذكير «زين» باستراتيجيته الخاصة، لمنع وجود جميع القطع الأثرية في مكان واحد، فإنه

يحمل الخنجر العظمي، و «أماري» تحمل اللفافة، وأنا أحرس حجر الشمس.

«نقطة جيدة». انتزع «زين» اللفافة من يدها ووضعها على سرج «نائلة».

«والآن، يا صاحبة الجلالة، حمامكِ الملكي في الانتظار».

«لا يا زين!».

صرخت «أماري» بصوت عالٍ جعل الطيور تطير بعيدًا عن الأشجار في خوف.

انفجرت أنا و «زين» في الضحك وهي ترتطم بالمياه، وتضرب بيديها ورجليها رغم أن بإمكانها أن تقف.

«هذا ليس مضحكًا». بدأت «أماري» ترتجف، مبتسمة رغمًا عنها. «ستدفع ثمن هذا».

انحنى «زين» وقال: «ابذلي قصارى جهدك».

ظهر نوع جديد من الابتسام على وجهي؛ نوع من الابتسام بعث الدفء في أوصالي حتى وأنا أجلس على ضفة النهر المتجمد. لقد مضى وقت طويل جدًّا لم أرَ أخي فيه يعبث، و«أماري» تقاتل بجدية كي تنزله تحت الماء، رغم أنها لا يمكن أن تكون أكثر من نصف وزنه مع الماء الذي بلل جسمها. راح «زين» يمازحها ويصرخ متظاهرًا بالألم، متظاهرًا بأنها قد تفوز.

فجأة، اختفى النهر.

اختفت الأشجار.

اختفت «نائلة».

«زين».

دار العالم حولي بينما قوة مألوفة ترحل بي بعيدًا، وحين توقف الدوران، شعرت بالخيزران يدغدغ قدمي. ملأ الهواء المنعش رئتي.

وحين أدركت أنني في أرض أحلام الأمير، عدت مرة أخرى إلى العالم الحقيقي.

شعرت بصعوبة في التنفس، فأمسكت صدري وأنا أشعر ببرد النهر يضرب قدمي مرة أخرى. لم يدم وميض أرض الأحلام سوى لحظة فقط، لكنه كان قويًا، أقوى من ذي قبل. سرت القشعريرة في أحشائي حين استقر الإدراك في وجداني. «عنان» ليس فقط في أحلامي.

إنه قريب.

«يجب أن نذهب».

كان «زين» و«أماري» يضحكان بصوت عالٍ فلم يسمعاني، وكان قد رفعها مرة أخرى، ويهدد برميها.

«توقف». ركلت الماء تجاههما، «يجب أن نرحل، لسنا في أمان هنا!».

قالت «أماري» مقهقهة: «عمَّ تتحدثين؟».

قلت مسرعة: «إنه عنان. إنه قر...».

اختنق صوتي في حلقي. كانت هناك ضوضاء بعيدة تقترب.

إستدارت رءوسنا نحو الصوت وكان مكتومًا لكنه كان متصلًا.

في البداية لم أستطع أن أتبينه جيدًا، لكن مع اقترابه تعرفت على طرقات الحوافر على الأرض. حين اجتازوا انحناء النهر، رأيت أخيرًا أكثر ما كنت أخشاه: «عنان» يسرع نحونا.

مسعورًا على بانثنيرته.

أبطأت الصدمة خطواتي ونحن نتدافع خارجين من النهر، والماء الذي حمل فرحتنا منذ قليل صار الآن يشدنا لأسفل، وقد أصبح التيار قويًا الآن مع محاولة «أماري» و «زين» الخروج. لقد كنا حمقى، كيف يمكن أن نكون بهذا الحمق؟ الثانية التي سمحنا لأنفسنا فيها بالاسترخاء هي الثانية التي أمسك بنا فيها «عنان» أخيرًا.

ولكن كيف اجتاز «عنان» الجسر المكسور في شاندومبلي؟ كيف علم أي طريق يسلك؟ حتى لو كان تعقبنا بطريقة ما إلى إيبيجي، فقد غادرنا ذلك الجحيم قبل ست ليالٍ.

أسرعت نحو «نائلة» وركبتها أولًا، وأمسكت زمامها بإحكام، سارع «زين» و«أماري» إلى الركوب خلفي، ولكن قبل أن أجذب المقود الجلدى، استدرت حولي.. ماذا فاتني؟

أين الحراس الذين كان يسافر معهم من قبل؟ أين الأميرال التي قتلت «ليكان»؟ بعد النجاة من هجوم السينتارو، بالتأكيد لن يضرب «عنان» بدون مساندة.

ولكن على الرغم من كل المنطق المعقول، لم يتقدم حراس آخرون. الأمير الصغير ضعيف، وحيد.

يمكنني هزيمته إن تقاتلنا.

صرخ «زين»: «ماذا تفعلين؟» وأنا أطلق زمام «نائلة» إلى أن توقفت قبل أن تبدأ.

«لدي هذا».

«لا يا زالي!».

لكنني لم أستدر إلى الخلف.

ألقيت حقيبتي على الأرض وقفزت عن ظهر «نائلة»، وهبطت متكومة على الأرض. أوقف «عنان» ركوبته مشهرًا سيفه ومستعدًّا للدم، وقفزت البانثيرة مزمجرة، لكن بدا أن «عنان» لم يكد يلاحظ هذا. كانت بقع قرمزية تنتشر في زيه العسكري، وعيناه الكهرمانيتان تشتعلان يأسًا. ومع ذلك، فقد بدا أنحف، والإرهاق ينبعث من بشرته كالحرارة، وقد تغير بعض الهوس الذي في نظرته.

لقد جعله كبت قدراته ضعيفًا.

قالت «أماري» بصوت مرتعش: «انتظري!».

على الرغم من محاولة «زين» الإمساك بها، فإنها انزلقت عن سرج «نائلة»، ولمست قدمها الرشيقة الأرض دون أن تصدر صوتًا، وسارت في حذر وهي تمر بي.

غارت الدماء من وجه «أماري»، ورأيت الخوف الذي نغَّص عليها حياتها كلها. الفتاة التي أمسكت بي قبل كل تلك الأسابيع في السوق. الأميرة ذات الندبة التي تمتد بطول ظهرها.

لكن بينما كانت تسير، ظهر شيء مختلف في وقفتها، شيء ثابت مثلما كانت على متن سفينة الساحة، شيء يسمح لها بالاقتراب من أخيها، وقد تغلب القلق على الفزع في عينيها.

«ماذا حدث؟».

أعاد «عنان» توجيه سيفه من صدري إلى صدر «أماري»، وقفز «زين» إلى أسفل للقتال، لكنني أمسكت ذراعه. «دعها تحاول».

«ابتعدي عن طريقي». كان صوت «عنان» آمرًا، لكنَّ رعشةً كانت تهز يده.

توقفت «أماري» لثانية واحدة، مضاءة بضوء القمر المنعكس عن شفرة «عنان».

قالت أخيرًا: «أبي ليس هنا، لن تؤذيني».

«أنت لا تعلمين هذا».

«ربما أنت لا تعلم». ابتلعت «أماري» ريقها بشدة. «لكني أعلم».
صمت «عنان» لحظة طويلة. وظل ساكنًا، ساكنًا للغاية. انزاحت الغيوم وسطع ضوء القمر، مضيئًا المسافة بينهما، وأخذت «أماري» خطوة إلى الأمام، ثم خطوة أخرى، أكبر هذه المرة، وحين وضعت يدها على خد «عنان»، ملأت الدموع عينيه الكهرمانيتين.
صاح بصوت أجش، وهو لا يزال متشبثًا بسيفه: «أنت لا تفهمين، لقد دمرها، وسوف يدمرنا جميعًا».
دمرها؟ سواء كانت «أماري» تعرف عمن يتحدث «عنان» أم لا تعرف، لم يبدُ أنها تهتم، وجهت سيفه إلى الأرض كما لو كانت تهدئ حيوانًا متوحشًا. لأول مرة لاحظت كيف بدت هي وشقيقها مختلفين حقًّا، ويكمن التباين في وجهها المستدير، وزوايا فك «عنان» المربع. وعلى الرغم من أنهما يشتركان في نفس النظرة الكهرمانية والبشرة النحاسية، بدا أن هذا هو الشبه الوحيد بينهما.
«تلك كلمات أبي يا عنان، قراراته ليست لك، نحن لا شعب لنا إلا أنفسنا، وإننا نتخذ قراراتنا بمفردنا».
قال «عنان» بصوت كسير: «لكنه محق، إذا لم نوقف السحر، فستسقط أوريشا».
عادت عيناه إليَّ، وشددت قبضتي على هراوتي. أردت أن أصيح بصوت عالٍ: حاول أن تفعل، لقد أجهدني الفرار.
أعادت «أماري» توجيه مسار رؤية «عنان»، ويداها الرقيقتان تحتضنان مؤخرة رأسه.
«إن أبي ليس مستقبل أوريشا يا أخي، نحن مستقبلها، نحن نقف على جانب الصواب في هذا الأمر. يمكنك الوقوف هناك أيضًا».
حدق «عنان» في «أماري»، وللحظة لم أكن أدري من هو! القائد الذي لا يرحم، الأمير الصغير، الماجي الخائف والمكسور! هناك شوق في عينيه، رغبة في التخلي عن القتال، لكن حين يرفع ذقنه، يعود القاتل الذي أعرفه.
صحت بصوت عالٍ: «أماري»...
دفعها «عنان» جانبًا وقفز إلى الأمام، والسيف مرفوع إلى صدري، قفزت أمام «زين» شاهرة هراوتي. حاولت «أماري».
الآن جاء دوري.

دوى رنين في الهواء حين ارتطم سيف «عنان» بمعدن هراوتي. توقعت فرصة للهجوم المضاد، لكن الآن بعد ن استيقظ «عنان» الحقيقي، فلن يتوقف، وعلى الرغم من التعب، كانت ضرباته شرسة، تغذيها كراهيته لي، كراهيته لما أعرف، لكن بينما كنت أقاوم كل ضربة، تراكم غضبي، الوحش الذي أحرق قريتي، الرجل المسئول عن وفاة «ليكان»، أصل كل مشاكلنا.

ويمكنني أن أنسفه.

صحت: «أرى أنك أخذت بنصيحتي». وأنا أتشقلب لتفادي ضربة نصله. «لا أكاد أرى خطك، كم عدد الدهانات التي استخدمتها هذه المرة أيها الأمير الصغير؟».

انقضضت بهراوتي على جمجمته، بضربة قاتلة، وليست للتشويه. تعبت من القتال.

لقد سئمت من اعتراضه طريقنا.

حنى رأسه ليتفادى هراوتي، وقام مسرعًا بدفع سيفه إلى بطني، فدرت مبتعدة عن مرمى الأذى وضربت. مرة أخرى، اصطدم سلاحانا بقعقعة مدوية.

قلت بصوت كالفحيح وذراعاي ترتجفان بقوة الاصطدام: «لن تفوز، إن قتلي لن يغير ما أنت عليه».

«لا يهم». قفز «عنان» إلى الخلف، متفاديًا ضربة أخرى. «إن مِتِّ، مات السحر أيضًا».

اندفع إلى الأمام ورفع سيفه وهو يصرخ.

## الفصل السابع والثلاثون

# أماري

***على الرغم من كل السنوات*** التي قضيتها في قتال أخي، فإن مشاهدته الآن تشبه مشاهدة غريب في مصارعة، وعلى الرغم من أن ضربات «عنان» أبطأ من المعتاد، فإنها بلا رحمة، يغذيها غضب متأجج لا أستطيع أن أفهمه، وبينما كان هو و «زالي» يتبادلان الضربات، وصلت معركتهما إلى القعقعات المستمرة لسيفه وهراوتها، وحين دفعهما قتالهما إلى مكان أبعد داخل الغابة، ركضت أنا و «زين» وراءهما.

سأل «زين»: «هل أنت بخير؟».

كنت أتمنى أن أقول نعم، ولكن مشاهدتي لـ «عنان» كسرت قلبي. بعد كل هذا الوقت، صار قريبًا جدًّا من القيام بالشيء الصحيح.

همست، وقد أفزعتني ضرباتها التي تغذيها الكراهية: «سيقتل كلاهما الآخر».

«لا». هز «زين» رأسه. «ستقتله زيل».

توقفت وراقبت حركات «زالي» القوية والحثيثة، مقاتلة كما كانت دائمًا، لكنها لا تحاول إسقاطه.. بل تحارب لاجتذاب أخي.

«يجب أن نوقف هذا!». ركضت متجاهلة نداءات «زين» بالبقاء، ودفعت المعركة شقيقي وشقيقته إلى أسفل التل، في عمق الوادي كثيف الغابات. وثبتُ لأصل إليهما، ومع ذلك كلما اقتربت، ازددت عدم معرفة بما ينبغي فعله. هل ينبغي أن أفرد نصلي أم أظل بلا حماية وألقي بنفسي في طريق الأذى؟ كان كلاهما يهجم على الآخر برغبة شديدة في الانتقام تجعلني لا أدري ما إذا كانت إحدى الخطتين ستوقفهما. لا أعرف حتى ما إذا كانت إحدى الخطتين ستجعلهما يترددان.

لكن بينما كنت أركض، انصرف ذهني إلى معضلة جديدة؛ ضغط العيون غير المرئية، هذا ثقل أعرفه في أي مكان، وقد اكتسبت هذا من سنوات عمري التي قضيتها في حمله داخل جدران القصر.

بينما كان إحساسي هذا يتزايد، توقفت متعثرة للبحث عن مصدره، هل استدعى «عنان» الجنود الآخرين؟ ليس من شيمه أن يقاتل وحده. إذا كان الجيش يقترب، يمكن أن نكون أكثر عرضة للخطر مما كنت أعتقد.

لكن لم يظهر خاتم أوريشا. بدلًا من ذلك، سمعت حفيف أوراق الشجر فوق رأسي، وقبل أن أتمكن من فرد نصلي، شق الهواء صوت خفقان..

سقطت «نائلة» أرضًا وهي تعوي، وقد التفَّت «بولا» سميكة حول ساقيها وخطمها. درت حول نفسي حين هوت شبكة على جسدها العملاق، فأمسكت بها في يسر كصياد محنَّك، وتضاءل الزئير المحبوس حتى أصبح أنات مذعورة، وبينما كانت «نائلة» تقاتل عبثًا للحصول على حريتها، خَفَتت أنَّاتُها حتى طواها الصمت. كانت عاجزة حين برز خمسة جنود من الغابة وسحبوها بعيدًا.

«نائلة»!». قفز «زين» لنجدتها، ملوحًا بمطواته، وكان يثب إلى الأمام بسرعة مثيرة للإعجاب، والنصل في يده متأهب لقطع..

«آخ!».

سقط «على» على الأرض كصخرة و «البولا» تقيد معصميه وكاحليه، وانزلق سكين الصيد فسقط على أرض الغابة مع إلقاء إحدى الشبكات، فوقع في الشَّرَك مثل قط الغاب.

«لا!».

ركضت وراءه وفردت نصلي، بينما كان قلبي يدق بقوة في صدري، وتفاديت «بولا» خاطفة بسهولة، لكن حين عاد الأفراد الخمسة الذين أخذوا «نائلة» إلى الظهور، لم أكن أعرف إلى أين أتجه. كانت الظلال تبتلعهم وتلفظهم، ملثمين يرتدون ملابس سوداء، وفي ومضات وجيزة لمحت عيونهم الخرزية، ليسوا جنودًا....

لكن إن لم يكونوا حرساً آخرين من حراس «عنان»، فمن هؤلاء المقاتلون؟ لماذا يهاجموننا؟ وراء مَن يسعون؟

انقضضت نحو الشخص الأول الذي اقترب وحنيت رأسي لتجنب ضربة آخر، وكل هجوم يهدر وقتًا ثمينًا، وقتًا لا يملكه «زين» ولا «نائلة».

ناديت «زين» حين برز المزيد من الملثمين من الظلام وسحبوه بعيدًا، وكان يقاوم الشبكة بكل قوته، لكن ضربة سريعة في رأسه تركته جسدًا بلا حراك.

«زين!» صوبت سيفي نحو مهاجم مندفع، فتأخرت ضربتي للحظة، وانتزع الرجل الملثم سلاحي وجردني منه، وغطى آخر وجهي بقماشة مبللة.
كانت رائحتها الحمضية لاذعة بشكل بشع، وازدادت تأججًا حين أظلمت عيناي.

# الفصل الثامن والثلاثون

# زالي

*صرخات «أماري» يتردد صداها في الأشجار.*

تجمدت أنا و «عنان» وسط الهجوم. *أدرنا* رأسينا فرأينا «أماري» تصارع رجلًا ملثمًا على بعد عدة أمتار.

ورغم أنها كانت تقاوم، أطبق قفاز أسود على فمها، ولمعت عيناها قبل أن تغمضها.

«أماري!». انطلق «عنان» وراءها، وتحركت لمتابعته، لكن الغابة كانت فارغة، ولا وجود لـ «نائلة».

لا أرى «زين».

«زين؟». استندت إلى شجرة ورحت أتفقد الأشجار التي تلقي بظلالها على أرض الوادي، ولاحت سحابة من الغبار في الأفق، مصاحبة لجسد ملفوف في شبكة، ثقيل وقوي، وكانت يد واهنة تستند على الحبال. لا....

«زين!».

عدوت.

أسرع مما كنت أعرف أنني أستطيع العدو.

بَدَوْتُ وكأنني في السادسة من عمري مرة أخرى، أمد يدي نحو السلسلة، وأعدو وراء ماما.

أبعدت الذكريات وأنا في طريقي، صارخة باسم «زين» في ظلمة الليل. لا يمكن أن يحدث هذا، لا يمكن أن يحدث لي، ولا لـ «زين».

لا يمكن أن يحدث مرة أخرى.

«زين!».

شقت صرخاتي حلقي، وكانت قدماي ترتعشان وأنا أضرب بهما الطين، ومررت بـ «عنان» وهو يلاحق «أماري». يمكنني أن أنقذه..

«لا!».

التفَّت حبال ضيقة حول كاحلي، وشدتني إلى الأرض، فرحت ألهث بشدة حين التفت شبكة بجسدي.

«آه!». صرخت مجددًا ورحت أتلوى وأركل بيدي وقدمي وأنا أُسحب خلال الغابة، لقد أخذوا «زين»، وأخذوا «أماري».

والآن هم بسبيلهم لأخذي.

كانت الصخور والأغصان تمزق جلدي، فسقطت هراوتي من يدي.

حاولت استخراج خنجر «زين»، لكنه أيضًا أفلت من قبضتي، وتطاير الطين في عيني، فاحترقت به عيناي وأنا أغمضهما لإخراج الحطام، وكان هذا بلا فائدة. لقد فقدتُ.

تدحرج جسدي إلى نقطة توقف حين اندفع الملثمان اللذان يسحباني إلى الأمام فزعين، وفي حركة خاطفة، انقض «عنان» وضربهما، بينما كانا لا يزالان على الأرض.

جرى أحد الملثمين، وبدا أنه اختفى تحت جذور الأشجار المشقوقة، وكان الآخر يتحرك ببطء شديد، فدفع «عنان» مقبض سيفه في صدغ الرجل وقد انثنت ركبتاه.

حين تهاوى الرجل على الأرض، استدار «عنان» نحوي، وأعاد ضبط قبضته حول سيفه.

كانت عيناه تخفيان حريقًا مشتعلًا.

ارتعشت أصابعي وأنا أمزق الحبال بيدي العارية، في محاولة لتحرير نفسي، ومع اقتراب «عنان»، لمع خاتم أوريشا تحت ضوء القمر، حاملًا كل ألم أوقعه أمام عيني ليوبانيرته. أحذية الحراس، الدم في الطين، السلسلة السوداء حول رقبة ماما.

كيف ركلوا «زين» فأسقطوه؟

كيف أسقطوني على الأرض؟

كل ذكرى جديدة تقيد كل شيء بداخلي، وتسحق ضلوعي. توقفت أنفاسي حين جثم «عنان» على الأرض وثبت ذراعي تحت ركبتيه.

هذه هي النهاية..

ومَضَ نصلُ «عنان» من أعلى.

*- تمامًا كما كانت البداية.*

# الفصل التاسع والثلاثون

## عنان

*أنا قريب جدًّا.*

هذه الفكرة تستهلكني وأنا أسير بشموخ نحو الفتاة، محاصرة في الشباك، لا حول لها ولا قوة، بلا هراوة، وبلا سحر.

بهذه القَتلة الواحدة، سأؤدي واجبي، وأحمي كل أوريشا من جنونها، وكل خطيئة ارتكبت في هذه المطاردة ستختفي، وسيذهب معها الكائن الحي الوحيد الذي يعرف بلعنتي.

«هاه!». ثبّتُّ ذراعيها بركبتي، ورحت أزيد حين بدأت تقاوم، ورفعت سيفي وضغطت على عظام صدرها بيد، وأنا أتهيأ لإغماد نصلي في قلبها.

لكن في اللحظة التي مسَّت فيها يدي صدرها، صرخ السحر خلال جلدي، بقوة لا سبيل لإيقافها، وأقوى من أي سحر شعرت به.

«آخ!». شعرت بضيق في التنفس، اختفى العالم في سحابة زرقاء مشتعلة.

رغم أنني أقاتل، لا أستطيع فكاكًا.

لعنتي تشدني إلى الأرض.

*سماوات حمراء.*

*صرخات حادة.*

دم يجري.

في لحظة واحدة، مرَّ عالم الفتاة بالكامل أمام عيني. حسرتها تمزق أضلعي.

أكثر حدة من أي ألم عرفته.

ضربت صخرة باردة قدمي العارية وهي تتسلق الجبال المغطاة بالثلوج في إبدان، وتحيط بي رائحة أرز الجولوف الدافئة، وتوقف قلبي عندما ركل الحراس الباب الخشبي لمنزلهم.

حراس أوريشا.

*حراسي.*

رؤيتهم المجردة تخنقني، مثل جوريليون يضغط على حلقي.
مرَّ ألف مثل أمام عيني، ألف جريمة تحمل ختم أوريشا.
لمعت ليوبانيرة الثلوج حين اصطدمت القبضة الحديدية للحارس بفك والدها.
وأضاءت حين التفَّتِ السلسلة المغطاة بالدم حول رقبة أمها.
رأيت كل شيء، العالم الذي خلقه أبي.
الألم الذي أُجبرت على العيش فيه.
*«ماما»!*
صرخت «زالي» صرخة مشوهة لدرجة أنها لا تبدو بشرية.
غطاها «زين» في زاوية كوخهم، في محاولة مستميتة لإخفائها من آلام العالم.
مرَّ كل هذا سريعًا، غائمًا، لكن في فترة زمنية لا نهائية.
راحت تطوح يديها وهي تجري وراء أمها.
وتجمدت حين وصلت إلى الشجرة..
*اللعنة.*
غَلَى الرعب في ذهني، الماجي المقيدون بالسلاسل.
زخارف الموت.
معلقة ليراها العالم أجمع.
إنه جرح يتردد في صميم قلبي، قرار لأي رباني عاش تلك الليلة.
في أوريشا تحت حكم أبي، كانت هذه هي النهاية الوحيدة التي يمكن أن يصل إليها الماجي.
استجمعت كل قواي لمدافعة ذكريات «زالي»، فحزنها يجرني إلى أسفل مثل تيار انتقامي.
بحركة مباغتة، عدت إلى الواقع مترنحًا.
سيفي معلق فوق صدرها.
اللعنة على السماء.
يدي تهتز، لحظة القتل لا زالت معلقة بيننا، ومع ذلك لا يمكنني حمل نفسي على الحركة.
لا أستطيع حتى وأنا لا أرى سوى الفتاة الخائفة والمكسورة.
بدا وكأنني أراها لأول مرة: الإنسان خلف الماجي، خوف لا يمكن فصله عن الألم، مأساة وقعت باسم أبي.

أبي....
الحقيقة ذات تأثير حارق، كشراب مرٍّ يغلي في حلقي.
ذكريات «زالي» لا تحمل الأشرار الذين كان أبي يحذر منهم دائمًا، لا تحمل إلا أسرًا مزقها.
*واجبك قبل نفسك*، رنت عقيدته في أذني.
أبي.
مَلِكُها.
نذير كل هذه المعاناة.
ضربتُ صارخًا. فزعت «زالي» من سرعتي.
سقطت الحبال التي تقيدها في الطين.
فتحت عينيها بغتة وتراجعت سريعًا، منتظرة هجومي، لكنه لم يأتِ.
لا يمكنني أن أكون شخصًا آخر يحمل خاتم أوريشا و يتسبب في ألمها.
فَغَرت «زالي» فمها واسعًا. ثمة أسئلة وارتباك معلقان على انحناء شفتيها، ولكن بعد ذلك اتجه رأسها بغتة إلى الشخص الملثم الساقط في الطين، واتسعت عيناها حين أتاها الإدراك.
«زين!».
اندفعت واقفة على قدميها، وكادت تتعثر تقريبًا وهي تفعل هذا، وتردد اسم أخيها في الظلام.
حين لم يجبها شيء، وقعت على الأرض، ورغمًا عني، سقطت معها.
أخيرًا عرفت الحقيقة.
لكني لا أدري بحق السماوات ماذا ينبغي عليَّ فعله.

# الفصل الأربعون

# زالي

***لا أعرف*** كم من الوقت رقدت في الطين.

عشر دقائق.

عشرة أيام.

استقر في عظامي بردٌ لم أجرِّبه من قبل.

إنه صقيع الوحدة.

لا أفهم، من كان هؤلاء المقاتلون الملثمون؟ مَن كانوا يُطَارِدُون؟ كانوا يتحركون بسرعة كبيرة لم تترك لنا أي سبيل لتفاديهم.

*ما لم تواصلوا الجري....*

الحقيقة تترك مذاقًا مرًّا على لساني، حتى أسرع قناع لن يكون شيئًا بالمقارنة بسرعة «نائلة». لو أننا كنا انطلقنا على ظهر «نائلة» فقط، ما استطاع الرجال أن يوقعونا في الفخ، ولكانت «أماري» وأخي آمنين، لكنني تجاهلت تحذير «زين» فدفع هو الثمن.

«زين» دائمًا يدفع الثمن عني.

حين ركضت وراء الحراس الذين أخذوا ماما، أحتمل ضرباتهم لإعادتي مرة أخرى، وحين أنقذت «أماري» من لاجوس، ترك منزله، فريقه، ماضيه. وحين قررت محاربة «عنان»، لست أنا التي وقعت في الأسر؛ إنه هو «زين»، دائمًا يدفع ثمن أخطائي.

رنَّ صوت في أذني، أكثر خشونة مما كان من قبل: *انهضي، اذهبي وراء «زين» و «أماري»، أعيديهما الآن.*

أيًّا كان هؤلاء الرجال الملثمون، فقد ارتكبوا خطًأ قاتلًا، خطأ سأجعله آخر أخطائهم.

رغم أن جسدي يبدو ثقيلًا كالرصاص، فإنني نهضت متثاقلة وذهبت إلى حيث يوجد «عنان» والشخص الملثم.

كان «عنان» مستندًا إلى جذع شجرة، ممتقع الوجه، ولا يزال ممسكًا بصدره، وحين رآني لفَّ يده حول مقبض سيفه، لكنه لا يزال ممتنعًا عن

الهجوم.
انطفأت النار التي أشعلها لمحاربتي؛ وفي رمادها، تكونت دوائر مظلمة تحت عينيه، وبدا أصغر مما كان من قبل، وعظامه بارزة من بشرته البيضاء.
إنه يحاربه... استقر الإدراك في وجداني مثلما أشعر بالصقيع الذي حولي، إنه يكبت سحره.
إنه يضعف نفسه مرة أخرى.
لكن لماذا؟ حدقت فيه، والارتباك يتزايد كل ثانية. لماذا حررني من تلك الشبكة؟ لم لا يرفع سيفه ضدي مرة أخرى؟
رنَّ الصوت الأجش داخل رأسي: الاستفهام بـ «لماذا» لا يهم، بغض النظر عن أسبابه، ما زلت على قيد الحياة.
إن أهدرتُ مزيدًا من الوقت، يمكن أن يكون مصير أخي هو الموت.
استدرتُ بعيدًا عن «عنان» وضغطت قدمي على صدر الصبي المُلثَّم، جزء بداخلي كان يتوق لإماطة اللثام عنه، لكن هذا سيكون أسهل إن كنت لا أستطيع رؤية وجهه. كان يبدو عملاقًا وهو يجرني عبر الغابة. الآن يبدو جسده المترهل هشًّا. ضعيفًا تمامًا.
سألته: «أين أخذتموهما؟».
تقلَّب الصبي لكنه ظل صامتًا، خيار خاطئ.
أسوأ خيار.
مددت يدي نحو هراوتي الساقطة وهويت بها محطمة عظام يده، فرفع «عنان» رأسه بغتة حين انطلق من فم الصبي عواءً شديد تردد صداه في ظلمات الليل.
صحت: «أجبني! أين أخذتموهما؟».
«أنا لا.. آخ!». أصبحت صرخاته أعلى، لكنها لم تكن عالية. أريد أن أراه يبكي، أريد أن أراه ينزف.
تركت هراوتي تسقط وسحبت خنجري من حزامي، خنجر «زين»....
ذكرى وضعه في يدي قبل أن أسير إلى لاجوس اخترقت أحزاني
قال لي في ذلك اليوم: على سبيل الاحتياط.
على سبيل الاحتياط حين أعرضه للخطر.
قلت و عيناي تشتعلان: «أخبرني! أين الفتاة؟ أين أخي؟ أين معسكرك؟».

الضربة الأولى كانت مقصودة، حيث أحدثت جرحًا في الذراع لحمله على التحدث، لكن عندما يتدفق الدم، يتحرر شيء ما، شيء متوحش لا يمكنني استيعابه.

جاءت الضربة الثانية سريعة، ومرت الثالثة بسرعة لا تسمح بالمتابعة، وانفجر أحلك جزء من غضبي وأنا أطعنه مرارًا وتكرارًا، فأغرق كل ما عندي من الألم.

«أين هما؟». دفعت بسكيني في يده حين غامت زوايا رؤيتي، وتلاشت ماما في الظلام، وتبعها جسد «زين» الملفوف في الشبكة. صرخت: «أجبني!» وأنا أرفع النصل مرة أخرى. «إلى أين سيأخذونه؟ أين أخي؟».

«مهلًا!».

نادى صوت من أعلى، لكن كنت لا أكاد أسمعه. لقد أخذوا السحر، أخذوا ماما، لن يأخذوا «زين» أيضًا.

«سأقتلك». مررت بالخنجر على قلب الصبي المُلثَّم وسحبته للخلف، «سوف أقتل..».

«زالي، لا!».

# الفصل الواحد والأربعون

## عنان

**مددت يدي**. وأمسكت بمعصمها في الوقت المناسب.

تصلّبت وأنا أجرها على قدميها.

في اللحظة التي تلامس فيها جلدانا، هاج سحري، مهددًا بأن تبتلعني ذكريات «زالي» مرة أخرى. كززت على أسناني وأجبرت الوحش على التراجع. السماوات وحدها هي التي تعرف ماذا سيحدث إذا فقدت نفسي في رأسها مرة أخرى.

قالت مهتاجة: «اتركني». إنه صوتها. لا يزال يحمل كل الغضب والشراسة السابقين، جاهلة تمامًا بحقيقة أنني الآن رأيت ذكرياتها.

الآن أراها.

غير قادر على إيقاف نفسي، احتويت «زالي» بداخلي، بكل منحنى، وكل خط؛ الوحمة التي على شكل هلال بطول منحدر رقبتها، والبقع البيضاء السابحة في بحيرات عينيها الفضية.

قالت «زالي» مكررة: «اتركني». وبعنف أكثر من ذي قبل، دفعت ركبتها نحو فخذي فقفزت إلى الخلف في الوقت المناسب.

«انتظري». حاولت أن أتحدث معها بالمنطق، لكن بدون الرجل المُلثَّم، وجد غضبها متنفسًا جديدًا. ضاقت أصابعها حول خنجرها الخام، وتراجعت إلى الخلف تأهبًا للهجوم.

«مهلًا..» «زيل». قفزت الكلمة في ذهني، بصوت خشن، صوت أخيها.

«زين» يدعوها «زيل».

«زيل، توقفي!».

إنه شعور غريب على شفتي، ولكن «زالي» توقفت، وقد أذهلها سماع اسم التدليل الذي تُعرف به، وانعقد حاجباها من الألم، تمامًا كما انعقدا حين جرَّ الحراس والدتها بعيدًا.

«اهدئي». خففت قبضتي، في إظهار طفيف للثقة. «عليك أن تتوقفي، ستقتلين دليلنا الوحيد».

حدقت في وجهي والدموع المعلقة في رموشها السوداء تسقط على خدها، وغلت موجة أخرى من الذكريات المؤلمة على السطح، يجب أن أعد نفسي بعدم التأثر بها.

سألت «زالي»: «دليلنا؟!».

بدت الكلمة غريبة وهي تخرج من فمها. نحن!

ليس من المفترض أن يكون بيننا أي شيء، لسنا من المفترض أن نشير إلى أنفسنا بكلمة «نحن».

*اقتلها، اقتل السحر.*

كان كل شيء بهذه البساطة من قبل، هذا ما كان أبي سيطلبه.

وهذا هو ما فعله بالفعل.

لكن الماجي المتدلية من الشجرة ما زالت تحدث ندوبًا في عقلي.

مجرد واحدة من جرائم أوريشا التي لا نهاية لها.

وأنا أنظر إلى «زالي»، أخيرًا وجدت إجابة عن سؤال كنت أخشى أن أسأله بشدة، لا يمكنني أن أكون مثل أبي.

لن أكون هذا النمط من الملوك.

أطلقت معصميها، لكن بداخلي أطلقت أكثر من هذا بكثير، تكتيكات أبي، أوريشا كما يراها، كل شيء أدرك الآن أنني لا أود أن أكونه.

لقد كان واجبي دائمًا لمملكتي، لكن يجب أن يكون لأوريشا الأفضل، أوريشا جديدة.

أرض يمكن أن يتعايش فيها الماجي والأمير، أرض فيها يمكن أن يشار حتى إلى «زالي» معي بكلمة «نحن».

إن كنت حقًّا سأؤدي واجبي تجاه مملكتي، فهذه هي أوريشا التي يجب أن أحكم.

كررت كلمة «دليلنا»، دافعًا بالثقة إلى صوتي. «نحن بحاجة إلى بعضنا، أخذوا أماري أيضًا».

عيناها تبحثان بداخلي، في أمل، وهي تحارب هذا الأمل في الوقت ذاته، «لقد كنت تهدد أماري بحد السيف قبل عشر دقائق، أنت لا تريد سوى اللفافة».

«هل ترين اللفافة؟».

جالت «زالي» بنظرها حولها باحثة عن المكان الذي قذفت فيه حقيبتها قبل قتالنا، لكن حتى حين لمحتها تجهم وجهها. لقد أخذوا

شقيقها، وركوبتها، وحليفتها، وذهبت اللفافة التي يحتاجها كلانا.

«سواء كنت أسعى وراء أختي أو تلك اللفافة، هؤلاء الرجال لديهم الاثنان على حد سواء، في الوقت الحالي تتطابق اهتماماتنا».

«أنا لست بحاجة لك». زوَّت «زالي» ما بين عينيها. «سأجدهم بنفسي».

لكن الخوف يتقاطر من جلدها مثل العرق.

خوفها من أن تكون وحدها.

«بدوني، سيتم الإيقاع بك بشبكة، دليلك الوحيد لمعسكرهم سيموت. هل تعتقدين حقًّا أن بإمكانك أسر هؤلاء المقاتلين دون مساعدتي؟».

انتظرتُ حتى تُقرَّ بالأمر، لكنها نظرت لي شزرًا فحسب.

«سأفهم نوبة صمتك النادرة باعتبارها نفيًا».

حدقت في الخنجر الذي في يدها، «إذا أعطيتني سببًا لقتلك..».

«من الممتع أنك تعتقدين أن بإمكانك هذا».

تواجهنا وكأننا لا زلنا في قتال، وهراوة غير مرئية ترتطم بسيف غير منظور، لكن حين لم تعد قادرة على مواجهتي، عادت «زالي» إلى الصبي الذي ينزف في الطين.

«حسنًا، أيها الأمير الصغير، ماذا سنفعل الآن؟».

غَلَى دمي باسم التدليل المعروفة به، لكنني أرغمت نفسي على إزاحته جانبًا. أوريشا الجديدة يجب أن تبدأ من مكان ما.

«احتجزيه».

«لماذا؟».

«بحق السماء، افعلي هذا فحسب».

رفعت أحد حاجبيها تحديًا لكنها سحبت النَّغْلَ البائس إلى أعلى. ارتجف جفناه بشكل طفيف وأخذ يئنُّ، وسرت حرارة غير مريحة في الهواء بيننا وأنا أخطو مقتربًا منها.

تفقدت إصابات الشخص الملثم؛ *يداه مكسورتان، عدد من الجروح أكثر من أن يُحصى*، وكان بلا حراك بين يديها كدمية من القماش. سيكون من حسن الحظ ألا ينزف حتى الموت.

«أنصت». قبضت على ذقنه وأجبرته على النظر في عيني، «إذا كنت تريد أن تعيش، أقترح عليك أن تبدأ الحديث، أين عائلتنا؟».

# الفصل الثاني والأربعون

# أماري

***أتى ألم الطعن أولًا***، حيث كان ينبض في رأسي بكثافة أيقظتني عنوة، وسرعان ما تبعته آلام الحروق، لاذعة في الجروح والخدوش التي لا نهاية لها التي تفري بشرتي.

فتحت عيني بغتة، لكن بقي الظلام؛ لقد ربطوا كيسًا من صوف خشن. كان النسيج الخشن يلتصق بأنفي وأنا أتنفس بعمق شديد، في محاولة عقيمة لمقاومة فرط التنفس.

*ما معنى هذا؟*

حاولت التقدم إلى الأمام، لكن ذراعيَّ منعاني، فمعصماي مقيدان في عمود. انتظري، ليس عمودًا. تزحزحت لاستكشاف السطح الخشن. شجرة....

هذا يعني أننا لا نزال في الغابة.

«*زين!*» حاولت أن أنادي، لكن فمي مكمَّم، ومعدتي مضطربة بشرائح لحم الخنزير المقلي من العشاء. أيًّا كان هؤلاء الناس، فقد اتخذوا كل الاحتياطات اللازمة لحماية أنفسهم.

اجتهدت كي أسمع دليلًا آخر.. ماء جارٍ، حركة أسرى آخرين، لكن لم أسمع أي أصوات أخرى. وجدتني مجبرة على أن أفتش في ذكرياتي بحثًا عن أدلة أخرى.

رغم أنني لا أستطيع أن أرى، أغمضت عيني، أسترجع الهجوم المفاجئ: اختفاء «زين» و «نائلة» في شِباك منسوجة، والرائحة الحمضية التي حولت كل شيء إلى اللون الأسود، والكثير من الشخصيات الملثمة، السريعة والصامتة، المدمجة في الظلال. هؤلاء المقاتلون الغريبون هم الجناة.

أخذونا جميعًا إلى أسفل.

*لكن لماذا؟* ماذا يريد هؤلاء الأشخاص؟ إذا كان هدفهم هو سرقتنا، فقد نجحوا بالفعل، وإذا كانوا يرغبون في قتلنا، فلن أكون الآن قادرة على

التنفس، لا بد أن هذا شيء مختلف، هجوم مغلف في هدف أكبر. وإن أتيح الزمن الكافي، يمكني إزالة هذا الغموض. ضعي خطة للهرب..

«إنها مستيقظة».

شعرت بالتوتر، وظللت ساكنة أثناء حديث بصوت أنثوي. سمعت صوت حفيف يشبه صوت خطوات مقتربة، أتتني رائحة المريمية الخافتة حين اقتربت.

«هل يمكننا إحضار زو؟».

هذه المرة لاحظت فخامة في حديثها، في لهجة كنت أسمعها فقط من النبلاء الذين ينحدرون من الشرق. تخيلت خريطة أبي لأوريشا، إلى جانب إيلورين. القرية الشرقية الوحيدة الكبيرة لاستيعاب النبلاء في القصر هي واري.

«زو يمكن أن تنتظر». أجابها صوت ذكوري، يحمل كلامه نفس اللكنة الشرقية. أصابتني الحرارة المنبعثة من جسده في موجة حين اقترب.

«كوامي، لا تفعل!».

انفصل الكيس عن رأسي بشدة حتى إن رقبتي انحنت للأمام، واندمجت الطَّرْقات التي في رأسي مع طوفان من ضوء الفانوس، وعيني زغللت وأنا أحارب الألم لاستيعاب كل شيء.

امتلأت نظرتي بوجه رباني، وقد ضاقت عيونه البنية الداكنة بالشك، وتنبت لحية كثيفة من فكِّه المحدَّد، وبينما كان يقترب، لمحت حلقًا فضيًا صغيرًا يخترق أذنه اليمنى، وعلى الرغم من ملامحه التي تنذر بالخطر، لا يمكن أن يكون الصبي أكبر سنًّا من «زين».

خلفه، كانت تقف ربانية أخرى، يتمثل جمالها في بشرتها الداكنة وعينيها الشبيهتين بعيني قطة، وتمتد ضفائر بيضاء بطول ظهرها، متشابكة على ذراعيها حين تعقدهما، وتحيط بها خيمة كبيرة من القماش، مقامة حول جذعي شجرتين عملاقتين.

«كوامي، أقنعتُنا».

رد وأنفاسه تضرب وجهي دافئة: «نحن لا نحتاجها، لأول مرة، هي التي في خطر، وليس نحن».

جسد آخر يستقر وراءه، مقيد بجذر شجرة كبيرة، برأس مخبأ خلف كيس من صوف خشن. «زين». شهقت وأنا أتبين شكله، لكن الراحة لم تدم، فقد كانت بقعة تنزف خلال الجزء العلوي من كيس «زين»، سميكة

وداكنة، وكانت الجروح والكدمات تشوه جلده؛ لا بد أن نقله هنا كان صعبًا.

سأل «كوامي»: «تريد التحدث معه؟ أخبرني من أين حصلت على هذه اللفافة؟».

تجمد الدم في عروقي حين لوح بالمخطوطة الرقية، اللعنة! ما الذي أخذه *أيضًا*؟

«هل تتوقين لنصلك؟». بدا أن «كوامي» يقرأ أفكاري، ساحبًا الخنجر العظمي من وسطه، «لم أستطع أن أترك صديقك بسلاح كهذا».

مزق «كوامي» الكمامة التي تربط فمي، ثابت الجأش حتى حين جرح خدي في هذا الإجراء.

قال وهو يكز على أسنانه: «لديك فرصة واحدة، لا تخاطري بالكذب».

قلت مسرعة: «أخذتها من القصر الملكي، نحن في مهمة لإعادة السحر، لقد تم تكليفي من قبل الآلهة».

اندفعت الفتاة التي خلفه قائلة: «سوف أحضر زو».

«انتظري يا فولاكي». كانت نبرة «كوامي» حادة، «بدون جايلين، نحن بحاجة إلى أن نذهب إليها بالأجوبة».

استدار نحوي، زاويًا ما بين عينيه مرة أخرى.

«كوسيدي ونبيلة في مهمة لإعادة السحر مرة أخرى، لكن ليس معكما أي من الماجي؟».

«إن معنا..».

توقفت، وأنا أدقق في المعلومات التي كشف عنها بسؤاله البسيط، وأعادني هذا إلى مآدب الغداء في القصر، في أوقات كان علي فيها البحث عن الحقيقة وراء كل الابتسامات والكذب. إنه يعتقد أننا وحدنا، هذا يعني أن «زالي» و «عنان» لا بد أنهما قد فرَّا، ومن الممكن جدًّا أنهما ما زالا آمنيْن...

لا أستطيع أن أقرر ما إذا كان هذا يجب أن يعطيني الأمل. معًا، يمكن لـ «زالي» و «عنان» أن يجدانا، لكن بالمعدل الذي كانا يتقاتلان به، ربما يكون أحدهما ميتًا بالفعل.

سأل «كوامي»: «هل نفدت أكاذيبك؟ حسنًا، قولي الحقيقة، كيف وجدتمونا؟ وكم عددكم؟ ماذا تفعل نبيلة مثلك بلفافة مثل هذه؟».

لفافة مثل هذه؟
أنشبت أظفاري في الطين، بطبيعة الحال، لماذا لم ألاحظ على الفور؟ «كوامي» لم يظهر أي رد فعل حين قلت إنني أريد اللفافة لإعادة السحر، وعلى الرغم من أنه رباني، فإنَّ لمسها للمرة الأولى لم يجعل سحره يتفاعل.
لأن هذه المرة ليست المرة الأولى التي يمسكها فيها....
في الواقع، قد يكون هذا هو آخر شيء يسعى إليهم هو وزملاؤه الحراس الملثمون الأهليون.
«اسمع..»
قاطعني «كوامي» قائلًا: «لا». وانتقل إلى «زين»، ممزقًا الكيس الذي برأسه. كان «زين» واعيًا بالكاد، وقد تدحرج رأسه إلى أحد الجانبين، وانقبض صدري قلقًا بينما كان «كوامي» يرفع الخنجر العظمي إلى عنق «زين».
«قولي الحقيقة».
صرخت: «هذا ما أفعله!». وأنا أشد قيودي.
«نحن بحاجة لإحضار زو». تراجعت «فولاكي» إلى مدخل الخيمة، وكأن البعد يبرئها من هذا الرعب.
صرخ «كوامي»: «نحن بحاجة إلى الحقيقة، إنها تكذب، أعرف أنك رأيت هذا أنت أيضًا!».
توسلت إليه قائلة: «لا تؤذه».
زمَّ «كوامي» شفتيه: « لقد أعطيتك فرصة، هذا عليك، لن أفقد عائلتي مرة أخرى...
«ماذا يحدث؟».
اندفعت عيناي إلى مدخل الخيمة أثناء دخول فتاة صغيرة، قبضتاها مشدودتان. الداشيكي الأخضر الذي كانت ترتديه يبدو زاهيًا بالنسبة لملامحها البنية بلون جوز الهند. ويستقر شعرها الأبيض حول رأسها، كثيفًا ومنفوشًا مثل غيمة، لا يمكن أن تكون أكثر من ثلاث عشرة، لكن «كوامي» و «فولاكي» يقفان في وضع انتباه في وجودها.
تكلمت «فولاكي» سريعًا: «زو، أردت إحضارك».
أكمل «كوامي» قائلًا: «أردت الإجابات أولًا، رأتهم كشَّافتي بجوار النهر، وكانت معهم اللفافة».

اتسعت عينا «زو» البنيتان الداكنتان وهي تمسك بالمخطوطة الرقيَّة من «كوامي» وتفحص كلماتها الباهتة. أعطتني الطريقة التي تمرر بها إبهامها على الرموز كل التأكيد الذي أحتاجه.

«هل رأيت هذه اللفافة من قبل؟».

نظرت الفتاة إليَّ وهي تفحص الجروح التي في جلدي، والشج الضحل الذي على جبين «زين»، وكانت تجتهد كي تُبقي ملامحها جامدة، لكن زوايا شفتيها تحولت إلى العبوس.

«كان يجب أن توقظوني».

قال «كوامي»: «لم يكن هناك وقت، لقد بدءوا التحرك، وكان علينا التحرك وإلا خرجوا من نطاق سيطرتنا».

سألت «زو»: «خرجوا؟ هل هناك المزيد منهم؟».

أجابت «فولاكي»: «اثنان آخران، لقد فرَّا. وجايلين...».

«ماذا عنه؟».

تبادلت «فولاكي» نظرة مفعمة بالشعور بالذنب مع «كوامي»: «لم يعد بعد، من الممكن أن يكون قد وقع».

اكفهر وجه زو، وتجعدت اللفافة في قبضة يدها، «لم تذهبوا وراءه؟».

«لم يكن هناك وقت..».

قالت «زو» مهتاجة: «لم تحسِنا أداء هذه المهمة! إننا لا نترك أحدًا خلفنا. إن مهمتنا هي أن نحافظ على الجميع آمنين!».

مال ذَقَن «كوامي» على صدره، وتزحزح عاقدًا ذراعيه.

«كانت اللفافة على المحك يا زو. إن أتى المزيد من الحراس، فنحن في حاجة إليها، لقد قيَّمت المخاطر».

قاطعتها بالقول: «لسنا حراسًا، نحن لسنا جزءًا من الجيش».

ألقت «زو» نظرة خاطفة عليَّ قبل أن تتقدم نحو «كوامي»، «لقد وضعتنا جميعًا في خطر، آمل أن يكون لعِبُ دور الملك كان ممتعًا».

رغم أن كلماتها كانت قاسية، فإن كل كلمة كانت مليئة بالحزن، ومع انعقاد حاجبيها الرقيقين، بدت أصغر سنًّا مما كانت عليه حقًّا.

قالت لـ «كوامي»: «اجمع الآخرين في خيمتي». قبل أن تشير لـ «زين»، «نظِّفي رأسه وضمِّديه يا فولي، آخر شيء أحتاجه هو أن يُصاب بالعدوى».

«ماذا عنها؟». أومأت «فولاكي» باتجاهي: «ماذا تريدين منا أن نفعل؟».

«لا شيء». أدارت «زو» نظرتها نحوي، في نظرة غير مقروءة مرة أخرى: «لن تذهب إلى أي مكان».

# الفصل الثالث والأربعون

# عنـان

*الصمتُ يلفُّنا.*

سميكًا وثقيلًا، معلقًا في الهواء.

الصوت الوحيد بيني وبين «زالي» هو لخطواتنا صاعدين أعلى تل في الغابة، ويذهلني أنه في وجود التربة الناعمة والشباك الثقيلة، لم يترك الأشخاص الملثمون مزيدًا من الآثار، وكلما تعثرت في أحد المسارات، بدا أنه اختفى.

«هذا الاتجاه». سارت «زالي» في المقدمة، وراحت تستكشف الأشجار.

وفقًا لنصيحة الصبي الملثم الذي استجوبناه، بحثت في الجذوع عن رمز مرسوم يدل على شعبه: حرف إكس (X) مع هلالين منفرجين، ووفقًا لما قاله، فإنَّ اتباع الرموز السرية هو الطريقة الوحيدة لاكتشاف معسكرهم.

«هناك رمز آخر». أشارت «زالي» إلى اليسار، مغيرة اتجاه سيرنا، كانت تتسلق بعزم ثابت، لكنني كنت أكافح للحاق بها. ملقى على كتفي، كان المقاتل الفاقد الوعي ضاغطًا بثقله على جسدي، مما جعل كل نفس أتنفسه معركة. كدت أنسى كيف يكون التنفس مؤلمًا حين أكون مضطرًا لكبت سحري.

في قتال «زالي»، كنت مجبرًا على التنازل، كنت بحاجة لقوتي الكاملة حتى تدين لي السيطرة، والآن أحتاج كل شيء بداخلي لمنع السحر مرة أخرى، وأيًّا ما كانت شدتي في القتال، يظل احتمال الشعور بألم «زالي» قائمًا.

تهديد مستمر ومتزايد..

انزلقت قدمي على التربة. تأوهت، وغرست كعبي في الطين لأتفادى الانزلاق على التل. الانزلاق هو كل ما تحتاجه لعنتي.

مثل ليوبانيرة هاربة من قفصها، أفلت زمام السحر.

أغمضت عيني بينما جوهر «زالي» يندفع داخلي مثل موجة مدٍّ عاتية، باردة وحادة في البداية، ثم لينة ودافئة. رائحة البحر تحيط بي، وتنعكس سماء الليل الصافية مشرقة على موجاته السوداء. رحلات إلى السوق العائمة مع «زين»، مرت ساعات على قارب جوز الهند مع بابا.

هناك أجزاء منه، أجزاء منها، تضيء شيئًا بداخلي، لكن الضوء يدوم لحظات فقط.

ثم غرقت في ظلام ألمها.

*اللعنة*، دافعت هذا كله، ودفعت كل جزء منها وهذا الفيروس بعيدًا. حين يذهب هذا أشعر بأنني أخف وزنًا، على الرغم من أن ضغط الكبت يسبب آلامًا حادة في صدري. شيء ما في جوهرها يدعو لعنتي، فيبرزها في كل فرصة سانحة. يبدو أن روحها تحوم حولي، مرتطمة مع قوة البحر المائج.

أجابت «زالي» وهي تقترب من أعلى التل: «أنت تعمل على إبطائي».

سألت: «هل كنت تريدين حمله؟ سأكون سعيدًا سعادة بالغة بمشاهدته ينزف عليك بدلًا مني».

*«ربما لو توقفت عن قمع سحرك، لأمكنك التعامل مع الوزن الزائد».*

*ربما لو أغلقت عقلك البائس، فلن يتطلب الأمر كل هذا القدر من الطاقة لإبقائك بالخارج.*

لكنني عضضت لساني؛ ليس كل جزء من عقلها بائسًا. يرتبط بذكريات عائلتها حب عنيف، شيء لم أشعر به قط، عدت بذاكرتي إلى أيام السباق مع «أماري»، إلى الليالي التي قضيناها فزعين من غضب أبي. إذا كانت «زالي» تمتلك سحري، فما هي الأجزاء التي ستراها مني؟

السؤال يطاردني وأنا أكز على أسناني لإنهاء الصعود الأخير، وحين وصلت إلى القمة، وضعت جثة أسيرنا أرضًا وسرت حتى استواء التل. الرياح تلفح وجهي، وأنا أتوق لخلع خوذتي.

ألقيت نظرة على «زالي»؛ هي بالفعل تعرف سري، لأول مرة منذ جاءني هذا الخط البائس لست مضطرًا لإخفائه.

فككت خوذتي وأنا مستمتع بمرور النسيم العليل على فروة رأسي مقتربًا من حافة التل شديدة الانحدار. لقد مضى وقت طويل منذ آخر مرة أزلت فيها خوذتي دون خوف.

تحتنا كانت غابات وادي نهر جومبي تمتد أسفل الظلال وضوء القمر، وكانت الأرض زاخرة بالأشجار العملاقة، لكن من هذا الارتفاع، ثمة رمز واحد فريد يبدو واضحًا. على عكس الانتشار العشوائي للأشجار في جميع أنحاء الغابة، هذا البستان مرتب، ويكوّن دائرة عملاقة، ومن موقعنا المتميز، كان حرف إكس (X) المميز الخاص بهم مرئيًّا فقط، مرسومًا على بعض أوراق الأشجار.

«لقد قال الحقيقة». بدت «زالي» مندهشة.

«لم نترك له مساحة كبيرة من الاختيار».

قالت غير عابئة: «ليكن، كان من الممكن بسهولة أن يكذب».

بين التكوين الدائري للأشجار، أقيم جدار سري من الطين والحجارة والفروع المتقاطعة، ورغم بدائيته، كان الجدار عاليًا، حيث وصل إلى عدة أمتار فوق جذوع الأشجار.

وقف شخصان مسلحان بالسيوف أمام الجدار، يحرسان ما لا بد أنه بوابتهم. مثل الولد الذي استجوبناه، يرتدي المقاتلون أقنعة وملابس سوداء بالكامل.

غمغمت «زالي» بصوت خفيض: «ما زلت لا أدري من هم». كررت سؤالها. إلى جانب موقعهم، الشيء الوحيد الآخر الذي عرفناه من الصبي هو أن شعبه يبحثون عن اللفافة أيضًا.

«ربما لو لم تضربيه حتى كاد يموت، لاستطعنا الحصول على المزيد من الإجابات».

زمجرت «زالي»: «لو لم أضرب هذا الصبي، ما كنا لنعثر على هذا المكان على الإطلاق».

سارت إلى الأمام، وبدأت رحلتها عبر الأراضي التي تغطيها الغابات.

«إلى أين تظنين أنك ذاهبة؟».

«لاستعادة أخي وأختك».

«انتظري». أمسكت بذراعها: «لا يمكننا الاقتحام على هذا النحو».

«أستطيع أن آخذ رجلين».

«هناك أكثر بكثير من رجلين». أشرت إلى المناطق المحيطة بالبوابة. احتاجت «زالي» لحظة للرؤية من خلال الظلال. الجنود المختبئون كانوا في سكون شديد جعلهم جزءًا لا يتجزأ من الظلام. «هناك ما لا يقل عن

ثلاثين منهم في هذا الجانب وحده، هذا باستثناء الرماة المختبئين في الأشجار».

أشرت إلى قدم تتدلى من الفروع، العلامة الوحيدة على الحياة في الأوراق السميكة. «إذا كان تشكيلهم مطابقًا للأقدام التي على الأرض، فإننا يجب أن نتوقع ما لا يقل عن خمسة عشر منهم هناك أيضًا».

قالت «زالي» مقرِّرة: «لذا سنهجم عند الفجر، حين لا يسعهم الاختباء».

«أشعة الشمس لن تغير عدد من سيقاتلوننا منهم، علينا أن نفترض أنهم كلهم مهرة مثل الرجال الذين أخذوا «أماري» و «زين»».

لوت «زالي» أنفها وهي تنظر نحوي؛ لقد سمعت هذا أنا أيضًا، اسم أخيها بدا غريبًا وهو يخرج من فمي.

استدارت؛ فتوهج شعرها المجعد الأبيض في ضوء القمر. كان شعرها مستقيمًا كنصل فيما مضى، لكنه الآن ملتف في حلزونات محكمة، تزيدها الريح التواء.

يذكرني شعرها المجعد بواحدة من ذكرياتها وهي صغيرة، حين كانت طفلة وكانت لفات شعرها أكثر إحكامًا. كانت أمها تضحك ضحكًا خافتًا وهي تحاول تمشيط شعر «زالي» في صورة كعكة، وكانت بطريقة سحرية تستدعي ظلالًا داكنة لتثبيت «زالي» في مكانها حين كانت تقاوم.

«ما هي خطوتنا القادمة؟». قطعت «زالي» أفكاري. عدت للتركيز على الحائط، وتركت حقائق المعركة تمحو كل ذكريات أم «زالي» وشعرها.

«جومبي على بعد يوم واحد بالركائب فقط. إذا غادرت الآن، يمكنني العودة بالحراس في الصباح».

«هل أنت جاد؟». خطت «زالي» إلى الوراء، «أنت تريد إحضار الحراس إلى هذا؟».

«نحن بحاجة إلى قوة لدخول هذا المعسكر، هل من خيار آخر لدينا؟».

«مع الحراس، لديك خيار». لكزتني «زالي» بإصبعها في صدري. «أما أنا فلا».

أشرت إلى الأسير قائلًا: «هذا الصبي رباني، ماذا لو كان هناك المزيد وراء هذا الجدار؟ لديهم اللفافة الآن، لا ندري ماذا سنواجه».

«بالتأكيد، اللفافة، دائمًا اللفافة، كم أنا غبية لأظن أن الهدف هو إنقاذ أخي أو أختك..».

«زالي..».

قالت آمرة: «اقترح خطة جديدة. إن كان هناك ربانيون خلف هذا الجدار واستدعيت الحراس، فلن نستعيد شقيقينا. سوف يموتون جميعًا بمجرد وصول جنودك».

«هذا ليس صحيحًا..».

«أحضر الحراس إلى هذا، وسأخبرهم بسرك».

عقدت ذراعيها. «عندما يأتون إلينا، سأحرص على أن يقتلوك أنت أيضًا».

انقبضت أمعائي وتراجعت إلى الوراء، وارتد نصل «كايا» في عقلي. الخوف في قبضتها، والكراهية في عينيها.

استقر بداخلي حزن غريب وأنا أمد يدي إلى جيبي وأحيط بها بيدق أبي، أسكتُّ كل الكلمات التي كنت أريد إطلاقها في هجوم مضاد، ليتها تكون مخطئة.

قلت ملحًّا: «إذن فماذا تقترحين أن نفعل بدون حراس؟ أنا لا أرى طريقة لاجتياز هذا الجدار دون قوة قتالية».

استدارت «زالي» مرة أخرى نحو المخيم وأحاطت نفسها بذراعيها، وكانت ترتعش رغم أن الرطوبة المحيطة بنا جعلتني أعرق.

أخيرًا قالت: «سأعمل على دخول كلينا، وبمجرد نجاحنا في الاختراق، يذهب كل منا في طريق».

رغم أنها لم تقل ذلك، فإنني أعرف أنها تفكر في اللفافة.

بمجرد سقوط هذه الجدران، ستكون المعركة من أجلها أكثر ضراوة من أي وقت مضى.

«ما هي الخطة التي في ذهنك؟».

«هذا ليس شأنك».

«بل شأني حين أضع حياتي بين يديك».

رفّت عيناها وهي تنظر إليَّ، بحدة، بعدم ثقة، لكنها بعد ذلك ضغطت بيديها على الأرض، وانطلقت همهمة في الهواء.

*«إيماي أوون تاي أواتاي سيون»*.

كلماتها تُخضع الأرض لإرادتها، محدثة صريرًا، مهشّمة ومصدّعة. ينهض شخص بشري بفعل من لمستها، وقد منحته الحياة بسحر يديها.

«اللعنة». أذهلتني قدرتها على السحر فدعوت باللعن. متى تعلمت هذه الخدعة؟ لكنها لا تهتم بما أعرف؛ استدارت مرة أخرى نحو المخيم.

قالت: «هؤلاء يقال لهم العائدون، ويتبعون أمري».

«كم يمكنك أن تصنعي منهم؟».

«ثمانية على الأقل، وربما أكثر».

هززت رأسي قائلًا: «لن يجدي هذا».

«إنهم أقوياء».

«هناك الكثير والكثير من المقاتلين هناك. نحن بحاجة إلى قوة أكبر..».

«حسنًا». استدارت «زالي» على كعبها، «إن كنا سنهجم ليلة الغد، فسأبحث عن كيفية صنع المزيد في الصباح».

شرعت في السير مبتعدة، لكنها توقفت.

«لك عندي نصيحة أيها الأمير الصغير، لا تضع حياتك في يدي إلا إذا كنت تريد لتلك الحياة أن تنتهي».

# الفصل الرابع والأربعون

# زالي

***نضح «الداشيكي» المقصوص*** الذي أرتديه بحبات من العرق وتقاطر العرق على حجارة الجبل، وارتجفت عضلاتي تحت وطأة تلاوة مائة تعويذة، لكن «عنان» لا يستسلم، لقد خرج من آخر مناوشة بيننا، وراح يمسح التراب المتكتل عن صدره العاري، وعلى الرغم من تورم خده ببقعة حمراء من آخر «عائدِيٍّ»، فإن «عنان» اعتدل في وقفته.

«مرة أخرى».

قلت لاهثة: «اللعنة! فقط أعطني استراحة».

«لا وقت للاستراحة. إن كنتِ لا تستطيعين ذلك، فنحن بحاجة إلى خطة أخرى».

قلت بصوت خفيض: «الخطة لا بأس بها، ماذا تحتاج أيضًا لإثبات هذا؟ سيكونون أقوياء، لسنا بحاجة إلى الكثير...».

«هناك أكثر من خمسين مقاتلًا في الناحية الأخرى يا زالي! رجال مسلحون مستعدون للنزال، إن كنت تعتقدين أن ثمانية من العائدين يكفون..».

«يكفون وزيادة بالنسبة لك!». أشرت إلى الكدمة التي تتكون في عين «عنان»، إلى الدم الذي يلطخ الكُم الأيمن من قفطانه، «تستطيع بالكاد قتال واحد منهم، ما الذي يجعلك تعتقد أنهم قادرون على التعامل مع ما هو أكثر؟».

صرخ «عنان»: «لأن هناك خمسين منهم! أنا لم أصل إلى نصف قوتي على أقل تقدير، لا ينبغي أن أكون مقياسًا لك».

«إذن فلتثبت أنني مخطئة أيها الأمير الصغير». ضممت قبضتي، وأنا أتوق إلى سفك المزيد من دمه الملكي، «أرني مدى ضعفي، أرني كم أنت قوي في الحقيقة!».

«زالي...».

«كفى». صحت وأنا أضغط براحتي على الأرض. لأول مرة تفتح مساراتي الروحية دون تعويذة؛ نفد الآشي لديَّ وتدفق العائدون، جاءوا إلى الحياة يدمدمون، وقاموا عن الأرض بأمر صامت مني. اتسعت عينا «عنان» حين انتشر عشرة من العائدين عبر التل.

لكن في اللحظة القصيرة التي سبقت الهجوم، ضاقت عيناه، وبرز عرق في رقبته، وتوترت عضلاته في مقابل بنيته القوية، وطفا سحره مثل نسيم دافئ، فصار به الهواء من حولنا ساخنًا.

اخترق اثنين من العائدين، فانهارا إلى الطين. كان يضرب مثل البرق ضد الآخرين، متفاديًا ومهاجمًا في نفس الوقت. اللعنة، عضضت خدي من الداخل ومضغت الهواء. كان أسرع من الحارس المتوسط.

أكثر فتكًا من الأمير المعتاد.

«*إيماي أوون تاي أواتاي سيون*». رحت أتلو مجدَّدًا، فمنحت الحياة لثلاثة عائدين آخرين جدد. تمنيت أن تؤدي الضربة إلى كبح جماح «عنان»، لكن بعد بضع ثوانٍ محمومة، وقف وحيدًا. كان العرق يتدحرج على جبينه، والتربة الجافة تتقصف تحت قدميه.

اثنا عشر عائدًا بعد ذلك، ولا يزال واقفًا.

«هل رضيت؟». رغم أنه كان يلهث، بدا أكثر حيوية مما رأيته عليه من قبل، ولمعت حبات العرق على انحناءات عضلاته؛ ولأول مرة صار أكثر من مجرد جلد وعظم، وتضرَّج وجهه باللون الأحمر وهو يغرز سيفه في صدع بالأرض، «إذا كان بإمكاني صَرْع اثني عشر بقوة كاملة، فكيف بخمسين مقاتلًا؟».

ضغطت براحتي على الجرف. سأصنع عائدًا لا يستطيع أن يهزمه.

قعقعت الأرض، لكن الآشي لديَّ صار مستنفدًا بما لا يكفي لخلق أرواح مجندة جديدة، بدون اللجوء إلى سحر الدم، لا يمكنني أن أفعلها، ورغم كل ما بذلته من جهد جهيد، لم يظهر أي من العائدين. لا أدري ما إذا كان «عنان» قد رأى اليأس الذي على وجهي أم استشعره بسحره. دعَكَ أرنبة أنفه؛ ليكبت السخرية التي ثارت بداخله.

«زالي..».

قاطعته قائلة: «لا». اتجهت عيناي نحو حقيبتي، كان حجر الشمس كامنًا تحت الجلد، يغريني في صمت.

إذا استخدمته، يمكن أن أستحضر عددًا من العائدين يكفي وزيادة لصرع خسين مقاتلًا، لكن «عنان» لا يعلم أنه بحوزتي، وإذا كان هؤلاء الملثمون يسعون وراء اللفافة، فسيرغبون في حجر الشمس أيضًا. تزايد إحباطي، على الرغم من أنني كنت أعرف أنني على حق. لدي فرصة لاسترداد اللفافة والخنجر العظمي، ولكن إن وقع حجر الشمس في أيدي الماجي الخطأ، فسيزيدهم منعة حتى ضد استعادته من بين أيديهم مرة أخرى.

*ولكن إذا استخدمت سحر الدم....*

نظرت إلى يدي؛ بدأت آثار العض حول إبهامي للتو في تكوين ندبة. التضحية بالدم ستكون كافية وزيادة، ولكن بعد ما حدث في الساحة في إيبيجي، لا أريد استخدام سحر الدم مرة أخرى أبدًا.

حدق «عنان» في عيني بعينين مترقبتين، لترجمة جوابي. لا أستطيع استخدام أي منهما.

«أنا فقط بحاجة إلى مزيد من الوقت».

«نحن لا نمتلك الوقت». تخلل «عنان» شعره بيده، وقد بدا الخط الأبيض الآن أعرض مما كان من قبل، «لست قريبة من المطلوب، إذا كان لا يمكنك فعل ذلك، فنحن بحاجة إلى استدعاء الحراس».

أخذ نفسًا عميقًا، وبدأ دفء سحره في التلاشي، وغاضت الدماء من بشرته، فغارت حيويته وهو يدفع سحره بعيدًا.

بدا وكأن الحياة ذاتها نُزعت منه.

«ربما المشكلة ليست بي». صار صوتي منكسرًا وأغمضت عيني.

أنا أكرهه لأنه يشعرني بضعفي، أكرهه لإضعاف نفسه.

«إذا كنتِ ستستخدمين سحرك فقط، فلن نكون بحاجة إلى حراس».

«لا أستطيع».

«لا تستطيعين أم لا تريدين؟».

«سحري لا يتضمن قدرات هجومية».

قلت ملحة: «هل أنت متأكد؟». متذكرة قصص ماما، صور «ليكان» للموصلين، «ألم تذهل أحدًا من قبل؟ هل شننت من قبل هجومًا عقليًا؟».

اختلج وجهه بحركة عابرة، وفي إشارة لا أستطيع قراءتها، تشبث بمقبض سيفه ونظر بعيدًا، وزادت برودة الهواء وهو يدفع سحره أبعد من

ذي قبل.

«بحق الآلهة، يا عنان! تحلَّ ببعض العزم، إذا كان سحرك يمكن أن يساعد في إنقاذ أماري، فلماذا لا تفعل كل شيء يمكنك فعله؟». اقتربت منه، محاولة بث الرقة في لهجتي، «سأحفظ سرك الغبي، إذا استخدمنا سحرك لمهاجمة..».

«لا!».

قفزت إلى الخلف من قوة كلمات «عنان».

«جوابي هو لا». ابتلع ريقه بصعوبة. «لا أستطيع ذلك، لن أفعل ذلك أبدًا مرة أخرى. أعرف أنك خائفة من الحراس، لكن أنا أميرهم، أعدك، سأجعلهم تحت السيطرة..».

استدرت على كعبي، عائدة نحو حافة منحدر التل، وحين صاح «عنان» باسمي، كززت على أسناني، مقاومة رغبتي في ضربه بهراوتي، لن أنقذ أخي أبدًا. لن أسترجع الخنجر أو اللفافة أبدًا. هززت رأسي، محاربة دوامة العواطف التي تسعى للانفجار.

«زالي...».

استدرت بغتة قائلة: «قل لي أيها الأمير الصغير! ماذا يؤلم أكثر؛ الشعور الذي ينتابك عند استخدامك سحرك، أم ألم كبته؟».

ارتد «عنان» إلى الخلف بغتة. «ربما لا يسعك فهم ذلك».

«أوه، أنا أفهم تمامًا». نظرت في وجهه مباشرة، مقتربة لدرجة رؤية الزغب المنتشر على خديه. «أنت ستترك أختك تموت وترى أوريشا تحترق عن بكرة أبيها إذا كان ذلك يعني أن يظل سحرك طي الكتمان».

«الحفاظ على سحري في طي الكتمان هو الطريق للحفاظ على أمان أوريشا!» انبعث الدفء في الهواء بينما قواه تفيض. «السحر هو أصل كل مشاكلنا، إنه جذر ألم أوريشا!».

«والدك هو جذر ألم أوريشا». ارتجف صوتي بالغضب. «إنه طاغية وجبان، ولن يكون أبدًا غير هذا!».

قاطعني «عنان» قائلًا: «والدي وهو مليكك، إنه ملك يحاول حماية شعبه. أبعد السحر حتى تكون أوريشا آمنة».

«أبعد الوحش السحر حتى يتمكن من ذبح الآلاف. أبعد السحر حتى لا يستطيع الأبرياء الدفاع عن أنفسهم!».

توقف «عنان». استمر الهواء في الدفء بينما يزحف الشعور بالذنب على ملامحه.

«لقد فعل ما كان يعتقد أنه صواب». كان يتحدث ببطء. «لكنه لم يكن مخطئًا في إبعاد السحر، لقد كان مخطئًا في القمع الذي أعقب ذلك».

تخللت شعري بيدي، وبشرتي تزداد سخونة من جهل «عنان». كيف يمكنه الدفاع عن والده؟ كيف لا يستطيع رؤية ما يحدث حقًا؟

«إن افتقارنا إلى القوة وقمعنا هما نفس الشيء يا عنان. بدون قوة نحن ديدان. بدون سلطة يعاملنا النظام الملكي كالحثالة!».

«القوة ليست الحل، القوة تزيد الصراع شدة فحسب. ربما لا يمكنك الوثوق بأبي، ولكن إذا كنت تستطيعين أن تتعلمي الوثوق بي، فعليك الوثوق بحراسي..».

«*أثق بالحراس؟*». صرخت بصوت عالٍ حتى لم يعد شك في أن كل مقاتل مختف في هذه الغابة المهجورة سمع صوتي المزلزل. «نفس الحراس الذين قيدوا والدتي من رقبتها؟ الحراس الذين ضربوا والدي حتى أشْفَى على الموت؟ الحراس الذين يتحسسونني كلما سنحت لهم فرصة، فقط في انتظار اليوم الذي يمكنهم فيه أخذ كل شيء عندما أضطر إلى الانضمام لعمال التراحيل؟».

اتسعت عينا «عنان»، لكنه ألح بقوله: «الحراس الذين أعرفهم جيدون، يحفظون أمن لاجوس..».

«يا للآلهة!». ابتعدت في شموخ، لا أستطيع الاستماع إلى هذا، لقد كان من الحمق أن أعتقد أنه يمكننا العمل معًا.

صاح: «مهلًا، أنا أتحدث إليك».

«لقد انتهى الكلام أيها الأمير الصغير، من الواضح أنك لن تفهم أبدًا».

«أستطيع أن أقول نفس الشيء!». ركض ورائي بخطوات مجهدة. «لست بحاجة للسحر لإصلاح الأمور».

«اتركني وحدي..».

«لو أن كل ما تستطيعينه هو رؤية من أين أتيت..»، «اذهب..».

«يجب ألا تخافي..».

«أنا دائمًا خائفة!».

لا أعرف ما الذي يصدمني أكثر.. القوة التي في صوتي أم الكلمات نفسها. خائفة.

أنا *دائمًا* خائفة.

إنها حقيقة حبستها منذ سنوات، حقيقة ناضلت كثيرًا للتغلب عليها؛ لأنها حين تضرب أصير مشلولًا.

لا أستطيع التنفس.

لا أستطيع الحديث.

دفعة واحدة، تهاويت إلى الأرض، واضعة كفي على فمي لخنق عبراتي. ليس مهمًا ما سأحصل عليه من القوة، ولا مدى القوة التي يذللها سحري. سيكرهونني دائمًا في هذا العالم.

سأظل دائمًا خائفة.

«زالي..».

«لا». كانت أنفاسي تفصلها العبرات، «توقف، تعتقد أنك تعرف كيف يكون الأمر، لكنك لا تعرف. لن تعرف مطلقًا».

«إذن ساعديني». ركع «عنان» بجانبي، حريصًا على الحفاظ على مسافة بيننا. «رجاءً، أريد أن أفهم».

«لا يمكنك ذلك، لقد بنوا هذا العالم من أجلك، وصمموه ليحبك، لم يلعنوك قط في الشوارع ولم يحطموا أبدًا أبواب منزلك، ولم يجرُّوا أمك من رقبتها ولم يشنقوها أمام العالم بأسره».

الآن بعد أن أصبحت الحقيقة ظاهرة، لا شيء يمكنني القيام به للتوقف، صدري يرتج بنشيجي، أصابعي ترتعش رعبًا.

*خائفة*.

الحقيقة تقطع مثل أحدِّ سكينٍ عرفته على الإطلاق.

أيًا كان ما سأفعله، فسأكون دائمًا خائفًا.

# الفصل الخامس والأربعون

# عنان

*تساقطت آلام «زالي»* في الهواء كالمطر.

غاصت في جلدي.

يهيج صدري لعبراتها، يتمزق قلبي لعذابها.

أشعر طَوال الوقت برعب ليس كمثله شيء عرفته على الإطلاق، يسحق روحي.

يدمر كل إرادة للحياة.

*لا يمكن أن يكون هذا عالمها....*

لا يمكن أن تكون هذه هي الحياة التي أقامها أبي، ولكن كلما طال بي الوقت في قبضة آلامها، ازداد إدراكي بأن: هذا الخوف موجود دائمًا.

«لوكان حراسك هنا، كل شيء سيكون بنفس الانهيار، بنفس خيبة الأمل فحسب، لا حياة تحت نير طغيانهم، ملاذنا الوحيد هو القوة».

بمجرد أن تخرج الكليات من فمها، كانت عبرات «زالي» تهدأ. بدا وكأنها كانت تتذكر حقيقة أعمق.. وسيلة للهروب من الألم.

«شعبك، حراسك.. ليسوا سوى قتلة ومغتصبين. ولصوص. الفرق الوحيد بينهم وبين المجرمين هو الأزياء الموحدة التي يرتدونها».

نهضت واقفة على قدميها ومسحت براحتها الدموع من عينيها. «اخدع نفسك كما يحلو لك أيها الأمير الصغير، لكن لا تتظاهر بالبراءة أمامي. لن أترك والدك يُفْلِت بما فعل، لن أدع جهلك يسكت ألمي».

بهذا القول، اختفت، وتلاشت خطواتها الهادئة وابتلعها الصمت.

في تلك اللحظة، أدركت كم كنت مخطئًا حقًا.

لا يهم أن أكون في رأسها.

لن أفهم أبدًا كل آلامها.

# الفصل السادس والأربعون

# أماري

***كانت هناك غرفة*** في القصر يختفي بها أبي كل يوم، دائمًا في منتصف الظهيرة.

كان ينهض من عرشه ويمشي عبر القاعة الرئيسية، يصحبه «الأميرال إيبيل» من جهة والقائدة «كايا» من الجهة الأخرى.

قبل الغارة، كنت أتبعهم، والفضول يقود رجليَّ الصغيرتين، وكل يوم كنت أراهم يختفون نازلين على ذلك الدرج الرخامي البارد حتى اليوم الذي قررت فيه متابعتهم بدلًا من التوقف.

كانت ساقاي قصيرتين جدًّا حتى إنني كنت أتشبث بالدرابزين المرمري، مهرولة من درجة إلى درجة. تخيلت غرفة مملوءة بفطائر الـ «موان موان» وكعك الليمون، والألعاب اللامعة التي قد تكمن في الانتظار. ولكن حين اقتربت من القاع، لم تأتني رائحة النكهة الحلوة للحمضيات والسكر، لم أسمع فرحًا أو ضحكًا، لم يكن بالقبو البارد سوى الصراخ.

فقط صرخات صبي صغير.

دوت فرقعة عالية في الهواء.. قبضة «كايا» في وجه خادم. كانت «كايا» ترتدي خواتم حادة في أصابعها، وحين ضربت الخادم، كانت الخواتم تنهش جلده.

لا بد أنني صرخت عندما رأيت الصبي الملطخ بالدماء، ولا بد أنني صرخت؛ لأنهم تحولوا جميعًا للتحديق بي. لم أكن أعرف اسم الخادم. كنت فقط أعرف أنه كان الخادم الذي يرتب سريري.

اصطحبني أبي وأراحني على خاصرته وحملني إلى الخارج بدون نظرة عابرة، وقال لي في ذلك اليوم: «السجون ليست حيث ينبغي أن تكون الأميرة».

دوت فرقعة أخرى حين هوت قبضة «كايا» مرة أخرى.

وحين غربت الشمس وصار اليوم الطويل إلى الليل، عدت بذكرياتي إلى كلمات والدي. يجب أن أتساءل: ماذا كان سيقول لو كان بإمكانه أن يراني

الآن؟ ربما كان سيقيدني بنفسه.
تجاهلت الضغط في كتفي وجذبت قيودي، وأنا أتلوى على الرغم من أن الحبل يحرق معصميَّ حتى صارا أحمرين ومسلوخين. بعد سحب الحبل ذهابًا وإيابًا عبر قطعة خشنة من اللحاء طوال اليوم، صارت الألياف مهترئة، لكنني أحتاج إلى إبلائه بشكل أكبر لأحرر نفسي.
*«اللعنة»*. تنهدت والعرق يتجمع فوق شفتي، للمرة العاشرة، بحثت في الخيمة عن شيء أكثر حدة، إلا أن الشيء الوحيد الموجود هنا بالإضافة إلى «زين» هو الأوساخ.
كانت المرة الأولى التي حصلت فيها على لمحة من الخارج عندما دخلت «فولاكي» لتجلب لنا الماء. خلف ستارة الخيمة، ضبطت «كوامي» محملقًا والخنجر العظمي لا يزال في يده.
سرت قشعريرة في جسدي وأغمضت عيني وأجبرت نفسي على التنفس بعمق، لا أستطيع إبعاد صورة الخنجر ملتصقًا برقبة «زين» من رأسي، ولولا الصفير الخافت لتنفسه، لكنت غير واثقة من أنه لا يزال حيًّا. نظفت «فولاكي» جرحه وضمدته، لكنه ليس قادرًا بعد على أن يتقلب.
أحتاج إلى أن أخرجه من هنا قبل أن يعودوا، أريد أن أجد وسيلة لإنقاذه، والخنجر، واللفافة، ليلة كاملة مرت بالفعل، أمامنا خمسة أيام فقط حتى الانقلاب المئوي.
أزيحت ستارة الخيمة فتوقفت حركاتي، وعادت «زو» أخيرًا. ترتدي اليوم قفطانًا أسود، أنيقًا بما يحمله من خرزات خضراء وصفراء مثبتة في حافتها. بدلًا من الطفلة المسلحة التي دخلت الليلة الماضية، بدت أقرب إلى سنها كفتاة صغير ة.
سألت: «من أنتم؟ ما الذي تريدونه؟».
كانت لا تكلف نفسها حتى عناء أن تنظر نحوي نظرة خاطفة. بدلًا من ذلك، ركعت إلى جانب «زين».
«من فضلك». نبضات قلبي تسارعت في صدري، «إنه بريء، لا تؤذه».
أغمضت «زو» عينيها ووضعت يديها الصغيرتين على الضمادات التي على رأس «زين»، وتوقفت أنفاسي عندما انبعث ضوء برتقالي ناعم من راحة يدها، على الرغم من ضعفه في البداية، فإنه راح يضيء، مشرقًا أكثر

فأكثر، ويبث الدفء الذي يملأ الخيمة. زاد الضوء من يديها حتى شمل كل رأس «زين».

*سحر....*

نفس الرهبة التي أصابتني حين أفلت الضوء من يد «بينتا» أتتني الآن. مثل «*بينتا*»، سحر «زو» جميل، مختلف تمامًا عن الأهوال التي جعلني أبي أصدقها.

لكن كيف تفعل هذا؟ كيف وصل سحرها بهذه السرعة إلى هذه المرحلة؟ لا بد أنها كانت طفلة حين تمت الغارة. من أين تعلمت التعويذة التي تهمس بها الآن؟

«ماذا تفعلين به؟».

لم تُجب «زو»، وراحت تكز على أسنانها مُكشِّرة. تكونت حبات العرق على صدغها، أدنى رعشة تهز يديها. ملأ الضوء بشرة «زين» بينما جروحه المرئية تتقلص فتصير عدمًا. تلاشت الكدمات السوداء والأرجوانية تمامًا، وعاد الصبي الوسيم الذي حارب بجانبي.

«شكرًا للسماء». استرخى جسدي حين بدأ «زين» يئنُّ، في أول صوت يصدر عنه مذ خُطفنا، ورغم أنه ظل فاقدًا الوعي، فإنه بدأ يتقلب بشكل طفيف وهو مقيد بالحبال.

سألت: «أنت معالجة؟».

ألقت «زو» نظرة خاطفة عليَّ، رغم أنها بدت كأنها لم ترني على الإطلاق، وركزت على الخدوش التي على بشرتي و أنها تبحث عن المزيد من الأشياء التي تستطيع علاجها. بدا الأمر كما لو كانت حاجتها للشفاء ليست فقط في سحرها، بل في قلبها.

«من فضلك». حاولت مرة أخرى، «نحن لسنا أعداءك».

«ومع ذلك لديك لفافتنا؟».

لفافتنا؟ ركزت على الكلمة، لا يمكن أن يكون من قبيل المصادفة أنها، و «كوامي»، و «فولاكي» جميعًا من الماجي. لا بد أن هناك ما هو أكثر خارج هذه الخيمة.

«لم نكن وحدنا، الفتاة التي لم يستطع كوامي القبض عليها كانت من الماجي، حاصدة قوية. ولقد ذهبنا إلى شاندومبلي، وكشف سينتارو عن أسرار تلك اللفافة..».

«أنت تكذبين». عقدت «زو» ذراعيها. «كوسيدية مثلك لا يمكن أن تقابل سينتارو، من أنت حقًّا؟ أين بقية الجيش؟».

«أنا أقول لك الحقيقة». تهدل كتفي. «تمامًا مثلما أخبرت كوامي. إن لم يصدقني أي منكما، فليس ثمة ما يمكنني عمله».

تنهدت «زو» وأخرجت اللفافة من داخل قفطانها، وبينما تقوم بفضها، لانت ملامحها الخارجية القاسية. حطت موجة من الحزن بيننا. «آخر مرة رأيت فيها هذا، كنت أجثم تحت قارب صيد، كنت مجبرة على الجلوس ومشاهدة الحرس الملكي وهم يقطعون أختي إربًا».

اللعنة....

كانت «زو» تمتلك نفس اللكنة الشرقية في صوتها. لا بد أنها كانت في واري عندما استعادت «كايا» اللفافة. كانت «كايا» تظن أنها قتلت كل شيء؛ كل الماجي الجدد، لكن «زو» و «كوامي» و «فولاكي» وجدوا طريقة للنجاة.

همست: «أنا آسفة للغاية، لا يمكنني تخيل مدى فظاعة هذا».

ظلت «زو» صامتة للحظة طويلة. كان يثقل عليها إجهاد يجعلها تبدو أكبر بكثير من سنوات شبابها.

«كنت صغيرة عندما حدثت الغارة، لا أذكر حتى ملامح والدي، كل ما أذكره هو أنني كنت أشعر بالخوف». انحنت «زو»، وانتزعت العشب البري الذي عند قدميها حتى اقتلعت جذوره من الأرض. «كنت دائمًا أتساءل: كيف ستكون الحياة مع ذكريات بهذه الفظاعة؟! لم أعد مضطرة لتخيل هذا الأمر».

اخترق وجه «بينتا» ذهني؛ بابتسامتها المشرقة، وأضوائها المبهرة. للحظة أشرقت الذكرى بكل مجدها القديم.

ثم تحولت حمراء، غارقة في دمها.

«أنت نبيلة». نهضت «زو» وسارت نحوي، وقد اتقدت عيناها بلهيب جديد. «أستطيع عمليًّا أن أشم هذا فيك، لن أدع أسرتك المالكة تصرعنا».

«أنا في صفِّك». هززت رأسي. «أطلقي سراحي، ويمكنني إثبات ذلك لك. اللفافة يمكن أن تفعل أكثر من إعادة السحر لمن يمسُّونها، بها طقس سوف يعيد السحر مرة أخرى في جميع أنحاء البلاد».

«أستطيع أن أرى لماذا كان كوامي حذرًا». خطت «زو» بعيدًا. «إنه يعتقد أنك زُج بك لاختراقنا. بهذه الأكاذيب اللوذعية، أظن أنه يمكن أن

يكون محقًّا».

«زو، من فضلك..».

«كوامي». انكسر صوتها. كانت ممسكة بياقة قفطانها أثناء دخوله.

مرر أصابعه على نصل الخنجر العظمي، وملامحه تنذر بخطر واضح.

«هل حان الوقت؟».

ارتعش ذقن «زو» وهي تومئ. أغمضت عينيها بقوة. همست: «أنا آسفة، لكن علينا حماية أنفسنا».

خاطبها «كوامي» بلهجة موجِّهة قائلًا: «اذهبي، لا يجدر بك رؤية هذا».

مسحت «زو» دموعها وخرجت بظهرها من الخيمة، بعد أن منحتني نظرة أخيرة، وحين اختفت، خطا «كوامي» إلى حيث أصبح في مجال رؤيتي.

«أتمنى أن تكوني على استعداد لقول الحقيقة».

# الفصل السابع والأربعون

## عنان

*«زالي»؟*

صحت باسمها، على الرغم من أنني كنت أشك في أنها سوف ترد على ندائي. بعد الطريقة التي هربت بها مني في وقت سابق، جزء مني يتساءل إذا كنت قادرًا على العثور عليها على الإطلاق. بدأت الشمس في الغروب، مختفية خلف التلال في الأفق.

تمتد ظلال ملتوية من حولي وأنا أستند إلى شجرة للراحة.

«زالي، من فضلك». رحت أنادي وأنا ألهث، وأتشبث بالجذع حين يخترق الألم كياني، منذ جدالنا، صار سحري حارقًا بقوة انتقامية. مجرد التنفس يسبب تشنجات حادة في أرجاء صدري. «زالي، أنا آسف».

لكن بينما كانت الغابة تردد أصداء الاعتذار، جاءت الكلمات جوفاء.. لا أعرف عمَّ أعتذر؛ عن عدم الفهم أم لأنني ابن أبي؟ أي اعتذار بدا أقل من كل ما قام به بالفعل.

غمغمت: «أوريشا جديدة». الآن وأنا أقولها بصوت عالٍ، يبدو الأمر أكثر سخافة. كيف يفترض أن أصلح أي شيء بينما أنا مرتبط بالمشكلة بشكل لا ينفصم عنها؟

*اللعنة!*

لقد أحدثت «زللي» أكثر من الفوضى برأسي. مجرد وجودها يقوض كل شيء تم توجيهي إلى الاعتقاد فيه، كل شيء كنت أعلم أنني بحاجة إليه.

حلَّ الليل بنا، وما زلنا لا نمتلك خطة، بدون عائديها. سنفقد كل شيء لصالح هذه الأقنعة؛ شقيقينا، واللفافة..

ألم لاذع يطعنني في بطني، انحنيت، متشبثًا بالجذع للاستناد إليه. مثل ليوبانيرة برية، اخترق سحري الطر يق بمخالبه إلى السطح.

*«ماما!»*.

أغمضت عيني. ترددت أصداء صرخات «زالي» في عقلي، صرخات مريرة لا ينبغي لأي طفل أن يصرخها، صدمة ما كان ينبغي أن تكون شاهدة

عليها.

*حتى يختفي السحر للأبد، كان ينبغي أن يموت كل ماجي، وما داموا قد تذوقوا تلك القوة، فلن يتوقفوا أبدًا عن القتال لإعادتها.*

ولج وجه أبي عقلي، بصوت ثابت، وعيون خاوية.

لقد صدقته.

على الرغم من الخوف الذي كنت أشعر به، فقد أعجبت بقوته الثابتة.

«هل يمكن أن يكون صوتك أعلى؟».

فتحت عيني بغتة. لسبب ما، سحري يهدأ في حضور «زالي».

«وأنت تنتحبين على هذا النحو، أجدني مندهشًا أن المقاتلين لم يأخذوك أنت أيضًا».

خطت «زالي» إلى الأمام، مهدئة سحري بشكل أكبر، واستقرت روحها فوقي مثل نسيم محيطي عليل وأنا أنزلق إلى الأرض.

قلت بصوت خفيض: «ليس هذا خطئي، هذا مؤلم».

« لن يكون مؤلمًا إن احتضنته، سحرك يهاجمك لأنك تقاومه».

ظل وجهها صلبًا، لكنني فوجئت بنبرة الشفقة التي في لهجتها، وانتقلت من الظل ومالت على إحدى الأشجار. عيناها الفضيتان محمرتان ومنتفختان، بشكل يدل على بكائها لفترة طويلة بعد معركتنا.

فجأة، أصبح استرجاع آلام ماضيها لا يبدو وكأنه عقاب كافٍ. عانيت للحظات، أما الفتاة المسكينة فقد عانت طوال حياتها.

سألت: «هل هذا يعني أنك ستقاتلينني؟».

عقدت «زالي» ذراعيها، «ليس لدي خيار، زين وأماري لا يزالان محاصرين، لا أستطيع إخراجها بمفردي».

«لكن ماذا عن العائدين؟».

سحبت «زالي» كرة متوهجة من حقيبتها؛ على الفور، أعيدت محادثات «كايا» القديمة في رأسي. في وجود هذه الأضواء البرتقالية والحمراء التي تنبض أسفل السطح الخارجي الكريستالي، لا يمكن أن يكون هذا الشيء إلا حجر الشمس.

«إذا كانوا يسعون وراء اللفافة، فسيرغبون في هذا أيضًا».

«كان هذا معك طوال الوقت؟».

«لم أكن أرغب في المغامرة بخسرانه، لكنه سيساعدني في صنع جميع العائدين الذين نحتاج إليهم».

أومأت؛ هذه المرة خطتها سليمة، ينبغي أن يكون هذا كافيًا، لكن الأمر يتطلب أكثر بكثير من هذا الآن.

*شعبك، حراسك.. ليسوا سوى قتلة ومغتصبين ولصوص، الفرق الوحيد بينهم وبين المجرمين هو الزي الموحد الذي يرتدونه.*

كلماتها تتردد في ذهني، دون أن تكون هراوتها ضاغطة على سيفي.

بعد كل هذا الذي حدث، لا يمكننا التراجع، لا بد أن يستسلم أحدنا.

«لقد سألتني ما الذي يؤلمني أكثر». أجبرت نفسي على النطق بالكلمات، رغم أنها كانت لا تريد أن تخرج طواعية. «الإحساس باستخدامي سحري أم ألم كبته، لا أعرف الإجابة». قبضت على بيدق السينيت المشوه، مركزًا على الطريقة التي يلذع بها راحة يدي، «أنا أكره كليهما».

شعرت بدموع وشيكة تلسع عيني. تنحنحت، حريصًا على كبتها. لا أستطيع إلا أن أتخيل مدى السرعة التي كانت قبضة أبي ستهوي بها لو رآني الآن.

«أنا أكره سحري». خفضت صوتي. «أنا أمقت الطريقة التي يسممني بها، لكن أكثر من أي شيء آخر، أكره الطريقة التي يجعلني بها أكره نفسي».

أحتاج إلى قوة أكثر مما لدي لأرفع رأسي وأنظر في عيني «زالي». النظر إليها يثير كل ما هو عار.

ابتلت عينا «زالي» مرة أخرى. لا أعرف على أي وتر لعبت. بدا أن روحها التي بطعم ملح البحر تتلاشى. لأول مرة، أردتها أن تبقى.

«سحرك ليس سمًّا». جاءني صوتها مرتجفًا. «أنت السم، أنت تدافعه، أنت تقاومه، تحمل معك تلك اللعبة البائسة». سارت على مهل واقتنصت بيدق السينيت من يدي وألقت به في وجهي. «هذا ماجيست، أيها الأحمق، يدهشني أن أصابعك لم تتساقط جميعًا».

حدقت في البيدق المشوه، والصدأ الذهبي والبني يخفي لونه الأصلي. كنت دائمًا أعتقد أن القطعة كانت مطلية باللون الأسود، لكن هل يمكن أن تكون حقًّا طيلة هذه الفترة قد صنعت من الماجيست؟

أخذته من يديها، وأمسكته بلطف، شاعرًا به يلسع جلدي، طوال هذا الوقت كنت أظن أنني كنت أضغط عليه أكثر مما ينبغي.

*بالطبع....*

كدت أضحك من المفارقة. أعادني هذا الإدراك إلى لحظة حصولي عليه، اليوم الذي أهداه أبي لي.

قبل الغارة، كنا نلعب السينيت كل أسبوع. في ساعة كان أبي يصبح فيها أكثر من ملك. كل قطعة وكل حركة كانت درسًا وحكمة مدَّخرة لليوم الذي سأحكم فيه.

لكن بعد الغارة، لم يكن هناك وقت للألعاب. لا وقت لي. في أحد الأيام ارتكبت خطأ نقل اللعبة إلى غرفة العرش وألقى أبي القطع في وجهي.

صاح بي حين انحنيت لأخذها: *اتركها. الخدم ينظفون، أما الملوك فلا.*

كان هذا البيدق هو القطعة الوحيدة التي تمكنت من استعادتها.

اجتاحني العار وأنا أحدق في المعدن المشوه.

الهدية الوحيدة التي منحنى إياها، وجوهرها هو الكراهية.

قلت بهدوء: «هذا كان يخص أبي». سلاح سري أُخذ من آخرين يحتقرون السحر. تم تكوينه لتدمير آخرين مثلي.

«إنك تقبض عليه كما يقبض طفل على بطانية». أطلقت «زالي» تنهدات عميقة. «أنت تقاتل من أجل رجل سوف يظل دائمًا كارهًا لك فقط بسبب ما أنت عليه».

مثل شعرها، نظرتها الفضية تتوهج في ضوء القمر، أكثر تغلغلًا من أي عيون اخترقتني من قبل. حملقت.

حلقت على الرغم من أنني بحاجة إلى التحدث.

أسقطت البيدق في التراب وركلته جانبًا. لا بد لي من رسم خط في الرمل لقد كنت خروفًا؛ كنت خروفًا حين كانت مملكتي بحاجة لأن أتصرف كملك.

واجبك قبل نفسك.

العقيدة تتكشف أمام عيني، آخذة معها أكاذيب أبي. قد يكون السحر خطيرًا، لكن خطايا القضاء عليه لم تزد الملكية حسنًا.

«أعلم أنك لا تستطيعين الوثوق بي، لكن أعطيني هذه الفرصة لإثبات نفسي. سأقودك إلى ذلك المعسكر. سأعيد أخاك».

عضت «زالي» شفتها. «وعندما نجد اللفافة؟».

ترددت؛ ومض وجه والدي في ذهني. *إذا لم نوقف السحر، فستحترق أوريشا عن بكرة أبيها.*

لكن الحرائق الوحيدة التي رأيتها كانت بيده؛ بيده ويدي. لقد منحته حياة. لا أستطيع الانصياع للمزيد من أكاذيبه.

قلت مقرِّرًا: «إنها لك. أيًّا كان ما تحاولين القيام به أنت وأماري... فلن أقف في طريقك».

مددت يدي وحدَّقت بي؛ لم أكن أعرف إن كانت كلماتي كافية، لكن بعد لحظة طويلة، وضعتْ راحة يدها في يدي. اعتراني دفء غريب من لمستها.

لدهشتي، كانت يداها قاسيتين، ربما اكتسبتا الخشونة من استخدام هراوتها. عندما تركت يدها، تجنب كلانا عيني الآخر، وحدقنا في سماء الليل بدلًا من ذلك.

سألَت: «إذن سنفعل هذا؟».

أومأت. «سأريكم أي نوع من الملوك يمكنني أن أكون».

# الفصل الثامن والأربعون

# زالي

*«أويا»، رجاءً ساعدي في نجاح هذا الأمر.*

رفعت دعاءً صامتًا وقلبي يدق بقوة في صدري، وتحركنا خلال الظلال، وجثمنا في محيط معسكر ذوي الأقنعة. كانت خطتي تبدو مثالية من قبل، ولكن الآن بعد أن حان الوقت، لا أستطيع أن أتوقف عن التفكير في جميع الطرق التي يمكن أن تؤدي إلى فشلها. ماذا لو لم يكن «زين» و «أماري» بالداخل؟ ماذا لو كان علينا مواجهة أحد الماجي؟ وماذا عن «عنان»؟

ألقيت نظرة عليه، فتراكم بغض له بمجرد النظر. خطتي تبدأ بتسليمي الأمير الصغير حجر الشمس؛ إما أنني فقدت عقلي، وإما أنني فقدت هذه المعركة بالفعل.

نظر «عنان» إلى الأمام، وتوترت ملامح وجهه وهو يعد الحراس المحيطين بالبوابة، وبدلًا من دروعه المعتادة، كان يرتدي الزي الأسود الذي يرتديه المقاتل الأسير.

ما زلت لا أدري كيف أتعامل معه، بعد كل المشاعر التي جعلني أشعر بها، أعادتني رؤية كراهيته الضالة، وحاصرتني ذكريات أحلك الأيام بعد الغارة. كنت أمقت السحر، وكنت ألوم ماما.

كنت ألعن الآلهة؛ لأنهم جعلونا على هذا النحو.

تكونت غصة في حلقي وأنا أحاول أن أنسى ذلك الألم القديم. مازال باستطاعتي أن أشعر بظل الكذبة التي في الداخل، وهو ما يدفعني إلى كره دمي، وتقطيع شعري الأبيض.

لقد افترستني حية تقريبًا، كراهية الذات المنسوجة من أكاذيب «ساران»، لكنه أخذ ماما بالفعل. لم يكن بإمكاني أن أتركه يأخذ الحقيقة أيضًا.

في الأشهر التي تلت الغارة، تمسكت بتعاليم ماما، وزرعتها في قلبي حتى جرت مني مجرى الدم في العروق. وبغض النظر عما كان يقوله العالم، كان سحري جميلًا. حتى بدون قوة، منحتني الآلهة منحة.

لكن دموع «عنان» أعادت كل شيء. الكذبة المميتة التي يجبرنا هذا العالم على ابتلاعها، «ساران» أحسن صنعًا.

«عنان» بالفعل يكره نفسه أكثر من أي كراهية شعرت بها نحوه.

همس: «حسنًا. حان الوقت».

احتجت إلى جهد غير عادي لأرخي أصابعي وأناوله حقيبتي الجلدية.

قال محذرًا: « لا تفرّطي في التقدم، وتذكري أن تحتفظي ببعض العائدين للحماية».

«أعرف، أعرف». دارت عيناي في محجريهما، «هيا تقدم».

رغم أنني لا أريد أن أشعر بأي شيء، انقبضت أمعائي و«عنان» يخرج من الظل ويسير متمهلًا نحو البوابة. عاودتني ذكرى يده الخشنة في يدي. راحة غريبة ملأتني من لمسته.

الشخصان الملثمان القائمان عند نقطة الدخول كانا يصوبان سلاحيهما. تحرك المختبئون في الظل أيضًا. من أعلى، سمعت جوقة من أصوات السحب: أصوات شد السهام في الأقواس.

على الرغم من أنني كنت أعرف أن «عنان» يمكنه الشعور بكل هذا، فإنه كان يسير بثقة كبيرة، ولم يتوقف إلا بعد أن تقدم مئات الأمتار، في منتصف الطريق بيني وبين المدخل.

أعلن: «لقد جئت لعقد صفقة، معي شيء تريدونه».

أسقط حقيبتي على الأرض وأخرج حجر الشمس. كان ينبغي أن أعده للفَورة، حتى من مسافة بعيدة، سمع شهقة.

سرت رعشة من يديه إلى رأسه، ونبضت راحتا يديه بضوء أزرق ناعم. تساءلت عما إذا كان «أوري» قد ظهر خلف عينيه.

هذا العرض هو بالضبط ما يحتاج إليه الملثمون، تسلل عدد قليل منهم من الظلال وراحوا يحيطون به في دائرة، شاهرين الأسلحة وعلى استعداد للضرب.

صاحت امرأة ملثمة: «على ركبتيك». وهي تقود الهجوم بحذر خارج البوابة. صوبت فأسها وأومأت، مستدعية المزيد من مقاتليهم من مخابئهم.

اللعنة. هناك هي بالفعل أكثر ما توقعنا، *أربعون... خمسون... ستون؟* كم مقاتلًا آخر يصوب نحوه من الأشجار؟

«أخرجي السجناء أولًا».

«بعد تقييدك».

انفتحت البوابة الخشبية بغتة. فحص «عنان» القائدة وأخذ خطوة الى الوراء.

«أنا آسف». استدار «عنان». «أخشى أنني لا أستطيع عقد هذه الصفقة».

اندفعت من الدغل، واثبة بأكبر سرعة تتحملها ساقاي، وقذف «عنان» حجر الشمس مثل كرة أجبون، راميًا بكل قوته، وطار الحجر في الهواء بسرعة مذهلة. لا بد لي من أن أقفز كي أمسك به. ضممته إلى صدري وتشقلبت حين ارتطمت بالأرض.

«آه!». تنفست بصعوبة حين ملأني حجر الشمس. في فَورة مخيفة بدأت أتوق إليها، تفجرت الحرارة تحت جلدي حين فاضت قوتها، مشعلة كل الآشي في دمي.

خلف عيني تجسدت لمحة مختلفة لـ «أويا»، بحرائر حمراء تضيء بشرتها السوداء. الرياح تطيّر تنورتها وتتلوى في شعرها، حتى رقصت الخرزات حول وجهها. ينبعث ضوء أبيض من كفها وهي تمد يدها. لا أشعر بجسدي، لكنني أشعر بنفسي عائدة إلى الخلف، في لحظة كالبرق، احتكت أصابعنا..

عادت الحياة إلى العالم هادرة.

«اقبضوا عليها!».

صرخ شخص ما خلفي، لكنني لا أستطيع أن أسمعه حقًّا. دوَّى هدير السحر من دمي، مكبّرًا الأرواح في جميع الاتجاهات. كانوا ينادونني، ناهضين مثل موجة تسونامي، وطغت أصواتهم على أصوات الأحياء.

مثل موجات المد والجزر التي يجذبها القمر، ارتطمت الأرواح بي.

«إيماي أوون تاي أواتاي سيون..».

دفعت يدي في الأرض، تكوَّن شق عميق بتأثير لمستي.

كانت الأرض تحتنا تئن مع قيامة جيش من الأموات من الطين.

كانوا يخرجون في دوامات من الأرض، كإعصار من الأغصان والصخور والتربة، تماسكت أجسادهم بالوهج الفضي لسحري، أطلقت العاصفة.

«هجوم».

# الفصل التاسع والأربعون

# أماري

**دوّت فرقعة** حادة في الهواء.

أصابني دوار حين هوت قبضة «كوامي» على فك «زين».

مال «زين» برأسه إلى أحد الجانبين، في كتلة من اللونين الأحمر والأسود والكدمات.

«توقفوا عن ذلك!». صرخت، والدموع تنهمر على خدي. تقاطر الدم طازجًا في عين «زين»، مفسدًا كل ما أصلحته «زو».

دار «كوامي» حول نفسه وأمسك بذقني. «من يعرف أنك هنا أيضًا؟ أين بقية جنودكم؟» رغم كل شيء، كان صوته متوترًا، يكاد يكون مثقلًا باليأس. بدا وكأن هذا يؤلمه كما يؤلمني تمامًا.

«لا يوجد جنود، اذهب للعثور على الماجي التي نسافر معها، ستؤكد أن كل شيء قلته صحيح!».

أغمض «كوامي» عينيه وتنفس بعمق، وظل ساكنًا بشدة حتى إن رجفة سرت في جسدي.

«عندما أتوا إلى واري، كانوا يبدون مثلك». سحب الخنجر العظمي من وسطه. «كان صوتهم كصوتك».

«كوامي، من فضلك..».

دفع بالخنجر في ساق «زين». لا أدري من صرخ بصوت أعلى؛ أنا أم هو.

«إذا كنت غاضبًا، فآذني!». رحت أتطوح نحو الشجرة وأشد قيودي بلا فائدة. ليته يجرحني أنا بدلًا من «زين». ليته يضربني. ليته يلكمني.

مثل طعنة نافذة في القلب، أقحمت «بينتا» نفسها في ذهني. كانت تعاني هي أيضًا، تعاني بدلًا مني.

طعن «كوامي» فخذ «زين» مرة أخرى وصرخت مرة أخرى، وقد غامت عيناي بدموع جديدة، سحب الخنجر بيد مرتجفة، واشتدت رعشته وهو ينقل النصل إلى صدر «زين».

«هذه هي فرصتك الأخيرة».
اندفعت قائلة: «نحن لسنا أعداءك! قتل الحراس في واري أناسًا أحببناهم أيضًا!».
«أكاذيب». اختنق صوت «كوامي»، ثبَّت يده وسحب النصل، «هؤلاء الحراس هم شعبك، إنهم من تحبين..».
انفتحت الخيمة بغتة. اندفعت «فولاكي» داخلة، وكادت تلقي بنفسها فوق «كوامي».
«ثمة هجوم علينا».
تدلى فك «كوامي»، «حراسها؟».
«لا أعرف، أعتقد أن معهم ماجي!».
دفع «كوامي» بالخنجر العظمي إلى يد «فولاكي» وهرول خارجًا.
«كوامي..».
رد قائلًا: «ابْقَي هنا!».
دارت «فولاكي» حول نفسها ورأت ما بنا؛ دموعي، والدم الذي يتدفق من ساق «زين». غطت فمها، ثم سقط الخنجر في الطين وأسرعت خارجة من الخيمة.
ناديت: «زين؟» كز على أسنانه والتصق بجذع الشجرة. انتشرت بقع الدم على رجل سرواله، وكانت عيناه ترفان ببطء؛ على أنهما كانتا شبه مغمضتين من شدة تورمهما.
«هل أنت بخير؟».
اغرورقت عيناي بدموع هي الأكثر إيلامًا؛ مضروب، مطعون، ومع ذلك، يسأل عني.
«علينا أن نخرج من هنا».
جذبت الحبال التي تقيد معصمي بحماس جديد. سمعت صوت فرقعة حين بدأت القيود تتمزق، وكان الحبل يمزق جلدي، لكن صدري كان ممتلئًا بنوع مختلف من الألم.
شعرت بشعور كل تلك الأيام التي عشتها في القصر، حين كانت قيودي عبارة عن سلاسل من الذهب. كان ينبغي أن أقاومها كما أقاوم الآن.
لو أنني فعلت أكثر من ذلك، لكانت «بينتا» ستظل آمنة.
كززت على أسناني، وغرزت كعبي في الطين. صحت صيحة قوية، واستندت بكعبي إلى الجذع ورفعت جسمي كلي لجذب القيود والتخلص

منها.
«أماري». أتاني صوت «زين» أضعف الآن. لقد فقد الكثير من الدماء. أحدث جذع الشجرة جروحًا في باطن قدمي، لكني ضغطت بقوة أكبر لجذب الحبال.
اضربي يا «أماري».
تردد صوت أبي في رأسي، لكن ليست قوته التي أحتاج إليها.
كوني شجاعة يا «أماري»، جاءني صوت «بينتا» بدلًا من صوت أبي.
كوني ليونيرة.
«آخ!». صرخت من الألم، بدت صرختي تقريبًا كأنها زأرة. جاءني صوت «فولاكي» من الخارج. انفتحت الخيمة بغتة..
انقطع الحبل الذي يقيدني، وقفزت إلى الأمام، وسقطت بوجهي في الطين، انقضَّت «فولاكي» على الخنجر العظمي، ونهضت واقفة على قدمي واندفعت نحوها.
«آخ». صاحت وأنا أباغتها وأسقطها أرضًا. أمسكت بالخنجر العظمي، لكنني أمسكت بها من الحلْق. بينما كانت توشك على الاختناق، دفعت بمرفقي في أمعائها.
سقط الخنجر العظمي من يدها، وأطبقت يدي حول نصله العاجي، فملأني ملمسه بقشعريرة، وقوة غريبة وعنيفة.
اضربي يا «أماري».
عاد صوت أبي قويًّا لا يرحم.
هذا ما حذرتك منه. إذا لم نحارب هذه الديدان، فسوف تكون نهايتنا.
لكن بتحديقي في «فولاكي»، رأيت الألم في عيني «كوامي». الخوف الذي أثقل كتفي «زو» الصغيرتين. كل الحزن الذي يتركه أبي في عقبيه، والأرواح التي أخذها بالفعل.
لا أستطيع أن أكون مثل أبي.
الماجي ليسوا أعدائي.
أسقطت الخنجر وسحبت قبضتي إلى الخلف، وانثنيت بخاصرتي بينما قبضتي ترتطم بفكها. طقطق رأسها مترنحًا، ودارت عيناها في محجريهما قبل أن تغيب عن الوعي.
قفزت عنها وأمسكت بالخنجر، ورحت أمزق الحبال التي تقيد معصمي «زين». لم تكد القيود تضرب الأرض حتى بدأت أربطها حول فخذه.

«اذهبي». حاول «زين» حثي على الذهاب، لكن ذراعيه كانا ضعيفين. «ليس أمامنا وقت كاف».

«صه».

كان جلده رطب الملمس. حين ربطت الحبال بشدة، صار تدفق الدم بطيئًا. لكنه كان بالكاد يستطيع أن يُبقي عينيه مفتوحتين. قد لا يكون هذا كافيًا.

ألقيت نظرة خاطفة خارج الخيمة.. أشخاص ملثمون يجرون في كل اتجاه، مانحين غطاء للفوضى، وعلى الرغم من أن حدود المعسكر ليست مرئية، فإنه يمكننا على الأقل متابعة فيضان الناس.

«حسنًا». كسرت فرع شجرة ورجعت منحنية إلى الخيمة، واضعة العصي المؤقتة في يد «زين» اليمنى، وألقيت ذراعه الأخرى على كتفي، مثبتة ركبتي لأمنع نفسي من التهاوي تحت وطأة الوزن.

«أماري، لا». تجهم وجه «زين»، وراح يتنفس بسرعة وضحالة.

قلت بقوة: «اهدأ. لن أتركك ورائي».

مستندًا إليَّ وممسكًا بالعصي لحفظ توازنه، خطا «زين» خطوته المجهدة الأولى على ساقه الجيدة. سرنا في طريقنا إلى مدخل الخيمة قبل أن نأخذ لحظة أخيرة من الراحة.

قلت: «لن نموت هنا».

لن أسمح بذلك.

# الفصل الخمسون

## عنـان

***الأرض أمامي متاهة.***

متاهة من الملثمين والعائدين الأرضيين.

ركضت خلال الفوضى، متفادية النِّصال، قافزةً فوق جذور الأشجار للوصول إلى البوابة.

خرج المزيد من الأشخاص الملثمين، مرتبكين، يحاولون فهم ما يحدث من جنون، وشقَّ عائدو «زالي» الأرضَ مثل الجبال الشاهقة، واندفعوا بأعداد كبيرة مثل جائحة، مثل طاعون لا يُفلِت أحدًا.

*لقد نجح الأمر*. على الرغم مني، ظهرت ابتسامة على وجهي وأنا أعدو. هذا عالم جديد كامل من الصدام، مباراة سينيت أكثر فوضى من أي شيء تخيلته من قبل.

من حولي في جميع الاتجاهات يسقط المقاتلون وهم يصرخون بينما تدين السيطرة لعائدي «زالي». مثل الشرانق، كان الجنود الأرضيون يلتفُّون حول المهاجمين، ويُسقطون المهاجمين على الأرض.

لأول مرة، يكون مشهد السحر مثيرًا، ليس لعنة، بل منحة. انقضَّ مقاتل نحوي ولست مضطرة لمد يدي كي أصل إلى نصلي؛ ارتطم به أحد العائدين، وأبعده عن طريقي.

وأنا أقفز فوق المقاتل الساقط، نظر العائد الأرضي إلى أعلى، ورغم أنه ليس لديه عينان مرئيتان، كنت أشعر بنظرته. سرت قشعريرة في جسدي وأنا أقترب من البوابة.

«*آخ!*».

كانت الصرخة بعيدة، ومع ذلك بدا أن صداها تردد في رأسي.

لاحت رائحة البحر.

استدرت؛ اخترق سهم ذراع «زالي».

«زالي»!

طار سهم آخر، وهذه المرة ضرب جانبها، أسقطتها الضربة أرضًا. نهض عائدون جدد لأخذ الأسهم وجهاً لوجه.

«اذهب!». صرخت من أسفل الميدان. حين وجدتني وسط المعمعة، كانت تقبض بإحدى يديها على حجر الشمس بينما الأخرى توقف نزف الدم من الجرح الذي في جنبها.

كانت قدماي ثقيلتين مثل الأسمنت، لكن لا يمكنني تجاهل تعليماتها. البوابة كانت على بعد بضعة أمتار. عائلتنا واللفافة لا تزالان في الداخل.

اندفعت للأمام، مخترقًا البوابة ومتجهًا نحو المخيم، ولكن قبل أن أتمكن من المضي قدمًا، جعلني مشهدٌ مختلفٌ أتوقف.

كان رباني متين البنيان يُهرول عبر البوابة، وكان الدم يُبقِّعُ يديه ووجهه. لسبب ما جعلني المشهد أفكر في «زين».

لكن الأكثر إثارة للقلق هو رائحة الدخان والرماد. اجتاحتني الرائحة وهو يركض مارًا بي، ولم أدرك السبب حتى استدرت برأسي ورأيت أن يدي الرباني بدأتا في الاشتعال.

*حارق...*

أوقفني المنظر بلا حراك، وأعاد إشعال خوف لم يفتأ أبي يغرسه في وجداني طيلة حياتي؛ نوع الماجي الذي أحرق أسرة أبي الأولى، الوحوش الذين ألجئوه إلى مساره الحربي.

اندلع حريق لا يُبقي ولا يَذر على أيدي الماجي، تُجلِّله سحائب حمراء مروعة، كانت نيرانها تضيء ظلام الليل بألسنة من لهب زاهية، وتَصدُر عنها أصوات فرقعة مدوية كأنها أسود تزأر، وبينما كانت الأصوات تجتاح أذني، تحوَّلت إلى صرخات، توسلات عديمة الفائدة لا بد أن عائلة أبي قدمتها. انطلقت موجة جديدة من الأسهم من الأشجار مع وصول الحارق، وهو ما اضطر «زالي» إلى الاستلقاء. هذا أكثر بكثير مما يمكن التعامل معه دفعة واحدة.

انزلق حجر الشمس من قبضتها.

*لا!*

تغير العالم، والوقت تجمد مع بزوغ فجر الرعب القادم، واندفع الحارق نحو الكرة، لا بد أن هذه كانت خطته منذ البداية.

مدت «زالي» يدها نحو الحجر، بوجه متألم ينيره اللهب الذي في يد الحارق، لكن يدها قصُرت عن أن تصل إليه.

لم تكد أصابع الحارق تحتك بالحجر حتى اندلعت النيران في جسده. اشتعلت النيران داخل صدره، وانبعثت من حلقه ويديه وقدميه.

*اللعنة على السماء.*

هذا لا يُضاهيه أي شيء رأيته في حياتي.

سعير لا يترك أخضر ولا يابسًا إلا أتى عليه. اشتعل الهواء حتى صار لافح اللهب، والأرض تحت قدمي الحارق صارت جهنَّم الحمراء. بمجرد مروره عليه ينصهر الطين من حوله مثل المعدن في كير الحداد.

تحركت قدماي قبل أن يدرك عقلي ما يحدث، وعدوت خلال الأشجار العملاقة والملثمين الذين أصابهم الشلل في طريقي. لم يكن لدي خطة. ليس في ذهني هجوم قابل للتنفيذ، ومع ذلك، ركضت، وأنا أعدو للوصول إلى هناك في الوقت المناسب. وضع الحارق يديه المشتعلتين أمام وجهه، ومن خلال النار بدا شبه حائر، غير واثق مما ينبغي فعله. لكن بينما كانت قبضتاه مكورتين، كان الظلام ينبعث من وقفته؛ قوة جديدة، وحقيقة يُعاد اكتشافها، هو الآن يمتلك القوة.

وهي قوة لديه نهمٌ لاستخدامها.

صرخت: «زالي».

سار نحوها على مهل. تقدم حشدٌ من العائدين بنية الانتقام، لكنه اخترقهم. لا يعوقه شيء وهم يتحولون إلى هشيم محترق.

حاولت «زالي» النهوض عن الأرض والقتال، لكن جروحها كانت شديدة للغاية، وحين سقطت على ظهرها، رفع الحارق راحة يده.

اندفعت، ملقيًا بنفسي بين يده وجسد «زالي»، وسرت موجة من الرعب والأدرينالين بداخلي وأنا أواجه نيران الحارق.

مُذنَّب من اللهب يتلوى في يده، وتنبعث منه حرارة يتلوى بها الهواء.

سحري يتراكم في صدري، ويسري في أصابعي. عادت صورة قواي التي تقيد عقل «كايا»، رفعت يدي لأقاتل..

«توقف!».

تجمد الحارق.

هزني الارتباك حين استدار إلى مصدر الصوت. شقَّت فتاة صغيرة طريقها عبر المخيم، وقد عقدت حاجبيها الرفيعين في قلق.

كان ضوء القمر ينير وجهها، متألقًا في وجود الخصلة البيضاء التي في أعلى رأسها، وحين وصلت إلينا، حدقت في الخط الأبيض في شعري.

«إنهم منا».
انطفأ مذنب النار الذي في يد الحارق.

# الفصل الواحد والخمسون

# زالي

***كان حاول أن يحميني.***

وسط كل الأسئلة والارتباك، غطّت هذه المفاجأة على ما عداها، وقد ظهرت حين استعاد «عنان» حجر الشمس ووضعه في يدي. تضخم الحجر حين رفعني بين ذراعيه وضمني إلى صدره بقوة.

خلف الفتاة الصغيرة المتوجة بالشعر الأبيض، حملني «عنان» مرورًا بالبوابة، وعند مرورنا، أزال المقاتلون أقنعتهم وكشفوا خصلاتهم البيضاء. جميع من كانوا وراء البوابة كانوا من الماجي أيضًا.

*ما هذا؟*

أحاول أن أفهم ما يحدث من خلال ضباب الألم:

الحارق، وعدد لا يُحصى من الربانيين، والطفلة التي يبدو أنها تقودهم. *لكن أي فكرة عما يمكن أن يعني كل هذا اختفت، ووقعت أعيننا في النهاية على معسكرهم.*

في وسط الأشجار العملاقة يوجد موضع التقاء العديد من الوديان، ويكوِّن المنحدر انخفاضًا في الأرض، فتتكون منطقة مستوية واسعة مليئة بالخيام الزاهية والشاحنات والعربات، ومن مسافة بعيدة أتتني الرائحة الحلوة للسان الحمل المقلي وأرز الجولوف؛ حيث غطت بطريقة ما على الرائحة النحاسية الحادة لدمي. والتقطت همهات باليوروبا في الحشد الحافل بأكبر عدد من الربانيين رأيته مذ كنت طفلة.

مررنا بمجموعة من الربانيين يضعون الزهور حول مزهرية خُزامى عالية. مزار. تحية للسماء الأم.

سأل «عنان» الفتاة التي يسمونها «زو»: «مَن كل هؤلاء الأشخاص؟ ماذا تفعلون؟».

«أعطني لحظة، رجاءً، أعدك، سأعيد أصدقاءك وأجيب عن أسئلتك، لكنني بحاجة إلى بعض الوقت».

همست «زو» لربانية بجانبها؛ فتاة ترتدي تنورة خضراء منقوشة وغطاء رأس ملائمًا ملفوفًا حول شعرها الأبيض.

ردَّت الربانية هامسة: «لم يكونا في الخيمة».

«إذن ابحثي عنهما». كان صوت الفتاة متوترًا. «لم يمرا بالبوابة؛ لذا لا بد أنهما لم يبتعدا كثيرًا. أخبريهما أن معنا صديقيهما، وأننا عرفنا أنهما كانا يقولان الحقيقة».

مددت رقبتي لسماع المزيد، لكن موجة من الألم سرت في كياني. حين تلويت من الألم، قربني «عنان» منه. كان صوت دقات قلبه ينبض في أذني، ثابتًا وقويًّا، مثل قمة المد والجزر. وجدت أنني أميل نحو الصوت. مرة أخرى، شعرت بأكبر قدر من الارتباك.

همست: «هذا الحارق كان من الممكن أن يقتلك». مجرد الرقود في وجود الماجي يحرق بشرتي. مازلت أشعر بالحكة، في بشرتي المسلوخة الحمراء. بجزء من ذراعي محترق ومتقرح.

وبينما كنت أشعر بالوخز، أعادني هذا إلى الأنفاس الحارقة التي اعتقدت أنها ستكون أنفاسي الأخيرة. لأول مرة، لم يكن السحر حليفًا لي.

لقد كاد يكون نهايتي.

سألت: «ماذا كنت تظن؟».

أجاب: «كنتِ في خطر، وأنا لم يكن من خطر عليَّ».

انحنى لأسفل وتحسس جرحًا في ذقني. أرسلت لمسته في جسدي رجفة غريبة. أي رد فعل ممكن تعثر في حلقي. لم أكن أدري ما أقول حيال ذلك.

لا يزال «عنان» يستحم في وهج لمسة حجر الشمس، ومع أن سحره كان لا يزال على السطح، كانت ملامحه النحاسية مفعمة بالصحة، وفي ضوء الفانوس، كانت عظامه بارزة بشكل متناسق وليست خشنة أو بارزة من بشرته.

«هذا يكفي». أدخلتنا «زو» خيمة تم بها تركيب عدد قليل من الأسرَّة النقالة.

«ضعها هنا». أشارت «زو» إلى سرير نقَّال، وأرقدني «عنان» عليه بعناية، وحين هبط رأسي على القطن الخشن، قاومت موجة من الغثيان.

قال «عنان»: «نحن بحاجة إلى شراب وضمادات للجروح».

هزت «زو» رأسها. «سوف أدبر هذا».

ضغطت براحتيها على الجرح في جانبي، وأنا أتراجع، شعرت بطعنة ألم حارق في جنبي وهي تتلو:

*«باباليواي، ديورو تاي ماي بابي بابي. فيون ماي ناي أجبارا، كاي نلي فيون أوون توكيو ناي أجبارا..»*.

رفعت رأسي في وهن؛ كان ضوء برتقالي يسطع تحت يدي «زو»، وتحول ألم لمسها إلى دفء مخدِّر، وتضاءل الألم الحارق بداخلي إلى وجع كليل.

شق الضوء الناعم من يديها طريقه إلى بشرتي، وانتشر في كل عضلة ممزقة وكل رباط مقطوع.

زفرت زفرة طويلة بينما سحر «زو» يصلح جروحي.

«هل أنت بخير؟».

نظرت لأعلى؛ لم أكن أدرك أنني أضغط على يد «عنان»، وشعرت بسخونة في وجهي وأنا أسحب يدي وأمر بأصابعي على موضع اختراق السهم لجسدي. لا يزال الدم الرطب يسيل على بشرتي، لكن الجرح اندمل بالكامل.

مرة أخرى تثور الأسئلة، وقد صارت أعلى صوتًا الآن حيث لم تعد هناك حاجة لأن تقاوم حُجُب الآلام التي انتابتني. في الساعة الماضية، رأيت أنواعًا أخرى مختلفة من السحر مقارنة بما رأيته في العقد الماضي.

«ينبغي أن تبدئي الحديث». تفرَّست في ملامح «زو»؛ الظلال الخمرية لبشرتها البنية مألوفة بشكل غريب، مثل الصيادين الذين كانوا يبحرون إلى إيلورين كل شهرين لاستبدال سمكهم السلمون المرقَّط الذي يعيش في الماء المالح بسمكنا المطهو من نوعية سمك النمر.

«ماذا يحدث؟ ما هذا المكان؟ أين الخنجر العظمي واللفافة؟ وأين أخوانا؟ قلت إن شقيقي لديك..».

توقفت حين انفتح باب الخيمة بقوة؛ دخلت «أماري» متعثرة ومعها «زين» نصف واعٍ تحيطه بذراعها. قفزت واقفة لمساعدتها. كان أخي مضروبًا بشدة، حتى إنه كان لا يكاد يقوى على الوقوف.

صحت: «ماذا فعلتم؟».

سحبت «أماري» الخنجر العظمي وصوبته إلى عنق «زو».

«داويه!».

تراجعت الفتاة إلى الوراء، رافعة راحتيها.

«أرقديه». أخذت نفسًا عميقًا. «سأجيب عن جميع أسئلتكم الآن».

*جلسنا في صمت جامد؛* لنهضم كل شيء بينما كانت «زُليخة» تعالج قدم «زين» ورأسه. خلفها، كان «كوامي» و «فولاكي» يقفان منتبهين في وقفة متوترة.

حين تحرك «كوامي»، تحركت يدي إلى حقيبتي الجلدية، وأنا ألتمس حرارة حجر الشمس تحت سطحها. لا يزال من الصعب النظر إليه دون استدعاء ذكرى النيران حول وجهه.

ملت على «نائلة»، وأنا أشعر بالارتياح للم الشمل بعد أن أمرت «زو» قومها بالإفراج عن ركوبتي. دسست حقيبتي وراء قدمها للحفاظ عليها والحجر بعيدًا عن الأنظار، ولكن حين بدأت أطراف «زو» في الاهتزاز من إجهاد تعويذتها، وجدتني أرغب في سحب حجر الشمس وإعارتها إياه.

وأنا أشاهد «زو»، بدا لي أنني عُدت ابنة خمس سنوات مرة أخرى، أتبع ماما بالضمادات وأواني الماء الساخن. كلما كانت مُعالجة القرية تعجز عن رعاية أسوأ مرضى إبدان وحدها، كانت هي وماما تعملان معًا. كانتا تجلسان جنبًا إلى جنب؛ حيث تستخدم المُعالجة سحر لمستها، بينما ماما تحول بين المريض وأنفاسه الأخيرة. أفضل الحصدة لا يسخرون الموت فقط يا صغيرتي «زيل»، نحن نساعد الآخرين أيضًا على الحياة.

حدقت في يدي «زو» الصغيرتين، وتذكرت يدي أمي. على الرغم من صغر سنها، تُظهر «زو» مهارة كبيرة في سحرها. ويبدو كل شيء منطقيًّا حين نعلم أنها كانت أول ربانية تلمس اللفافة.

«لم أكن أدري ماذا في حوزتي». كانت تتحدث بصوت خشن نتيجة المجهود الذي بذلته في سحرها. ناولتها «فولاكي» كوبًا خشبيًّا به ماء، أومأت «زو» شاكرة قبل أن تأخذ رشفة. «لم نكن مستعدين حين نزل حراس ساران إلى واري وهاجمونا، بالكاد هربنا بعد أن أخذوا اللفافة».

حدَّق «عنان» و«أماري» في بعضهما، وقد دار حوار صامت بين عيونهما، وانتقل الشعور بالذنب الذي زحف على وجه «عنان» طوال اليوم إلى «أماري». « بعد واري، كنت أعلم أننا بحاجة إلى مكان يمكن أن نكون فيه آمنين؛ مكان لا يستطيع الحراس اصطيادنا منه. بدأنا ببضع خيام فقط، ولكن عندما أرسلنا رسائل مشفرة إلى ربانيي أوريشا، بدأ المخيم ينمو».

مال «عنان» إلى الأمام. «لقد بنيت هذه المستعمرة فيما يقل عن شهر؟».

هزت «زو» كتفيها: «لم يبدُ الأمر هكذا، بدا وكأن الآلهة ظلت ترسل الربانيين إلى هذه الناحية، قبل أن أدرك ما كان يحدث، بني المخيم من تلقاء نفسه».

بدا شبح ابتسامة على وجه «زو»، لكنها تلاشت حين استدارت نحو «أماري» و«زين»، وابتلعت ريقها بشدة ونظرت إلى أسفل وهي تمر بيديها على ذراعيها صعودًا وهبوطًا.

«الأشياء التي فعلناها لكم..». توقفت «زو» عن الكلام. «الأشياء التي سمحت لهم أن يفعلوها...أنا آسفة جدًّا، أؤكد لك أن تلك الأشياء جعلتني مريضة. لكن حين رأى كشافتنا نبيلة مع اللفافة، لم يكن بوسعنا المخاطرة». أغمضت عينيها بقوة، بينما خط رفيع من الدموع يسيل منهما. «لم يكن ممكنًا أن ندع ما حدث في واري يحدث هنا».

دموع «زو» جعلت عينيَّ تتقدان. تقلص وجه «كوامي» تألمًا. أردت أن أكرهه لما فعله بـ «زين»، لكنني لم أستطع ذلك. أنا لست أفضل منه. إن كانت ثمة مقارنة بيننا، فأنا أسوأ منه، لو أن «عنان» لم يوقفني، لطعنت ذلك الرباني الملثم حتى الموت لمجرد الحصول على أجوبة، وكان سيرقد بوجهه في التراب بدلًا من الاستلقاء على سرير نقال، حين كان سيُعامل وهو ينتظر شفاء «زو».

أجبر «كوامي» نفسه على قول: «أنا آسف»، بصوت خفيض ومتوتر.

«لكنني وعدت هؤلاء الناس بأنني سأفعل أي شيء للحفاظ على سلامتهم».

أقمت في ذهني ألسنة لهب حول وجهه مرة أخرى، لكن بطريقة ما لم تكن بنفس الخطورة. سحره جعل دمي يصبح باردًا، لكن كان يقاتل من أجل شعبه، شعبنا، حتى الآلهة لن تخطئه لأجل هذا، فكيف يمكنني ذلك؟

مسحت «زو» الدموع عن خديها براحتها، وفي تلك اللحظة بدت أصغر بكثير مما سمح لها العالم بأن تكون. قبل أن أتمكن من إيقاف نفسي، مددت يدي وأخذتها بين ذراعي.

«أنا آسفة للغاية». كانت تبكي ووجهها على كتفي.

«لا بأس». ربَّتُّ ظهرها. «كنت تحاولين حماية شعبك، لقد فعلت ما يجب عليك فعله».

نظرت في عيني مع «أماري» و«زين»، فأومأ بالموافقة، لا يمكننا لومها، خصوصًا حين نكون على استعداد لفعل الشيء نفسه بالضبط.

«تفضلي». سحبت «زليخة» اللفافة من جيب الداشيكي الأسود الذي عليها ووضعتها في يدي، «أيًّا كان ما تحتاجون إليه، فجميع مَن هنا يدعمونكم، إنهم ينصتون لي؛ لأنني كنت أول من لمس اللفافة، ولكن إذا كان ما قالته «أماري» صحيحًا، فقد اختارتك الآلهة، ومهما كان ما تأمرين به، فنحن جميعًا سننفذه».

ثار الانزعاج تحت بشرتي لهذه الفكرة، لا أستطيع قيادة هؤلاء الأشخاص. بالكاد أستطيع قيادة نفسي.

«شكرًا لك، ولكنك تقومين بعمل جيد هنا. فقط حافظي على سلامة هؤلاء الناس. مهمتنا هي الوصول إلى زاريا واستئجار سفينة. الانقلاب بعد خمسة أيام فقط».

تحدثت «فولاكي» قائلة: «لدي عائلة في زاريا، وهم تجار يمكن الوثوق بهم، لو أنني ذهبت معك، يمكنني أن أحضر لك سفينتهم».

«سأذهب أيضًا». أمسكت «زليخة» بيدي، والأمل محسوس في قبضتها الرقيقة، «هنا عدد كافٍ من الأشخاص للتأمين، وأنا متأكدة أنكم يا رفاق ستحتاجون إلى معالج».

«إن أخذتموني معكم...». تباطأ صوت «كوامي»، فتنحنح وأجبر نفسه على النظر في عيون «زين» و«أماري». «أود أن أقاتل معكم، النار دائمًا دفاع جيد».

حدّج «زين» «كوامي» بنظرة باردة، وهو يدعك بيده فخذه الجريحة، ورغم أن «زو» أوقفت نزيفه؛ فإنها لم تكن قوية لإنهاء كل الألم.

«احمِ أختي، وإلا في المرة القادمة التي تغمض فيها عينيك، ستكون أنت الذي في ساقه خنجر».

«يمكنني أن أقبل ذلك». مد «كوامي» يده. رفع «زين» يده وصافحه، وملأ الخيمة صمت مريح حين سرى الاعتذار بين قبضتيهما.

«علينا أن نحتفل!». انبلجت ابتسامة عريضة على وجه «زو»، مشرقة وبريئة للغاية، حتى إنها جعلتها تبدو كالطفلة التي ينبغي أن تتمتع بسجاياها، وكانت فرحتها معدية للغاية؛ فـ «زين» وجد نفسه مبتسمًا. «لقد كنت أرغب في القيام بشيء ممتع؛ وسيلة لجمع كل من في الخيمة

معًا. أعرف أن هذا ليس الوقت المعتاد، ولكن يجب أن نقيم الأجويو غدًا».

«أجويو؟». ملتُ إلى الأمام، وأنا لا أصدق أذني، حين كنت طفلة، كان الاحتفال بالسماء الأم وميلاد الآلهة أفضل جزء في السنة. كان بابا دائمًا يشتري لماما ولي قفطانين متطابقين من الحرير ومطرزين بالخرز، وبحاشيتين طويلتين تجرجران خلف ظهورنا. وفي آخر «أجويو» قبل الغارة ادخرت ماما طوال العام حتى تتمكن من شراء حلقات مطلية بالذهب لتضفر بها شعري.

«سيكون الأمر رائعًا». زاد صوت «زو» سرعة مع زيادة حماستها. «يمكننا إخلاء الخيام وعقد الموكب الافتتاحي. حددوا موضعًا للقصص المقدسة. يمكننا بناء مسرح والسماح لكل ماجي بلمس اللفافة. كل واحد يمكنه مشاهدة عودة قدراته!».

سرت بداخلي ومضة تردد، أجَّجَتْها أصداء نيران «كوامي». قبل يوم واحد فقط، كان تحويل كل هؤلاء الربانيين إلى ماجي حلمًا، لكنني توقفت لأول مرة. المزيد من السحر يعني المزيد من القدرة، والمزيد من الأيدي الخاطئة التي سيقع بها حجر الشمس، ولكن إن راقبته عن كثب... إذا تبع كل هؤلاء الربانيين «زو»....

سألت «زو»: «ما رأيك؟».

نظرت بينها وبين «كوامي»، تحولت ملامحه إلى الابتسام.

قلت مقررة: «هذا يبدو مذهلًا، لن ينسى الناس أجويو».

سألت «أماري»: «ماذا عن الطقوس؟».

«إذا غادرنا بعد الاحتفال مباشرة، فسيكون لدينا ما يكفي من الوقت، لا يزال أمامنا خمسة أيام للوصول إلى زاريا، واستخدام قارب «فولاكي» سيقلل الوقت إلى النصف».

أشرق وجه «زو» للغاية، حتى صار يشبه مصدر ضوئها. ضغطت يدي، فاندهشت من الدفء الذي ملأتني به، الأمر أكثر من مجرد حليف آخر، هذه بداية مجتمعنا.

«إذن سنفعل هذا!». أمسكت «زو» بيد «أماري»، أيضًا، وهي تكاد تقفز عن الأرض. «هذا أقل ما يمكننا القيام به، لا يمكنني التفكير في أي طريقة أفضل من هذه لتكريمكم جميعًا».

«ثلاثة». صحح لنا «زين» الرقم. طريقته المقتضبة وأدت حماستي البازغة. أومأ إلى «عنان»: «هذا ليس معنا».

تجمَّع الضيق في صدري حين التقت أعين «عنان» و «زين». كنت أعرف أن هذه اللحظة قادمة، وكنت آمل فقط أن يكون أمامنا المزيد من الوقت.

أومأت «زو» بإصرار، وقد استشعرت التوتر: «سنتيح لكم التحدث فيما بينكم، فهناك الكثير الذي علينا القيام به حتى نستعد للغد».

نهضت واقفة على قدميها، وتبعها «كوامي» و «فولاكي»، وتركونا ليس بيننا سوى الصمت. أُجبرت على التحديق في اللفافة التي في يدي، ماذا الآن؟ أين نحن؟ وهل نحن «نحن» بالفعل؟

«أعلم أن هذا يصعب هضمه». تحدث «عنان» أولًا.. «لكن الأشياء تغيرت حين أُخذت أنت وأماري. أنا على دراية بأن هذا ليس بالأمر الهين، ولكن إذا كانت أختك يمكن أن تتعلم أن تثق بي...».

استدار «زين» ناحيتي، وحدق فيَّ بنظرة كأنها هراوة ضرب بها معدتي. كانت ملامحه تقول كل شيء: أخبريني أن هذا ليس صحيحًا.

«زين، لولا هو، لوقعت في الأسر أيضًا..».

لأنه أراد قتلي بنفسه، حين هاجم المقاتلون، كان لا يزال يريد أن يدفع بسيفه في قلبي.

أخذت نفسًا وبدأت من جديد، وأنا أمرر يدي على هراوتي، لا أستطيع تحمل إفساد هذا الأمر، أحتاج أن ينصت «زين» لي.

«لم أكن أثق به، على الأقل في البداية، لكن عنان حارب إلى جانبي، حين تعرضت للخطر، ألقى بنفسه في طريق الأذى». بدا أن صوتي قد انكمش، ولعدم قدرتي على النظر إلى أي شخص، حدقت في يدي. «لقد رأى أشياء، وشعر بأشياء لا يمكنني أن أشرحها لأي شخص آخر».

«كيف يُفترض أن أصدق هذا؟». عقد «زين» ذراعيه.

«لأن...». نظرت إلى «عنان» مرة أخرى، «هو من الماجي».

«ماذا؟». تدلى فك «أماري» واستدارت نحو «عنان». وعلى الرغم من أنني رأيتها تنظر إلى الخط الذي في شعره من قبل، فإن الحقيقة صارت الآن ساطعة.

«كيف يمكن هذا؟».

قال «عنان»: «لا أدري. حدث هذا في وقت ما في لاجوس».

صرخ «زين»: «قبل أن تحرق قريتنا عن بكرة أبيها؟».
جز «عنان» أسنانه بقوة. «لم أكن أعرف حينئذ..».
«لكنك عرفت حين صرعت ليكان».
«لقد هاجمنا. وخافت الأميرال على حياتنا..».
«وعندما حاولت قتل أختي الليلة الماضية؟ كنت من الماجي حينئذ؟». حاول «زين» أن ينهض لكن ملامحه انقبضت، وطارت يده إلى فخذه.
قلت مسرعة: «اسمح لي أن أساعدك». لكن «زين» دفع يدي بعيدًا.
«قولي إنك لست بهذا الغباء». وَمَض نوع مختلف من الألم خلف عينيه. «لا يمكنك الوثوق به يا زيل. ماجي أم لا، إنه ليس في جانبنا».
«زين..».
« لقد حاول قتلك!».
«من فضلك». علا صوت «عنان». «أعرف أنه ليس لديك سبب لتثق بي، لكنني لا أريد قتالاً بعد الآن. كلنا نرغب في نفس الشيء».
قال «زين» ساخرًا: «وما هذا الشيء؟».
«أوريشا أفضل، مملكة لا تضطر فيها ماجي -مثل أختك- أن تعيش في خوف دائم، أريد أن أجعلها أفضل». نظر «عنان» بعينيه الكهرمانيتين في عيني، «أريد إصلاح الأمر معك».
أجبرت نفسي على النظر بعيدًا، خائفة ما قد يبوح به وجهي، فاستدرت نحو «زين»، على أمل أن يكون شيء في كلمات «عنان» قد أثر فيه، لكنه كان مكوّرًا قبضتيه بقوة جعلت ساعديه يرتجفان.
«زين..».
«انسَيْ ذلك». نهض متألماً واتجه نحو مَخرج الخيمة، مقاومًا الألم الذي في ساقه. «أنتِ دائمًا تفسدين كل شيء. فلماذا التوقف الآن؟».

# الفصل الثاني والخمسون

# أماري

*«عنان، انتظر!».*

اخترقتُ الربانيين الذين يمتلئ بهم الممر الْمُعْشَوشِب بين صفين طويلين من الخيام. كانت نظراتهم المتطفلة تضيف ثقلًا لخطوتي، لكنهم لا يكفُّون عن صرف انتباهي عن الأسئلة التي يعج بها رأسي. حين انصرف «زين»، ركضتْ «زالي» خلفه، تحاول عبثًا أن تجعله يفهم، لكن حينئذ هرول أخي وراءها، تركني وحدي في تلك الخيمة.

توقف «عنان» عندما سمع صوتي، رغم أنه لم يلتفت حوله، وكانت عيناه تتعقبان «زالي»، متتبعًا لها وهي تختفي وسط الحشود، وحين التفت إليَّ، لم أكن أدري ما السؤال الذي يجب أن أطرحه أولًا.

بدا الأمر كما لو أنني عدت داخل جدران القصر، قريبة جدًّا منه، إلا أن عوالم تفصل ما بيننا.

«يجب أن تجعلي زليخة تعالج هذا». قبض على معصمي وراح يتفقد الكدمات الحمراءَ الداكنة والدم الجاف حيث مزقت الحبال بشرتي. كان صرف انتباهي عن الألم أمرًا سهلًا عندما كنت أحمل «زين»، ولكن الآن الخفقان مستمر، وأشعر به يحرقني في أي موضع تضرب فيه الرياح الباردة لحمي المكشوف.

«حين تستريح». سحبت يدي من يديه، وعقدت ذراعي لإخفائهما. «إنها مستنزفة للغاية بعد علاج زين ولا تزال بحاجة إلى رعاية جايلين. لا أريد أن تصاب بأذى».

«تذكرني بك». ابتسم «عنان»، لكن الابتسامة لم تصل إلى عينيه.

«كان وجهك يأخذ تلك الهيئة المجنونة عندما يكون لديك فكرة وتعرفين أنك ستنفذين ما تريدين».

أعرف الهيئة التي يتحدث عنها؛ وكان لديه هيئة تخصه. كان يبتسم ابتسامة عريضة للغاية لدرجة أن أنفه كان يتقلص، وعينيه كانتا تتغضنان حتى كادتا تنسدان. تلك الهيئة هي التي أخرجتني من السرير ليلًا، وجعلتني

أتسلل إلى الإسطبلات الملكية أو الغوص مباشرة في برميل من السكر في المطبخ، وكان هذا حينما كانت الأمور أبسط، قبل إقحام أبي وأوريشا بيننا.

«لقد كنت أنوي إعطاء هذا لك». مدَّ «عنان» يده داخل جيبه. أتوقع تهديدًا بالقتل من أبي. شعرت بصعوبة في التنفس حين رأيت بريق غطاء رأسي القديم.

«كيف؟». انكسر صوتي حين وضعه في يدي.

على الرغم من تآكله وصدئه والدماء التي تلّطخه، فإن احتضانه يبعث الدفء في صدري. كان هذا بمثابة استعادة قطعة صغيرة من «بينتا».

«لقد كنت أحمله منذ سوكوتو، اعتقدت أنك تريدين استعادته».

ألصقت غطاء الرأس بصدري وحدقت فيه، وموجة من الامتنان تتدفق داخلي. لكن الامتنان لا يزيد حقيقة واقعنا إلا سوءًا.

«هل أنت حقًّا من الماجي؟». شقَّ السؤال طريقه إلى الهواء وأنا أفحص الخط الأبيض الذي في شعر «عنان». سواء عاد لي غطاء الرأس أو لم يعُد، ما زلت لا أفهم: ما هي قوته؟ لماذا هو وليس أنا؟ إذا كانت الآلهة تأمر بمن يتلقى هباتهم، فما الذي جعلها تختار «عنان»؟

أومأ «عنان»، مارًّا بيديه خلال خطه. «لا أدري كيف أو لماذا. لقد حدث ذلك عندما لمست اللفافة في لاجوس».

«هل أبي يعرف؟».

«هل ما زلت أتنفس؟». حاول «عنان» إبقاء صوته هادئًا، لكن الألم أفصح عن نفسه. صورة السيف الذي قطّع «بينتا» فرضت نفسها على ذهني. من السهل جدًّا تخيل أب يغرز سيفه في صدر «عنان» كذلك.

«كيف استطعت ذلك؟».

كل سؤال آخر يختفي؛ لأن السؤال الوحيد المهم برز أخيرًا. شعرت بكل مرة دافعت عنه فيها أمام «زالي» تتضخم بداخلي. اعتقدت أنني أعرف قلب أخي الحقيقي. الآن لست متأكدة من أنني أعرفه على الإطلاق.

قلت ملحّة: «أستطيع أن أفهم خضوعك لتأثير أبي، لكنه ليس هنا، كيف يُفترض أن أثق بك بينما كنت تقاتل ضد نفسك طوال الوقت؟».

تهدلت كتفا «عنان»، وراح يحك الجزء الخلفي من عنقه.

أجاب: «لا يمكنك، ولكن سوف أكسب ثقتك، أعدُك».

في حياة أخرى، هذه الكلمات تكون كافية، لكن موت «بينتا» ما زال ندبة في ذاكرتي، لا أملك إلا التفكير في جميع الإشارات. في كل فرصة

أتيحت لي لتحريرها من حياة القصر. لو كنت فقط أكثر يقظة حينئذ، لكانت صديقتي لا تزال على قيد الحياة.

«هؤلاء الأشخاص». أمسكت بغطاء رأسها. «إنهم يعنون كل شيء بالنسبة لي، أنا أحبك يا عنان، لكنني لن أسمح لك بأن تؤذي الماجي كما آذيتني».

«أعرف». أومأ «عنان» برأسه. «لكن أقسم بالعرش، هذا ليس هدفي. لقد علمتني «زالي» كيف كنت مخطئًا في حق الماجي. أعلم أنني صنعت أخطاء».

رقَّ صوتُه حين نطق باسم «زالي»، كما لو كان يستدعي ذكرى ممتعة، وثارت أسئلة أخرى بداخلي حين استدار ليبحث عنها وسط الحشود، لكني أقاومها في الوقت الحالي. لا أستطيع أن أبدأ البحث فيما فعَلَت لتغيير تفكير أخي، لكن الشيء الوحيد المهم هو أن هذا التغيير قد حدث للأبد.

«لأجلك، أتمنى ألا تفعلي ما هو أكثر من ذلك».

رمقني «عنان» بعينيه، وبوجه يصعب قراءته وهو ينظر إليَّ من أعلى إلى أسفل.

«هل هذا تهديد؟».

«إنه وعد. إن شككت في أي خيانة، فلن تَجِدي في مواجهتك إلا سيفي». لن تكون أول مرة يصطدم فيها سيفانا، وبالتأكيد لن تكون مثل آخر مرة.

أعلن «عنان»: «سأثبت نفسي لك، لكم جميعًا، آنت في الجانب الصحيح من هذا الأمر. رغبتي الوحيدة هي أن أكون بهذا الجانب أنا أيضًا».

«جيد». ملت إلى الأمام لعناقه، متشبثة بوعده.

ولكن حين أحاطت يداه بظهري، كان كل ما يمكنني التفكير فيه هو كيف تستقر أصابعه فوق ندوبي.

# الفصل الثالث والخمسون

# زالي

*في صباح اليوم التالي أسرعت «زو»* إلى خيمتي.

«هناك الكثير جدًّا الذي أريد أن أطلعك عليه». هزّت ذراعي. «زالي، هيا، إننا في منتصف النهار تقريبًا!».

بعد قدر كافٍ من النَّخْس، أذعنتُ وجلستُ، وأنا أتخلّل اللفات الجديدة التي في شعري لحك فروة رأسي.

«أسرعي». دفعت «زو» بداشيكي أحمر بلا أكمام بين ذراعي. «الجميع ينتظرون بالخارج».

حين غادرت، منحت «زين» ابتسامة، لكنه أولاني ظهره. على الرغم من أنني أستطيع أن أقول إنه مستيقظ، فإنه لا يصدر صوتًا. عاد الصمت غير المريح الذي اشتعل بيننا الليلة الماضية، وامتلأت خيمتنا بتنهدات تبعث على الإحباط وكلمات فارغة. وبغض النظر عن كثرة اعتذاري، فإن «زين» لن يستجيب.

سألت بهدوء: «هل تريد أن تأتي؟ يمكن أن يكون المشي مفيدًا لساقك».

لا شيء، كأنني أتحدث إلى الهواء.

«زين»...

«أنا باقٍ». تزحزح ومد رقبته. «لا أظنني أرغب في المشي مع الجميع».

تذكرت كلمات «زو»، وافترضت أنها تعني «كوامي» و «فولاكي»، لكن ربما يكون «عنان» بالخارج، إذا كان «زين» لا يزال مستاءً، فإن رؤية «عنان» ستزيد الأمور سوءًا فحسب.

«حسنًا». انزلقت بداخل الداشيكي وربطت شعري بوشاح أزرق وأحمر أعارتنيه «زو». سأعود سريعًا. سأحاول أن أحضر لك بعضَ الطعام.

«شكرًا».

تعلقت بالرد ورُحت أكرره في رأسي. إذ كان «زين» يمكنه أن يُغمغم بكلمة عرفان الآن، فربما تصير الأمور إلى ما يرام.

«زيل». نظر فوق كتفه والتقت عيناه بعيني، «كوني حذرةً. لا أريدك وحدَك معه».

أومأتُ وتركت الخيمة، وثقل تحذير «زين» يشدني إلى الأرض، لكن ما إن دخلت إلى المخيم، حتى تبخر كل الثقل.

ملأت أشعةُ الشمس الوادي الفسيح، وقد تفجَّر كل فدان من الخضرة الكثيفة بالحياة، وهاج الربانيون الصغار وماجوا في متاهة الأكواخ والخيام والعربات الناتئة، يتلألئون جميعًا بالشعر الأبيض والزخارف النابضة بالحياة المنسوجة في كل أردية الداشيكي والقفاطين الدالة على الحيوية. بدا كأن وعد السماء الأم تجسد أمام عيني، وقد دبَّت فيه الروحُ بعد كل هذا الوقت.

«اللعنة!». أصابني الدوار، وأنا أتطلع إلى المشهد بكامله بينما «زو» تلوِّح لي. أنا لم أرَ كل هؤلاء الربانيين في بقعة واحدة. وخاصة بكل هذا... الفرح، كان المحتشدون يضحكون ويبتسمون عبر التلال، والشعر الأبيض مُضفَّر، مجدُول،. متدفِّق، تُظلِّلهم حرية غير مألوفة تبدو على عواتقهم، وفي مِشيتِهم، وفي أعينهم.

«انتبهي!».

رفعت يدي وابتسمت حين مرَّ بي مهرولين مجموعةٌ من الأطفال الصغار.

بدا الأكبر سنًّا بين المحتشدين في العشرينات من عمرهم، وليس بينهم من هو أكبر سنًّا من الخامسة والعشرين، ومن بين كل الربانيين الذين أمامنا، كان منظرهم هو الأكثر إثارة للحيرة؛ لم أرَ في حياتي أبدًا كل هذا العدد من الربانيين البالغين خارج زنازين السجون أو من غير عمال التراحيل.

«أخيرًا!»، شبَّكت «زو» ذراعها في ذراعي، وعلى مُحيَّاها ابتسامة تكاد تكون أعرض من وجهها، وشدتني عبر العربة المطلية باللون الأصفر حيث ينتظر «عنان» و «أماري»، ابتسمت «أماري» عندما رأتني، لكن وجهها أظلم حين لم تجد «زين».

«أرادَ أن يستريح». *أجبتُ عن سؤالها الذي لم تسأله، ولم يكن يريد أن يرى أخاكِ*.

نظر «عنان» إليَّ، وسيمًا في قفطان من الكوبلت مع بنطلون ضيق بنقوش، بدا مختلفًا بدون الخطوط القاسية والمعدن المسنن في زيه

الموحد؛ صار أرق، أكثر دفئًا، مسحته تضيء باللون الأبيض الذي في شعره، لأول مرة غير مخبأ وراء خوذة أو صبغة سوداء. طالت النظرات فيما بيننا، لكن «زو» كانت بحاجة لثانية واحدة فقط لكي تقفز بيننا برشاقة وتجذبنا معها.

«لقد أحرزنا تقدمًا، لكن لا يزال لدينا طرق نقطعها إذا كنا سنستعد من أجل الليلة». بدا أنها تطوي بحديثها مليون متر في الثانية، وتكتشف دائمًا شيئًا جديدًا لديها لتقوله قبل الانتهاء من فكرتها الأخيرة.

«هذا هو حيث ستكون القصص القديمة». أشارت «زو» إلى مسرح مؤقت يحتلُّ الربوة المُعْشوشبة بين خيمتين. «هناك ربانية من جيميتا تروي لهم، ينبغي أن تقابليها، إنها ساحرة، ونعتقد أنها ستكون من سحرة المد والجزر، أوه، وهذا! هذا هو المكان الذي سنجعل فيه الربانيين يلمسون اللفافة. لا أستطيع أن أنتظر لمشاهدة ذلك، سيكون أمرًا لا يُصدَّق!».

تحركت «زليخة» خلال الحشد بجاذبية ملكة، وتوقف الربانيون وراحوا يحملقون وهي تمر، ويشيرون ويهمسون عنَّا لأنها تمسك بيدي. عادة ما أكره أن يحملق بي الآخرون، لكن اليوم أجد نفسي مستمتعة، وليس هذا كالحراس أو الكوسيديين، الذين يريدون لي أن أختفي. كانت نظرات الربانيين تحمل تبجيلًا؛ نوعًا جديدًا من الاحترام.

«هذا أفضل جزء». أشارت «زو» إلى أرض مقطوعة الشجر ضخمة مزينة بفوانيس مزركشة وأوراق ملونة. «هذا هو مكان الموكب الافتتاحي. زالي، يجب أن تكوني في هذا!».

«أوه! لا أظنك ترغبين في هذا حقًّا». هززت رأسي بحرارة، لكنني ضحكت حين أمسكت «زو» بمعصمي وراحت تقفز لأعلى ولأسفل. كانت فرحتها مُعْدية؛ حتى «عنان» لم يملك إلا أن يبتسم.

«ستكونين رائعة جدًّا!». اتسعت عيناها، «ليس لدينا حاصدة بعد، وملابس أويا ستناسبك تمامًا، لديها تنورة حمراء طويلة وكنزة ذهبية.. عنان! ألا تعتقد أنها سوف تبدو مذهلة؟».

اتسعت عينا «عنان» وتلعثم، وتنقل بعينيه بيني وبين «زو» وكأن إحدانا ستنقذه من الإجابة.

صرفتها بقولي: «زو، هذا جيد، أنا متأكدة أنه يمكنك العثور على شخص آخر».

«ربما يكون هذا هو الأفضل». استعاد «عنان» صوته، وانتقلت عيناه إليَّ للحظة، قبل أن ينظر بعيدًا». «ولكن نعم، أعتقد أن زالي ستبدو جميلة».

شعرت بحرارة في وجهي، وازددت سخونة حين كانت «أماري» تتفحصنا. استدرت بعيدًا وركزت انتباهي في أي مكان آخر، في محاولة لتجاهل كيف جعلت إجابة «عنان» شيئًا بداخلي يرتعش. مرة أخرى ألحَّ على ذهني كيف حملني إلى داخل المخيم.

«زو، ما هذا؟». أشرت إلى عربة سوداء بها سلسلة طويلة من الربانيين.

«هنا ترسم فولاكي باجي القبيلة». لمعت عينا «زو»، «يجب أن تحصلي على واحدة!».

«الباجي؟». تغَضَّن أنف «أماري» في حيرة.

أشارت «زو» إلى الرمز المرسوم على رقبتها، وأمسكت «عنان» و «أماري» من أيديهما تسحبهما، وهي تركض إلى الأمام. «إنها جميلة. هيا، ينبغي أن تري ذلك الآن!».

تحركت «زو» بسرعة، تقودهما خلال الحشود، وفكرت في أن أمشي بوتيرة أسرع، ولكن هناك شيء يعوق المشي خلال هذا المخيم يجعلني أريد أن أبطئ. في كل مرة أمر فيها برباني جديد، يجمح عقلي في تخيل كل الأنواع المختلفة التي سيصيرون إليها من الماجي. يمكن أن يكون عن يساري سَحَرة الريح المستقبليون، أو عرافون عن يميني، وفي وجود عشر قبائل، هناك فرصة أن يكون حاصدٌ مستقبليٌّ أمامي.

اصطدم غريب بي، وكان يرتدي ملابس باللونين الأحمر والأسود، أمسك بي من خصري، وأعاد إليَّ التوازن قبل أن أسقط على ظهري.

ابتسم قائلًا: «أعتذر، قدمي لديها عادة سيئة تجعلها تسير خلف قلبي».

«إن هذا...». لم أكمل الجملة. بدا الغريب شخصًا لم أرَ مثله من قبل. ليس من أصل أوريشي. ملامحه مثل الحجر الرملي، بظلال نحاسية، على عكس العيون المستديرة للأوريشيين. عيناه زاويتان ومغطاتان بشكل يبرز عينيه الرماديتين العاصفتين.

«روين». ابتسم مرة أخرى. «إنها فرحة، آمل أن تجدي ما يكفي من الحِلْم لتغفري لي حماقاتي». كانت لهجته تبتر حروفًا وتمط حروفًا في الحديث. لا بد أنه تاجر، تاجر من بلاد أخرى.

*أخيرًا.*

نظرت إلى الشاب من أعلى إلى أسفل. كان «زين» قد أخبرني عن مقابلة غرباء، من حين لآخر أثناء سفره في أوريشا من أجل مباريات الأجبون، لكنني لم أقابل أحدًا منهم بنفسي مطلقًا، وعلى مرِّ السنين كنت أسمع التجار المميزين في الأسواق المزدحمة والمسافرين الذين يمرون عبر مدن أوريشا الأكثر ازدحامًا. وكنت آمل دائمًا أن يأتي أحدهم إلى إيلورين، لكنَّ أحدًا منهم لم يصل قط إلى ساحلنا الشرقي.

ملأت الأسئلة ذهني، ولكن حينئذ أدركت أن يده تستقر ساكنة أسفل ظهري. شعرت بحرارة وجنتي وأنا أنزلق بعيدًا عن لمسته. لا ينبغي أن أ حدق، لكن في ضوء الابتسامة المتكلَّفة التي على شفتي «روين»، يمكنني أن أؤكد تقريبًا أن الأمر كان يروق له.

«إلى اللقاء مرة أخرى». غمز بعينه واستعدَّ للانصراف دون أن يحوِّل عينيه عن عيني، لكن قبل أن يتمكن من اتخاذ خطوة أخرى، ظهر «عنان» مرة أخرى وأمسك بذراعه.

تلاشت الابتسامة من عيني «روين» وهو ينظر إلى قبضة «عنان». «أنا لا أعرف نيتك يا أخي، لكن هذه طريقة جيدة لتفقد يدًا».

«وكذلك النشل». اكتست ملامح «عنان» بالجدية. «أعِدْ ما أخذت».

نظر الغريب ذو العينين الرماديتين إليَّ، وهزَّ كتفيه في ارتباك وهو يخرج الهراوة المطوية من جيب بنطلونه المجعَّد. اتسعت عيناي حين مددت يدي إلى حزامي الفارغ.

«كيف بحق الجحيم فعلت ذلك؟». أعدت الهراوة إلى مكانها. لقد دربتنا «ماما أجبا» على الشعور بلمسة اللص. كان ينبغي أن أشعر بلمسته. «الصدمة الأولى».

سألت: «إذن لماذا تلكأت؟ ما دمت بهذه السلاسة، كان بإمكانك أن تفر».

«لم أستطع أن أقاوم». كشر «روين» عن أسنانه مثل الفوكسير، فكشف عن أسنان تلمع أكثر قليلًا من الطبيعي. «من الخلف لم أرَ إلا الهراوة الجميلة، و لم أكن أدري أن فتاة جميلة تحملها».

نظرت إليه شزرًا، لكن هذا لم يزد ابتسامته إلا اتساعًا. قال: «كما قلت من قبل، الحب».. وانحنى انحناءة خفيفة.. ثم قال: «حتى نلتقي مرة أخرى».

وبهذا، انطلق لا يلوي على شيء، وسار نحو «كوامي» على مسافة بعيدة. أمسك كلاهما بقبضة الآخر في تحية مألوفة، وتبادلا كلمات لا يمكنني سماعها. نظر «كوامي» نحوي لثانية قبل أن يختفي الاثنان في خيمة. لم أملك إلا أن اتساءل عما يفعله «كوامي» بلقاء رجل مثل هذا.

شكرت «عنان» وأنا أمرر أصابعي على نقوش الهراوة المنحوتة. هذا هو الشيء الوحيد الباقي معي من إيلورين، الرابط الوحيد الذي يربطني بحياة عشتها يومًا. أعود بذاكرتي إلى «ماما أجبا»، متمنية أن أراها وبابا مرة أخرى.

«لو كنت أعلم أن كل ما أحتاجه لصرف انتباهك ابتسامة ساحرة، لحاولت ذلك منذ عهود».

«لم تكن ابتسامته». رفعت ذقني. «لم أرَ شخصًا من بلاد أخرى من قبل».

«آه! هل كان هذا كل شيء؟». ابتسم «عنان» ابتسامة غامضة لكنها سالبة للإرادة تمامًا. في الوقت الذي قضيناه معًا رأيت كل المشاعر من الغضب إلى الألم تتراقص على شفتيه، لكن لم أرَ أبدًا ما يقترب من ابتسامة فعلية. إنها تصنع غمّازة في خده، وتتغضن بشرته حول عينيه الكهرمانيتين.

سألني: «ما الأمر؟».

«لا شيء». عدت إلى هراوتي. بين القفطان والابتسامة، من الصعب تصديق أنني ما زلت أنظر إلى الأمير الصغير..

«*آخ!*».

تحولت ابتسامة «عنان» إلى تقْطِيبة قلق، وكز على أسنانه وأمسك بجانبه.

«ما الأمر؟». وضعت يدي على ظهره. «هل تريدني أن أحضر زو؟».

هزَّ رأسه، وزفر زفرة إحباط. «ليس هذا من الأشياء التي يمكنها معالجتها».

أمَلتُ رأسي حتى أُدرك المعنى وراء كلماته. بدا مختلفًا جدًّا في قفطان الكوبالت حتى إنني لم ألحظ أن الهواء من حوله كان باردًا.

«أنت تكبِتُ سحرك». هبط قلبي في صدري. «لا ينبغي لك ذلك يا عنان! لا أحد هنا يعرف مَن أنت».

« ليس هذا». تمالك «عنان» نفسه قبل أن يقف معتدلًا مرة أخرى. «هناك أناس كثيرون جدًّا، لا بد لي من السيطرة عليه، إذا أطلقت له

العنان، يمكن أن يتأذى شخص ما».

مرة أخرى، رأيت لمحة من الأمير الصغير الكسير الذي هاجمني بنصله؛ أعلم أنه كان خائفًا، لكنه هل كان حقًّا خائفًا من نفسه إلى هذا الحد؟

«يمكنني مساعدتك». أنزلت يدي، على الأقل قليلًا. إذا تعلمت كيفية السيطرة عليه، فلن يؤذيك على هذا النحو».

جذب «عنان» ياقة قفطانه، على الرغم من أنها معلقة بشكل سائب حول رقبته، «ألن تنزعجي؟».

«يسرني هذا». أمسكت بذراعه وقدته بعيدًا عن الزحام. «هيا، أعرف مكانًا يمكننا الذهاب إليه».

كان نهر جومبي يتدفق بجانبنا، وقد امتلأ الهواء بأغنيته. ظننت أن البيئة المحيطة الجديدة قد تهدِّئ «عنان»، لكن الآن بعد أن جلسنا، أدركت أنني بحاجة لتهدئة نفسي. عادت الأعصاب التي اضطربت حين طلبت مني «زو» قيادة الماجي أقوى هذه المرة، لا أعرف كيف أساعد «عنان». ما زلت أحاول فهم سحر الحصدة أنا نفسي.

«تحدث معي». أخذت نفَسًا عميقًا وتظاهرت بالثقة التي كنت أتمنى أن تكون لدي. «كيف يكون شعورك بالسحر؟ متى يضربك بأقصى قوة؟».

ازدرد «عنان» ريقه، وأصابعه تنتفض حول جسم وهمي. «لا أعرف، لا أفهم أي شيء عن ذلك على الإطلاق».

«تفضل». مددت يدي في جيبي ووضعت قطعة برونزية في راحة يده، «توقف عن التململ، تجعلني أشعر بحكة».

«ما هذا؟».

«شيء يمكنك اللعب به دون أن تسمم نفسك، خذها واهدأ».

ابتسم «عنان» مرة أخرى؛ ابتسامة كاملة هذه المرة، ابتسامة وصلت إلى عينيه ورققتهما، ومرَّ بإبهامه على الشيتانيرة المنقوشة في منتصف العملة، في علامة على أنها تتبع أوريشا. «لا أظنني امتلكت قطعة برونزية من قبل».

«يع!». كدت أختنق اشمئزازًا، «احتفظ بهذه الحقائق لنفسك وإلا فلن أستطيع أن أهضم الأمر برمته».

«سامحيني». اختبر «عنان» وزن العملة في راحة يده، وأضاف: «شكرًا جزيلًا».

«اشكرني بإتمام هذا العمل. متى كانت آخر مرة سمحت فيها حقًّا بتدفق سحرك؟».

مع إمرار القطعة البرونزية بين أصابعه، بدأ «عنان» يفكر. «ذلك المعبد».

شاندومبلي؟

أومأ برأسه. «لقد ضاعف من قدراتي. حين كنت أحاول أن أجدك، جلست تحت لوحة لأوريو... لا أدري، كانت المرة الأولى التي شعرت فيها بأن هناك ما يمكنني السيطرة عليه».

*أرض الأحلام*. عدت بذاكرتي مرة أخرى إلى آخر مرة كنا فيها هناك. أتساءل عمّا لا بد أنني قلته، هل بُحْتُ بشيء؟

سألت: «كيف يسير الأمر؟ أحيانًا أشعر وكأنك تقرأ كتابًا داخل رأسي».

قال «عنان» مصحِّحًا: «أقرب إلى الأحجية منه إلى الكتاب، لا يكون الأمر دائمًا واضحًا، لكن حين تكون أفكارك وعواطفك شديدة، أشعر بها أنا أيضًا».

«هل يحدث هذا مع الجميع؟».

هزَّ رأسه. «ليس بنفس الدرجة. أشعر مع الآخرين جميعًا أنني أُحيطَ بي وسط الأمطار. أما أنت فتسونامي كامل».

جمدتني قوة كلماته، وأنا أحاول تخيل كيف يمكن أن يكون هذا الخوف، الألم، ذكريات انتزاع ماما من بيننا.

همست: «يبدو هذا فظيعًا».

«ليس دائمًا». حدَّق في وجهي كأن بوسعه أن يرى ما في قلبي مباشرةً، يرى كل حقيقة لي كما هي. «هناك أوقات يكون فيها هذا مدهشًا، بل جميلًا». قفز قلبي فرحًا في صدري، وسقطت خصلة من الشعر على وجهي، فأزاحها «عنان» ودسها خلف أذني. شعرت بقشعريرة تسري في رقبتي حين احتكت أنامله ببشرتي.

تنحنحت ونظرت بعيدًا، متجاهلة تلك الطرقات الخفيفة في رأسي. لا أدري ما يحدث، لكنني أعرف أنني لا أستطيع أن أسمح لنفسي بشعور كهذا.

«سحرك قوي». عدت بالتركيز إلى ما كان عليه. «صدق أو لا تصدق، فهو يأتيك بشكل طبيعي. يمكنك بشكل غريزي توجيه الأمور إلى وجهة يحتاج معظم الماجي إلى تعويذة قوية لبلوغها».

سأل «عنان»: «كيف يمكنني التحكم فيه؟ ماذا أفعل؟».

قلت موجِّهة له: «أغمض عينيك، وكرر ورائي. لا أعرف تعويذات الواصلين، لكنني أعرف كيف أطلب المساعدة من الآلهة».

أغمض «عنان» عينيه وقبض على القطعة البرونزية بقوة.

«إنها تعويذة بسيطة - أوري، با ماي سورو».

«*باسي سورو؟*»

«*با ماي سورو*». صححت نطقه بابتسامة. من الأمور اللطيفة مدى تعثر كلمات اليوروبا على شفتيه. «كررها. تخيل أوري. اطلب عونه بنفس مقبِلة، هذا كل ما يحتاجه الماجي. حين تكون الآلهة بجانبك، لن تكون وحيدًا حقًّا قط».

نظر «عنان» لأسفل. «هل هم موجودون دائمًا حقًّا؟».

«دائمًا». عدت بذاكرتي لكل تلك السنوات التي أدرت فيها ظهري لهم، «حتى في أحلك الأوقات. تكون الآلهة موجودة دائمًا، سواء اعترفنا بهم أم لا. لديهم دائمًا خطة».

أطبق «عنان» يديه على القطعة البرونزية، ودلّت ملامحه على الاستغراق في التفكير.

«اتفقنا». أومأ برأسه. «أريد أن أجرب».

«*أوري با ماي سورو*».

«*أوري با ماي سورو*». راح يتلو بصوت خفيض، وقد التفَّت أصابعه حول القطعة البرونزية، في البداية، لم يحدث شيء، لكن حين استمر، بدأ الهواء في السخونة، وظهر وهج أزرق ناعم في يديه. زحف الضوء حتى أتاني.

أغمضت عيني والعالم يدور مبتعدًا، في اندفاع حار، تمامًا مثل ذلك اليوم، حين انتهى الدوران، عدت إلى أرض الأحلام.

لكن هذه المرة حين دغدغ الخيزران قدمي، لم أكن بحاجة للشعور بالخوف.

# الفصل الرابع والخمسون

## عنان

***الهواء من أرض الأحلام*** يطنُّ مثل اللحن، ناعمًا، رنانًا.

بينما يموج الهواء بالغناء، لاحقت بعيني بشرةَ «زالي» العارية عبر البحيرة.

مثل بجعة سوداء الريش، كانت تنزلق فوق الأمواج المتلألئة، وفي وجهها راحة، وهو تعبير لم أرَه من قبل. بدا وكأن العالم للحظة واحدة لم يعد يثقل على كتفيها.

غاصت لأسفل لبضع ثوانٍ وطفَت على السطح، ورفعت وجهها الداكن نحو أشعة الشمس التي تعلوها. وحين أسبلت عينيها، بدا أن رموشها لا نهاية لها، وبدت لفَّات شعرها كالفضة فوق بشرتها. وحين استدارت نحوي، توقفتُ عن التنفس. نسيت للحظة كيف أتنفس!

وكيف أفكر!

كنت يومًا أعتقد أن لها ملامح وحش.

«تعلم أن الأمر يكون مريبًا إذا كنت ستكتفي بالمشاهدة».

زحفت ابتسامة على وجهي، «هل هذه هي طريقتُك الذكية لدفعي للانضمام إليك؟».

ابتسمت ابتسامة جميلة، معها لمحت الشمس. حين استدارت، اشتقت لتلك اللمحة مرة أخرى، وللدفء الذي تبثه في عظمي. بهذه الرغبة، خلعت قميصي وقفزت.

نثرت «زالي» الماء حولها، وانبعث رذاذه من فمها حين ضربتها الموجة التي تكونت عندما ارتطمتُ بالماء المترقرق، وسحبني التيار إلى أسفل بقوة غير متوقعة، فرحتُ أركُل بقدمي وأدفع الماء حتى عدت إلى السطح.

وبينما كنت أسبح بعيدًا عن هدير الشلال، كانت «زالي» تفحص الغابة خلفنا.. حيث تمتد نهايتها أبعد مما أستطيع أن أرى، أبعد من الحد الأبيض الذي كان مطابقًا لضفة البحيرة في آخر مرة.

صاحت «زالي»: «أظن أن هذه هي المرة الأولى لك في الماء؟».

«كيف عرفتِ ذلك؟».

أجابت «زالي»: «وجهُك، تبدو غبيًّا حين تكون مندهشًا».

انتشرت ابتسامة على شفتي؛ ابتسامة صارت تعاودني أكثر وأكثر في حضرتها. «أنت تستمتعين بإهانتك لي، أليس كذلك؟».

«إن لهذا متعة تشبه تقريبًا متعة ضربك بهراوتي».

هذه المرة هي التي ابتسمت، وجعل هذا ابتسامتي تزيد. قفزتْ وطفَتْ على ظهرها، ومرَّت بين أعواد الخيزران المتمايلة والزنابق العائمة.

«لو كان لدي سحرك، لقضيت كل وقتي هنا».

أومأت، رغم أنني تساءلت كيف كانت أرض أحلامي ستبدو دون أن تكون بها، كل ما أخلقه أعواد خيزران ذابلة. مع «زالي»، العالم كله يتدفق.

قلت: «يبدو أنك في الماء تكونين على طبيعتك. أنا مندهش أنك لست من سحرة المد والجزر».

«ربما في حياة أخرى». مرت بيدها عبر البحيرة، وراحت تراقب الماء وهو ينزلق من خلال أصابعها. «لا أدري السبب في هذا، كنت أحب البحيرات في إبدان، لكنها لا تقارن بالمحيط».

مثل الشرر الذي يشعل نارًا، أحاطت بي ذاكرتها: عيناها الصغيرتان مفتوحتان عن آخرهما؛ فزع الأمواج التي لا تنتهي أبدًا.

«عشت في إبدان؟». انحرفت مقتربًا أكثر، مستوعبًا المزيد منها بداخلي، ورغم أنني لم أقصد القرية الشمالية يومًا، كانت ذكريات «زالي» حية جدًّا حتى بدا كما لو كنت هناك الآن. تعجبت من المناظر الخلابة من قمة الجبل، واستنشقت هواء الجبل المنعش في رئتي.

كانت ذكرياتها عن إبدان تحمل دفئًا خاصًّا؛ العش الذي شهد قصة حب والدتها.

«لقد عشت هناك قبل الغارة». تعثر صوت «زالي» وهي تسترجع اللحظات معي. «لكن بعد ذلك...». هزت رأسها. «كانت هناك ذكريات كثيرة للغاية، ولم يكن بإمكاننا البقاء».

تكونت هوة من الشعور بالذنب في صدري، مشوبة برائحة اللحم المحترق. عادت إلى الظهور الحرائق التي شاهدتها من القصر الملكي؛ حيث تحترق حياة الأبرياء أمام عيني الصغيرتين. ذكرى كنت أقاومها كما أقاوم سحري، ويوم اشتقت أن أنساه، لكن التحديق في «زالي» الآن أعاد الأمر كله: الألم، الدموع، الموت.

«كان من المفترض ألا نبقى في إيلورين». لم تكن «زالي» تحدثني بقدر ما كانت تحدث نفسها. «لكن بعد ذلك رأيت البحر». ابتسمت لنفسها. «بابا أخبرني أننا لن نضْطرَّ أبدًا إلى المغادرة».

في أرض الأحلام، ضربتني حسرة «زالي» بقوة لا تُطاق. كانت إيلورين سعادتها، وأنا أحرقتها فسويتها بالأرض.

«آسف». شقت الكلمة طريقها عبر شفتي بصعوبة. أكره نفسي أكثر كلما تردد صداها، بدا أنها غير كافية البتة، ضعيفة في وجه ألمها.

«أعرف أنني لا أستطيع إصلاح الأمر. لا أستطيع تغيير ما قمت به، ولكن... يمكنني إعادة بناء إيلورين. حين يمر ما نحن فيه، فسيكون هذا أول شيء أفعله».

أطلقت «زالي» ضحكة خشنة، جافة، خالية من أي فرح.

«استمر في قول هذا الكلام الساذج. إن دلَّ هذا على شيء فهو أن زين على حق».

سألت: «ماذا تقصدين؟ ماذا يظن؟».

«يظن أنه حين ينتهي هذا، سيكون أحدنا ميتًا، ويخشى أن أكون أنا الميتة».

# الفصل الخامس والخمسون

# زالي

***لا أعرف*** لماذا أنا هنا؟!

لا أعرف لماذا أغْرَيتُ «عنان» بالقفز في الماء؟!

لا أعرف لماذا يرتَجِف شيءٌ بداخلي في كل مرة يسبَح فيها بالقرب مني؟!

ذكَّرت نفسي *بأن هذا* مؤقت، بل إن هذا ليس حقيقيًّا، وحين ينتهي هذا، لن يرتدي «عنان» القفاطين، ولن يرحِّب بي في أرض الأحلام.

حاولت تخيل المحارب المتوحش الذي عرفته، الأمير الصغير الذي جاءني بسيفه، لكن بدلًا من ذلك، رأيت النصلَ الذي حررني من شبكة الملثَّمين. رأيته يقف في وجه نيران «كوامي».

*لديه قلب طيب*، كلمات «أماري» منذ فترة طويلة تتردد في رأسي. اعتقدت أنها كانت في حالة نكران. لكن هل رأت منه أجزاءً لم أستطع أن أراها؟

«زالي، لن أوذيك». هزَّ رأسه وتجهَّم. «خصوصًا بعد كل ما رأيتُ».

حين رفع عينيه إلى عيني، سرَت الحقيقة بيننا. لا أستطيع تصديق أنني لم أدرك ذلك من قبل. مشاعر الذنب والشفقة التي كان يحملها... *اللعنة*.

لا بد أنه رأى كل شيء.

«اعتقدت أن أبي لم يكن لديه خيارٌ، ولقد لُقِّنتُ دائمًا أنه فعل ما فعله للحفاظ على أمن أوريشا، لكن بعد رؤية ذكرياتك...». صوته تلاشى، «لا يصح أن يمر طفل بهذا».

عدت إلى التموجات في البحيرة. لا أدري ما أقول. وبم أشعر. لقد شاهد أسوأ أجزاء مني. أجزاء لم أكن أعتقد أن بإمكاني الكشف عنها.

«والدي كان مخطئًا». كان «عنان» يتحدث بهدوء شديد، حتى إن صوت الشلال كاد يطغى عليه. «ربما كان ينبغي أن أدرك ذلك في وقت سابق، ولكن الشيء الوحيد الذي يمكنني القيام به الآن هو محاولة تصويب هذه الأخطاء».

قلت محذِّرة نفسي: لا تصدقيه، إنه يعيش في الخيال، في حلم، لكن مع كل وعد يَعِدُ به، يطير قلبي فرحًا، متمنية سرًّا أن يتحقق أحدُها، وحين نظر «عنان» إليّ، رأيت لمحةً من التفاؤل الذي يُشرق دائمًا من عيني «أماري». رغم كل شيء، فهو عاقد العزم على القيام بهذا.

إنه حقًّا يريد أن تتغير أوريشا.

*إذا كانت السماء الأم قد جلبت لك اللفافة من خلال سليل لـ «ساران»، فإن إرادتها واضحة.* كلمات «ليكان» يتردد صداها في رأسي وأنا أحدِّق في «عنان»، مفتونة بفكِّه القوي، والشعر النابت الذي يحف بذقنه. إذا كان مفترضًا أن يساعدني سليل لـ «ساران»، فهل يمكن أن تكون إرادة الآلهة هي أن يحكم «عنان» ويغير الحراس؟ هل هذا ما نفعله هنا؟ لماذا منحوه هذا السحر؟

طفا «عنان» مقتربًا وتسارعت دقات قلبي. يجب أن أسبح بعيدًا، لكنني بقيت ساكنة، كأنني مثبتة في مكاني بالأسمنت.

همس: «لا أريد أن يموت أي شخص آخر، لا أستطيع تحمل المزيد من الدم على أيادي عائلتي».

*أكاذيب جميلة.* هذا كل ما في الأمر. لكن إن كانت مجرد أكاذيب جميلة، فلماذا لا أستطيع أن أسبح مبتعدة؟

*يا للآلهة! هل يرتدي أي ملابس؟* تلكأتْ عيناي فوق صدره الفسيح، وانحناءات كل عضلة من عضلاته، لكن قبل أن ألمح أي شيء تحت الماء، رفعت عيني لأعلى سريعًا. ما هذا الذي أفعل بحق في السماء الأم؟!

أجبرت نفسي على السباحة عبر الشلال حتى استقر ظهري مستندًا إلى حافة الجرف. هذا سخف، لماذا تركته يُحضِرُني إلى هنا؟

تمنيت أن يُبقي الماء المتلاطم «عنان» على الجانب الآخر، ولكن في غضون لحظات، سبح عبر المياه المتساقطة لينضم لي.

هيا. أصدرت الأمر لساقيَّ أن تركُلا، لكن طمأنتني الابتسامة الناعمة التي على شفتيه.

«هل تريدينني أن أغادر؟».

نعم.

هذا ما أردت أن أقوله، لكن كلما سبح مقتربًا، ازداد جزء بداخلي رغبة في أن يبقى. توقف حتى لا يقترب أكثر مما ينبغي، فاضطرني للرد.

هل أريده أن يذهب؟

رغم أن قلبي يدق في صدري بعنف، كنت أعلم الإجابة.

«لا».

تلاشت ابتسامته ورقَّت نظرته، فصارت نظرة لم أرها في عينيه من قبل. عندما ينظر إليَّ الآخرون بهذه الطريقة، أشعر بالرغبة في سَمْل أعينهم، إلا أنني بطريقة ما، تحت وطأة نظرة «عنان»، أريد المزيد.

«هل أستطيع...؟». تلاشى صوته واحمر خداه، غير قادر على التعبير عن رغبته، لكنه لم يعُد بحاجة إلى كلمات، خصوصًا وجزء مني لا يمكن تجاهله يريد الشيء نفسه.

أومأت فرفع يدًا مرتعشة ومسَّد بها خدي، أسْبَلت جفني، وقد أذهلتني لمستُه البسيطة، أحرقت لمسته صدري، وأهاجت صميم كياني. انزلقت يده عن خدي إلى شعري، وراحت أصابعه تدغدغ فروة رأسي.

*يا للآلهة!...*

إذا رأى أحد الحراس هذا، فسأُقتل على الفور. حتى كأمير، يمكن أن يُزج بـ «عنان» إلى السجن.

ولكن على الرغم من قواعد عالمنا، ضمني «عنان» إليه بيده الأخرى ضمة يدعوني بها إلى الاستسلام. أغمضت عيني واقتربت، حتى صرت أقرب مما ينبغي قط إلى الأمير الصغير.

لامَسَتْ شفتاه شفتيَّ..

«زالي»!

*مال جسدي ميلة* أعادته إلى العالم الواقعي بغتة، فتحت عيني بقوة و «زين» يبعد «عنان» عني. رفعه من ياقة قفطانه ورمى به إلى الأرض.

«زين، توقف!». نهضت مترنحة، وأفسحت طريقًا بينهما.

«ابتعد عن أختي!».

«يجب أن أغادر». نظر «عنان» إليَّ للحظةٍ قبل أن يتراجع نحو الأشجار، كان يقبض على القطعة البرونزية بقوة في يديه، «سأعود إلى المخيم».

«ماذا دهاك؟». صرخت حين صار «عنان» خارج مدى السمع.

دمدم «زين»: «ماذا دهاني؟ اللعنة يا زيل، ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟ ظننت أن أذى ألم بك!».

«كنت أحاول مساعدته، لا يعرف كيف يتحكم في سحره، السحر يسبب له ألمًا..».

«بحق الآلهة، إنه العدو، إذا كان به ألم، فهذا أفضل لنا!».

«زين، أعلم أنه يصعب تصديقه، لكنه يريد إصلاح أوريشا، يحاول أن يجعلها آمنة لجميع الماجي».

«هل يغسلُ دماغك؟». هزَّ «زين» رأسه. «هل هذا سحره؟ أستطيع أن أنعتك بنعوت كثيرة يا زيل، لكن أعلم أنك لست بهذه السذاجة».

«أنت لا تفهم». نظرت بعيدًا. «لم يسبق لك أن اضطررت لهذا من قبل، لقد صرت الكوسيدي المثالي الذي يحبه الجميع، كل يوم أضطر للشعور بالخوف».

تراجع «زين» خطوات إلى الوراء وكأنني ضربته، «أنت تعتقدين أنني لا أعرف معنى أن أستيقظ كل يوم وأنا قلق من أن يكون اليوم هو آخر أيامي».

«إذن أعط عنان فرصة! أماري ليست سوى أميرة، حين يعود السحر، لن تكون الأولى في الصف، إذا استطعت إقناع ولي العهد، فسيكون ملك أوريشا المستقبلي إلى جانبنا!».

«لو أن بوسعك سماع الهراء الذي تنفثين». شدَّ «زين» شعره. «إنه غير مهتم بك يا زيل، يريد فقط أن يلج بين ساقيك!».

اشتعل وجهي، واختلطت الخيبة بالعار. هذا ليس «زين»، هذا ليس الأخ الذي أحببته.

«إنه ابن الرجل الذي قتل ماما بحق الآلهة، كيف صرتِ بائسة إلى هذا الحد؟».

صحت: «لقد أضناك شوقك لأماري! فكيف تظن نفسك أفضل مني؟».

ردَّ «زين» صارخًا: «لأنها ليست قاتلة! لم تحرق قريتنا حتى صارت والأرض سواء!».

شعرت بالهواء من حولي يطنُّ، وقلبي يدق بعنف في صدري، بينما «زين» مستمر في تقريعه، وكانت كلماته تنفذ بعمق، أحَدَّ من أي هجوم واجهته من قبل.

«ماذا سيقول بابا؟».

«أخرِجْ بابا من هذا..».

«وماما؟».

صحتُ فيه: «اخرس!». ارتفع طنين الهواء إلى أزيز ناري. كان أحلك جزء في غضبي يغلي، رغم أنني حاولت كبته.

«يا للآلهة! لو أنها علمت أنها ماتت حتى تكوني عشيقة الأمير!».

اندفع السحر مني، حارًا وعنيفًا، مستعرًا دون توجيه من تعويذة. مثل الرمح، انحرف ظل عن ذراعي، ضاربًا بضراوة الأموات.

كل هذا حدث في ومضة، صاح «زين»، ارتددت متعثرة.

حين انتهى الأمر، كان يمسك بكتفه.

تسرب الدم من تحت قبضته.

حدَّقت في يدي المرتعشتين، في ظلال الموت الغامضة التي تتلوى حولهما، وبعد لحظة تلاشت.

لكن الأذى لا يزال قائمًا.

«زين...». هززت رأسي. جرت الدموع من عيني. «لم أكن أقصد، أعدك، لم أكن أحاول ذلك!».

حدق «زين» بي وكأنه لا يعرف من أنا، وكأنني خنت كل ما بيننا.

«زين».

انطلق لا يلوي على شيء، بوجه قاسٍ، لا يعرف الصفح.

خنقت عبرتي وأنا أسقط على الأرض.

# الفصل السادس والخمسون

# زالي

***بقيت على مشارف المستعمرة*** حتى حل الغروب. لست مضطرة لمواجهة أي شخص في الأشجار، لست مضطرة لمواجهة نفسي.

حين صرت لا أستطيع مواصلة الجلوس في الظلام، عدتُ إلى خيمتي، مخيبة لآمال «زو»، وأنا أدعو ألا أصطدم بـ «زين»، لكن بمجرد أن رأتني «أماري»، هُرِعت إليَّ بقفطان من الحرير.

«أين كنت؟». أمسكت بيدي وسحبتني إلى خيمتها، وقد جردتني عمليًّا من ملابسي لتدخل رأسي في الثوب. «أوشك وقت الاحتفال ولم نصفِّف شعرك حتى!».

«أماري، من فضلك..».

«لا تفكري في مقاومتي». دفعت يدي بعيدًا وأجبرتني على الجلوس ساكنة، «هؤلاء الناس ينظرون إليك يا زالي، يجب أن تتقني دورك».

*«زين» لم يخبرها....*

هذا هو التفسير الوحيد. وضعت «أماري» لونًا قرمزيًّا على شفتيَّ وفحمًا نباتيًّا حول عينيَّ كما ينبغي أن تكون الأخت الكبرى، ثم جعلتني أفعل الشيء نفسه لها، لو أنها عرفت الحقيقة، فلن يزيدها هذا إلا خوفًا.

قالت وهي تثبت إحدى خصلات شعري: «لقد أصبح مجعدًا للغاية».

«أعتقد أنه السحر، كان شعر ماما مثل هذا».

«إن هذا يناسبك، لم أنتهِ بعدُ، ومع ذلك تبدين مذهلة».

احمرَّ خداي، وتطلعت إلى القفطان الحريري الذي أجبرتني على ارتدائه. نقوشه الأرجوانية تتشابك مع الألوان الصفراء الصاخبة والزرقاء العميقة، ويشرق بالضوء على بشرتي الداكنة. مررت بإصبعي على منحنى رقبتي المحلَّى بالخرز، متمنية أن تعيده «أماري» لمن أقرضه لها. لا أذكر آخر مرة ارتديت فيها فستانًا؛ أشعر بالعري بدون قماش يغطي ساقيَّ.

سألَت «أماري»: «ألا تحبين هذا؟».

تنهدتُ: «لا يهم، لا يهمني ما أرتدي، أريد فقط أن تمر هذه الليلة».

استفهمت «أماري» بحذر: «هل حدث شيء ما؟ هذا الصباح كنت لا تطيقين الانتظار، والآن تخبرني «زو» أنك لا تريدين إعطاء اللفافة لأحد؟».

ضغطت شفتي بشدة وأمسكت بقماش القفطان. الطريقة التي تلاشت بها الابتسامة من على وجه «زو» ملأتني بنوع مختلف من العار. كل هؤلاء الناس يتطلعون إليَّ لقيادتهم، لكني لا أستطيع حتى كبح جماح سحري.

*وليس فقط سحري..*

تأججت ذكرى جحيم «كوامي» بشدة، فشعرت بوخز بشرتي من سعيرها المتخيل، وأقنعت نفسي أنه ليس لدي ما أخشاه، لكن الآن الخوف هو كل ما أشعر به، ماذا لو لم تستطع «زو» السيطرة عليه؟ ماذا لو أنها لم تصل قط؟ لو أن «كوامي» لم يوقف، نيرانه، ما كنت أنا هنا حتى الآن.

قلت أخيرًا: «ليس هذا الوقت المناسب، لم يبق على الانقلاب سوى أربعة أيام فقط..».

«إذن فلماذا لا يُمنح هؤلاء الربانيون قدراتهم مرة أخرى الآن؟». اشتدت قبضة «أماري» على شعري، «من فضلك يا زالي، تحدثي معي، أريد أن أفهم». ضممت ركبتي إلى صدري وأغمضت عيني، مبتسمة تقريبًا لكلمات «أماري»، وتذكرت أيامًا كان فيها منظر السحر يصيبها بالذعر، والآن هي التي تقاتل من أجله و أنا أجبن.

حاولت مدافعة ذكريات وجه «زين»، أكثر النظرات التي يمكن أن أتلقاها برودة، وعرفت الرعب الذي في عينيه، وحين لمس «كوامي» حجر الشمس واشتعل، نظرت إليه بنفس الطريقة.

«هل هذا بسبب عنان؟». ألحت «أماري» بالسؤال حين بقيتُ صامتة. «هل أنت خائفة مما سيفعله؟».

«المشكلة ليست في عنان». على الأقل هذه المشكلة.

«أماري» توقفت مؤقتًا، وأطلقت شعري لتجْثُم إلى جانبي، بظهر منتصب وكتفين مستويتين، بدت أميرة حقيقية كما ينبغي لها، ملكة في ثوب ذهبي مستعار.

«ماذا حدث أثناء عدم وجودي أنا وزين؟».

على الرغم من أن قلبي توقف للحظة، فإنني احتفظت بملامح محايدة. «لقد أخبرتك بالفعل.. تعاونًا لإعادتكما».

«زالي، من فضلك، أريدك أن تكوني صادقة، أنا أحب أخي، بالفعل، لكن لم أرَ هذا الجانب منه أبدًا».

«وما هذا الجانب؟».

«معاداة والدي. القتال من أجل الماجي. شيء ما حدث له، وأنا أعلم أن الأمر يتعلق بك».

نظرت إليَّ بعينين عليمتين، فشعرت بأذنيَّ تحترقان. فكرت في أرض الأحلام، واللحظة التي كادت شفاهُنا فيها تتلامس.

«كان يعرف. هززت كتفي. «لقد رأى ما قام به والدك، وما يفعله حراسه الآن، ويريد أن يجد طريقة لتصويب ما حدث».

عقدت «أماري» ذراعيها وتقوس حاجبها. «لا بد أنك تظنين أنني عمياء أو غبية، وأنت تعرفين أنني لست عمياء».

«لا أعرف عمَّ تتحدثين..».

«زالي، لقد كان يحدق فيك، يبتسم مثل.. اللعنة، أنا لا أعرف، لم أرَه قط يبتسم بالطريقة التي يبتسم بها لك». نظرتُ إلى الأرض فأمسكتْ بذقني، مما اضطرني للنظر في عينيها. «أريدك أن تكوني سعيدة يا زيل، أكثر مما تظنين، لكنني أعرف أخي».

«ما الذي يُفترض أن يعنيه هذا؟».

توقفت «أماري»، وثبتت لفة أخرى. «إما أنه على وشك أن يخوننا، وإما أن هناك شيئًا آخر يحدث».

رفعت ذقني من قبضتها واتجهت نحو الأرض، وسرى الشعور بالذنب في كل جزء من جسدي.

«تبدين مثل زين».

«زين قلق، ولديه كل الحق في ذلك، يمكنني الوصول إليه، لكنني أولًا بحاجة إلى معرفة ما إذا كان ينبغي عليَّ ذلك».

*لا ينبغي عنيك.*

هذا هو الاختيار الواضح، ولكن على الرغم من كل شيء قام به، تظل ذكرى «عنان» وهو يحملني في المخيم قوية. أغمضت عيني وتنفست بعمق.

لا أذكر آخر مرة شعرت فيها بهذا الأمان في أحضان شخص آخر.

«عندما أخبرتني أن «عنان» له قلب طيب، اعتقدت أنك حمقاء، جزء مني يشعر بحماقتي أنا الآن، لكني رأيت هذا القلب بنفسي. لقد أنقذني من

الأسر على يد مقاتلي «زو»؛ ولقد فعل كل شيء بوسعه لاستعادتك أنت و «زين»، وعندما حانت له الفرصة للاستيلاء على اللفافة والفرار، لم يرحل، وحاول أن ينقذني».

توقفت مؤقتًا وأنا أبحث عن الكلمات التي تريد سماعها؛ الكلمات التي يكاد خوفي يمنعني من التفوه بها بصوت عالٍ.

«لديه قلب طيب، أعتقد أنه يستخدمه أخيرًا».

تململت يدا «أماري» وألصقتها بصدرها بقوة. «أماري».

أحاطتني بذراعيها واحتضنتني. تجمدت مندهشة، ولأنني لا أعرف ما الذي يمكنني عمله غير ذلك، بادلتها حضنًا بحضن ببطء.

«أعرف أن هذا لا بد أنه يبدو سخيفًا بالنسبة لك، أنا فقط...». انسحبَت بعيدًا ومسحتِ الدموع التي توشك أن تسقط من عينيها، «لقد كان عنان دائمًا محاصرًا بين الخطأ والصواب. أريد فقط أن أصدق أنه يمكن أن يكون مصيبًا».

أومأت، وأنا أفكر في الأشياء التي أريدها من «عنان». أكره كثرة تفكيري فيه اليوم، وتفكيري في شفتيه، وفي ابتسامته، وعلى الرغم من شدة مقاومتي للشوق، فإنه يظل قائمًا؛ تبقى اللهفة للشعور بلمسته مرة أخرى...

المزيد من الدموع توشك أن تسقط من عيني «أماري» فأمسحها بكُم القفطان.

قلت آمرة: «توقفي، سوف تفسدين زينتك».

أصدرت «أماري» صوتًا أنفيًا يدل على الاعتراض. «أعتقد أنك فعلت هذا لي».

«قلت لك: ألا تثقين في الفحم زينة لي؟!».

«كيف يمكنك استخدام هراوة دون أن تكون يدك ثابتة؟».

ذبنا في نوبة من القهقهة، بصوتٍ غريب للغاية، حتى إنني أُخذت به على حين غرة، لكن ضحكاتنا تلاشت حين دخل «زين» الخيمة قافزًا، وحين التقت عيناه بعيني، توقف.

في البداية، نظر إليَّ كغريبة، لكنَّ شيئًا بداخله ذاب.

سألت «أماري»: «ما هذا؟».

ارتجف ذقن «زين»، وخفض بصره إلى الأرض، «إنها... زيل تبدو مثل ماما».

مزّقت كلماته نياط قلبي، وبثت فيه الدفء في نفس الوقت. إن «زين» لا يتحدث عن ماما قط بمثل هذا. في بعض الأحيان، كنت أعتقد أنه نسيها حقًّا، لكن حين تلتقي أعيننا أُدركُ أنه مثلي تمامًا؛ يحمل ماما مثل الهواء، لا يخلو نفس يتنفسه من خاطر عنها.

«زين»...

«الموكب يبدأ». تحول إلى «أماري»، «يجب أن تنتهي».

و بهذا ذهب، عاصرًا قلبي.

دسَّت «أماري» يدها في يدي. «سوف أتحدث معه». «لا تفعلي». تجاهلت طعم المرارة على لساني. «سوف تثور ثائرته في وجهك أنت أيضًا». *وبغض النظر عما ستقولينه، سيظل الخطأ خطئي بالكامل.*

نهضت وأمسكت بأكمام ثوبي، وسوَّيت كسرة لا وجود لها. بعد حياة حافلة بالأخطاء، هناك أشياء كثيرة أندم عليها. لكن هذا... هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن أبذل أي شيء مقابل استعادته.

بصدر ضيق، اتجهت نحو المخرج، وتظاهرت بأن قلبي لا يوجعني، لكن قبل أن أستطيع الانصراف، أمسكت «أماري» بيدي مرة أخرى، مما اضطرني للبقاء.

«ما زلتِ لم تبيِّني السبب في أنك لن تعطي اللفافة لأي أحد». وقفت «أماري» وهي تتفحصني. «هناك واد كامل من الربانيين في الخارج في انتظار أن يصبحوا من الماجي، لماذا لا نعطيهم هذا؟».

ضربتني كلمات «أماري» مثل صفعات «ماما أجبا»، مثل السيف الذي أخذه «ليكان» في صدره. لقد تخلوا عن كل شيء لإعطائي فرصة مثل هذه، ومع ذلك كل ما يمكنني القيام به هو إلقاء كل هذا في الأرض.

حين فكرت لأول مرة في نشر اللفافة الليلة، لم أستطع أن أتوقف عن تخيل كل الجمال والفرح اللذين سينشرهما السحر الجديد. لأول مرة سيبدو الأمر كما كان قبل الغارة، وستكون السيادة للماجي مرة أخرى.

لكن الآن كل رباني مبتسم يتلوى بالألم الذي يمكن أن يأتي في عقبيه: سحرة الأرض يشقون الأرض تحت أقدامنا، والحَصَدة يفقدون السيطرة ويطلقون العنان لموجات الموت. لا أستطيع المخاطرة بعودة سحرهم. ليس بدون قواعد، قادة، خطط.

وإذا كنت لا أستطيع أن أفعل هذا الآن، فكيف سأستطيع إكمال الطقس؟

«أماري، إن الأمر معقد، ماذا لو فقد شخص ما السيطرة؟ ماذا لو أن الشخص الخطأ لمس حجر الشمس؟ يمكن أن نوقظ ساحرَ مرضٍ ويأخذنا الوباء جميعًا!».

«عمَّ تتحدثين؟». أمسكت «أماري» بكتفي، «زالي، من أين يأتي هذا؟».

«أنت لا تفهمين. هززت رأسي، «لم ترَيْ ما استطاع كوامي عمله، لو أن زو لم توقفه... لو أتيح هذا النوع من القوة للمشرفين على عمال التراحيل لسلطة أو لرجل مثل والدك..». جفَّ حلقي لذكرى الحريق. «تخيلي كل الناس الذين سيحرقهم إذا استطاع تسخير النيران!».

خرج كل هذا مني دفعة واحدة؛ المخاوف، العار الذي ابتليت به طوال اليوم. «وزين..». بدأت، لكنني لا أستطيع أن أنطق الكلمات. إن كنت لا أستطيع أن أثق في نفسي للسيطرة على سحري، فكيف يمكن أن أتوقع تصرفات الماجي غير المحنكين؟

«لفترة طويلة اعتقدت أننا بحاجة إلى السحر للبقاء على قيد الحياة، ولكن الآن.. الآن لا أعرف ما الصواب، ليست لدينا خطة، ولا توجد طريقة لوضع القواعد أو إرساء السيطرة. لو أننا أعدناه فحسب، يمكن أن يصاب الأبرياء بأذى».

ظلت «أماري» صامتة هُنيهة طويلة، تاركة الفرصة لكلماتي حتى تنضج على مهل. لانت عيناها وأمسكت يدي بيدها.

«أماري».

«تعالَيْ فحسب».

سحبتني إلى خارج الخيمة، وفي لحظة حدث ما أذهلني.

بينما كنا في الداخل، دبت الحياة في المستعمرة، وانفجر الوادي بطاقة شبابية، متألقًا بضوء أحمر بفضل أضواء الفوانيس الناعمة، ومرت فطائر اللحوم الشهية ولسان الحمل الحلو تحت أنوفنا، بينما تصدح موسيقى نابضة بالحياة ويدوِّي قرع الطبول فيخترق جلودنا. رقص الجميع على إيقاع الموسيقى المبهج، تطربهم إثارة المسيرة المرتقبة.

وسط صخب الاحتفال لمحت «عنان»، أكثر وسامة ما هو مسموح به لأي شخص يرتدي أجبادا زرقاء داكنة وبنطلونًا ملائمًا، وحين لمحني، فَغَرَ فاهُ، فرفرف قلبي تحت وطأة نظرته، ونظرت بعيدًا، متمنية ألا أشعر بأي

شعور آخر، اقترب، لكن قبل أن يتمكن من اللحاق بي، جذبتني «أماري» من بين الحشود.

صاحت فيه: «تعالي، لا يمكن أن يفوتنا هذا!».

اخترقنا الحشود بينما يتدافع المحتفلون ويرقصون بجانبنا. على الرغم من أن جزءًا مني يريد البكاء، مددت عنقي لاستيعاب المزدحمين، وأنا أغبط فرحتهم، وأغبط حياتهم.

كان أطفال أوريشا يرقصون وكأنهم لا ينتظرون، ويشكرون الآلهة في كل خطوة، تمجِّد أفواههم نشوة التحرر، وقلوبهم تغني أغاني يوروبا للحرية. رقصت أذناي على وقع كلمات لغتي، كلمات اعتقدت يومًا أنني لن أسمعها خارج رأسي. بدا أن الهواء يشرق بفرحتهم.

كأن العالم كله صار قادرًا على التنفس مرة أخرى.

«تبدين رائعة!». ابتسمت «زو» وهي تأخذني إلى الداخل، «كل الصبيان سيموتون لهفة للرقص معك، على الرغم من أنني أعتقد أنك ربما ستكونين محجوزة».

أملت رأسي وتبعت إصبعها إلى «عنان». كانت عيناه تلاحقانني مثل ليونيرة طريدة، أردت أن أوقف نظرته، وأوقف الفوران الذي يغلي تحت جلدي حين ينظر لي بهذه الطريقة، لكنني أرغمت نفسي على الالتفات.

لا يمكنني إيذاء «زين» مرة أخرى.

«*ماما! أوريشا ماما! أوريشا ماما، آوا أون ديوبي بي إيجبو إيجبي وا ...*»

كلما اقتربنا من المركز، علا صوت الغناء. أعادني هذا إلى جبال إبدان، حين كانت ماما تستخدم هذه الأغنية حتى أستغرق في النوم، وكان صوتها يتدفق غنيًّا وناعمًا، مثل المخمل والحرير. استعدت الإحساس المألوف بينما كانت فتاة صغيرة بصوت قوي تقود الجموع.

«*ماما، ماما، ماما ..*».

بينما ملأت الأصوات الليل بأغنيتها السماوية، دخلت الدائرة ربانية شابة ذات بشرة بنية فاتحة وشعر أبيض قصير، وكانت ترتدي ثوبًا أزرق غنيًّا، وتبدو فيه كأنها لوحة «ليكان» لإيموجا، الإلهة التي أخذت دموع السماء الأم، دبت فيها الروح، وكانت الربانية تلف وتدور مع الأغنية، وعلى رأسها جرة ماء، وحين وصلت الجوقة إلى الذروة، ألقت بالماء في الهواء وفتحت ذراعيها على اتساعهما والماء ينهمر على بشرتها مرة أخرى.

ارتفعت صيحات الحشود حين دارت الربانية خارجة من الدائرة ودخلت «فولاكي» وراقصة، وانعكس الضوء على خرزات قفطانها الأصفر، فتلألأت وهي تتحرك على بشرتها، وكانت تعابث الجميع بابتسامة، وحظي «كوامي» بالنصيب الأكبر، وحين وصل ترقب المحتشدين إلى ذروته، انبعث الضوء من يديها، وهتفت الحشود حين انطلقت شرارات الضوء الذهبي من يديها، راقصة معها خلال المخيم.

«*ماما، ماما، ماما* ..».

دخل الحلقة رباني بعد رباني، يرتدي كل منهم ملابس مثل أطفال السماء الأم، ورغم أنهم لا يقدرون على الإتيان بالسحر، ملأ تقليدهم الحشد بالبهجة، وفي النهاية، تقدمت فتاة في نفس سني، كانت ترتدي حريرًا أحر هفهافًا، وغطاء رأس مطرزًا بالخرز يتلألأ على بشرتها. «أويا»... شقيقتي المعبودة.

ورغم أن هذا لا يقارن بتألق «أويا» في رؤاي، كانت الربانية تتمتع بهالة سحرية خاصة بها، مثل «فولاكي»، كانت لديها جدائل بيضاء طويلة تدور وهي ترقص وتلتف حولها مثل الحرير الأحمر، وفي إحدى يديها كانت تحمل مذبَّة عليها توقيع «أويا»، عبارة عن سوط قصير من شعر ليونيرة، وبينما كانت تديرها حول الدائرة، كانت مدائح الربانية تتعالى.

«أنت جزء من هذا يا زالي». شبكت «أماري» أصابعها بأصابعي، «لا تدَعِي أي شخص يسلب هذ السحر».

# الفصل السابع والخمسون

## أماري

***على الرغم من انتهاء الموكب***، استمرت الموسيقى والرقص حتى وقت متأخر من الليل. قضمتُ فطيرة موان موان أخرى وأنا أشاهد الاحتفالات، مستمتعة بذوبان كعكة الفول المدخنة في فمي، ومرَّ رباني حاملًا طبق شوكو شوكو، فكدت أبكي حين لمس جوز الهند الحلو لساني.

«حان الوقت».

دغدغت أنفاس «زين» أذني، فشعرت بوخز خفيف ممتع في عنقي، وفي لحظة نادرة كان وحده، وقد تحرر من تدافع الفتيات الربانيات اللاتي كن يحاولن طوال الليل لفت انتباهه.

سألت: «عفوًا؟». وأنا ألتهم ما بقي من الشوكو شوكو.

« لقد كنت أبحث عنك، أنت شخص يصعب العثور عليه».

مسحتُ الفُتات عن شفتي، وأنا أرجو إخفاء حقيقة أنني أمضيت نصف المهرجان في الأكل. رغم أن ثوبي في البداية كان مثاليًا، الآن تكاد العُرَى تتمزق عند فخذي.

«حسنًا، يفترض أن يكون من الصعب أن تجدني حين يوجد قطيع من الفتيات في طريقك أنَّى اتجهت».

«أعتذر مولاتي الأميرة». ضحك «زين»، «لكن ينبغي أن تعرفي أن الأمر يتطلب وقتًا هنا للوصول إلى أجمل فتاة».

رقَّت ابتسامته، تمامًا مثل الليلة التي ألقاني فيها بالنهر وضحك حين حاولت رميه هو أيضًا، كان جانبًا نادرًا منه؛ بعد كل ما حدث منذ ذلك الحين، لم أكن متأكدة متى سأرى هذا الجانب مرة أخرى.

«ما الأمر؟».

«فقط أفكر». هززت كتفي واستدرت نحو بحر الربانيين الراقصين مرة أخرى. « لقد كنت قلقة عليك، أنت متسامح، لكن التعرض للتعذيب في هذه الخيمة لم يكن سهلًا».

أصدر «زين» صوتًا يدل على الشك وابتسم، «يمكنني التفكير في كثير من الطرق الأفضل لقضاء ليلة مع فتاة محبوسة في خيمة».

تضرج وجهي بحمرة شديدة أثق أنها كانت تتناقض بشدة مع الظلال الذهبية لثوبي، «أظن أن تلك الليلة كانت أول مرة أقضي فيها الليل مع صبي».

أصدر «زين» صوتًا يدل على الاعتراض وقال: «هل كان هذا هو كل ما حلمت به؟».

«لا أدري...». ألصقت إصبعي بشفتي. «كنت دائمًا أتخيل عبودية أقل».

لدهشتي أطلق ضحكة أعلى من أي ضحكة كانت له في وجودي، وأشعرني صوت ضحكته بالزهو. لم أجعل أحدًا يضحك على هذا النحو منذ «بينتا». كلمات غير منطوقة تسبح بداخلي، لكن قبل أن أتمكن من الرد، لفت انتباهنا صوت قهقهة.

استدرت لأجد «زالي» على بعد بضع خيام، ترقص عند حافة المحتشدين. كانت تضحك وهي ترتشف زجاجة من نبيذ النخيل، وتدير طفلًا ربانيًا المرة تلو الأخرى. رغم أني ابتسمت لابتهاجها، فإن وجه «زين» أظلم مكتسيًا بالحزن الذي ظهر عليه في الخيمة، لكن كل الحزن تلاشى عندما لمح «زين» «عنان». كان أخي يحدق في «زالي» وكأنها الوردة الحمراء الوحيدة في حديقة من الزهور البيضاء.

«هل ترى هذا؟ ». أمسكت يد «زين» وسحبته إلى دائرة من الربانيين المهللين، وسرت رجفة في أحشائي حين التفَّت يده مرة أخرى على يدي.

اخترق «زين» الحشد بذراعين عريضتين كراعٍ يتحرك خلال قطيع من الأغنام، وفي غضون لحظات وصلنا إلى الراقصة النابضة بالحيوية في مركز الدائرة، والتي تغمرها الحيوية وحب الحياة. كان فستانها المطرز يتلألأ في ضوء القمر، وتبرز كل هزة ودورة لفخذيها، وكل ثنية في جسمها تدور مع إيقاع الموسيقى، مما يؤدي إلى كهربة الحشد مع كل قفزة.

وكَزَني «زين» لأستمر في السير فأمسكت بذراعه، «ماذا تفعل بحق الآلهة؟!».

ضحك وهو يقول: «ادخلي، لقد حان الوقت لأرى حركاتك».

ضحكت وأنا أقول: «لقد أسرفت في شرب الأوجوجورو».

سأل «زين»: «ماذا لو ذهبت؟ إن فعلت، فستفعلين؟».

«بالطبع لا».
«هل هذا وعد؟».
«زين، قلت: لا».
قفز إلى الدائرة، مفاجئًا الراقصة، جاعلًا الحشد يتراجع إلى الوراء. للحظة طويلة، لم يتحرك أي حركة، وراح يفحص الجميع بجدية وهمية يكتسي بها وجهه، لكن عندما دوت أبواق الأغنية، انفجر في الرقص فعليًا، كان يهتز ويتقافز كأن نمل النار قد سقط في بنطلونه.
ضحكت بشدة حتى صرت لا أستطيع التنفس، وتشبثت بالربانية التي بجواري حتى أظل قائمة. كانت كل حركة يقوم بها تجلب له مزيدًا من الهتافات، ما جعل دائرة المتفرجين تتضاعف حجمًا.
وبينما كان يهز كتفيه ويهبط على الأرض، عادت الفتاة الراقصة وانضمت إليه، وراحت تدور حول الحيز الفارغ. شعرت بوخز في جلدي وهي تتحرك، والإغواء يقطر من كل ثنية في وركيها. رمقت «زين» بنظرة لعوب جعلتني أتجهم، كيف يمكن أن أتفاجأ؟ بابتسامته الطيبة، و بنيانه القوي المهيب..
أحاطت يداه الخشنتان بمعصمي، يدان كبيرتان، يدا «زين».
«زين، لا!».
طغت شقاوته على خوفي، وقبل أن أدرك ما يحدث، كنت أقف في مركز الدائرة. تجمدت، غير قادرة على الحركة بينما ينظر إليَّ ما لا يعد ولا يحصى من الأعين، استدرت محاولة الهرب، لكن «زين» أمسك بي بقوة، وأدارني فشعرت كأن العالم كله يراني.
صرخت: «زين». لكن رعبي ذاب فصار ضحكًا لا أستطيع إيقافه. الإثارة تجتاحني ونحن نتحرك، وقد اعتادت حركاتي الخرقاء بطريقة ما على الإيقاع. للحظة اختفى الحشد وصرت لا أرى إلا «زين».. ابتسامته، عينيه البنيتين.
يمكن أن أعيش دهرًا هكذا، أدور وأضحك في أمان ذراعيه.

# الفصل الثامن والخمسون

# عنان

***لم تكن «زالي» قط أكثر جمالًا*** مما هي عليه الآن.

يدًا بيد مع صبي رباني صغير، كانت تشرق في فستانها الأرجواني الناعم، إلهة دائرة بين الحشد. برزت رائحة ملح البحر لروحها فوق الروائح الهائلة لأطعمة المهرجان، وقد أصابتني بقوة كاملة.

موجة محيطية تجذبني للأعماق.

وأنا أشاهدها، كان من السهل تقريبًا نسيان كل ما يتعلق بالماجي، الملكية، أبي. في هذه اللحظة، كل ما يمكنني التفكير فيه هو «زيل». كانت ابتسامتها تضيء العالم مثل قمر مكتمل في ليلة بلا نجوم.

حين صارت لا تستطيع الدوران، منحت الطفل حضنًا. صرخ الطفل حين طبعت قبلة على جبينه، لكن بمجرد أن ابتعد، تقدم ثلاثة شباب لأخذ مكانه.

«معذرة..».

«مرحبًا، أنا ديكا..».

«تبدين جميلة الليلة».

ابتسمت وهم يحاولون لفت انتباهها، وكان كل منهم يحاول أن يعلو بصراخه على الآخرين، وبينما كانوا يثرثرون، أحطت جنب «زالي» بذراعي واحتضنتها.

«تسمحين لي بهذه الرقصة؟».

استدارت مغضبة، ثم أدركت أنه أنا، وحين ابتسمت، أدهشتني فرحتها، ثم لهفتها، ولمحة من خوف. مر «زين» بذهنها، وأنا أضمها أكثر، «سآخذك إلى حيث لا يستطيع أن يرانا».

سرت دفقة دفء من جسدها إلى جسدي، وضاقت قبضتي حولها، «سأعتبر هذا قبولًا».

أمسكت بيدها وقدتها خلال الحشد، متجاهلاً حملقات مطارديها. شققنا طريقنا نحو الغابة على حافة المخيمات، بعيدًا عن الاحتفال

والرقص، وكان الهواء البارد نسيمًا مستطابًا، يحمل رائحة غنية من نيران المخيمات والجذوع والأوراق الرطبة.

«أنت واثقة أنك لا ترين زين؟».

«نعم».

«ماذا عن؟.. ألف سلامة!».

تعثرت «زالي» فسقطت على الأرض، وأفلتت قهقهة تليق بفتاة من فمها، بينما كنت أكتم ضحكتي لمساعدتها، استقبل أنفي نفحة من رائحة نبيذ عسل النخيل.

«اللعنة يا زيل، هل أنت ثَمِلة؟».

«أتمنى، كل من قاموا بتعتيق هذه الخمر واضح أنهم كانوا لا يدرون ما يفعلون». أخذت يدي في يدها ومالت نحو شجرة للاستناد إليها. «أعتقد أن كل هذا الدوران مع سَليم أفقدني توازني».

«سأحضر لك ماءً».

هممت بالانصراف، لكن «زالي» أمسكت بذراعي.

«ابق». انزلقت أصابعها على يدي، فسرت رجفة في جسدي من لمستها.

«هل أنت واثقة؟».

أومأت وقهقهت مرة أخرى. ضحكها المنغوم زادني قربًا.

«لقد طلبت مني أن أرقص». لمعت عيناها الفضيتان ببريق عابث. «أريد أن أرقص».

مثل الفتيان المتحمسين الذين أحاطوا بـ «زالي» من قبل، خطوت إلى الأمام، قريبًا بما يكفي لاستنشاق أقل شذى لنبيذ النخيل في أنفاسها، وحين أنزلت يدي على معصمها، أغمضت عينيها وأخذت نفَسًا عميقًا، وغرزت أصابعها في جذع الشجرة.

رد فعلها ملأ كل خلية في كياني بالرغبة، في فورة غريزية لم أعهدها من قبل. كان كل جزء مني يدعوني إلى تقبيلها، وأن أمر بيدي على منحنيات جسمها وأدفعها بقوة إلى الشجرة.

حين فتحت عينيها مرة أخرى في تراخ، ملت نحوها حتى مست شفتاي أذنيها، «إن كنا سنرقص فعلًا، يجب أن تتحركي يا صغيرتي زيل».

تجمدت.

«لا تناديني بهذا الاسم».

«يمكنك أن تناديني بالأمير الصغير، ولا يمكنني أن أناديك صغيرتي زيل؟». هبطت يداها إلى جنبها، أدارت وجهها بعيدًا، «كانت ماما تناديني بهذا الاسم».

*اللعنة.*

أطلقتها من بين ذراعي، وتمكنت بصعوبة من تفادي اصطدام رأسي بالشجرة، «أنا آسف يا زيل، لم أكن..»

«أعرف».

حدقت في الأرض. اختفى مرحها، وغرقت في بحر من الأحزان، ولكن بعد ذلك سرت موجة من الرعب بداخلها.

«هل أنت بخير؟».

تشبثت بي دون سابق إنذار، ووضعت رأسها على صدري. تغلغل خوفها في جلدي، والتف حول رقبتي، كان الخوف يستنفذها -كثيفًا وعاتيًا- تمامًا مثل ذلك اليوم الذي كان في الغابة، إلا أن ما يرعبها الآن ليس الملكية، بل ظلال الموت التي تنبعث متراقصة من يديها.

أحطتها بذراعي وضممتها، لا يوجد ما أضِنُّ به كي أبعد عنها هذا الخوف. بقينا هكذا لفترة طويلة، حتى تلاشى أحدنا بين ذراعي صاحبه.

«لك رائحة مثل رائحة البحر».

رفعت إليَّ عينين طارفتين.

قلت موضِّحًا: «روحك. كانت دائمًا تحمل رائحة مثل رائحة البحر».

حدقت في وجهي بتعبير لم أدرك كنهه. أنفقت وقتًا طويلًا جدًّا في محاولة فك شفرته. يكفي أن أضيع في عينيها، أن أكون موجودًا فقط في نظرتها الفضية.

دسست خلف أذنيها لفة منسدلة من شعرها. أراحت وجهها مرة أخرى على صدري.

«لقد فقدت السيطرة اليوم». خرج صوتها كسيرًا، «لقد جرحته، لقد جرحت زين».

فتحت عقلي أكثر قليلًا، حتى اجتزت نقطة الراحة البحتة فحسب، واندفعت ذكرى «زالي» داخلة كموجة منسكبة على الشاطئ.

شعرت بكل شيء؛ كلمات «زين» السامة، الظلال التي تأججت، الشعور بالذنب، والكراهية، والعار الذي خلفه سحرها.

ضممت «زالي» أكثر، وسرت دفقة من الدفء بداخلي حين ضمتني بدورها، «لقد فقدت السيطرة ذات مرة أنا أيضًا».

«هل أصبت شخصًا ما؟».

قلت بهدوء: «مات شخص ما؛ شخص كنت أحبه».

تراجعت ورفعت عينيها، والدموع تترقرق فيهما. «أهذا هو السبب في خوفك الشديد من سحرك؟».

أومأت. ندمي على موت «كايا» يطعنني بسكين. «لم أكن أريد أن يؤذى شخص آخر».

مالت «زالي» على صدري مرة أخرى وأطلقت زفرة طويلة. «لا أدري ماذا أفعل».

«بخصوص؟».

*«السحر»*.

اتسعت عيناي. من بين كل الأشياء التي تخيلتها، لم أظن مطلقًا أن أسمع بهذا الشك من فمها.

«هذا هو ما أريده». أشارت «زالي» بيد إلى صخب المهرجان. «هذا هو كل ما كنت أقاتل من أجله، لكن عندما أفكر فيما حدث. انقطع صوتها. ملأت كتف زين النازفة عقلها. «هؤلاء الناس طيبون، قلوبهم نقية، ولكن ماذا يحدث إذا أعدت السحر وحاول ماجي خطأ السيطرة على الأمور؟».

خوف مألوف للغاية، بدا وكأنه خوفي، لكن بطريقة ما لا يكاد يكون بنفس قوته السابقة، حتى حين أعود بالذاكرة إلى «كوامي» وسط ألسنة اللهب، فالصورة الأولى التي تتبادر إلى ذهني هي كيف تناثرت حين أمرته «زليخة» بالتوقف.

فتحت «زالي» فمها للاستمرار، لكن الكلمات لم تخرج، حدقت في شفتيها الممتلئتين، حدقت لفترة أطول مما ينبغي حين عضتهما.

تنهدت قائلة: «هذا ظلم شديد».

نظرت إليها، من الصعب تصديق أن كلينا مستيقظ. كم مرة أردت أن أضمها على هذا النحو! أن تضمني إليها هي الأخرى!

«أنت ترقص في ذهني بينما ليس لدي أي فكرة عما يجري في ذهنك».

«أتريدين حقًّا أن تعرفي؟».

«بالطبع أريد أن أعرف!». التصق فمي برقبتها، شعرت بلهاثها وأنا أمسّد ظهرها بيدي. أفلتت آهة خافتة من بين شفتيها.

همست: «هذا». كان فمي يمس بشرتها مع كل كلمة. «هذا هو ما أفكر فيه، هذا هو ما يدور في عقلي».

قالت بصوت خفيض مجهد: «عنان». أنشبت أظفارها في ظهري وراحت تشدني نحوها. كل خلية في جسدي تريدها. تريد هذا طوال الوقت.

مع هذه الرغبة، كل شيء يتضح. بدأ كل شيء يكتسب معنى.

لسنا بحاجة للخوف من السحر.

نحن فقط يحتاج أحدنا الآخر.

# الفصل التاسع والخمسون

# زالي

***لا يمكنك ذلك.***

لا يمكنك ذلك.

لا يمكنك ذلك.

بغض النظر عن عدد المرات التي كررت فيها هذه الكلمات، كانت رغبتي تتأجج مثل ركوبة أفْلَت زمامها.

سيقتلنا «زين» لو اكتشف الأمر، لكن حتى مع مرور هذا الخاطر برأسي، كانت أظافري تخمش ظهر «عنان». كنت أسحبه إلى حضني، وألتصق به حتى أشعر بخطوط جسده القوية. أردت أن أستزيد من هذه المشاعر، أردت أن أشعر به.

«عودي معي إلى لاجوس».

فتحت عيني بصعوبة، غير متأكدة ما إذا كنت قد سمعته بشكل صحيح.

«ماذا؟».

«إذا كانت الحرية هي ما تريدينه، فعودي إلى لاجوس معي».

بدا الأمر مثل الغوص في بحيرات إبدان الباردة؛ صدمة في الصميم أخرجتني من خيالنا معًا، عالم فيه «عنان» مجرد صبي في قفطان أنيق؛ ماجي، وليس أميرًا.

«لقد وعدت بأنك لن تعترض طريقي..».

قاطعني «عنان» قائلًا: «سأفي بوعدي، لكن ليس هذا مقصدي يا زالي».

بدأت جدران تتكون حول قلبي، جدران أعلم أنه يمكن أن يشعر بها. ابتعد عني، وسحب يديه من على ظهري إلى جانبي وجهي.

«حين تعيدين السحر، سيقاتل النبلاء بضراوة لمنعك، ستحدث الغارة مرارًا وتكرارًا، ولن تنتهي الحرب حتى تقضي على جيل كامل من الأوريشيين».

نظرت بعيدًا، لكن في أعماقي كنت أعرف أنه على صواب. هذا هو السبب في أن الخوف لن يتلاشى، والسبب في أنني لا أستطيع أن أسمح لنفسي بالاحتفال حقًّا. بَنَت «زو» جنةً، ولكن حين يعود السحر، سينتهي الحلم، السحر لا يعطينا السلام.

إنه فقط يعطينا فرصة للقتال.

سألت: «كيف ستحل عودتي إلى لاجوس أيًّا من هذا؟ بينما نحن نتحدث الآن، أبوك يطالب برأسي!».

«أبي خائف». هزَّ «عنان» رأسه. «إنه مُضلَّل، ولكن لخوفه ما يبرره. كل ما رأته الأسرة الملكية هو التدمير الذي يمكن أن يحدثه الماجي. لم يشهدوا شيئًا مثل هذا». أشار إلى المخيم، وقد أشرق وجهه بالكثير من الأمل حتى إن ابتسامته كانت متوهجة عمليًّا في الظلام. «أوجدت زليخة هذا في شهر واحد، وهناك بالفعل عدد من الماجي في لاجوس أكثر من أي مكان آخر في أوريشا، فقط تخيلي ما يمكننا عمله بدعم من الموارد الملكية».

«عنان..». بدأت أقاوم، لكنه أزاح جديلة من شعري خلف أذني وزحف بإبهامه على رقبتي، «إذا أتيح لوالدي أن يرى هذا... *أن يراك*...».

من لمسة واحدة، كل شيء بداخلي يرتعش، ويدفع عني شكي، ارتميت في حضنه، نَهِمة للمزيد.

«سيرى ما رأيته على يديك». احتضنني «عنان» أكثر. «ماجي اليوم ليسوا الماجي الذين حاربهم. إذا بنينا مستعمرة مثل هذه في لاجوس، فسيفهم أنه لا يوجد ما يخشاه».

«هذه المستعمرة نجت فقط؛ لأن أحدًا لا يعلم أين نحن. لن يسمح أبوك أبدًا للماجي بالتجمع في أي مكان إلا مقيدين بالسلاسل مع عمال التراحيل».

«لن يكون أمامه خيار». شدد «عنان» قبضته، وقد توهجت شرارة التحدي لأول مرة. «حين يعود السحر، لن يقوى على القضاء عليه، وسواء اتفق معي في البداية أم لا، وبمرور الوقت سيفهم ما هو الأفضل، ويمكننا أن نتحد في مملكة واحدة لأول مرة، أماري وأنا سنقود المرحلة الانتقالية، يمكننا أن نفعل ذلك إن كنت موجودة إلى جانبنا».

أضاءت شعلة أمل بداخلي، شعلة ينبغي أن أخمدها. بدأت رؤية «عنان» في التبلور في ذهني. الهياكل التي يمكن أن يقيمها سحرة الأرض،

التقنيات التي يمكن لـ «ماما أجبا» أن تعلمنا إياها جميعًا، ولن يضطر بابا أبدًا للقلق بشأن الضرائب مرة أخرى. يمكن أن يقضي «زين» بقية حياته في لعب الأج.. قبل أن أنتهي من الخاطرة، اجتاحني الشعور بالذنب، أدت ذكرى الدم المتسرب من تحت يدي أخي إلى إخماد أي حماسة.

همست: «لن يفلح هذا، سيظل السحر خطيرًا جدًّا، يمكن أن يصاب أناس أبرياء بأذى».

«قبل بضعة أيام كنت سأقول الشيء نفسه». تراجع «عنان» إلى الوراء. « لكنك أثبتِّ لي هذا الصباح أنني خطأ، بدرس واحد فقط، أدركت أنني يمكن أن أمتلك السيطرة في يوم من الأيام فعلًا. إذا علمنا الماجي كيف يقومون بالشيء نفسه في مستعمرات مكرسة، يمكنهم دخول أوريشا مجدَّدًا بعد تدريبهم».

لمعت عينا «عنان» وبدأت كلماته في التدفق معًا.

«زالي، فقط تخيلي ما يمكن أن تصير إليه أوريشا. المعالجون مثل زو سيقضون على المرض، ويمكن لفريق من سحرة الأرض وسحرة المعادن القضاء على الحاجة لعمال التراحيل. بحق السماوات، فكري في الشراسة التي سيقاتل بها الجيش تحت قيادة عائديك».

ألصق جبينه بجبيني، واقترب مني لدرجة منعتني من التفكير بوضوح.

قال بهدوء: «ستكون أوريشا جديدة، أوريشانا، بلا معارك، بلا حروب، يظلها سلام عادل».

*سلام...*

لقد مر وقت طويل مذ عرفت هذه الكلمة لآخر مرة، السلام الذي أحصل عليه فقط في أرض الأحلام، الراحة التي تأتيني من الارتماء بين ذراعي «عنان»، للحظة، سمحت لنفسي أن أتخيل نهاية لصراع الماجي، ليس بسيوف وثورة، ولكن بسلام.

مع «عنان».

«هل أنت جاد؟».

«أنا أكثر من جاد يا زيل، أنا أحتاج هذا، أريد أن أفي بكل وعد وعدتك به، لكنني لا أستطيع هذا بمفردي، لا يمكنك فعل هذا بالسحر فقط، لكن معًا...». ارتسمت ابتسامة شهية على شفتيه، وجذبني إلى حضنه، «لن يوقفنا شيء، سنكون فريقًا لم تره أوريشا من قبل».

تجاوزته بعيني إلى الربانيين الراقصين، ووقعت عيني على الشاب الذي رقصت معه في الزحام. دار «سليم» حول نفسه دورات كثيرة حتى تعثر وسقط في العشب.

أنزل «عنان» يده عن خدي، وشبك أصابعه في أصابعي، وانتشر دفئه فوقي مثل بطانية ناعمة وهو يشدني إلى حضنه. «أعرف أن قدَرَنا أن نعمل معًا». خفض صوته حتى صار همسًا. «أعتقد... أن قدَرَنا أن نكون معًا».

كلماته جعلت رأسي يدور؛ كلماته أو الكحول، لكن من خلال الضباب كنت أعلم أنه على حق، هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يجعلنا جميعًا آمنين، القرار الوحيد الذي يمكن أن ينهي هذه المعركة التي لا نهاية لها.

«اتفقنا».

فحصني «عنان» بعينيه، وغرَّد الأمل من حوله مثل دقات طبل خافتة في الهواء.

«حقًّا؟».

أومأت. «علينا أن نقنع زين وأماري، ولكن إن كنت جادًّا..».

«زيل، لم أكن أكثر جدية من هذا بخصوص أي شيء من قبل».

«عائلتي ستضطر للمجيء إلى لاجوس أيضًا».

«لا يمكن أن يكون لي رأي آخر».

«وما زال عليك إعادة بناء إيلورين..».

«سيكون أول شيء يفعله سحرة الأرض وسحرة المد والجزر!».

قبل أن أتمكن من إبداء اعتراض آخر، أحاطني «عنان» بذراعيه ودار بي في الهواء، واتسعت ابتسامته فبلغت حدًّا استحال معه ألا أبتسم أنا أيضًا، ضحكت وهو ينزلني، رغم أن لحظة مرت قبل أن يتوقف العالم عن الدوران.

«ربما لا ينبغي أن نقرر مصير أوريشا ونحن ندور في هواء إحدى الغابات».

غمغم موافقًا، صاعدًا بيديه في بطء على جانبي إلى وجهي. «ربما لا ينبغي أن نفعل هذا أيضًا».

«عنان».

قبل أن أتمكن من بيان أننا لا يمكننا هذا، وأن فأس «زين» حديثة الشحذ وتقبع على بعد بضع خيام فقط، ألصق «عنان» شفتيه بشفتي

فغام كل شيء. كانت قبلته رقيقة لكنها قوية، تندفع داخلي برفق، وشفتاه... طريتان.

أطرى من أي شفاه تخيلتها.

أنارت شفتاه كل خلية في جسدي، وبثتا الدفء أسفل ظهري، وحين ابتعد أخيرًا، كان قلبي ينبض بسرعة كأنني انتهيت لتوِّي من القتال. أبطأ «عنان» في فتح عينيه، بينما كانت ابتسامة شهية تغمر محيَّاه.

«آسف...». داعب بإبهامه شفتي السفلية، «هل تريدين العودة إلى الداخل؟».

نعم.

عرفت ما ينبغي أن أفعله، وربما ما أحتاج إلى فعله، لكن الآن بعد أن ذقت الطعم، تكسَّر كل قيد بداخلي.

اتسعت عينا «عنان» وأنا أمسك رأسه وأعيد وضع شفتيه على شفتي عنوة.

يمكن أن تصبر الحشمة حتى غد.

أما الليلة فأنا أريده.

# الفصل الستون

# أماري

***قهقهت كما*** لم أفعل منذ سنوات، بينما «زين» يدور بي مرات ومرات، انحنى ليرفعني مرة أخرى، لكنه توقف وتركني على الأرض. سقطت الابتسامة التي كانت تمتد من الشدق إلى الشدق مع حبات عرقه، وتبعت خط بصره في الوقت المناسب لأرى «عنان» يمسك بوجه «زالي»، ويعانقها مقبّلًا لها.

*اللعنة!*

أفلتت شهقة من بين شفتي، وشعرت أن شيئًا تأجج بينهما. لم أكن أدري فحسب أن الشرارة ستندلع بهذه السرعة، لكن بمشاهدة الطريقة التي يُقبّل بها «عنان» «زالي» الآن، تثور أسئلة أخرى؛ هذه الرقة التي يحتضنها بها، وكيف تجول يداه، وجذبه لها إلى..

احمر خداي واستدرت؛ هذا الحضن به من الحميمية ما لا ينبغي التلصص عليه، لكن «زين» لا يشاركني الانزعاج، لم يبدِ أي رد فعل سوى المزيد من التحديق. كانت كل عضلة من عضلاته مشدودة، وازدادت عيناه سخطًا، واختفت كل متعة.

«زين»...

اندفع مارًّا بي وقد تشنج استعدادًا للهجوم بهياج لم أره من قبل.

«زين!».

كان يسير وكأنه لا يستطيع رؤيتي، وكأنه لن يتوقف حتى يطبق بيديه على رقبة أخي.

ثم أمسكت «زالي» بـ «عنان» وجذبت شفتيه إلى شفتيها.

أوقف المنظر «زين» في منتصف خطوته، وتعثر وسقط على ظهره، وكأن صدمة أصابت جسده، ثم نهض على حين غرة، منحنيًا في نصفين مثل غصن صغير بين قبضات مكوّرة.

مرَّ بي متمهلًا نحو حشد الربانيين، مخترقًا المهرجان إلى أراضي المخيم، وكنت أكافح حتى أجاري وثباته مندفعًا إلى داخل خيمته، تجاوز

«نائلة» وحقيبة «زالي» ليأخذ بمقبض فأسه...

«زين، لا!».

نزلت صرخاتي على آذان صماء وهو يدفع بالفأس في حقيبته، إلى جانب عباءته، طعامه... بقية متعلقاته.

«ماذا تفعل؟».

تجاهلني «زين»، وراح يدخل عباءته بعنف كأنها قبّلت أخته هي الأخرى.

مددت يدي لألمسه، لكنه نحّى كتفه بعيدًا، «زين»...

قال صارخًا: «ماذا؟». ففزعت، وارتجفت.

«آسف، أنا فقط.. لا يمكنني فعل هذا، انتهى الأمر».

«ماذا تقصد بأن الأمر قد انتهى؟».

لفّ «زين» الأحزمة الجلدية حول ظهره وأحكم شدها، «سأرحل، يمكنك أن تأتي معي إن أردت ذلك».

*«انتظر، ماذا؟»*.

لم يتوقف «زين» لإعطائي إجابة، قبل أن أتمكن من قول أي شيء آخر، مرق خارجًا عبر ستائر الخيمة، وتركني وسط ظلمة الليل.

«زين!».

انطلقت وراءه، لكنه لم يحاول الانتظار. اندفع عبر أراضي المخيم، مخلّفًا كل آثار المهرجان وراء ظهره، وأتاني هدير نهر جومبي الخافت في جريانه مسرعًا وسط العشب البري، وقطع الطريق كله إلى الوادي التالي قبل أن ألحق به أخيرًا.

*«زين، من فضلك!»*.

توقف، لكن كانت ساقاه مشدودتين وكأنه مستعد للإقلاع في أي لحظة.

توسلت قائلة: «هل يمكنك فقط أن تتمهل؟ فقط.. فقط خذ نفَسك! أعرف أنك تكره عنان، ولكن..».

«أنا لست مهتمًا بعنان، كل واحد يمكن أن يفعل ما يريده بحق الجحيم، فقط أخرجيني من هذا».

سرت قشعريرة في صدري من قسوة كلماته، فانتزعت كل ما بثه من دفء فيه من قبل، ورغم أن ساقيَّ كانتا ترتعشان، فإنني أجبرتهما على المضي قدمًا، «أنت منزعج، أنا أفهم، لكن..».

«منزعج؟». زوى «زين» ما بين عينيه. «أماري، لقد سئمت القتال من أجل حياتي، وتعبت من دفع ثمن أخطاء الجميع. سئمت من فعل كل ما أستطيع حتى أبقيها آمنة، بينما كل ما تفعله هو إلقاء هذا على الأرض! خفض رأسه وتهدلت كتفاه. لأول مرة منذ التقيت به يبدو صغيرًا. من المحبط رؤيته على هذا النحو. «طوال الوقت أتوقع منها أن تنضج، لكن ما الذي يجعلها تنضج طالما أنني موجود دائمًا؟ ولماذا تتغير بينما أنا في الانتظار فحسب لإزالة آثار ما ترتكبه من أخطاء؟».

اقتربت وأمسكت بيديه، وتخللت أصابعه الخشنة بأصابعي. «أعرف أن علاقتهما محيرة... لكنني أؤكد لك أن نوايا أخي في أعمق أعماقه نقية. زالي كانت تكره عنان أكثر من أي شخص آخر، وإذا كانت تشعر بهذا الشعور نحوه الآن، فلا بد أن هذا يعني شيئًا ما».

«هذا يعني ما يعنيه دائمًا». سحب «زين» يده من يدي. «زالي تقوم بشيء غبي، وعاجلًا أم آجلًا سينفجر في وجهها. انتظري الانفجار إن أردت، لكنني سأرحل». انكسر صوته. «لم أرغب أبدًا في أن أكون جزءًا من هذا على أية حال».

سار «زين» مبتعدًا مرة أخرى، فانشق شيء بداخلي، ليس هذا الرجل الذي عرفته، الرجل الذي بدأتُ..

*أحبه؟*

طفت الكلمة في ذهني، لكنني لا أستطيع أن أسميه هكذا. الحب أقوى وأغزر مما أشعر به، ما هو مسموح لي أن أشعر به، لكن مع ذلك...

صحت وراءه: «أنت لا تيئس منها قط، أبدًا، ولا مرة، حتى عندما كلفتك كل شيء، كنت دائمًا بجانبها».

مثل «بينتا»، ظهرت ابتسامة صديقتي العابثة المتكلّفة في ذهني، فأضاء برودة الليل. «زين» يحب بشدة كما تفعل، دون شرط.. حتى حين لا ينبغي هذا.

تابعت: «لماذا الآن؟ بعد كل شيء، لماذا هذا؟».

«لأنه دمر منزلنا!». استدار «زين» إلى الناحية الأخرى، وبرز عرق في رقبته وهو يصرخ. «ثمة أناس غرقوا، و أطفال ماتوا، ولماذا؟ هذا الوحش كان يحاول قتلنا لأسابيع، والآن تريد أن تصفح عنه؟ تحتضنه؟». توتر صوت «زين» وتوقف، وراح يبسط ويقبض يديه ببطء. «يمكنني حمايتها من أشياء كثيرة، لكن إن كانت ستتصرف بهذا الغباء، هذا الطيش..

فستودي بنفسها إلى القتل، ولن أبقى قريبًا حتى أرى هذا يحدث». وبهذا استدار، وأحكم شد حقيبته و سار حتى ابتلعه الظلام.

«انتظر». ناديته. لكن «زين» هذه المرة لم يتمهل. كل خطوة خطاها جعلت قلبي يدق بشكل أعنف في صدري، إنه يفعل هذا حقًا.

إنه مغادر حقًّا.

«زين، من فضلك...».

دوى صوت بوق، قاطعًا سكون الليل.

تجمَّدنا وانضم إلينا آخرون، وسكتت أصوات طبول المهرجان.

استدرت وهبط قلبي في قدمي حين صار الخاتم الملكي الذي كان دائمًا يرعبني في مدى الرؤية، لامعًا على حُلَّة تلو الأخرى. بدا أن أعين الليوبانيرات تومض في الظلام.

حضر رجال أبي.

# الفصل الواحد والستون

## زالي

***لهثت بشدة حين انزلقت*** يدا «عنان» إلى فخذي. لمسته تجعل كل جزء من جسدي يتفجر بالشهوة، ومن الصعب جدًّا التركيز في مبادلته التقبيل، ولكن بينما نسيتُ شفتاي ما ينبغي عمله، لم تُفلت شفتاه نبضة. قبلاته المكهربة تنتقل من فمي إلى رقبتي، بغزارة لا تدع لي فرصة للتنفس.

«عنان»...

احمر وجهي، لكن لا جدوى من إخفاء الأمر. هو يعرف ماذا تفعل قبلته بي، وكيف تحرق لمستُه. لو أن عواطفي ضربته مثل تسونامي، لعرف حينها كم أريد هذا! كم يتوق جسدي للسماح ليديه بالاستكشاف والتجول...!

ألصق «عنان» جبهته بجبهتي ونزل بيديه أسفل ظهري: «صدقيني يا زيل، ما أفعله بك لا يقارن بما تفعلينه بي».

رفرف قلبي وأنا أغمض عيني بينما «عنان» يضمني إليه. انحنى للحصول على قُبلة أخرى.

دوَّى بوق بصوت مرتفع، وتردد صوت تحطم في الهواء.

سألت: «ماذا كان ذلك؟». دوَّى صوت تحطم آخر، فباعد بيننا بعنف.

شدَّد «عنان» قبضته علي، وعرق بارد يتفصد منه، «علينا أن نذهب».

«ماذا يحدث؟».

«زيل، هيا..».

تحررت من قبضته وجريت نحو حافة أراضي المهرجان. توقفت موسيقى الاحتفال بينما كان الجميع يحاولون تبين سبب الأصوات. اندلعت هستيريا صامتة عبر الحشد، وتصاعدت الأسئلة كلما زاد انتشارها، لكن مع مرور الوقت اتضح مصدر الأبواق.

اندفع فيلق الحرس الملكي خلال حطام البوابة الجديد وساروا بخطوة منتظمة مسيرات إلى أعلى التل المطل على الوادي، وأضاءوا السماء المعتمة بنيران المشاعل الحمراء، والتي يصل لهيبها إلى السماء.

وضع بعض الجنود سهامهم، و البعض كشفوا نصالهم المشحوذة، والأكثر إثارة للرعب بينهم كانوا يحتجزون مجموعة من البانثيرات، والوحوش المخيفة تمضغ وترغي في لُجُمها، متلهفة للمطاردة.

أدركني «عنان». توقف حين رأى المنظر، وغارت الدماء من خديه، وشبك أصابعه بأصابعي.

تقدم قائد القوات إلى الأمام، تميزه الخطوط الذهبية المنقوشة في حديد درعه، ورفع مخروطًا إلى فمه حتى نسمع جميعًا صيحاته.

«هذا هو التحذير الوحيد لكم!». جلجل صوته وسط الصمت، «إذا لم تمتثلوا، فسنقوم باستخدام القوة. سلموا اللفافة والفتاة ولن يتعرض أحد هنا لأذى».

انخرط الربانيون في محادثات مهموسة والخوف والارتباك ينتشران بين الحشود مثل الفيروس. حاول بعض الناس الهروب من الزحام، بدأ طفل في البكاء.

كرر «عنان»: «زيل، ينبغي أن نذهب». وأمسك بذراعي مرة أخرى، لكني لا أستطيع الشعور بساقي، لا أستطيع حتى الكلام.

صاح القائد: «لن أحذركم مرة أخرى! سلِّموهما وإلا سنأخذهما بالقوة!».

للحظة لم يحدث شيء.

ثم سرت موجة وسط الجموع.

ورغم أن الحركة بدأت صغيرة، في ثوانٍ انفصلت موجات من الناس، وأفسحوا طريقًا يتيح مرور شخص واحد. خطت بجسمها الصغير إلى الأمام، وعرفها الأبيض يتمايل.

همست: «زو ...». وأنا أقاوم رغبتي في الجري وإعادتها إلى الجموع.

كانت تقف طويلة وقوية، متحدية بما يتجاوز سِنِي عمرها القليلة، الريح تطيِّر قفطانها الأخضر الزمردي الذي يتلألأ في مقابل بشرتها البنية.

رغم أنها في الثالثة عشرة من عمرها، فإن الفيلق بأكمله هيئوا أسلحتهم، وشد الرماة أقواسهم، وهيأ حاملو السيوف أزِمَّة بانثيراتهم.

صاحت «زو» والريح تحمل صوتها: «لا أعرف عن أي فتاة تتحدثون، لكن يمكنني أن أؤكد لكم أن اللفافة ليست معنا، هذا احتفال سلمي. لقد اجتمعنا فقط لإحياء تراثنا».

الصمت الذي يلي ذلك كاد يُصِم آذاننا، جعلني أشعر برعشة في يدي لا أستطيع لها دفعًا.

«من فضلك..». خطت «زو» إلى الأمام، «لا تتحركي!». صرخ القائد مرة أخرى، واستل سيفه.

ردت «زو»: «فتشنا إن كان لا بد من هذا، إننا نوافق على أن نخضع للتفتيش، لكن أرجوك، اخفض أسلحتك». رفعت يديها في استسلام. «لا أريد أن يصاب أي شخص بأذى..».

حدث ما حدث بسرعة أسرع مما ينبغي، في لحظة كانت «زو» واقفة، وفي اللحظة التالية اخترق سهم أحشاءها.

صرخت: «زو!».

لكن بدا أن الصوت ليس صوتي.

لا أستطيع أن أسمع صوتي، لا أشعر بأي شيء.

انقطع الهواء من صدري حين نظرت «زو» إلى أسفل، ويداها الصغيرتان تمسكان بقصبة الرمح. ابتسمت الفتاة الصغيرة ابتسامة أعرض من وجهها وراحت تجذب السلاح، تدفعها كراهية أوريشا.

انفعلت الفتاة، وبدأت أطرافها ترتعش، وأخذت خطوة إلى الأمام بطريقة أو بأخرى، لم تخط للخلف حيث يمكننا حمايتها، بل للأمام؛ حتى تتمكن من حمايتنا.

لا...

أحرقت الدموع عيني، وسالت على وجهي سريعًا، معالِجة. طفلة.

إلا أن لحظاتها الأخيرة ملطخة بالكره.

انتشر الدم عبر حرير قفطانها. أظلم الزمرد باللون الأحمر.

انحنت ساقاها وضربت الأرض.

«زو!». أسرعت إلى الأمام على الرغم من أنني أعرف أنه لا يمكن إنقاذها،

في تلك اللحظة تفجر العالم بأسره، وطارت السهام ولمعت السيوف بينما يشن الحراس هجومهم.

«زيل، هيا!». جذب «عنان» ذراعي، وسحبني إلى الخلف، لكن بينما كان يحاول توجيهي بعيدًا، كانت فكرة واحدة تسيطر على تفكيري، يا للآلهة!

«زين».

قبل أن يتمكن «عنان» من الاعتراض. انطلقت، وتعثرت أكثر من مرة وأنا عائدة إلى الوادي. امتلأ الليل بصرخات الرعب، وكان الربانيون يجرون في جميع الاتجاهات.

عدونا بلا جدوى، محاولين في يأس الهروب من الرماة الذين يرموننا من السماء، وسقط الربانيون واحدًا تلو الآخر، وقد اخترقهم سيل السهام الذي لا يبدو أنه ينتهي.

لكن خوف الرماة صار شيئًا من الماضي مع انتشار حلل دروع أوريشا بين الجماهير. أطلق الجنود البانثنيرات المسعورة وسمحوا للركائب بأن تغرز مخالبها في لحم الربانيين مباشرة. فوقهم، حراس مدرعون يخترقون الحشود، بسيوف مسلولة ومشحوذة، لا يظهرون أي رحمة، ولا تمييز، ويطعنون كل من في طريقهم.

صرخْت: «زين». وصاح صوت آخر في جموع الصائحين، لا يمكن أن يموت مثل ماما، لا يمكن أن يتركني وبابا.

لكن كلما ركضت، سقطت أجسام أخرى على الأرض، وزاد عدد الأرواح النازفة إلى الأرض. تائهًا وسط الجموع، راح «سليم» يعوي بصرخات حادة فوق كل صرخة أخرى.

صرخت: «سليم». مندفعة نحو الصبي العذب الذي درت به بين ذراعي، واتجه نحوه أحد الحراس راكبًا على بانثنيرة مسعورة. رفع «سليم» يديه مستسلمًا.

ليس لديه سحر، ولا سلاح، ولا وسيلة للقتال.

الحارس لا يعنيه هذا.

سيفه مهيأ للطعن.

«لا!». صرخت، وقد أوجع المنظر سويداء قلبي، مزق النصل جسم «سليم» الصغير.

مات حتى قبل أن يصل إلى الأرض.

عيناه الميتتان جمدتا دمي، قلبي، عظامي.

لا يمكننا الفوز، لا يمكننا العيش، لم تتح لنا قط فرص..

أصابني هذا الشعور في الصميم، عميقًا، قويًّا مثل قلبي النابض.
هزَّ السحر في دمي، وسحب الهواء من رئتي.
مرَّ «كوامي» بي، مهرولًا نحو قلب المعركة، وكان ممسكًا خنجرًا بقوة بكلتا يديه.
ثم طعن به راحة يده.
*إنه سحر الدم.*
اجتاح الرعب عظامي.
بدا وكأن حركة العالم أبطأت توطئة لتوقفه، فطالت الثواني بين هذه اللحظة وآخر لحظة ستكون في عمر «كوامي»، وتوهج دمه بضوء أبيض، مصدرًا رذاذًا عند ارتطامه بالأرض.
في لحظة أحاط به الضوء العاجي، مضيئًا بشرته الداكنة مثل إله في عليائه، وعندما وصل إلى قمة رأسه، ختم مصيره المحتوم.
تفجر حريق من جلده.
انهمرت جمار مشتعلة، وتراقصت ألسنة اللهب حول جسمه، واندلعت النيران من كل أطرافه، وانبعثت من فمه، وذراعيه، وساقيه، وارتفع الحريق لعدة أمتار في السماء، بلهيب أضاء من قوته فظائع الليلة، وأوقفت الصدمة هجوم الحراس تمامًا مع بداية هجوم «كوامي».
راح يطوِّح بقبضتيه أمامه، وتيارات النيران تضرب المستعمرة بموجات حارقة. ألسنة اللهب تحرق كل شيء في طريقها، مشتعلة بين الحراس، ومدمرة المخيم.
امتلأ الهواء برائحة اللحم المحترق، مختلطة برائحة الدم.
الموت يضرب بسرعة كبيرة، والجنود لا يجدون الفرصة حتى للصراخ.
«*آخ*». ارتفعت صرخات العذاب التي يطلقها «كوامي» فوق كل شيء آخر وهو يصبغ الليل باللون الأحمر، كان سحر الدم يشقه شقًّا، داميًا بلا رحمة.
كان هذا أعظم من أي نار يمكن لماجي أن يستحضرها بمفرده، وكان يحترق بقوة إلهه، لكن النار تلتهمه فيما تلتهم.
امتقع وجهه الداكن باللون الأحمر، وتمزقت أوردته من الداخل، وتحول جلده إلى فقاعات وسقط محترقًا عن لحمه، فانكشفت العضلات بأوتارها والعظام الصلبة، ولم يكن يستطيع احتواء هذا، ولم يكن بوسعه النجاة منه.

سحر الدم يلتهمه حيًا، ومع ذلك ما زال يقاتل حتى آخر نفس.

«كوامي!». صرخت «فولاكي» من حافة الوادي. سحبها رباني قوي ليعيدها، ومنعها من أن تزج بنفسها في النار الهادرة.

اندفعت دوامة نيران من حلق «كوامي»، فأزاح الحراس إلى الخلف أكثر وأكثر، وبينما يرد هجومهم بنيرانه في الثواني الأخيرة من حياته، تفاعل الربانيون. فرَّ شعبي في جميع الاتجاهات، وهربوا من خلال الجدران المحترقة، تاركين الأرض اليباب التي في مسارهم.

لقد عاشوا، وفروا من هجوم الحراس الذي لا معنى له. بسبب «كوامي»، و بسبب سحره، بقُوا على قيد الحياة.

حين حدقت في الحريق، بدا كأن العالم كله توقف، الصرخات والصيحات يكتمها العدم، ولاحت لعيني وعود «عنان»، أوريشانا، ميثاق لن يسمح له العالم بحفظه، *سلام*.

لن ننعم بالسلام أبدًا.

*طالما ليس لدينا سحر، لن يعاملونا باحترام*، *كلمات بابا تغلي في رأسي. يجب أن يعلموا أننا يمكن أن نضربهم كما يضربوننا، إذا أحرقوا بيوتنا، فإننا سنحرق بيوتهم أيضًا*.

بصرخة واحدة أخيرة، انفجر «كوامي» كنجم محتضر، وتفجرت النيران في جميع الاتجاهات، فتركت الأرض مع بقاياه الأخيرة.

مع سقوط الجمرات الأخيرة، انفلق قلبي في صدري. لا أصدق أنني كنت يومًا أنفي حقيقة بابا، لن يسمحوا لنا بالعيش.

سنكون دائمًا خائفين.

أملنا الوحيد هو القتال؛ القتال والفوز.

وللفوز، نحتاج إلى سحرنا.

أحتاج إلى تلك للفافة.

«زالي!».

رفعت رأسي بغتة. لا أدري كم من الوقت بقيت ساكنة. بدا أن العالم يسير بحركة بطيئة، متثاقلًا بتضحيات «كوامي»، مجرجرًا كل ألمي وشعوري بالذنب.

اقترب «زين» و «أماري» من مسافة بعيدة يركبان ظهر «نائلة»، وكان «زين» يقود «نائلة» نحوي وسط الفوضى الحادثة، و «أماري» كانت تحتضن حقيبتي إلى صدرها.

لكن حين خرج اسمي من فمه، انتبه الحراس الآخرون.
صرخ بعضهم لبعض: «الفتاة، الفتاة! إنها هي!».
قبل أن أتمكن من اتخاذ خطوة أخرى، التفت الأيدي حول ذراعي.
حول صدري.
حول حلقي.

# الفصل الثاني والستون

# أماري

***حين أشرقت الشمس*** في الوادي، توقفت تنهيدة في حلقي، أضاءت أشعة الشمس المنطقة الخالية المتفحمة التي سار بها الموكب، البقايا السوداء لمكان كان من قبل تغمره البهجة.

حدقت في الأرض المحروقة حيث كنت أرقص أنا و «زين»، وتذكرت كيف دار بي، وتذكرت صوت ضحكته.

كل ما تبقّى الآن هو الدم، جثث جوفاء، رماد.

أغمضت عيني ووضعت يدي على فمي، في محاولة عقيمة لمنع المشهد المؤلم، ورغم الصمت الذي يلف المكان، ما زالت صرخات الربانيين يتردد صداها في ذهني. تلا ذلك صيحات الجنود الذين ذبحوهم، وقعقعة السيوف وهي تضرب الأجسام. لا أستطيع أن أسمع أو أرى، لكن «زين» كان يتفقد الدمار، ويبحث عن «زالي» في كل وجه ساقط.

«لا أراها».

كان صوت «زين» أعلى قليلًا من الهمس، وكأنه إذا تحدث بصوت أعلى، فكل شيء بداخله سوف ينهار: غضبه، وألمه، ووجع القلب المتمثل في فقدان فرد آخر من عائلته.

أفكار «عنان» أقحمت نفسها في ذهني: وعوده، أكاذيبه المحتملة. رغم أنني لا أستطيع البحث في الموتى، فإنني أشعر به في صميم كياني.

جثة «عنان» ليست على هذه الأرض.

لا يوجد جزء مني يريد أن يصدق أن هذا كان فعله، ومع ذلك لا أعرف ماذا أظن. فإذا لم تكن هذه خيانته، فكيف وجدَنا الحراس؟ أين أخي الآن؟

كانت «نائلة» تئن خلفنا، فرحت أدلك خطمها على النحو الذي رأيت «زالي» تفعله مرات عديدة، وشعرت بغصة في حلقي حين دفعت يدي بأنفها.

قلت بحذر قدر الإمكان: «أعتقد أنهم أخذوها، لا بد أن هذا هو ما أمرهم به أبي، إنها أهم بكثير من أن تُقتل».

تمنيت أن يعطيه هذا الأمل، لكن تعبير «زين» بقي محايدًا.

حدق في الأجساد على الأرض، وأنفاسه تُفلت في دفعات قصيرة، «لقد وعدت». انكسر صوته. «عندما ماتت ماما، وعدت، قلت: سأكون دائمًا موجودًا، أقسمت أن أعتني بها».

«كنت كذلك يا زين، كنت دائمًا كذلك».

لكنه ضاع في عالمه الخاص، في مكان أبعد بكثير من أي مكان يمكن أن تذهب إليه كلماتي.

«وبابا...». تشنج جسمه، وكوَّر قبضتيه ليحاول إيقاف الرجفة، «قلت لبابا، أنا.. أنا قلت لبابا إنني سوف...».

وضعت يدي على ظهر «زين»، لكنه تراجع مبتعدًا عن لمستي، بدا وكأن كل الدموع التي قاومها «زين» تنسكب الآن من جسده دفعة واحدة. تهاوى إلى الطين، وألصق قبضتيه المكورتين برأسه بقوة جعلتني أظن قلقة أنه سيصاب بأذى. نزف وجع قلبه داميًا، محطمًا كل أسواره.

«لا يمكنك الاستسلام». ركعت إلى جانب «زين» لمحو دموعه. رغم كل شيء، لقد ظل دائمًا قويًّا، لكن هذه الخسارة أكبر من أي تحمل. «لا يزال معنا اللفافة والحجر والخنجر. حتى يسترد أبي القطع الأثرية، سيبقيها رجاله على قيد الحياة. في وسعنا إنقاذها والوصول إلى المعبد. لا يزال بوسعنا أن نصلح هذا الأمر».

همس «زين»: «لن تتكلم، حتى وإن كنا في خطر، سيقومون بتعذيبها». قبضت يداه الأرض، «إنها في حكم الموتى».

«زالي أقوى من أي شخص أعرفه، ستنجو، ستقاتل». لكن «زين» هزَّ رأسه، غير مقتنع بصرف النظر عما أبذله من جهد في المحاولة. «ستموت»، أسبل عينيه بقوة، «ستتركني وحيدًا».

ازدادت أنَّات «نائلة» وهي تحك أنفها في «زين» وتحاول لعق دموعه. منظر هرس كل شيء بداخلي، مدمرًا آخر شظايا كانت مكتملة. بدا الأمر مثل مشاهدة الضوء السحري يتفجر من راحتي «بينتا» فقط ليمزق أبي صدرها. كم عدد الأسر التي جعلها أبي هكذا، مكسورة دون أمل في الإصلاح، تبكي موتاها؟ كم مرة سوف أسمح له بذلك مرة أخرى؟

وقفت على التل واتجهت نحو بلدة جومبي، وهي بقعة من دخان متكاثف قبل جبال الأولاسيمبو. عادت الخريطة التي في غرفة حرب أبي إلى الظهور مرة أخرى داخل ذهني، وتبلورت علامات الإكس التي كانت تميز

قواعده العسكرية، وبتشكل التصميم في رأسي، تكونت خطة جديدة. لا يمكنني أن أسمح بتعرض «زين» لهذه الخسارة.

لن أدع أبي يفوز.

قلت: «نحن بحاجة إلى التحرك».

«أماري»...

«الآن».

رفع «زين» رأسه عن الأرض، مددت يدي وأمسكت يده، ومسحت الأوساخ الملتصقة ببقع الدموع على وجهه.

«هناك قلعة حراسة خارج جومبي، لا بد أنها المكان الذي أخذوها إليه، إذا تمكنا من الدخول، يمكننا إخراجها».

يمكننا أن نضع حدًّا لطغيان أبي.

حدق «زين» بي بعينين كسيرتين، مقاومًا شرارة الأمل التي تحاول أن تضيء، «كيف سندخل؟».

استدرت نحو معالم جومبي تحت سماء الليل، «عندي خطة».

«هل ستُجدي؟».

أومأت، ولأول مرة لا أخاف القتال، لقد كنت ليونيرة ذات مرة.

ولأجل «زين» و«زالي» سأكون ليونيرة مرة أخرى.

# الفصل الثالث والستون

# زالي

***كانت أصفاد الماجيست*** تحرق بشرتي، وتشوي معصمي وكاحلي مباشرة، وكنت معلقة بسلاسل سوداء فوق أرضية زنزانتي في السجن بشكل جعل من المستحيل بالنسبة لي أن أتلو تعويذةً. تقاطر العرق على بشرتي مع دخول تيار هوائي ساخن آخر من خلال منفذ التهوية، لا بد أن الحرارة مقصودة. الحرارة ستجعل الألم القادم أسوأ.

عيشي... تردد صدى كلمات «ليكان»، متهكمًا وأنا أواجه موتي.

أخبرته أن هذا كان خطأ، أخبرته، وأخبرت الجميع. توسلت إليهم ألا يضيِّعوا هذه الفرصة عليَّ؛ الآن انظروا ماذا صنعت، ضحكت ورقصت وقبلت، بينما الملك أعدَّ لذبحنا.

سمعت قعقعة أحذية معدنية النعال بالخارج. جفلْتُ وهم يقتربون من بابي، لو كانت زنزانتي بقضبان لكان الأمر أسهل، على الأقل حينئذ كنت سأعد نفسي، لكنهم حبسوني في صندوق حديد، لا يحول بيني وبين البقاء في الظلام سوى مِشْعَلين يحترقان.

أيًّا كان ما يخططون له، فهم يعتزمون إخفاءه حتى عن الحراس.

بلعت ريقي بشدة، في محاولة واهنة لترطيب فمي الجاف، وذكَّرت نفسي *بأنني فعلت هذا من قبل عددًا من المرات* أكثر من أن يُحصى. للحظة تفكرت فيما إذا كانت «عُلق» «ماما أجبا» المستمرة ليست للمعاقبة، ولكن للتحضير. لقد ضربتني كثيرًا جدًّا حتى إنني صرت ماهرة في تحمل هذا، ماهرة في تحرير جسدي لتقليل الأوجاع. هل يمكن أن تكون قد استشعرت أن حياتي ستنتهي بهذه الطريقة؟

*اللعنة*. الدموع تلسع عيني بعار جميع الجثث التي تركتها خلف ظهري، «بيسي الصغيرة»، «ليكان»، «زليخة»، تضحياتهم لن تساوي شيئًا.

*هذا* هو *كل خطئي*، ما كان ينبغي أن نبقى، بطريقة ما لا بد أننا قُدنا الجيش إلى هذا المعسكر، بدوننا. ربما كانوا لا يزالون على قيد الحياة، ربما تكون «زو» قد نجت...

تباطأت أفكاري.
ومضت حلقة «زين» في ذهني، توقف قلبي لهذا الخاطر. هل يمكن أن يكون «عنان» قد فعل هذا؟
لا.
احترق حلقي بالخوف الذي قاومته كالمرارة. لم يكن ليفعلها. بعد كل شيء مررنا به معًا، لا يمكنه ذلك. لو أراد خيانتي، لوجد فرصًا لا حصر لها، كان يمكنه الفرار باللفافة دون إجهاض كل هذه الأرواح البريئة. طغَى وجه «أماري» على وجه «زين»، وعيناها الكهرمانيتان تقْطُران بالشفقة. إما أنه على وشك أن يخوننا، وإما أن أي شيء آخر يحدث.
اخترقت ابتسامة «عنان» الكراهية، بالنظرة الناعمة التي كان يمنحني إياها قبل تبادلنا القُبَل، لكنها تسوَدُّ وتلتوي وتحترق حتى تلتف حول عنقي بقوة قبضته..
« لا!». أغمضت عيني، وتذكرت كيف كان يضمني بين ذراعيه. لقد أنقذني مرتين، وحاول إنقاذي مرة أخرى. لم يفعل هذا. لا يمكن أن يكون فَعَلها.
دوَّى صوت فرقعة.
انفتح القُفل الأول خارج الباب. أعددت نفسي للألم، مُتَشبِّثة بآخر الأشياء الجيدة التي لم أفقدها. على الأقل «زين» على قيد الحياة.
على الأقل نجا هو و «أماري». بسرعة «نائلة»، لا بد أنهم فروا. يجب أن أركز على هذا. شيء واحد اتضح أنه على ما يرام، وبابا...
دموع وشيكة تحرق عيني كلما تذكر ت الابتسامة الساخرة التي دعوت أن أراها مرة أخرى، حين يكتشف هذا، لن يبتسم مرة أخرى.
أغمضت عيني حين سالت الدموع جارحة مثل سكاكين صغيرة. أتمنى أن يكون قد مات.
آمل ألا يجرب هذا الألم أبدًا.
انفتح القُفل النهائي وانفتح الباب بصَرِير مرتفع، أكسبت نفسي الصلابة.
ولكن حين ملأ «عنان» المدخل، انهارت كل دفاعاتي.
رحت أقفز وأجذب السلاسل بينما الأمير الصغير يخطو إلى الداخل، محاطًا باثنين من الملازمين، بعد أيام من رؤيته في قفاطين غير مميزة

والداشيكي المقترضة، نسيت مدى البرودة التي ستبدو عليه وهو في زي الحراس الموحَّد.

*لا...*

بحثت فيه عن أي علامة للصبي الذي وعدني بالعالم، الصبي الذي كدت أتخلى عن كل شيء من أجله.

لكن عينيه بعيدتان، كان «زين» على حق.

«*أيها الكذَّاب!*». تردد صدى صرختي في الزنزانة.

الكلمات ليست كافية، لا يمكن للكلمات أن تكون باترة على نفس النحو الذي أحتاجه، لكنني أكاد لا أقوى على التفكير. قبضت على السلاسل المعدنية بقوة جعلتها تمزق بشرتي. أحتاج إلى الألم لتشتيت انتباهي، وإلا فلن يوقف دموعي شيءٌ.

أمر «عنان» ملازميه بالانصراف. ناظرًا إليَّ كما لو كنت لا شيء، كأنني لم أكن في أحضانه قبل ساعات فقط.

«إنها خطيرة يا صاحب السمو، لا يمكننا...».

«لقد كان هذا أمرًا وليس اقتراحًا».

تبادل الحراس النظرات لكنهم تركوا الغرفة على مضض. تعلم الآلهة أنهم لا يستطيعون تحدي أمر مباشر من أميرهم المُفدَّى.

ذكي. هززت رأسي، ليس من الصعب تخمين لماذا يريد «عنان» الخصوصية. الخط الأبيض الذي يشرق بقوة في شعره يختفي تحت طلاء جديد من صبغة سوداء، لا بد أن أحدًا لم يعرف حقيقة الأمير الصغير.

*هل كانت هذه خطته طوال الوقت؟*

اعتصرت كل شيء بداخلي للحفاظ على وجهي محايدًا، لا يجب أن يرى ألمي، لا يجب أن يعرف إلى أي مدًى آلمني.

تأرجح الباب مغلَقًا، فصرنا وحدنا. نظر إليَّ ونحن نسمع أصوات الحراس وهم يتراجعون، بمجرد أن صرنا لا نستطيع سماعهم انهار وجهه المتصلب وتحول إلى الصبي الذي أعرفه.

امتلأت نظرة «عنان» الكهرمانية بالخوف وهو يخطو إلى الأمام وعيناه تحدقان في أكبر بقعة دم على ثوبي. ملأت رئتي دفقة من الهواء الدافئ.. لا أعرف متى توقفتُ عن التنفس، لا أدري متى بدأتُ أحتاج إليه بهذه القوة.

هززت رأسي، همست: «هذا ليس دمي». ليس بعد، «ماذا حدث؟ كيف وجدونا؟».

«المهرجان». نظر «عنان» لأسفل. «ذهب الربانيون إلى جومبي للحصول على مستلزمات، فارتاب بضعة حراس وتعقبوهم».

*اللعنة*، كبتُّ دمعةً جديدة من الدموع تريد الخروج، ذُبحنا لأجل احتفال؛ احتفال ما كان ينبغي لنا أبدًا أن نقيمه.

اندفع بصوت متوتر وخشن: «زيل، ليس أمامنا كثير من الوقت، لم أستطع الوصول إليك إلا الآن، ولكن قافلة عسكرية قد رسَت لتوّها، ثمة شخص قادم، وحين يأتي...». استدار «عنان» نحو الباب، وقد سمع شيئًا ليس موجودًا. «زيل، أريد أن تخبريني عن كيفية تدمير اللفافة».

«ماذا؟». لا يمكن أن أكون قد سمعته بشكل صحيح. بعد كل شيء، لا يمكن أن يظن أن هذا هو الحل. «إن أخبرتني كيف أُتلفها، يمكني حمايتك، أبي سيقتلك طالما أن إمكانية عودة السحر لا تزال خطرًا محدقًا».

*بحق الآلهة*.

إنه لا يدرك حتى أننا خسرنا بالفعل. اللفافة لا تعني شيئًا دون وجود من يقرؤها. لكنني لا أستطيع تركه يعرف ذلك.

سيذبحوننا جميعًا إذا اكتشفوا، وسيمحُون كل رجل، وامرأة، وطفل، ولن يتوقفوا حتى نُباد، حتى يمحوا وجودنا من هذا العالم بكرههم.

«.. إنهم متوحشون يا زيل». ابتلع «عنان» ريقه بصعوبة، فأعادني إلى الحاضر. «إذا لم تسلميها؛ فلن تكون هناك فرصة لنجاتك».

«إذن فلا نجاة لي».

انقلب وجه «عنان». «إذا لم تتكلمي، فسيقطّعونك إربًا!».

تكونت غصة في حلقي. لقد توقعت هذا على فظاعته، لا يمكنني أن أتكلم. «لذا سوف أنزف».

«زيل، من فضلكِ». تقدم إلى الأمام، واضعًا يديه على وجهي المكدوم، «أعرف أن لدينا خططنا، لكن عليك أن تدركي أن كل شيء قد تغير..».

صرخت: «بالطبع كل شيء تغير! قتل رجالُ والدك زو! وسليم! وكل هؤلاء الأطفال». هززت رأسي، «لم يكن بوسعهم حتى القتال، وقتلهم الحراس جميعًا!».

كشر «عنان»، والألم يكاد يشق وجهه. جنوده. رجاله. تفرقنا مرة أخرى.

«زالي، أنا أعلم». انكسر صوته، «أعلم، في كل مرة أغمض فيها عيني، جسدها هو كل ما يمكنني رؤيته». نظرت بعيدًا، مُقَاوِمة دموعًا جديدة.

ابتسامة «زو» المشرقة ملأت رأسي، وفرحها الذي لا ينتهي، وضوءُها. كان ينبغي أن نكون في منتصف الطريق إلى زاريا الآن، كان ينبغي أن تكون هي و «كوامي» على قيد الحياة الآن.

همس «عنان»: «لم يكن يصح أن يهجموا، زليخة كانت تستحق فرصة، لكن الجنود ظنوا أنك تستخدمين اللفافة لتكوين جيش من الماجي، وبعد ما فعله كوامي...».

انقطع صوت «عنان»، وبدا أن كل الحزن الذي ملأه من قبل يتقلص، وقد طغى عليه الخوف.

«أهلك كوامي ثلاث فصائل في ثوانٍ، أحرقَهم أحياء، وهو الذي أشعل ذلك المخيم، ربما كنا الآن في عِداد الموتى لو لم يحرق نفسه».

تراجعت في اشمئزاز. عمَّ يتحدث بحق الآلهة؟ «لقد ضحى كوامي بنفسه لحمايتنا!».

«لكن تخيلي كيف بدا الأمر للحراس». كان «عنان» يتحدث بسرعة. «أعرف أن نوايا كوامي كانت نقية، لكنه بالغ في الأمر كثيرًا جدًّا. لسنوات كان يجري تحذيرنا من هذا السحر، وما فعله كوامي كان أسوأ من أي شيء قاله أبي من قبل!».

طرفت عيناي وأنا أتفحص وجه «عنان». أين ملك المستقبل الذي كان على استعداد لإنقاذ الماجي؟ الأمير الذي ألقى بنفسه أمام النيران للحفاظ على سلامتي؟ أنا لا أعرف هذا الفتى، الخائف، الذي يختلق الأعذار لكل شيء ادعى أنه يكرهه، أو ربما أعرفه أكثر ما ينبغي.

ربما هذه هي الحقيقة: الأمير الصغير المنكسر.

«لا ريب في أن الهجوم كان رجسًا. كنت أعرف أن علينا التعامل معه، لكن الآن علينا أن نتصرف، الجنود مرعوبون من أن يقوم ماجي مثل كوامي بالهجوم مرة أخرى».

«جيد». اعتصرت سلاسلي لإخفاء الرعشة التي في يدي، «دعهم يخافوا».

دعهم يذوقوا الرعب الذي جرَّعونا إياه.

«زالي، من فضلك». كزَّ «عنان» على أسنانه. «لا تختاري هذا، لا يزال بوسعنا توحيد شعبنا، اعملي معي وسأجد طريقة لك للعودة إلى لاجوس. سننقذ أوريشا بشيء أكثر أمانًا؛ شيء دون السحر..».

«ماذا أصابك؟». رددتِ الجدران صدى صيحتي. «ليس هناك ما يمكن إنقاذه! بعد ما فعلوه للتو، لا يوجد شيء على الإطلاق!».

حدَّق «عنان» بي، وقد ترقرقت الدموع في عينيه، «هل تعتقدين أنني أريد هذا؟ هل تعتقدين بعد التخطيط لمملكة جديدة معك أنني أريد هذا؟». رأيت حزني منعكسًا في عينيه؛ وفاة حلمنا، المستقبل الذي لن تراه أوريشا أبدًا. «اعتقدت أن الأمور يمكن أن تختلف، أردتها أن تكون مختلفة، لكن بعد ما رأيناه للتو، ليس لدينا خيار، لا يمكننا أن نمنح الناس هذا النوع من القوة».

قلت بصوت كالفحيح: «هناك دائمًا خيار، وقد اختار حراسك خيارهم، لو كانوا قد خافوا من السحر من قبل، يجب أن يرتعبوا منه الآن».

«زالي، لا تضيفي جسمك إلى الموتى، هذه اللفافة هي الطريقة الوحيدة لأقنعهم بإبقائك على قيد الحياة، إذا لم تخبرينا كيف ندمرها..».

سُمعت نقرة أخرى خلال الباب، وخطا «عنان» إلى الخلف حين فُتح الباب بالضبط.

«هل قلت إنك تستطيع الدخو..».

جاء صوته مضطربًا، غارت الدماء من وجهه.

«أبي؟». افترقت شفتا «عنان» في دهشة.

حتى بدون تاجه، من المستحيل عدم التعرف إلى الملك.

كان دخوله مثل العاصفة، والهواء يسوَدُّ في وجوده. اجتاحتني موجة من العواطف عندما تأرجح الباب مغلقًا. نسيت كيف أتنفس حين التقت عيناي بالعينين اللتين لا روح فيهما للرجل الذي قتل ماما.

*أيتها الآلهة! ساعديني.*

لا أعرف إن كنت في منام أم في كابوس. شعرت بسخونة في جلدي من غضب لم أعرف مثله قط. ولكن دقات قلبي دوَّت كالرعد من الخوف. منذ الأيام الأولى التي تلت الغارة تصورت هذه اللحظة، تخيلت كيف ستكون مقابلتي له وجهًا لوجه. لقد دبرت وفاته مرارًا و تكر ارًا في عقلي حتى إنني أستطيع أن أملأ مجلَّدًا بتفاصيل الطرق التي يجب أن يموت بها.

أراح الملك «ساران» يده على كتف «عنان»، فجفل الابن، كما لو كان في انتظار تلقي ضربة. رغم كل شيء، ومضة الرعب التي في عيني «عنان» تؤلمني. لقد رأيته مكسورًا من قبل، لكن هذا جانب منه لا أعرفه.

«أخبرني الحراس أنك تعقبتها حتى الثورة».
وقف «عنان» معتدلًا وضغط فكيه.
«نعم سيدي، أنا في منتصف التحقيق، إذا تركتَنا، فسأحصل على الإجابات التي نحتاجها».
ظل صوت «عنان» محايدًا جدًّا حتى كدت أصدق الكذبة. إنه يحاول إبقائي بعيدة عن والده، لا بد أنه يعرف أنني على وشك الموت.
سرت رعشة بداخلي لهذا الخاطر، لكن سرعان ما جاء في هدوء غير أرضي. الخوف في وجود «ساران» لا يمكن إنكاره، ومع ذلك لا يطغى على رغبتي في الانتقام.
في هذا الرجل.. هذا الرجل البائس.. مملكة بأكملها، أمة بأكملها من الكراهية والاضطهاد، تحدق في وجهي. ربما كانت من الحراس الذين كسروا الأبواب في إبدان في ذلك اليوم، لكنهم ليسوا سوى أدوات له.
هنا العقل المدبر.
«ماذا عن الأميرال كايا؟». خفض «ساران» صوته. «هل هذه قاتلتها؟».
اتسعت عينا «عنان» واتجهتا نحوي، ولكن حين تبع «ساران» نظرته، أدرك «عنان» خطأه، بغض النظر عما يقوله الآن، لا يستطيع إيقاف ملك أوريشا من الاقتراب مني.
حتى في هذه الغرفة ذات الحرارة اللافحة، وجود «ساران» يجمِّد الدماء في عروقي. زادت شدة الاحتراق في بشرتي وهو يقترب بنصل الماجيست، وفي ظل هذا القرب منه، كان بإمكاني أن أتبين آثار بثرات الجدري في بشرته البنية الداكنة، والشعر الرمادي المنتشر في لحيته والدال على الهرم.
انتظرت الإهانات، لكن هناك ما هو أسوأ في الطريقة التي ينظر بها إليَّ؛ ثمة بُعد، ثمة تعالٍ، وكأنني وحش يجرُّونه من الوحل.
«يبدو أن ابني يظنك تعرفين كيف مات الأميرال».
جحظت عينا «عنان». الر د مكتوب في كل أنحاء وجهه.
جاءتني كلماته من المهرجان: مات شخص ما، *شخص كنت أحبه*.
لكنه لم يكن مجرد شخص ما...
كان «كايا».

جاءني صوت «ساران» قاطعًا لأفكاري: «سألتك سؤالًا، ماذا حدث للأميرال؟».

*قتلها ابنك الماجي.*

خلف «ساران»، اندفع «عنان» إلى الخلف ، مرتعبًا من أفكاري على الأرجح. إنها أسرار ينبغي أن أصرخ بها للعالم، أسرار ينبغي أن أريقها فوق هذه الأرضية، لكن شيئًا ما في الرعب الذي يشعر به «عنان» يجعل من المستحيل أن أنهار.

نظرت بعيدًا بدلًا من ذلك، غير قادرة على احتمال الوحش الذي أمر بقتل ماما. إذا كان «عنان» في جانبي حقًّا، إذن حين أموت، يمكن أن يكون الأمير الصغير الأمل الوحيد للربانيين.

جذب «ساران» ذقني بعنف نحو وجهه. اجتاح الرعب جسمي كله، والهدوء الذي كان مستقرًّا في عيني «ساران» من قبل انفجر بغضب عنيف.

«تحسنين صنعًا لو أجبتني يا بنت».

سأفعل، سأحسن صنعًا بالفعل.

من المثالي إخبار «ساران» الحقيقة هنا، فيحاول قتل «عنان» بنفسه، ثم لن يكون لـ «عنان» خيار سوى الهجوم، وقتل والده، والاستحواذ على العرش، وتخليص أوريشا من كراهية «ساران».

سأل «ساران»: «هل تخططين شيئًا؟ هل تستدعين تلك التعويذات الثمينة؟». أنشب أظفاره في جسمي بقوة حتى أسالت الدم من ذقني.

«لو تحركت أي حركة فسأقوم شخصيًّا بتخليص جسدك من يديك البائستين».

«أ.. أبي». كان صوت «عنان» ضعيفًا، لكنه أجبر نفسه على التقدم.

نظر «ساران» إلى الخلف، ولا يزال الغضب مشتعلًا في عينيه، إلا أن شيئًا بخصوص «عنان» وصل إليه، برعشة عنيفة، أطلق وجهي، وتغضّنت شفتاه وهو يمسح أصابعه في ردائه.

«أفترض أنني ينبغي أن أكون غاضبًا من نفسي». راح يفكر في هدوء، «انتبه يا عنان، عندما كنت في عمرك، كنت أظن أن أطفال الديدان يمكن أن يعيشوا، كنت أعتقد أنه لا ضرورة لإسالة دمائهم».

أمسك «ساران» سلاسلي وأجبرني على أن أنظر في عينيه.

«بعد الغارة كان من المفترض أن تحرصوا على القضاء على السحر، وكان مفترضًا أن تكونوا خائفين، مطيعين، الآن أرى أن أمثالكم لم يترَبَّوا. أنتم أيها الديدان تشتهون المرض الذي يلوث دمكم».

«كان بوسعك أن تقضي على السحر دون أن تقتلنا، بدون أن تضرب أجسادنا وتسوي بنا الأرض!».

قفز وأنا أجذب سلاسلي، هائجًا مثل أسد مسعور. إنني أتوق إلى إطلاق العنان للسحر بدافع من الجزء الأكثر سوادًا في غضبي؛ غضبٌ وُلِد بسبب كل شيء قضى عليه.

نار جديدة تحرق جسدي وأنا أقاوم الماجيست وأبذل كل ما في وسعي لاستدعاء سحري رغم قوة السلاسل السوداء. شعرت بدخان يئزُّ من بشرتي أثناء القتال بلا جدوى.

ضاقت عينا «ساران»، لكن لا يمكنني أن أبقى صامتة، خصوصًا ودمي يغلي وعضلاتي ترتعد لتنفصل عن مواضعها.

لن أدع خوفي يسكت في الواقع.

«لقد سحقتنا لبناء مملكتك على حساب دمائنا وعظامنا. لم يكن خطؤك أنك تركتنا على قيد الحياة، خطؤك هو أنك اعتقدت أننا لن نرد العدوان بمثله!».

خطا «عنان» للأمام، بفك مشدود، وعينين تتنقلان بيننا جيئة وذهابًا، وسطع الغضب الذي في عيني «ساران» وهو يضحك ضحكة مكتومة طويلة.

«تعرفين ما يثير اهتمامي بخصوص نوعك؟ أنتم دائمًا تبدءون في منتصف القصة، وكأن والدي لم يكافح من أجل حقوقكم، وكأنكم أيها الديدان لم تحرقوا عائلتي أحياء».

«لا يمكنك استعباد شعب بأكمله لتمرد عدد قليل».

كشَّر «ساران» عن أسنانه، «يمكن للملك أن يفعل ما يشاء».

«إن جهلك سيودي بك». بصقت في وجه «ساران». «بالسحر أم بدونه، لن نستسلم، بالسحر أم بدونه، سنستعيد ما لنا!».

تغضَّنت شفتا «ساران» فعادت إليه زمجرته مرة أخرى، «كلمات شجاعة لدودة توشك أن تموت».

دودة.

مثل ماما.

مثل كل أخ و أخت تم ذبحهم بأمر منه.
همست: «سيكون من الحكمة أن تقتلني الآن؛ لأنك لن تحصل على أي من القطع الأثرية».
ابتسم «ساران» ابتسامة بطيئة وشريرة مثل قط الغاب.
ضحك وهو يقول: «أيتها الطفلة، لو كنت في مكانك، ما تكلمت بكل هذه الثقة».

# الفصل الرابع والستون

## عنان

*ضاقت جدران الزنزانة*، وصرت محاصرًا في هذا الجحيم، أحتاج إلى كل قوتي كي أستطيع أن أقف وألا أنحني في وهج أبي، لكن بينما كنت أستطيع التنفس بصعوبة، قامت «زالي»، متحدية، نارية الطباع كما عهدتها.

لا تفكير في حياتها.

لا خوف من موتها.

كنت أود أن أصرخ بصوت أعلى من صوتها قائلًا: توقفي، *لا تتحدثي!*

مع كل كلمة، رغبة أبي في كسرها كانت تتزايد.

طرق الباب بعنف، وبعد طرقتين حادتين، انفتح الباب المعدني على مصراعيه، ودخل طبيب الحصن محاطًا بثلاثة ملازمين؛ ونظراتهم جميعًا مثبتة إلى الأرض.

«ماذا يحدث؟». خرج صوتي أجش. من الصعب الحديث تحت وطأة مدافعة سحري مرة أخرى. تصبب العرق من بشرتي حين تسربت دفعة أخرى من الهواء الساخن من خلال فتحة التهوية.

نظر الطبيب إليَّ قائلًا: «هل سُمُوُّك...؟».

قاطعه أبي بقوله: «أنت تنفذ أوامري، وليس أوامره».

أسرع الطبيب للأمام، ساحبًا سكينًا حادًّا من جيبه. خنقتُ صرخة وهو يُشرِّح رقبة «زالي».

صرخت: «ماذا تفعل؟». كزت «زالي» على أسنانها، بينما الطبيب يحفر بنصله.

صرختُ في ذعر: «توقف!». ليس الآن، ليس هنا.

قفزت إلى الأمام، لكن أبي وضع يده على كتفي بقوة حتى كدت أقع. شاهدت في رعب والطبيب يقطع حرف إكس ضحلًا في رقبة «زالي»، وبيد غير ثابتة، قام بدفع إبرة سميكة مجوفة في الوريد المكشوف.

حاولت «زالي» أن تعيد رأسها إلى الخلف، لكن ملازمًا حال دون حركته، وأخرج الطبيب قارورة صغيرة من سائل أسود واستعد لصب

المصل في الإبرة.
«أبي، هل هذا من الحكمة؟». استدرت نحوه. «إنها تعرف أشياء، هناك المزيد من القطع الأثرية، يمكن أن تجدها، إنها الشخص الوحيد الذي يفهم اللفافة...».
«كفى!». ضاقت قبضة أبي على كتفي بشدة حتى شعرت بالألم. إنني أثير غضبه الآن. إذا واصلت، فلن يزيد هذا «زالي» إلا ألمًا.
نظر الطبيب إليَّ مرة أخرى وكأنه يبحث عن سبب للتوقف، لكن حين طرق أبي الحائط بقبضته، صبَّ الطبيب المصل من فتحة في الإبرة المجوفة، موصِّلًا له مباشرة إلى الوريد.
انتفض جسد «زالي» وتشنج، وجرى المصل تحت بشرتها، وصارت أنفاسها قصيرة وسريعة، وكبرت عدستا عينيها واتسعتا.
ضاق صدري والدم يندفع داخل رأسي.
ولم يكن إلا صدى لما يفعلونه بها...
قال أبي وقد ظن حزني إحباطًا: «لا تقلق، بطريقة أو بأخرى، سوف تخبرنا بما تعرفه».
انقبضت عضلات «زالي» فاهتزت السلاسل، والتصقت بالحائط وفخذاي ترتعشان، وكافحت للحفاظ على صوتي هادئًا. الاحتفاظ بهدوئي هو فرصتي الوحيدة لإنقاذها.
«ماذا ستعطيها؟».
ابتسم أبي قائلًا: «شيء للحفاظ على دودتنا الصغيرة يقظة، لا يمكن أن نسمح لها بالإغماء قبل أن نحصل على ما نحتاج إليه».
سحب ملازم خنجرًا من حزامه، قام آخر بتمزيق ثوب «زالي»، وكشف بشرة ظهرها الناعمة، حمل الجندي النصل في حرارة لهب الشعلة، وسخن المعدن، حتى درجة الاحمرار.
سار أبي إلى الأمام، وزادت شدة تشنجات «زالي»، وصارت عنيفة حتى إن الملازمين الآخرين اضطرا لتثبيتها.
«أنا معجب بتحديك أيتها الصغيرة. من المثير للإعجاب أنك صامدة حتى الآن، لكنني لن أستطيع أن أزعم أنني أؤدي وظيفتي كملك إذا لم أذكرك بحقيقتك».
كانت السكين تحرق في جلدها بغضب شديد حتى إن ألمها كان يتسرب إليَّ.

«آآآآه». اندلعت صرخة تجمد الدم في العروق من حلق «زالي». مزقت الصرخة صميم كياني.

«لا!». صرخت، وركضتُ للأمام، منقضًا مباشرة على الملازم.

ركلت أحد الحراس الذين يثبتون «زالي».

وركلت الآخر في المعدة.

ارتطمت قبضتي بالملازم الذي ينحت في ظهرها، لكن قبل أن أفعل أي شيء آخر صرخ أبي: «قيدوه!».

على الفور، قبض حارسان على ذراعي، وتفجر العالم كله باللون الأبيض، وملأت رائحة اللحم المحترق أنفي.

«كنت أعرف أنك لن تحتمل هذا». بطريقة أو بأخرى اخترق إحباط أبي صوت صرخات «زالي»، قال بغتة: «أخرجوه، الآن!».

أشعر بأمر أبي أكثر من سماعي له، ورغم أنني أكافح للبقاء في المقدمة، كنت أُدفع إلى الخلف. طوال الوقت، كانت صرخات «زالي» تتزايد.

كانت تصل بعيدًا أكثر فأكثر فحسب.

كان نشيجها وصرخاتها يرتدان عن الجدران المعدنية، وبينما كان لحمها المحترق يبرد، تبينت شكل الحرف إم (M).

وحين صار تنفس «زالي» ضحلًا، بدأ الملازم في حرف «الإيه» (A).

*«لا!»*

ألقوا بي إلى الردهة، وأُغلق الباب بقوة.

طرقت بشدة حتى تمزقت مفاصلي ونزفت، لكن لم يخرج أحد.

*فكّر!* اندفعت برأسي في الباب، ودمي يفور بينما صرخاتها تتعالى. لا أستطيع الدخول، أحتاج إلى إخراجها.

عدوت بطول الممر، لكن المسافة لم تُجِد شيئًا في كسر المعاناة، والوجوه المعنية تومض وأنا أتعثر مارًّا بها.

تحركت شفاه.

تحدث أشخاص.

تحدث.

لا أستطيع أن أتبين أصواتهم بسبب صراخ «زالي». صرخاتها تدوي خلال الباب، وتزداد شدة على شدتها في رأسي.

اندفعت داخلًا إلى أقرب حمام وصفقت الباب، وبطريقةٍ ما أقفلت القفل.

يمكنني أن أشعر أنهم بدءوا في حرف «الجي» (G) الآن؛ شعرت وكأن المنحنى يتم حفره في ظهري أنا.

*«آآآآه!»*.

أمسكت بحافة الحوض الخزفي بيدين مرتعشتين. كل ما في أحشائي خرج، وشعرت بلهيب في حلقي من حرارة القيء.

العالم يدور من حولي، عنيفًا وساحقًا، ليس بيدي إلا عدم الغياب عن الوعي، لا بد أن أستجمع قواي، أحتاج إلى إخراج «زالي»..

*شعرت بأزيز في التنفس*.

الهواء البارد يضربني مثل قالب طوب يضرب وجهي، ويجذب رائحة العشب الرطب إلى رئتي، أعواد الخيزران الذابلة تدغدغ قدمي.

أرض الأحلام.

الإدراك جعلني أنهض على ركبتي.

لكن ليس لدي وقت لأضيعه، يجب أن أنقذها، ينبغي أن أحضرها إلى هذا المكان.

أغمضت عيني وتصورت وجهها، فضة عينيها الطاغية. ما هو الحرف الجديد الذي نحتوه في ظهرها؟ قلبها؟ روحها؟

في غضون ثوانٍ، ظهرت «زالي»، لاهثة، نصف عارية.

يداها تقبضان الأرض.

عيناها معلقتان فارغتان في رأسها.

كانت تحدِّق في أصابعها المرتعشة دون إدراك لمكانها.

من هي؟

«زالي؟».

شيء مفقود، احتجت لثانية كي أدرك الخطأ. روحها لا تفيض مثل المد والجزر في المحيط.

ذهبت رائحة ملح البحر التي كانت تميز روحها.

«زيل؟».

بدا أن العالم يتقلص من حولنا، مقربًا بين حدوده البيضاء الغائمة. كانت ساكنة.. شديدة السكون حتى إنني لا أعرف إن كانت قد سمعتني أم لا.

مددت يدي نحوها، وحين مست أصابعي بشرتها، صرخت وتراجعت إلى الخلف.

«زيل..».

ومضت عيناها بشيء وحشي، واشتدت رجفتها.

حين تحركت نحوها، زحفت إلى الوراء، ممزقة، مكسورة، توقفت ورفعت يدي، وشعرت بألم في صدري من المنظر. ليس ثمة ما يدل على المُحارِبة التي عرفتها، المقاتلة التي بصقت في وجه أبي، لا أرى «زيل» على الإطلاق.

فقط القشرة الخارجية التي تركها أبي.

همست: «أنت آمنة، لا أحد يستطيع أن يؤذيك هنا».

لكن عينيها امتلأتا بالدموع، قالت وهي تبكي: «لا أستطيع أن أشعر بذلك، لا أستطيع أن أشعر بأي شيء».

«تشعرين بماذا؟».

تحركت نحوها، لكنها هزت رأسها ودفعت نفسها إلى الخلف خلال الخيزران بقدميها.

«لقد ولّت». قالت نفس العبارة مرة أخرى، «ولّت».

تكومت وسط عيدان الخيزران، تتلوى من ألم لا تجد منه مهربًا.

واجبك قبل نفسك.

أنشبت أظفاري في الطين.

تردد صوت أبي عاليًا في رأسي، الواجب قبل أي شيء آخر.

عادت نيران «كوامي» إلى الحياة خلف عيني، تلتهم كل شيء في طريقها، و اجبي هو منع ذلك.

واجبي ينبغي أن يكون إبقاء أوريشا على قيد الحياة.

لكن العقيدة ذات رنين أجوف، تحفر حفرة بداخلي مثل السكين التي حفرت ظهر «زالي».

الواجب ليس كافيًا حين يعني تدمير الفتاة التي أحبها.

# الفصل الخامس والستون

# أماري

*سوف يُجدي هذا.*

بحق السماء، يجب أن يُجدي هذا.

تمسَّكت بهذا الأمل الواهن بينما أنا و«زين» نجوب الحارات بين الهياكل الصدئة في جومبي، مندمجين مع الظلال والظلام.

بوصفها مدينة الحديد والمسابك، تعمل مصانع جومبي في وقت متأخر من الليل، وترتفع الهياكل المعدنية التي أقامها سحرة المعادن قبل الغارة، وتنحني في أشكال مستحيلة.

على عكس المستويات التي تفرق بين فئات «لاجوس»، تنقسم جومبي إلى أربعة أرباع، تفصل الحياة السكنية عن صادرات الحديد، عبر الشبابيك المغطاة بالغبار يعمل الربانيون في سبك سلع أوريشا لليوم التالي.

«انتظري»، أمسك بي «زين» بينما دورية من الحراس المدرعين تمر محدثة ضجيجًا.

همس حين مروا: «حسنًا»، لكن صوته كان يفتقر إلى التصميم المعتاد. كررت في عقلي *أن هذا سوف يُجدي*، متمنية أن أستطيع إقناع «زين» أيضًا. حين ينتهي هذا الأمر، *فإن «زالي» ستكون بخير.*

بمرور الوقت، تحولت شوارع المطاحن الضيقة المزدحمة إلى قباب حديدية شاهقة في وسط المدينة، وحين دقت الأجراس، غمرنا العمال الخارجون من أعمالهم، كل منهم مغطى بالغبار والحروق بمعدن الحديد. تبعنا الحشد باتجاه الموسيقى والطبول التي تُقرع في الليل.

وبينما تحل رائحة الخمور محل رائحة الدخان، ظهرت مجموعة من القضبان، كل منها تحت قبة صغيرة صدئة.

سألت: «هل سيكون هنا؟» ونحن نتجه إلى هيكل رديء بشكل خاص أكثر هدوءاً من الباقي.

«هذا أفضل مكان للبحث. عندما كنت في جومبي العام الماضي من أجل الألعاب الأوريشانية، كان كينيون وفريقه يأخذونني إلى هنا كل ليلة».

«جيد». تكلفتُ الابتسام من أجل «زين». «هذا كل ما نحتاجه».

«لا تسرفي في الثقة، حتى لو وجدناه، أشك في أنه سوف يريد المساعدة».

«إنه رباني، لن يكون لديه خيار».

«نادرًا ما يكون أمام الربانيين خيارات». طرق «زين» بمفاصل أصابعه على الباب المعدني. «حين يكون أمامهم خيار، عادة ما يختارون الاعتناء بأنفسهم».

قبل أن أتمكن من الرد، انفتح شق في الباب، وصاح صوت أجش: «كلمة السر؟».

«*لو... إيش*».

«هذه قديمة».

«أوه...»، توقف «زين»، كما لو أن الكلمة الصحيحة قد تظهر من العدم، «هذه هي الوحيدة التي أعرفها».

هزَّ الرجل كتفيه: «كلمة السر تتغير كل ربع شهر».

دفعت «زين» جانبًا ووقفت على أطراف أصابعي، محاولة الوصول إلى الشق. «نحن لا نعيش في جومبي يا سيدي، ساعدنا من فضلك».

زوَّى الرجل بين عينيه وبصق خلال الشق. تراجعت في اشمئزاز. «لا أحد يدخل بدون كلمة سر، خصوصًا النبلاء».

«سيدي، من فضلك..».

أزاحني «زين» جانبًا: «إذا كان كينيون هناك، فهل يمكنك إخباره أنني هنا؟ زين أديبولا، من إيلورين؟».

أُغلق الشق بقوة، وحدق في الباب المعدني بخيبة أمل. لو لم أدخل، فلا ريب أن «زالي» سينتهي أمرها.

سألت: «هل هناك طريقة أخرى للدخول؟».

دمدم «زين»: «لا، هذا لم يكن ليُجدي نفعًا أبدًا، نحن نضيِّع الوقت، بينما نحن نقف هنا، ربما تكون زالي قد ما..»، أمسك عن إكمال الجملة وأغمض عينيه، وتجمد كل ما بداخله، فتحتُ قبضتيه المكورتين ومددت يدي نحو وجهه، ووضعت يدي على خديه.

«زين، ثق بي، لن أخذلك، إذا لم يكن كينيون هنا، يمكن أن نجد أحدًا آخر..».

«اللعنة»، تأرجح الباب مفتوحًا وظهر رباني ضخم، وذراعاه الداكنان تغطيهما الأسلحة المغطاة بأكمام من وشوم زخرفية. «أعتقد أنني مدين لخاني بقطعة ذهبية».

كان شعره الأبيض مجموعًا في خُصَل طويلة ورفيعة، ومجمَّعًا في صورة كعكة في أعلى رأسه، أحاط «زين» بذراعيه، طاغيًا إلى حد ما على بنيانه الهائل.

«يا رجل، ماذا تفعل هنا؟ ليس من المفترض أن أتغلب على فريقك في أسبوعين».

افتعل «زين» الضحك. «أنا قلق على فريقك أنت، سمعت أن ركبتك انكسرت؟».

رفع «كينيون» ساق بنطلونه، وكشف عن دعامة معدنية مثبتة حول فخذه، «يقول الطبيب إنها ستُشفى قبل التصفيات، لكنني لست قلقًا، يمكنني هزيمتك وأنا نائم». تحولت عيناه إليَّ ببطء واستمتاع. «من فضلك أخبريني أن عصفورة لطيفة مثلك لم تأتِ هنا لمجرد أن ترى زين لا يخسر».

دفع «زين» «كينيون» فضحك، وأحاط عنق «زين» بذراعه، أذهلني أن «كينيون» لا يستطيع استشعار اليأس الذي يُدافعه «زين».

«إنه جيد يا دي». تحول «كينيون» إلى حارس الحانة. «أعدك، يمكنني أن أضمنه».

نظر صاحب الصوت الأجش حول الباب. رغم أنه يبدو في العشرينات من عمره لا أكثر، فإن وجهه تميزه الندوب، «حتى الفتاة؟» أومأ ناحيتي، أراح «زين» يده على يدي.

«لا خوف منها»، ضمنني «زين»: «لن تقول كلمة».

تردد «دي» لكنه تراجع إلى الوراء، مما سمح لـ «كينيون» بقيادتنا إلى الداخل، رغم أنه ظل ينظر لي شزرًا حتى اختفيت من أمامه.

تردد صخب الطبول خلال بشرتي ونحن ندخل الحانة سيئة الإضاءة. كانت القبة مكتظة والزبائن شبابًا؛ لا أحد يبدو أكبر بكثير من «كينيون» أو «زين».

كل واحد من الموجودين كان يظهر ويختفي وسط الظلال، تحت أضواء الشموع الواهنة المتراقصة. كان وهجها يضيء الطلاء المتقشر وبقع الصدأ التي تشوه الجدران.

في الركن الخلفي، كان رجلان يوقِّعان إيقاعًا هادئًا على جلد طبول الأشيكو، بينما يعزف آخر على المفاتيح الخشبية للبالافون، وهم يعزفون بسهولة تنم عن دُربة ويملئون الجدران الحديدية بصوتهم النابض بالحياة.

همست في أذن «زين»: «ما هذا المكان؟».

على الرغم من أنني لم أطأ بقدمي حانة من قبل، فإنني سرعان ما أدركت لماذا تحتاج هذه لكلمة سر. كل الزبائن تقريبًا كان شعرهم يلمع باللون الأبيض، مما خلق بحرًا يموج بالربانيين، والعدد القليل من الكوسيديين الذين نجحوا في الدخول مرتبطون جميعًا بشكل واضح بالربانيين المنتمين للمكان، ويجلس الأزواج المختلفون يدًا في يد يتبادلون القبلات، وقد أغلقوا المسافة بين خصورهم.

أجاب «زين»: «إنه يُدعى توجو، بدأ الربانيون هذه الأماكن منذ سنوات، لديهم منها في معظم المدن، وهي واحدة من الأماكن المحدودة التي يمكن أن يذهب إليها الربانيون للقاء في سلام».

فجأة بدا أن عداوة البواب لم تكن في غير محلها، يمكنني فقط أن أتخيل مدى سرعة الحراس في تفريق تجمع مثل هذا.

همس «زين» بينما كان «كينيون» يقودنا نحو طاولة في الخلف: «لقد لعبت ضد هؤلاء الرجال لسنوات، وهم يتَّسمون بالولاء، لكنهم خاضعون لسلطة الحراس، اتركيني أتحدث أنا معهم، سألطِّف من رد فعلهم».

همستُ بدوري: «ليس لدينا وقت للتلطيف، إذا لم ندفعهم للقتال..».

«لن يكون هناك قتال إذا لم أستطع إقناعهم بأن يقولوا نعم»، وكزني «زين» وكزة خفيفة، «أعلم أن وقتنا ضيق، لكن معهم يجب أن تسير الأمور على مهل».

«زين»!

تعالت صيحات إثارة حين وصلنا إلى طاولة بها أربعة ربانيين لا يسعني إلا أن أفترض أنهم فريق «كينيون» الكامل. كان كل لاعب أكبر ممن قبله، حتى الفتاتان التوءمان اللتان يطلق عليهما زين «إيماني» و «خانى» كانتا تقتربان من طوله.

حضور «زين» كان يحث الابتسامات والضحك، نهض الجميع مصفقين مربتين على ظهره، وراحوا يعابثونه بخصوص بطولة الأجبون القادمة، طنَّت في ذهني تعليمات «زين» لأخذ الأمور على مهل، لكن

أصدقاءه كانوا منشغلين بالألعاب لدرجة أنهم لم يدركوا أن عالم «زين» ينهار.

قاطعت الضجيج بقوة: «نحن بحاجة لمساعدتكم». كانت تلك أول جملة استطعت إقحامها، فتوقف الفريق ليحدقوا بي، كما لو كانوا يلاحظونني للمرة الأولى.

احتسى «كينيون» مشروبه البرتقالي الزاهي وتحول إلى «زين»: «تحدث، ماذا تحتاج؟».

جلسوا في صمت بينما «زين» يشرح وضعنا المحفوف بالمخاطر، وخمدت أنفاسهم حين علموا بسقوط مستعمرة الربانيين. أخبرهم بكل شيء من أصل اللفافة إلى الطقس الوشيك، وانتهى بالقبض على «زالي».

أضفت: «باقٍ على الانقلاب يومان، حتى ننجح، علينا أن نتصرف بسرعة».

«اللعنة»، تنهد «آيفي»، ورأسه الحليق يعكس ضوء الشموع. «أنا آسف، ولكن إذا كانت هناك، فلا سبيل إلى إخراجها».

« لا بد أن يكون هناك ما يمكننا القيام به!». أشار «زين» إلى «فيمي»، وهو رباني عريض المنكبين بلحية قصيرة. «ألا يمكن لأبيك المساعدة؟ ألا يزال يرشُو الحراس؟».

أظلم وجه «فيمي». وبدون كلمة ارتد إلى الوراء بعنف، ونهض بسرعة كادت تجعله يقع على الطاولة.

«لقد أخذوا والده قبل أشهر قليلة». انخفض صوت «خاني». «لقد بدأ الأمر بخلاف ضريبي، لكن...».

أنهت «إيماني» القصة قائلة: «بعد ثلاثة أيام وجدوا جثمان...».

اللعنة، حدقت خلف «فيمي» وهو يشق طريقه وسط الزحام. ضحية أخرى لسلطة أبي، سبب آخر كي نتصرف الآن.

تجهَّم وجه «زين»، مدَّ يده وأمسك الكأس المعدنية لشخص ما بقوة أحدثت به خدوشًا.

قلت: «لم ينتهِ الأمر بعد، إذا لم نتمكن من الدخول بالرشوة، يمكننا تهريبها».

أطلق «كينيون» صوتًا كالشخير وأخذ رشفة طويلة أخرى من مشروبه. «نحن كبار الحجم، ولسنا أغبياء». «ما الغباء في هذا؟ لستم بحاجة للحجم، تحتاجون فقط لسحركم».

حين أتى ذكر *السحر*، تجمد جميع من حول الطاولة، وكأنني تفوهت ببذاءة مهينة، وتلفتوا جميعًا حولهم وراح كل واحد منهم ينظر إلى الآخرين، لكن «كينيون» ثبَّت نظرة حادة عليَّ.

«نحن لا نملك سحرًا».

«ليس بعد». أخرجت اللفافة من حقيبتي. «لكن يمكننا أن نعيد إليكم قدراتكم مرة أخرى. تم تصميم القلعة لمقاومة الرجال، وليس الماجي».

توقعت أن يقوم واحد منهم على الأقل بإلقاء نظرة فاحصة، لكن الجميع راحوا يحدقون في اللفافة كما لو كانت فتيلًا على وشك الانفجار، وتراجع «كينيون» عن الطاولة.

«لقد حان وقت ذهابكم».

في لحظة، نهضت «إيماني» و«خاني»، وقبضت كل منهما على ذراع لي.

«مهلًا!». صاح «زين»، وراح يقاوم، بينما «آيفي» و«كينيون» يجذبانه.

«اتركاني!».

توقفت الحانة، حيث حرص من بها على ألا يفوتهم جزء من الترفيه، ورغم أنني كنت أركل وأصرخ، لم تتراخ الفتاتان، وأسرعتا بدلًا من ذلك إلى الأبواب كأن حياتيها تعتمدان على ذلك، ولكن حين كانت أنفاس «إيماني» تخرج في زفرات قصيرة، واشتدت قبضة «خاني» عليَّ، أدركت ما لم أكن أدرك.

*إنهم ليسوا غاضبين..*

إنهم خائفون.

تحررت من قبضتيهما بمناورة علمنيها «عنان» منذ أشهر مضت. أمسكت بمقبض سيفي، وأخرجت النصل بحركة حادة.

«لست هنا لإيذائكم». حافظت على صوتي منخفضًا. «رغبتي الوحيدة هي إعادة سحركم مرة أخرى».

سألت «إيماني»: «من أنت بحق الجحيم؟».

تحرر «زين» أخيرًا من قبضة «كينيون» و «آيفي»، واندفع خلال الربانيين والتوءمين للوصول إلى جانبي.

«إنها معي»، أجبر «إيماني» على التراجع. «هذا كل ما تحتاجون لمعرفته».

« لا بأس»، خرجت من ظل «زين»، تاركة دائرة حمايته، اخترقتني كل الأعين في الحانة، لكن لأول مرة أصبحت لا أتوارى خجلًا. تخيلت أمي أمام حشد من الأقارب، قادرة على قيادة غرفة بأدنى تقوس لحاجبها. يجب أن أستدعي تلك القدرة الآن.

«أنا الأميرة أماري، ابنة الملك ساران، و...» على الرغم من أن الكلمات لم تغادر شفتي من قبل قط، أدركت الآن أنه ما من خيار آخر. لا يمكنني أن أجعل نسبي يقف في طريقي، «وأنا ملكة أوريشا المستقبلية».

انعقد حاجبا «زين» من المفاجأة، لكنه لم يدَعْ نفسه أسير الصدمة لفترة طويلة. غرقت الحانة في ثرثرة لا تنضب استغرقت وقتًا طويلًا جدًّا لتهدئتها. في النهاية تمكن من إسكات الحشد.

«منذ إحدى عشرة سنة مضت قضى أبي على سحركم، إذا لم نتصرف الآن بشكل جيد، فقد نفقد الفرصة الوحيدة المتاحة لإعادته».

نظرت حول التوجو، في انتظار أن يعترضني أحد أو يحاول مرة أخرى إلقائي إلى الخارج، غادر بعض الربانيين، لكن بقي معظمهم متعطشين للمزيد. فردت اللفافة ورفعتها حتى يتمكنوا من رؤية نصها القديم.

مال رباني للمسها وارتد بعنف حين سرت دفقة هواء من يديه. هذا البرهان غير المقصود مَنحَني كل الإثبات الذي أحتاج إليه.

«هناك طقس مقدس؛ طقس سيعيد اتصالكم بالآلهة، إذا لم أتمه أنا وأصدقائي خلال الانقلاب المئوي في غضون يومين، فسيختفي السحر إلى الأبد»، *وسيجتاح أبي الشوارع ليذبح شعبكم مرة أخرى، سيطعن في سويداء القلب، سيقتلكم كما قتل صديقتي*.

درت بعيني في الغرفة، ورحت أنظر في عيني كل رباني. «إن الخطر يهدد ما هو أكثر من سحركم، بقاؤكم على قيد الحياة سيكون على المحك».

استمرت الهمهمات حتى صاح شخص من الحشود: «ماذا علينا أن نفعل؟».

خطوت للأمام، وأعدت إغماد نصلي ورفعت ذقني: «هناك فتاة محاصرة في قلعة الحراس خارج جومبي، هي المفتاح، أحتاج إلى سحركم لإخراجها. إذا أنقذتموها، فإنكم تنقذون أنفسكم».

بقيت الغرفة صامتة للحظة طويلة، جلس الجميع في سكون، لكن «كينيون» مال إلى الوراء، عاقدًا ذراعيه بتعبير لا أستطيع فهمه.

«حتى لو أردنا المساعدة، أيًّا كان السحر الذي ستمنحنا إياه تلك اللفافة».

«لا تقلق». مددت يدي في حقيبة «زالي» الجلدية، وسحبت حجر الشمس. «إذا وافقتم على المساعدة، فسأتولى أنا هذا».

# الفصل السادس والستون

# عنـان

*طاردتني صرخات «زالي» طويلًا بعد أن انتهت.*

حادة.

ثاقبة.

ورغم أن وعيها المبتور كان مستقرًا في أرض الأحلام، ظل اتصالي البدني بجسدها قائمًا. أصداء ألمها تحرق بشرتي. في بعض الأحيان يكون الألم شديدًا لدرجة أن التنفس يكون مؤلمًا. قاومت لستر الألم وأنا أطرق باب أبي.

بالسحر أم بغيره، لا بد لي من إنقاذها. لقد خذلت «زالي» بالفعل مرة، ولن أسامح نفسي أبدًا إذا تركتها تموت هنا.

«ادخل».

فتحت الباب وأخمدت سحري، ودخلت إلى رواق القائدة الذي استولى عليه أبي، وكان يقف في ثياب نوم مخملية، ويفحص خريطة باهتة. لا علامة على الكراهية، ولا حتى لمحة اشمئزاز.

بالنسبة له، كان نحت كلمة «دودة» في ظهر فتاة مجرد عمل يوم آخر.

«أردت رؤيتي».

اختار أبي عدم الإجابة للحظة طويلة. التقط الخريطة ورفعها في النور، وكان حرف إكس أحمر يميز وادي الربانيين.

في تلك اللحظة، أتاني هذا الخاطر: موت «زليخة»، صرخات «زليخة»، لا تعني شيئًا بالنسبة له. لأنها من الماجي، لا تعني شيئًا.

كان يدعو إلى تقديم الواجب على النفس، لكن أوريشا لا تشملهم، ولم تكن يومًا تشملهم.

لم يكن يريد فقط محو السحر، كان يريد محوهم أنفسهم.

تحدث أخيرًا: «لقد أخزيتني، لا ينبغي أن تتصرف بهذه الطريقة أثناء استجواب».

«لا يمكن أن أسمي هذا استجوابًا».

وضع أبي الخريطة: «عفوًا؟».
لا شيء.
هذا ما يتوقع مني أن أقوله.
«زالي» تنتحب وترتجف في زوايا عقلي.
لن أدعو «التعذيب» باسم آخر.
«لم أعرف شيئًا ذا فائدة يا أبي، فهل عرفت أنت؟». ارتفع صوتي تدريجيًا. «المعلومة الوحيدة التي عرفتها هي إلى أي مدى يمكنك أن تجعل فتاة تصرخ».
لدهشتي، ابتسم أبي، لكن ابتسامته أخطر من غضبه.
«لقد قوَّتك سفرياتك». أومأ. «حسنًا، لكن لا تضيِّع طاقتك في الدفاع عن تلك..».
الدودة.
كنت أعرف ما سيقوله أبي قبل وقت طويل من خروج اللفظة المهينة من بين شفتيه. هكذا يراهم جميعًا، وهكذا سيراني.
تحولت عن موضعي، وتحركت حتى صرت قادرًا على تبين انعكاس صورتي في المرآة. مرة أخرى اختفى الخط تحت طلاء من صبغة سوداء، لكن السماء وحدها تعلم إلى متى سيبقى هذا.
«لسنا أول من يتحمل هذا العبء، تكبد كل هذا العناء للحفاظ على مملكتنا آمنة، البراتونيون، البورلتوجانيون.. تم سحقهم جميعًا لأنهم لم يحاربوا السحر بجدية كافية. أترضى أن أترك الدودة وأعرِّض أوريشا لنفس المصير؟».
«هذا ليس ما اقترحته، لكن..».
استمر أبي: «دودة مثل هذه عبارة عن ركوبة جامحة. لن تمنحك إجابات فحسب، بل عليك أن تكسر إرادتها، وتظهر قبضة جديدة». حوَّل نظره إلى المخطوطة. صنع حرف إكس آخر على إيلورين، «كنت ستفهم هذا لو كانت لديك نية للبقاء. في النهاية، أخبرتني الدودة بكل شيء كنت بحاجة لمعرفته»،
سرت قطرة من العرق فوق ظهري. كورت قبضتي، «كل شيء؟».
أومأ أبي. «لا يمكن تدمير اللفافة إلا بالسحر. كنت أتوقع مثل هذا حين أخفق الأميرال «إيبيلي»، لكن الفتاة أكدته، وفي ظل وجودها بقبضتنا،

حصلنا أخيرًا على كل ما نريد. وبمجرد أن نستعيد اللفافة، سنجعلها تقوم هي بالمطلوب».

شعرت بقلبي يدق في حلقي. اضطررت إلى أن أغمض عيني للحفاظ على هدوئي، «لذا فسوف تعيش؟».

«حاليًّا». مرَّ أبي بأصابعه على حرف الإكس الذي يميز وادي الربانيين، جرى الحبر الأحمر سميكًا، يقطر مثل الدم.

«ربما يكون هذا هو الأفضل». تنهد قائلًا: «لقد قتلت كايا. الموت السريع يعتبر هدية بالنسبة لها».

شعرت بجسدي يتجمد.

طرفت عيناي بقوة، بقوة أكثر مما ينبغي.

تلعثمت وأنا أقول: «ما.. ماذا؟ هي قالت ذلك؟».

قاومت لقول المزيد، لكن كل الكلمات جفت في حلقي، وومضت كراهية «كايا» مرة أخرى في عيني. دودة.

«اعترفت بأنها كانت في المعبد». كان أبي يتحدث كما لو كان الجواب واضحًا. «وهذا هو المكان الذي عثروا فيه على جثة كايا».

التقط بلورة فيروزية صغيرة ملطخة بالدماء. تقلصت معدتي حين رفعها في النور.

سألت: « ما هذا؟»، رغم أنني أعرف الإجابة بالفعل.

«نوع من أنواع الرواسب». مطَّ أبي شفتيه. «تركتها الدودة في شعر كايا».

سحق أبي بقايا سحري حتى صار غبارًا، وحين انهار، اجتاحتني رائحة الحديد والنبيذ، رائحة روح «كايا».

«حين تجد أختك، أجهز عليها». كان أبي لا يتحدث إليَّ بقدر ما يتحدث إلى نفسه، يمكنني التضحية بأي عدد من الأشخاص للحفاظ على سلامتكما، لكنني لا أستطيع أن أسامحها على الدور الذي لعبته في وفاة كايا».

تشبثت بمقبض السيف وأجبرت نفسي على الإيماء، أكاد أشعر بالسكين تحفر كلمة «خائن» في ظهري.

«أنا آسف، كنت أعرف..» لقد كانت شمسك. «أعرف... كم كانت تعني بالنسبة لك».

راح أبي يعبث بخاتمه مستغرقًا في عواطفه: «لم تكن تريد الذهاب، كانت تخشى حدوث شيء كهذا».

«أعتقد أنها كانت تخشى إحباطك أكثر من موتها».

كلنا كذلك، كنا دائمًا كذلك.

لا أحد كذلك أكثر مني.

سألت: «ماذا ستفعل معها؟».

«مع مَن؟».

«زالي».

طرفت عينا أبي وهو ينظر إليَّ.

لقد نسي أن لها اسمًا.

«الطبيب يعتني بها الآن، نحن نعتقد أن اللفافة مع شقيقها، غدًا نستخدمها كطعم لاستردادها، بعد أن تصير في أيدينا، ستدمرها للأبد».

سألت مُلحًّا: «وبعد ذلك، بعد أن تذهب، ماذا عندئذ؟».

«ستموت». التفت أبي مرة أخرى إلى خريطته، ورسم مسارًا، «سنطوف بجثتها حول أوريشا، ونذكِّر الجميع بما يحدث إن تحدَّونا، فإن فكروا في التمرد، محوناهم جميعًا في التو واللحظة».

قلت: «ماذا لو أن هناك طريقة أخرى؟». ألقيت نظرة على المدن بالخريطة، «ماذا لو استطعنا سماع شكاواهم.. واستخدام الفتاة كسفيرة؟ هناك أناس... أناس تحبهم هي، يمكننا استخدامهم لضمان ولائها. أن تصير ماجي نتحكم به». بدت كل كلمة خيانة، لكن حين لم يقاطع أبي، واصلت الحديث، لم يكن لدي خيار، لا بد لي من إنقاذها بأي ثمن. «لقد رأيت أشياء في هذه الأسفار يا أبي. أنا أفهم الربانيين الآن. إذا استطعنا تحسين وضعهم، فسنئِد احتمالات التمرد بالمرة».

«كان أبي يعتقد ذلك أيضًا».

أخذت نفسًا سريعًا.

أبي لا يتحدث أبدًا عن عائلته.

القليل الذي أعرفه عنهم يأتي من النميمة والهمسات التي تدور بالقصر.

«لقد ظن أنه بإمكاننا إنهاء اضطهادهم، وبناء مملكة أفضل. اعتقدت ذلك أيضًا، لكن بعد ذلك قتلوه، قتلوه وقتلوا كل من أحببتهم». وضع أبي يدًا باردة على رقبتي. «صدقني عندما أقول إنه لا توجد طريقة أخرى. لقد رأيت ما فعله ذلك الحارق بمعسكرهم».

أومأت، رغم أنني تمنيت لو لم أفعل ذلك. لا سبيل إلى مجادلة أبي وقد رأيت النيران تلتهم البشر بسرعة كبيرة لدرجة أنهم لم يتمكنوا من الصراخ.

اشتدت قبضة أبي، تقريبًا لدرجة الألم. «انتبهوا إلى كلامي وتعلموا هذا الدرس الآن، قبل فوات الأوان».

تقدم أبي إلى الأمام وعانقني. لمسة غريبة جدًّا جعلت بدني يقشعر. آخر مرة أحاطت بي ذراعاه فيها كنت صغيرًا. بعد أن أصبت «أماري». إن رجلًا يمكن أن يصيب أخته نفسها لهو رجل يمكن أن يكون ملكًا عظيمًا. لثانية سمحت لنفسي أن أشعر بالفخر، كنت فخورًا وأختي تنزف. «لم أكن مؤمنًا بك».

تراجع إلى الوراء. «لم أكن أعتقد أنك سوف تنجح. لكنك حافظت على أمن أورشيا. كل هذا سيجعلك ملكًا عظيمًا».

قادر على الحديث، أومأت. عاد أبي إلى خرائطه. لقد انتهى مني الآن، ولأنني ليس لدي شيء آخر لأقوله، غادرت الغرفة.

أمرت نفسي بالشعور؛ الشعور بأي شيء. أعطاني أبي كل شيء أردته، بعد كل هذا الوقت. آمن أخيرًا أنني سأكون ملكًا رائعًا. ولكن عندما أغلق الباب بقوة، انثنت ساقاي. سقطت على الأرض. مع وجود «زالي» في أغلالها، لا يعني هذا شيئًا.

# الفصل السابع والستون

## عنـان

*انتظرت حتى نام أبي.*

حتى غادر الحراس مواقعهم.

جلست في الظل، مراقبًا. وتأوّه الباب الحديدي حين خرج الطبيب من زنزانتها.

وجهه يغمره التوتر، وملابسه ملطخة بدمها.

قوّى منظره رغباتي.

*اعثر عليها، أنقذها.*

مرقتُ عبر الباب ودسَسْت مفتاحي، وحين انفتح الباب بصَرِيرٍ عالٍ، هيأت نفسي للمنظر.

لا شيء يمكن أن يعدَّني لهذا؛ «زالي» معلقة بلا حراك، وجسدها هامد تقريبًا، وفستانها الممزق غارق في الدماء. أحدث المنظر صدعًا جديدًا بداخلي، وأبي يظن أن الماجي هم الحيوانات.

اختلط بداخلي العار والغضب وأنا أختار المفتاح الصحيح. لا علاقة لهذا بالسحر. لأول مرة لا بد أن يكون هذا من أجلها.

فككت القيود التي تربط معصَمَيْ «زالي» وكاحليها، وأطلقت سراحها من قبضتهم. حملتها بين ذراعي وغطيت فمها، وبينما كانت تستيقظ، كتمت صوت صراخها.

مزقني ألمها إربًا. الغرز التي وضعها الطبيب كانت بالفعل قد انفصمت، ودمها يسيل من جسدها. قالت وسط نشيجها على بشرتي: «لا أشعر به».

عدَّلت من وضع ذراعي للضغط على الضمادات التي حول ظهرها.

«ستشعرين». حاولت تهدئتها. ماذا تعني بحق السماء؟

عقلها جدار، يدير عذابها في حلقة متصلة.

لا محيط ولا روح، ولا رائحة بحر. لا أستطيع مجاوزة هذا الكرب، إنها تعيش في سجن ألمها، «لا تفعل هذا». غرزت أظفارها في كتفي ونحن نصعد درجًا فارغًا، «أنا بالفعل أنزف حتى الموت، فقط دعني وشأني».

تسربت حرارة دمها خلال أصابعي، ضغطت بقوة أكبر على ظهرها.
«سنجد معالِجًا».
دوَّت طرقات أحذية الحراس قريبًا من الزاوية، فانحنيت داخلًا غرفة فارغة منتظرًا أن يمرُّوا. انكمشْت خوفًا وقاومت صرخة. ألصقتها بصدري أكثر، وحين خلا الممر، صعدت مجموعة أخرى من السلالم. كان قلبي يدق بعنف مع كل خطوة، «سيقتلونك». همسَتْ، و أنا أركض. «سيقتلك». استعرت صلابة الفولاذ مقاوِمًا كلماتها. لا يمكنني التفكير في هذا الآن؛ كل ما يهم هو هذا، أحتاج إلى إخراج «زالي» من..
دوت الصرخات أولًا، وأتت الحرارة ثانيًا.
سقطنا على الأرض بينما حريق من أعلى يشق جدار القلعة شقًّا.

# الفصل الثامن والستون

## أماري

***كانت القلعة تطل على أفق جومبي*** مثل قصر من الحديد، ملقية بظلالها طوال الليل، القوات منبثَّة في كل زاوية، لا يوجد متر واحد غير محمي لأكثر من لحظات. دق قلبي في حلقي ونحن ننتظر مرور الحراس الذين يقومون بدوريات السور الجنوبي. ثلاثون ثانية هي كل ما لدينا. أدعو الآلهة في الأعالي ألا نحتاج أكثر من ثلاثين ثانية.

همست لـ «فيمي»: «هل يمكنك أن تفعل هذا؟» وأنا أبتعد عن شجيرات الكينكيليبيا التي نستتر بها. منذ أن لمسَ حجر الشمس، لا تبقى يداه ساكنتين، حيث تمران على أصابعه، ولحيته، وأنفه المعقوف.

أومأ قائلًا: «أنا مستعد، من الصعب شرح هذا، لكنني أشعر به».

«اتفقنا». أعدت انتباهي إلى الدورية. في المرة القادمة التي يمرون فيها، سنذهب».

في اللحظة التي اجتاز فيها الحراس الزاوية، اندفعت أنا و«فيمي» عبر العشب البري المشذَّب، تبعنا سريعًا «زين»، و «كينيون»، و «إيماني»، ملتصقين بالظلال لتفادي رصدهم من قِبل مَن فوقهم. ورغم أن كثيرًا من رباني توجيو وافقوا على المساعدة، فقط «كينيون» وفريقه هم من كانوا على استعداد للمس اللفافة وإيقاظ سحرهم. كنت أتمنى أن يكونوا كافين للاستيلاء على القلعة، ولكن لم يكن من بينهم خمسة على الأقل يمكنهم أن يقاتلوا.

اتضح أن «خاني» معالجة، و «آيفي» أيقظ قدراته كمروِّض. بدون سحر يمكن أن يضرب بسرعة، لم يكن دخولهم آمنًا. لحسن الحظ، اتضح أن «كينيون» حارق، «وفيمي» ساحر معادن، و «إيماني» ساحرةُ مرضٍ. ليس هذا جيش الماجي الذي كنت أتمناه، ولكن مع فورة حجر الشمس، يمكن أن يكونوا الجنود الوحيدين الذين نحتاجهم.

قلت بصوت كالفحيح: «خمس عشرة ثانية»، وأنا ألهث حين وصلنا إلى الجدار الجنوبي، «فيمي» وضع يديه على الحديد البارد، وراح يحركها

فوق الأخاديد واللوحات برشاقة ساحر معادن مستنير. كان يبحث بيديه عن شيء لا أراه، ببطء مؤلم والوقت يتسرب من بين أيدينا موجعًا.

«عشر ثوانٍ».

أغمض «فيمي» عينيه والتصق أكثر بالجدار المعدني. انقبض صدري والوقت ينقضي سريعًا.

«خمس ثوانٍ!».

فجأة، توتر الهواء. توهج ضوء أخضر في يد «فيمي»، وانشق الجدار المعدني كما ينشق الماء. اندفعنا جميعًا خلال الشق الحديث، متسللين إلى القلعة بهدوء قدر ما نستطيع.

دوّى وقع أقدام شديدة بمجرد أن انزلق «فيمي» إلى الداخل. تمكن من إغلاق الجدار قبل لحظات من مرور الدورية القادمة.

الشكر للسماوات.

أطلقت زفرة طويلة بطيئة، مستمتعة بالنصر الصغير قبل بداية المعركة القادمة، لكن الآن يبدأ الجزء الصعب.

سيوف مصقولة تزين الجدران من حولنا، عاكسة وجوهنا القلقة. لا بد أن هذا مستودع الأسلحة... إذا كان هيكل هذه القلعة يعكس ما في لاجوس، فلا بد أننا بالقرب من مقر القيادة في الدور العلوي، وهذا يعني أن زنازين السجن لا بد أنها أسفل.

دار مقبض الباب، رفعت يدًا، وأشرت إلى الجميع بالانبطاح بعيدًا عن الأنظار حين فُتح باب مخزن الأسلحة بصرير مرتفع، وسمعت صوت حارس يقترب ولمحت انعكاس صورته في السيوف المتلألئة وهو داخل.

شاهدت الحارس، منتظرة، أعد كل خطوة يخطوها، وصار قريبًا، خطوة أخرى ويمكننا..

قلت بصوت كالفحيح «الآن!».

هجم «زين» و «كينيون»، فأسقطا الحارس على الأرض، وبينما كانا يدفعان بخرقة في فمه، ركضت وأغلقت الباب قبل أن يتسرب أي صوت، وحين عدت، كانت صرخات الجندي قد كُتمت. جثمت على الأرض وفردت نصلي، وألصقت المعدن البارد بعنقه.

«اصرخ حتى أقطع رقبتك».

أدهشني الغل الذي في كلماتي. كنت ألحظ هذا السم فقط في صوت أبي، لكنه أصاب الهدف. ابتلع الجندي ريقه بقوة وأنا أنتزع المُزقة من فمه.

قلت بصوت كالنباح: «سجينة الماجي، أين هي؟».
«ما.. ماذا؟».
طوَّح «زين» فأسه وجعلها فوق رأس الحارس، محذرًا إياه من أن يتظاهر بالجهل مرة أخرى. «الزنزانة في القاعدة! أسفل كل الدرج، الأبعد من اليمين».
ركل «فيمي» الحارس ف، الجبهة، فسقط مغشيًّا عليه، وارتطم الحارس بالأرض بصوت ثقيل ونحن نركض نحو الباب.
سألني «زين»: «والآن ماذا؟».
«ننتظر».
«إلى متى؟».
تطلعت إلى الساعة الرملية المعلقة حول عنق «كينيون»، ورحت أعد الحبات وهي تسقط بعد علامة الرُّبع. أين الموجة الثانية؟
« لا بد أن يكونوا قد ضربوا بالفعل..».
دوَّى صوت انفجار، وتردد صداه خلال الحديد تحت أقدامنا. التصقنا بالحائط والقلعة تهتز، ونحن نحمي رءوسنا من السيوف التي تنهمر من الجدران. دوَّت أصوات انفجارات أخرى من الخارج، وتبعتها صرخات حراس يجرون. فتحت الباب قليلًا، ورأيت الجنود يمرون مندفعين. كانوا يثبون نحو معركة أدعو ألا يجدوها أبدًا.
وافق الربانيون الذين لم يكونوا على استعداد لإيقاظ قدراتهم على القتال من مسافة بعيدة. باستخدام الكحول الموجود في الحانة، تمكنَّا من صنع ما يقرب من خمسين قنبلة لهب، بينما آخرون كانوا يصنعون المقاليع المستخدمة في إطلاق المتفجرات. من هذه المسافة، يمكن للربانيين الضرب والفرار على الركائب قبل اقتراب الحراس، وسنهرب حينما يُشتت انتباه الحراس.
انتظرنا حتى سكتت أصوات الخطوات المدوية قبل أن نفر من مستودع الأسلحة ونتجه أسفل الدرج في وسط القلعة. وثَبْنا من مجموعة درج إلى أخرى، هابطين طوابق برج الحديد. بضعة طوابق أخرى فقط ويمكننا تحرير «زالي»، وسوف نتوجه مباشرة إلى الجزيرة المقدسة. بقي يومان يمكن خلالهما أن ندرك الطقس في الوقت المناسب بالضبط.
لكن بينما كنا ننزل سلالم أخرى، أغلقت مجموعة من الجنود طريقنا، وعندما رفعوا نصالهم للضرب، لم يكن لدي من خيار سوى الصراخ:

«هجوم».

ضرب «كينيون» أولًا، مرسلًا نبضة خوف في بشرتي بينما صار الهواء ساخنًا بحرارته، دارت دوامات من وهج أحمر قوي حول قبضته؛ وبلكمة، اندلع تيار من اللهب، ألقى بثلاثة حراس إلى الحائط. اندفع «فيمي» إلى الأمام بعد ذلك، مستخدمًا سحره المعدني في إسالة نصال سيوف الحراس، وحين توقفوا بغتة، تقدمت «إيماني» إلى الأمام، ساحرة المرض، ربما الأكثر إثارة للفزع من الآخرين.

أطلقت طاقة خضراء داكنة من يديها، فحاصرت الرجال في سحابة خبيثة، في اللحظة التي تلمس فيها الحراس، ينهارون، صُفر الجلود والمرض يجتاح أجسامهم.

على الرغم من تتابع قدوم الحراس، ازدهرت قدرات الماجي، وقد أخرجها من مكمنها الخطرُ المُحِدق. كانوا يعتمدون على غريزة محضة، يغذيها تضخم غير منقوص في فَورة حجر الشمس.

قلت: «هيا بنا نذهب».

استفاد «زين» من الهستيريا، والتصق بالجدران ليتسلل خلال المعركة. تبعت تقدمه وانضممت إليه في الجانب الآخر، واثبين أسفل سلالم أخرى لإنقاذ «زالي». بهذه القوة، لا يمكن أن يوقفنا أحد. لن يقف جندي واحد في طريقنا. يمكننا هزيمة الجيش، بل يمكننا حتى مواجهة.. أبي!

كان الحراس يحيطون بأبي من جميع الجوانب، يحمونه من الهجوم وهو يركض بطول الطابق العلوي، وأثناء استكشافه للضجة، التقت عيناه البنيتان الداكنتان بعيني، في انقضاضته كصياد يستهدف فريسته. تعثر من هول الصدمة، لكن للحظة فقط، وحين استوعب أبي تورطي في الهجوم، أفلت غضبه كطوفان هادر.

«أماري!».

نظرته جدت الدم في عروقي، لكن هذه المرة معي سيفي. هذه المرة لا أخشى أن أضرب.

كوني شجاعة يا «أماري».

دوَّى صوت «بينتا» عاليًا. وملأ منظر دمها رأسي. يمكنني الانتقام لها الآن. يمكنني قطع رأس أبي. بينما كان الماجي يُخرجون الحراس، يمكن أن يحول سيفي بين جسد أبي ورأسه؛ قصاصًا لكل مجازره، كل روح مسكينة قتلها...

«أماري؟».

جذب «زين» انتباهي، وسمح لأبي أن يختفي خلف باب حديدي في نهاية ممره، باب يمكن لـ «فيمي» بسهولة أن تذيبه...

«ماذا تفعل؟».

غمزت لـ «زين» بعيني دون أن أنبس ببنت شفة. لم يكن هناك وقت للشرح، يومًا ما، سأقاتل أبي.

اليوم لا بد أن أقاتل من أجل «زالي».

# الفصل التاسع والستون

## عنان

***ألصقتُ «زالي» بصدري*** حين دوَّى صوت انفجار آخر. ارتجت القلعة. الدخان الأسود يملأ الهواء. رددت الجدران الحديدية صدى الصرخات. كانت الصرخات تخترق الباب المتفحم.

اندفعت داخلًا حجرة ونظرت من النوافذ المزودة بقضبان؛ رغم أن ألسنة اللهب كانت تحرق جدران القلعة، لم يظهر عدو، بدلًا من ذلك كانت القوات تصرخ والنيران تلتهمها، وكانت البانثيرات تركض مسعورة في ذعر.

فوضى لا مثيل لها، تعيد إلى الأذهان كل أهوال حريق «كوامي». الماجي يهجمون مرة أخرى، جنودي يسقطون وهم الأعلون.

«لا!».

هرولت خارجًا من النافذة ونظرت عبر الباب حين دوت صرخة مبتورة من الطابق الأعلى. النار والمعادن والمرض تشن حربًا، ملتهمة عددًا لا نهاية له من الجنود.

الرجال المهاجمون تحرقهم نيران حارقة، ومن يرمون السهام يضربهم ساحر المعادن؛ الماجي الملتحي الذي يعكس كل رأس سهم، مرسلًا المعدن الحاد مباشرة عبر دروع الرامي.

لكن الأسوأ من كل هذا الفتاة المنمشة، هي ساحرة المرض، نذير الموت، تنفث غيومًا خضراء داكنة من المرض من يديها، وبنَفَس واحد، تتشنج أجسام الجنود.

مذبحة..

مذبحة، وليست قتالًا.

ثلاثة من الماجي فقط يقاتلون، لكن الجنود يتهاوون أمام قدرتهم. إن هذا أسوأ من تدمير معسكر الربانيين. حينئذ على الأقل، كان الجنود هم من بدءوا بالهجوم، لكن خوفهم السابق لأوانه يبدو الآن مبررًا.

كان أبي محقًّا...

لا سبيل لإنكار هذا الآن. وبغض النظر عما أريد، إذا عاد السحر، هكذا ستحترق مملكتي.

نشجت «زالي»: «عنان...». دمها الدافئ يسيل على يدي. مفتاح مستقبل أوريشا، تنزف بين ذراعي. حمل الواجب تنوء به خطواتي، لكن لا يمكنني أن أستمع إليه الآن، مهما حدث، لا بد أن تعيش «زالي». يمكنني أن أجد سبيلًا لإيقاف السحر بعد إنقاذها. هرولت خلال الردهة الفارغة والمعركة محتدمة، وبينما كنت صاعدًا سلالم أخرى، دوّى صوت انفجار آخر.

ارتجت القلعة، فسقطت عن السلالم. تشبثت بـ «زالي» ونحن نسقط. هذه المرة لم تستطع كبت صرخاتها، التصقت بأحد الجدران عندما وقع انفجار آخر. بهذا المعدل، سوف تفقد «زالي» كل دمائها قبل أن تهرب.

فكر.

أغمضت عيني وألصقت رأس «زالي» برقبتي. مرت مخططات القلعة بذهني، فبحثت عن مخرج بين الحراس والماجي وقنابل اللهب، وما من طريق يمكننا الهرب منه، لكننا لسنا بحاجة إلى.. لقد جاءوا من أجلها، ليست بحاجة إلى الخروج.

إنهم بحاجة للدخول.

الزنزانة! نهضت. لا بد أنهم سيتجهون إليها. صرخت «زالي» وأنا أهرع بها نازلًا على الدرج. انضمت صرخاتها إلى معاناة الليلة.

همست ونحن نجتاز الطرقة الأخيرة: «لقد اقتربنا، فقط تماسكي، إنهم قادمون. سنعود إلى الزنزانة، حينئذ سيقوم زين...».

«أماري»؟

لم أتعرف إلى أختي في البداية، كانت «أماري» التي أعرفها تختفي من سيفها.

هذه المرأة تبدو مستعدة للقتل.

وثبت «أماري» عبر الطرقة باتجاهنا و«زين» يتبعها من قريب. حين هاجمها أحد الحراس بنصل ممدود، بادرته بطعنة في الفخذ، وتبع «زين» بضربة على الرأس أسقطت الجندي مغشيًّا عليه.

صرخت: «أماري!».

توقفت بغتة. حين لمحت «زالي» بين ذراعي، تدلى فكها. أسرعت هي و «زين» لمقابلتنا، وهنا رأيا كل الدم. اندفعت يد «أماري» نحو فمها، لكن

رعبها لم يكن شيئًا مقارنة بـ «زين». أفلت صوت مختنق من بين شفتيه.. شيء بين النحيب والأنين. تضاءل حجمًا، من الغريب رؤية شخص وقد بدا حجمه بهذه الضآلة.

رفعت «زالي» رأسها عن رقبتي، «زين؟».

وضع فأسه وهرول نحوها. وأنا أسلم «زالي»، رأيت أن الشاش الملتصق بظهرها يتحول إلى اللون الأحمر.

انتحب «زين»: «زيل؟» الضمادات السائبة تكشف مدى جروحها بالكامل. كان ينبغي أن أحذرهم، لكن لا شيء يمكن أن يهيئ أحدًا لكلمة «دودة» النازفة المنحوتة في ظهر «زالي». شطر المنظر قلبي. يمكنني فقط أن أتخيل ماذا يحدثه في نفس «زين»، حملها، احتضنها بقوة، لكن لا وقت للانتقاد.

«اذهبوا». حثثتهم. «أبي هنا، وسيأتي مزيد من الحراس، وكلما طال انتظاركم صار الهرب مستحيلًا».

«تعال معنا؟».

الأمل في صوت «أماري» شقني نصفين. إن فكرة ترك «زالي» تجعل صدري ضيقًا حرجًا، لكن ليست هذه معركتي، لا يمكن أن أكون إلى جانبهم.

التفتت «زالي» نحوي، والخوف يغمر عينيها الملطختين بالدموع، وضعت يدًا على جبهتها، شعرت ببشرتها لاهبة السخونة في راحة يدي.

همست: «سأجدك».

«لكن أبوك..».

دوى صوت انفجار آخر، وامتلأت القاعة بالدخان. صرخت والقلعة ترتج: «اذهبوا! اخرجوا الآن قبل أن يصبح الخروج غير ممكن!».

اندفع «زين» حاملًا «زالي» وسط هستيريا الدخان. وثَبت «أماري» خلفه لكنها ترددت. «لن أتركك وحدك».

قلت ملحًا: «اذهبي، أبي لا يعرف ما فعلت. إذا بقيتُ، يمكنني محاولة حمايتك من الداخل». أومأت «أماري» وتبعت «زين»، متقبلة كذبتي بسيف مرفوع. انهرت على الجدار وأنا أراهم يختفون على السلالم، ساحقًا رغبتي في مرافقتهم. معركتهم ربحت، واجبهم تحقق، معركتي لإنقاذ أوريشا بدأت للتو.

# الفصل السبعون

# زالي

***الهروب من القلعة غائم***، لوحة من الجنون والألم.

خلال الرحلة الكاملة، انشق ظهري، ومع كل تمزق كان الألم يأتي حارقًا متجدِّدًا. اسودت رؤيتي، لكنني علمت أننا نجونا حين تحولت حرارة القلعة إلى نسمة ليلية باردة. ضرب الهواء الجروح العميقة المحفورة في بشرتي و «نائلة» تحملنا إلى بر الأمان.

كل هؤلاء الناس..

كل هؤلاء الماجي جاءوا لإنقاذي. ماذا سيفعلون حين يعرفون الحقيقة؟ حين يعرفون أنني مكسورة، بدون فائدة.

من خلال السواد، أحاول شيئًا ما، أي شيء للشعور بفورة سحري، ولكن لا يوجد دفء يسري عبر عروقي، ولا تندلع فورة في قلبي. كل ما أشعر به هو الطعنات الحارقة لسكين الجندي، وكل ما أراه عيون «ساران» السوداء.

أُغشي عليَّ قبل أن تفرخ مخاوفي، دون أن أعرف كم مرَّ من الوقت أو إلى أين وصلنا. حين استيقظت من هذا الجو الغائم، كانت يدان خشنتان تحيطان بجسدي وترفعانني عن سرج «نائلة».

«زين»...

لن أنسى أبدًا اليأس الذي كان منحوتًا في وجهه عندما رآني. المرة الوحيدة التي رأيت فيها تلك النظرة كانت بعد الغارة. حين اكتشف جثة ماما في الأغلال، بعد كل ما فعل، لا يمكن أن أكون سببًا في وجود هذه النظرة مرة أخرى.

همس «زين»: «تماسكي يا زيل، لقد اقتربنا». وضعني على الأرض على بطني، فكشف أهوال ظهري. كانت الجروح سببًا في عدد كبير من الشهقات، وبدأ صبي صغير في البكاء.

قالت فتاة ملاطفة: «فقط حاولي».

«لقد.. لقد داويت بالفعل جروحًا وبعض الكدمات، هذا...».

تشنجت للمسة المرأة، وفقدت كل قدرة على الحركة بينما الألم يمزق ظهري، «لا أستطيع..».

صاح «زين»: «اللعنة يا خاني، افعلي شيئًا قبل أن تموت نزفًا!».

قالت «أماري» مهدئة: «لا بأس، هيا، المسي الحجر».

انكمشت مرة أخرى والمرأة تضغط بيديها على ظهري، لكن هذه المرة كانتا دافئتين، تبعثان الدفء في جسمي مثل البرك المتلاطمة المحيطة بإيلورين. سرى الدفء في جسدي فخفف الألم والوجع، وحين سرى الدفء تحت بشرتي، تنفست أول أنفاس راحتي، ومعه قفز جسدي مقتنصًا الفرصة للنوم.

انبسطت الأرض الناعمة تحت قدمي، وعرفت على الفور أين أنا. احتكت أعواد الخيزران بساقي العاريتين بينما يأتيني صوت شلالات المياه الهادر من مكان قريب. في يوم آخر، كانت الشلالات دليلًا على اقترابي.

اليوم تبدو غريبة، حادة، مثل صرخاتي.

«زالي؟».

أصبح «عنان» في مجال الرؤية. بعيون واسعة قلقًا، أخذ خطوة للأمام لكنه توقف، وكأنه لو اقترب أكثر فسأتحطم.

تحدوني رغبة.

رغبة في أن أنفجر.

أتهاوى إلى الأرض وأبكي.

لكن أكثر من أي شيء، لا أريده أن يعرف كيف كسرني أبوه.

ترقرقت الدموع في عيني «عنان» وحوَّل نظرته إلى الأرض، وانثنت أصابع رجلي في الأرض الناعمة وأنا أتبع خطاه.

قال معتذرًا: «أنا آسف». لا أظنه سيتوقف أبدًا. «أعلم أنني ينبغي أن أتركك تستريحين، لكن كان عليَّ أن أعرف ما إذا كنت...».

«بخير؟» أنهيت جملته. رغم أنني أعرف لماذا لم ينطق بالكلمة.

بعد كل ما حدث، لا أعرف ما إذا كنت قادرة على أن أشعر أنني بخير مرة أخرى.

سألني: «هل وجدت معالجًا؟».

هززت كتفي. نعم، أنا شفيت، هنا في أرض أحلامنا. كراهية العالم ليست منحوتة في ظهري، أستطيع أن أدعي أن السحر لا يزال يتدفق عبر أوردتي. لا أكافح لأتحدث، لأشعر، لأتنفس.

«أنا... ».
في تلك اللحظة رأيت وجهًا شعرت به وكأنه نُدبة أخرى في ظهري.
منذ اليوم الذي قابلت فيه «عنان»، رأيت الكثير جدًّا في عينيه الكهرمانيتين؛ كراهية، وخوفًا، ندمًا، رأيت كل شيء، كل شيء.
لكني لم أرَ هذا قط.
لا شفقة فيه.
لا. تملَّكني الغضب. لن أدع «ساران» يأخذ هذا أيضًا. أريد العينين اللتين تحدقان بي وكأنني الفتاة الوحيدة في أوريشا، العينين اللتين قالتا لي يمكننا تغيير العالم، وليس العينين اللتين تريانني مكسورة.
تريان أنني لن أكون كاملة مرة أخرى.
«زيل..».
توقف حين سحبت وجهه نحو وجهي. بلمسة منه، يمكنني أن أدفع الألم بعيدًا، وبقبلة منه، يمكنني أن أكون فتاة المهرجان.
الفتاة التي لا تحمل كلمة «دودة» محفورة في ظهرها.
انسحبت بعيدًا. ظلت عينا «عنان» مغمضتين مثلما كانتا بعد قبلتنا الأولى.
فيما عدا تلك المرة كان ينكمش في خوف.
وكأن قبلتنا تسبب له ألمًا.
على الرغم من أن شفاهنا تتلامس، فإن العناق لم يعد كما كان. لم يمرر أصابعه في شعري، ولم يفرك شفتي بإبهامه. يداه معلقتان في الهواء، تهابان الحركة، الشعور. همست: «يمكنك أن تلمسني»، وأنا أكافح للحفاظ على صوتي من الانكسار.
تغضَّنت الخطوط التي في جبهته. «زيل، أتريدين هذا فعلًا؟».
جذبتُ شفتيه من جديد نحو شفتي واستنشقت، فتراخت عضلاتي تحت وطأة القبلة. حين تباعدنا، ألصقت جبهتي بأنفه. «أنت لا تعرف ما أريد».
فتح عينين ترِفَّان، وهذه المرة لمحت بصيصًا من النظرة التي اشتقت إليها؛ رأيت الصبي الذي أراد أن يعيدني إلى خيمته، النظرة التي تتيح لي أن أتظاهر بأننا يمكن أن نكون بخير.
احتكت أصابعه بشفتي وأغمضت عيني، وأنا أختبر ضبطه لنفسه، احتكت مفاصله بذقني و..

.. تجذب قبضة «ساران» ذقني مرة أخرى نحو وجهه بعنف. انكمش جسمي بالكامل خوفًا. انفجر الهدوء والذل في عينيه غضبًا بينما أشعر بأنفاسي قد وهنت في حلقي. احتجت لكل قوتي كي لا أصرخ، لأبتلع ذعري وأظافره تُسيل الدم من جلدي.

«من الأفضل لك أن تجيبيني أيتها الصغيرة..».

«زيل؟».

حفرت أظافري في عنق «عنان». أحتاج إلى القبضة لإيقاف رعشة يدي؛ أحتاجها لمنعي من الصراخ.

«زيل، ما الأمر؟».

ز حف القلق مجددًا إلى صوته مثل عنكبوت يزحف عبر العشب، النظرة التي أحتاجها تنهار.

فقط.

مثلي.

«زيل.».

قبلته بددت تردده وازدراءه وعاره بقوة. سقطت الدموع من عيني وأنا ألتصق بلمسته متلهفة لأشعر بنفس شعورنا من قبل. ضمني إليه، محاولًا أن يكون رقيقًا، ومع ذلك أمسكني بإحكام. بدا وكأنه يعرف أنه لو تركني فقد انتهى كل شيء. لا سبيل إلى إنكار ما ينتظرنا على الجانب الآخر.

توقفت شهقة في حلقي بينما يداه تمسكان ظهري، وتقبضان على منحدر فخذي، تأخذني كل قبلة إلى مكان جديد، ويجذبني من الألم كلما تحسس جسدي.

صعد بيديه أعلى ظهري ولففت ساقي حول خصره، مذعنة لأوامره الصامتة، أنزلني على سرير من الخيزران، وضعني برقة ويسر.

همس «عنان»: «زيل...».

كنا نتحرك بسرعة، أسرع مما ينبغي، لكننا لا نستطيع الإبطاء؛ لأنه حين ينتهي الحلم، ينتهي كل شيء، سيضربنا الواقع، حادًّا وقاسيًا بلا رحمة.

لن أستطيع النظر إلى وجه «عنان» دون رؤية «ساران» مرة أخرى.

لذلك تبادلنا القبل والعناق حتى مضى كل شيء، كل شيء تلاشى؛ كل ندبة، وكل وجع، في هذه اللحظة، كنت موجودة فقط بين ذراعيه، كنت أعيش في سلام حضنه.

انسحب «عنان» مبتعدًا بينما الألم والحب يتأرجحان خلف عينيه الكهرمانيتين، وثمة شيء آخر؛ شيء أصعب، ربما وداع.

عندئذ أدركت أنني أريد هذا.

بعد كل شيء، أحتاج هذا.

همست: «استمر». فصارت أنفاس «عنان» لاهثة، عيناه تحتسيان جسدي كله، ومع ذلك ما زلت أشعر بتردده.

«هل أنت واثقة؟».

جذبت شفتيه نحو شفتي، وأسكتُّه بقبلة بطيئة.

أومأت: «أريد هذا، أنا بحاجة إليك».

أغمضت عيني وهو يقربني منه، ويُسكت بلمسته ألمي، حتى ولو للحفلة فقط.

# الفصل الواحد والسبعون

## زالي

***استيقظ جسدي*** قبل عقلي، ورغم أن هناك تحسُّنًا عن الألم الحارق، لا يزال ألم خافق يسري عبر ظهري. شعرتُ بألم لاسع وأنا أنهض؛ انكمشت من الألم، ما هذا؟ أين أنا؟

نظرت إلى خيمة القماش التي أقيمت حول مهدي. كل شيء في عقلي يحلِّق في ضباب إلا أصداء ضمة «عنان». قلبي يرفرف لهذا الخاطر، ويعيدني إلى ذراعيه. ما زلت أشعر بأجزاء منه قريبة جدًّا.. نعومة شفتيه، وقبضة يديه القوية، لكني أشعر بأجزاء أخرى بعيدة بالفعل، وكأنها حدثت منذ زمن مضى، كلمات قالها، وأدمعٌ سفحناها، دغدغة الخيزران لظهري، خيزران لن أراه مرة أخرى..

.. عينا «ساران» السوداوان تشاهدان بينما الملازم ينحت ظهري. «لن أكون مؤديًا لعملي كملك إذا لم أذكِّرك بحقيقتك..».

تشبثت بالملاءات الخشنة. سرَت موجات الألم في بشرتي. خنقت آهة حين دخل أحد الأشخاص الخيمة.

«أنت مستيقظة!».

أتت إلى جانبي ماجي ضخمة منمَّشة لها بشرة بنية فاتحة ورأس ممتلئ بالضفائر البيضاء. جفلت من لمستها في البداية، ولكن عندما انتقلت الحرارة عبر سترتي القطنية، تنفست الصعداء.

«خاني». عرَّفتني بنفسها. «سعيدة أنني رأيتك مستيقظة».

نظرت إليها مرة أخرى. تطفو ذكرى مبهمة لمشاهدتي فتاتين مثلها تتنافسان في مباراة أجبون، «لديك أخت؟».

أومأت، «توءم، لكني أنا الألطف».

حاولت أن أبتسم لمزحتها، لكن الفرح لم يأتِ.

«ما مدى الألم الذي تشعرين به؟».

لم يكن صوتي يبدو كما كان دائمًا. ليس كما كان. صار صغيرًا، فارغًا، بئرًا جافة.

«أوه! إنها... أنا متأكدة أنه مع مرور الوقت...».
أغمضت عيني وهيأت نفسي للحقيقة.
«تمكنت من دَرْز الجروح، لكنني... أعتقد أن الندوب ستظل باقية».
لن أكون مؤديًا لعملي كملك إذا لم أذكِّرك بحقيقتك.
هناك عيون «ساران» مرة أخرى، باردتان.
بلا روح.
اندفعت «خاني» قائلة: «لكنني جديدة جدًّا في هذا الأمر، أنا متأكدة أن معالجًا أفضل يمكن أن يعالجها». أومأت، لكن هذا لا يهم، حتى لو قاموا بمسح كلمة «الدودة»، فسيبقى الألم دائمًا، فركت معصمي، وقد حال لونه وتقشر الجلد عنه، وبه تمزقات؛ حيث أحرقت أصفاد الماجيست بشرتي.
المزيد من الندوب التي لن تُشفى أبدًا.
انفتحت الخيمة مرةً أخرى فاستدرت. لست مستعدة لمواجهة أي شخص آخر، لكن حينئذ سمعتها، «زيل؟».
كان صوته رقيقًا، ليس صوت أخي. كان صوت شخص خائف؛ شخص يشعر بالخجل.
حين التفت، انكمش في زاوية الخيمة. نزلت عن المهد. بالنسبة لـ «زين»، يمكنني أن أبتلع مخاوفي، يمكنني كبت كل دمعة.
صاح: «مهلًا».
لفحت ظهري آلام لاسعة وأنا أحيط بذراعي صدر «زين». جذبني إليه فزاد الألم، لكنني سمحت له بالضغط بشدة كما يريد ليرى أنني بخير.
«لقد غادرت». تضاءل صوته. «لقد غضبت وغادرت الاحتفال، لم أكن أظن... لم أعرف..».
خرجت من حضن «زين» وألصقت ابتسامة على وجهي. «كانت الجروح تبدو أسوأ بكثير مما هي عليه».
«لكن ظهرك..».
«بخير، بعد ما فعلته خاني، لن تكون هناك ندبة».
نظر «زين» إلى «خاني». لحسن الحظ؛ تمكنت من الابتسام له. راح يفحصني، متلهفًا لتصديق كذبتي.
همس: «لقد وعدت بابا، لقد وعدت ماما..».

«لقد وفيت بوعدك. كل يوم. لا تلم نفسك عن هذا يا زين، فأنا لا ألومك».

أطبق فكيه بشدة، لكنه عانقني مرة أخرى وتنفست الصعداء حين استرخت عضلاته تحت ذراعي: «أنت مستيقظة».

استغرقت بضع ثوانٍ لتحديد موضع «أماري»، وبعد أن تخلصت من جديلتها المعتادة، كان شعرها منسدلًا على ظهرها، وكان يتطاير من جانب إلى آخر وهي تدخل الخيمة وفي يدها حجر الشمس. كان الحجر يغمرها بضوئه المجيد، لكنه لم يُثِرْ شيئًا بداخلي.

كاد المنظر يكسرني. *ماذا* حدث؟

في آخر مرة حملت فيها حجر الشمس، أشعل غضبُ «أويا» كلَّ خليةٍ مني نارًا مضيئة. شعرت وكأنني إلهة. الآن لا أكاد أشعر بأنني على قيد الحياة.

رغم أنني لا أريد التفكير في «ساران»، فإن عقلي يعيدني إلى القبو.

بدا وكأن هذا الوغد اجتث السحر من ظهري.

«بم تشعرين؟».

أخرجني صوت «أماري» من أفكاري، وعيناها الكهرمانيتان تخترقانني. جلست على المهد مرة أخرى لكسب الوقت.

«أنا بخير».

«زالي...» حاولت «أماري» النظر في عيني، لكنني نظرت بعيدًا. هي ليست «عنان» أو «زين»، إذا تمعَّنت فلن أستطيع خداعها.

انفتحت الستارة بخروج «خاني»؛ بدأت الشمس في المغيب وراء الجبال، وتوارت تحت ذروة مسننة، منزلقة عن الأفق البرتقالي.

قلت مقاطعة: «أي يوم هذا؟ كم من الوقت مرَّ بي في الخارج؟».

تلاقت أعين «أماري» و «زين». هَوَت معدتي بشدة حتى إنني شعرت أنها لا بد هوت عند قدمي، لهذا السبب لا أستطيع الشعور بالسحر...

«فاتنا الانقلاب؟».

نظر «زين» إلى الأرض بينما عضت «أماري» شفتها السفلية. خرج صوتها هامسًا: «إنه الغد».

قفز قلبي في حلقي وأخفيت رأسي بين يدي، كيف سنصل إلى الجزيرة؟ كيف سأؤدي الطقس؟ رغم أنني لا أشعر ببرودة الموتى، همست

بالتعويذة في ذهني: «*إيماي أوون تاي أوا تاي سيون، موكي بي آين ناي أوناي..*».

.. *مترنحًا أنهى الجندي حرف الإيه، اندفعت الصفراء من بين شفتي، صرخت، صرخت، لكن الألم لم ينته..*

شعرت براحتَي تحترقان ونظرت إلى أسفل؛ أظافري حفرت أهلّةً حمراء في بشرتي. فتحت قبضتي ومسحت الدم عن المهد، ودعوت ألا يرى أحد هذا.

حاولت تلاوة التعويذة مرة أخرى، لكن لم تنهض أرواح من التراب، لقد ذهب سحري، ولا أعرف كيف أستعيده.

أعاد الإدراك فتح فجوة في داخلي، هوة لم أشعر بها منذ الغارة، منذ اللحظة التي رأيت فيها بابا ينهار في شوارع إبدان وعرفت أن الأمور لن تعود كما كانت. عدت بذاكرتي إلى تعويذتي الأولى في الكثبان الرملية لإيبيجي، إلى الفورة الأثيرية لحمل حجر الشمس ولمس يد «أويا». الوجع الذي يجتاحني أحَدُّ من النصل الذي قطع ظهري.

بدا وكأنني فقدت ماما مرة أخرى.

جلست «أماري» على زاوية سريري ووضعت حجر الشمس على الأرض. تمنيت لو أن موجاته الذهبية تتحدث إليَّ مرة أخرى.

«ماذا نفعل؟» لو كنا بهذا القرب من جبال أولاسيمبو، فإن زاريا تكون على بعد ثلاثة أيام على الأقل على ظهر الركائب. حتى لو كان سحري معي، فلن نصل إلى زاريا في الوقت المناسب، ناهيك عن إمكانية الإبحار إلى الجزر المقدسة.

نظر «زين» إليَّ كأنني صفعته على وجهه، «سنجري، سنعثر على بابا ونخرج من أوريشا كلها».

أومأت «أماري»: «إنه محق، لا أريد التراجع، لكن لا بد أن يعرف والدي أنك ما زلت حية. إذا لم نتمكن من الوصول إلى الجزيرة، فسنكون بحاجة إلى الأمان وإعادة التجميع، فكري في طريقة أخرى لقتال..».

«عمَّ تتحدثين بحق الجحيم؟».

التفتُّ برأسي بغتة بينما كان فتى في نفس حجم «زين» يدخل مندفعًا خلال ستائر الخيمة. على الرغم من أن الأمر استغرقني لحظة، فإنني تذكرت الخُصلات البيضاء للاعبٍ واجه «زين» ذات مرة على ملعب الأجبون.

سألت: «كينيون؟».

تحولت عيناه إليَّ وهما تطرفان، لكن لا يوجد أي حنين للماضي في نظرته.

«جيد أن أراك قد قررت أن تستيقظي».

«جيد أن أرى أنك ما زلت جحشًا».

حدق بي قبل أن يلتفت إلى «أماري». قلت: «إنها ستعيد السحر مرة أخرى، والآن تحاولون التوقف والفرار؟».

صاح «زين»: «لقد نفد الوقت، نحتاج ثلاثة أيام للوصول إلى زاريا..».

«ونصف يوم فقط لتجاوز جيميتا!».

«اللعنة، لن يكون هذا مرة أخرى..».

صاح «كينيون»: «لقد مات أشخاص من أجل هذا، والآن تريدون الفرار لأنكم تخشون المخاطرة؟».

تجهم وجه «أماري» بقوة يمكن أن تذيب الحجر. «ليست لديك أي فكرة عن الأخطار التي واجهناها؛ لذلك أنصحك بإغلاق فمك!».

«أنت أيتها..».

قلت: «إنه محق»، وقد بدأ يأس جديد يطفو على السطح.

هذا لن يكون. بعد كل شيء، لا يمكن أن أفقد سحري مرة أخرى. «نحن لدينا ليلة، إذا استطعنا الوصول إلى جيميتا، ووجدنا قاربًا..» إذا كان بإمكاني استعادة سحري.. وعثرت على طريقة للتواصل مع الآلهة...

«لا يا زيل». نحنى «زين» إلى مستوى عيني، مثلما كان يفعل مع بابا؛ لأن بابا كان حساسًا، مكسورًا، والآن أنا أيضًا كذلك. «جيميتا خطيرة جدًّا، سنكون عرضة للقتل أكثر من احتمال العثور على المساعدة، تحتاجين إلى راحة».

«إنها بحاجة إلى النهوض عن مقعدتها».

لكَمَ «زين» وجه «كينيون» بمنتهى السرعة حتى إنني اندهشت من أنه لم يسقط الخيمة معه.

«توقفا». وقفت «أماري» بينهما، «لا وقت لدينا كي نتقاتل، إذا لم نتمكن من الوصول، فنحن بحاجة إلى الخروج».

وبينما راحوا يتجادلون، حدقت في حجر الشمس، على بعد ذراع، إذا استطعت لمسه... مجرد مسة خفيفة...

انهمكت في دعاء صامت: من فضلك يا «أويا»، لا تسمحي بهذا.

تنفست بعمق، وأنا أتأهب لفورة روح السماء الأم، نار روح «أويا»، احتكت أصابعي بالحجر الأملس..

تضاءل الأمل في صدري.

لا شيء.

ولا حتى شرارة.

حجر الشمس بارد الملمس.

الأمر أسوأ مما كان قبل صحوتي. قبل أن ألمس اللفافة قط، وكأن كل السحر قد نزف من جسدي، وأنا وحدي على أرضية ذلك القبو.

لا يمكن أداء الفعل المقدس إلا لماجي مرتبط بروح السماء الأم. تردد صدى كلمات «ليكان» في ذهني مرة أخرى. بدونه، لا يمكن أن يتصل أي ماجي آخر بالسماء الأم قبل الطقس.

بدوني، لا طقس على الإطلاق.

«زالي؟».

نظرت لأعلى فوجدت الجميع يحدقون في وجهي، في انتظار الجواب النهائي.

انتهى، يجب أن أقول لهم الآن.

لكن وأنا أفتح فمي لأخبرهم بقراري، لم تخرج الكلمات الصحيحة. لا يمكن أن تكون هذه هي النهاية، ليس بعد كل ما فقدنا.

بعد كل ما فعلوا.

«هيا بنا». جاءت الكلمات ضعيفة، بحق الآلهة، كنت أتمنى أن تبدو قوية. يجب أن يجدي هذا. لن أسمح بأن تكون هذه هي النهاية.

السماء الأم اختارتني، استخدمتني، أخذتني بعيدًا عن كل شيء أحببته، لا يمكن أن تتركني هكذا، لا يمكن أن تلقي بي هكذا بلا شيء إلا الندوب.

«زيل..».

قلت بصوت كالفحيح: «لقد حفروا كلمة دودة في ظهري. سنذهب، لا يهمني ما سيحدث، لن أسمح لهم بالفوز».

# الفصل الثاني والسبعون

# زالي

***بعد ساعات من السفر*** عبر الغابة المحيطة بجبال أولاسيمبو، ظهر الطريق إلى جيميتا عند الأفق. كانت جروفها الحادة كثيرة النتوءات. مثلما يُشاع عن سكانها، تبرز على بحر لوكوجا، وتتحطم الموجات على قاعدة منحدراتها، وينتج عن هذا أغنية مألوفة أعرفها جيدًا، ورغم أن الموجات المتلاطمة تضرب وتدمدم مثل الرعد، فإن مجرد القرب من الماء مرة أخرى يشعرني بالارتياح.

همس «زين» لي: «تذكرين حين كنت تريدين العيش هنا؟». أومأتُ، ونصف ابتسامة يصعد إلى شفتي. من المفيد الشعور بشيء آخر، التفكير في شيء إلى جانب كافة الأسباب التي قد تُفشِل خططَنا.

بعد الغارة، أصررتُ على أن نذهب إلى جيميتا. اعتقدت أن حدودها غيرَ الخاضعة للقانون هي المكان الوحيد الذي سنكون فيه آمنين، وعلى الرغم من أنني سمعت قصص المرتزقة والمجرمين الذين يملئون شوارعها، بالنسبة لي في تلك السن الصغيرة، تضاءل هذا الخطر بالمقارنة بفرحة العيش في مدينة بدون حراس. على الأقل الناس الذين يحاولون قتلنا هنا لا يرتدون خاتم أوريشا.

ونحن نمر بالمنازل الصغيرة التي تقع في أحضان المنحدرات الشاهقة. تساءلت كيف كانت حياتنا ستختلف. تخرج الأبواب وأطرُ النوافذ الخشبية من الصخر بارزة، كما لو كانت نَمَت في داخل الحجر. كأنما تستحمُّ في ضوء القمر، بدت المدينة الإجرامية شبه آمنة، وربما كنت سأراها جميلة لولا المرتزقة المتربصون في كل ركن.

حافظت على شدة ملامحي ونحن نتجاوز مجموعة من الرجال الملثمين، وأنا أتساءل أين تكمن تخصصاتهم. ما سمعت عن جيميتا، أي شخص نمرُّ به يمكنه إدارة سلسلة كاملة تبدأ من السرقة العادية حتى طلبات الاغتيال، وتقول الشائعة إن الطريقة الوحيدة الحقيقية للخروج

من العمل في التراحيل هي استئجار مرتزق لتحريرك؛ هم دون سواهم لديهم من القوة والدهاء لتحدي الجيش والبقاء على قيد الحياة.

زمجرت «نائلة» ونحن نمر بمجموعة أخرى من الرجال الملثمين، عبارة عن مزيج من الكوسيديين والربانيين، الرجال والنساء، الأوريشيين والأجانب، كانوا يفحصون عُرفها بأعينهم، على الأرجح لحساب تكلفتها، تجهمت حين جرؤ رجل على أن يخطو للأمام.

هددته بعيني كأني أقول له: جرِّبْني. أشفق على روح مسكينة تحاول العبث معي الليلة.

سألت «كينيون»: «هل وصلنا؟» حين توقفنا قبل كهف كبير في قاعدة المنحدرات، كانت فتحته غارقة في الظلام، مما يجعل من المستحيل النظر بالداخل.

أومأ. «يسمونه الفوكسر ذا العين الفضية، سمعت أنه أخرج جنرال جومبي بيديه العاريتين».

«لديه قارب؟».

«الأسرع. يعمل بطاقة الرياح، بحسب آخر ما سمعته».

«حسنًا»، أمسكت بزمام «نائلة»، «لنذهب».

«انتظري». مد «كينيون» يدًا وأوقفنا قبل أن نأخذ خطوة أخرى. «لا يمكنك دخول مساكن قبيلة مع طاقم خاص بك، واحد منا فقط يستطيع الذهاب».

ترددنا جميعًا للحظة. اللعنة، أنا لست مستعدة لهذا.

مد «زين» يده نحو فأسه. «سأذهب».

سأل «كينيون»: «لماذا؟ هذه الخطة كلها تدور حول زالي، إن كان هناك من سيذهب، يجب أن يكون هي».

«هل أنت مجنون؟ أنا لن أرسلها إلى هناك وحدها».

قال «كينيون» ساخرًا: «وكأنك تراها بلا حول ولا قو ة. بسحرها هي أقوى من أي واحد منا».

«إنه محق». وضعت «أماري» يدها على ذراع «زين». «الأرجح أنهم سيساعدونها إذا رأوا عمل سحرها».

أنا أتفق مع هذا، حيث سأخبرهم أنني لست خائفة. إن إقناع هؤلاء المقاتلين سيكون سهلًا. ينبغي أن يكون سحري أقوى من أي وقت مضى.

تقلصت أمعائي بالحقيقة، وشعوري بالذنب يفترسني. إن شعوري بهذا كله سيتحسن كثيرًا إذا عرف شخص واحد أننا لا نعتمد عليَّ على الإطلاق.

إن عودة السحر من عدمها مسألة متروكة بالكامل للآلهة.

«لا». هز «زين» رأسه. «إنها مخاطرة كبيرة».

«يمكنني أن أفعل ذلك». سلمت «زين» مقود «نائلة». ينبغي أن يجدي هذا. أيًّا كان ما يحدث، فلا بد أنه خطة السماء الأم.

«زيل..».

«إنه محق، أنا أمتلك أفضل فرصة لإقناعهم».

خطا «زين» للأمام. «لن أتركك تذهبين إلى هناك وحدك».

«زين، نحن بحاجة إلى مقاتليهم. نحن بحاجة إلى قاربهم، وليس لدينا شيء لنقدمه في المقابل. إذا كنا نريد الوصول إلى المعبد، فمن الأفضل عدم بداية الحديث بكسر قواعدهم». سلمت «أماري» حقيبتي وبها القطع الأثرية المقدسة، واحتفظت بهراوتي فقط. مررت بأصابعي بطول النقوش وتنفست بعمق.

«لا تقلق». بعثت بدعاء صامت صلاة إلى «أويا» مع أفكاري. «إذا احتجت إلى مساعدة، فستسمعون صرختي».

سرت خلال فم الكهف. كان الهواء رطبًا وباردًا. ذهبت إلى أقرب جدار وحركت يدي بطول الحافات الزلقة، باستخدام الحجر كدليل. وكانت كل خطوة بطيئة وحذرة، لكنني أشعر بشعور لطيف لأنني أمشي، وأفعل شيئًا غير إعادة قراءة هذه اللفافة الملعونة بطقس قد لا أستطيع القيام به.

وبينما كنت أسير، كانت تتدلى من السقف بلورات زرقاء عملاقة مثل رقاقات الثلج، على ارتفاع منخفض للغاية حتى كادت تلمس أرضية الكهف، وكانت توفر إضاءة باهتة، تنير كباشًا بذيلين مجمَّعة حول قلوبها المتوهجة. بدا كأن الكباش تراقبني وأنا أسير خلال الكهف، وكانت جوقة أصوات الصرير هي الصوت الوحيد الذي أسمع حتى طغت عليها ثرثرة رجال ونساء تجمعوا حول النار.

توقفت، ورحت أتأمل ساحتهم الشاسعة بشكل مدهش. كانت الأرض من تحتهم ساقطة في هوة، ومغطاة بطحالب خفيفة جعلها المرتزقة في صورة وسائد. تتسلل أشعة الضوء من خلال الشقوق في السقف، وتضيء درجات منحوتة باليد تصل إلى أسفل حيث يوجد الجرف.

سرتُ بضع خطوات أخرى فهبط الصمت على الموجودين.

أيتها الآلهة، ساعديني.

اخترقت تجمعهم. فنظر إليَّ العشرات من المرتزقة الملثمين الذين يرتدون ملابس سوداء وأنا أمر، ومد بعضهم يده نحو سلاحه، وتحول بعضهم إلى وضع قتالي. حدق فيَّ نصفهم وكأنهم على وشك القتل، والنصف الآخر كأنهم على وشك الالتهام. تجاهلت عداوتهم وأنا أبحث عن عيون رمادية وسط بحر من الألوان الكهرمانية والبنية. خرج الرجل الذي ينتمون إليه من مقدمة الكهف، وهو المرتزق الوحيد غير المُلثم في الأفق، فعلى الرغم من أنه كان يرتدي ملابس سوداء مثل بقية المقاتلين، كان وشاح أحمر داكن يلتف حول رقبته.

قلت بصوت خفيض في ارتباك: «أنتم؟». لم أستطع إخفاء صدمتي؛ ملامح الحجر الرملي، العينين اللافتتين كالعاصفة الرمادية، النشال... لص مستوطنة الربانيين، على الرغم من مرور وقت قصير فقط، شعرت كأن دهرًا قد مر.

أخذ «روين» نفسًا طويلًا من سيجارة ملفوفة باليد بينما عيناه الزاويتان تفحصانني. جلس، مستقرًا على هيكل صخري دائري يشبه العرش، وابتسامته العريضة الشبيهة بالفوكسر تمتد عبر شدقيه.

«أخبرتك أننا سنلتقي مرة أخرى». سحب نفسًا آخر من سيجارته وأبطأ في إخراجه. «لكن لسوء الحظ، ليست هذه الظروف المناسبة، إلا إذا كنت هنا للانضمام لي ورجالي».

«رجالك؟» كان «روين» يبدو أكبر من «زين» ببضع سنوات فقط، ورغم أنه يمتلك بنيان مقاتل، فإن الرجال الذين يقودهم ضعف حجمه.

«هل تجدين هذا مسليًا؟». ارتسمت ابتسامة ملتوية على شفتيه الرقيقتين، ومال إلى الأمام على عرشه الحجري. «هل تعرفين ما يُضحكني؟ ماجي ضئيلة، تتعثر داخلة كهفي وهي عزلاء».

«من قال إنني عزلاء؟».

«لا يبدو عليك أنك تُحسنين استخدام السيف. بالتأكيد، إذا كان هذا ما تريدين أن تتعلميه هنا، فسأكون سعيدا جدًا بتدريسه لك».

أثارت فظاظته الضحك من طاقمه، وشعرت بسخونة في خدي. أنا لعبة بالنسبة له، علامة أخرى يمكنه نشلها بسهولة.

فحصت الكهف، وقمت بتقييم مرتزقته. إن كان سيجدي ما أنا بصدده، فلا بد أن أحصل على احترامه.

«هذا لطف منك». احتفظت بملامحي محايدة. «لكن أنا التي ستعلمك».

أطلق «روين» ضحكة رددت جدران الكهف صداها.

«استمري».

«أحتاجك أنت ورجالك في عمل يمكن أن يغير أوريشا».

مرة أخرى سخر الرجال، لكن النشال لم يضحك هذه المرة، ومال إلى الأمام مبتعدًا عن مقعده.

واصلت: «هناك جزيرة مقدسة شمال جيميتا، على بعد ليلة من الإبحار، أريدكم أن تأخذونا إلى هناك قبل أن تشرق شمس الغد».

مال إلى الخلف على عرشه الحجري. «الجزيرة الوحيدة في بحر لوكوجا في كادونا».

«هذه الجزيرة تظهر فقط كل مائة سنة».

ثارت تهكمات أخرى، لكن «روين» أسكتهم بإشارة حادة من يده.

«ماذا على هذه الجزيرة أيتها الماجي الصغيرة الغامضة؟».

«طريقة لإعادة السحر إلى الأبد، لكل ماجي في أراضي أوريشا».

انفجر المرتزقة بالضحك والسخرية، وراحوا يصرخون في وجهي للذهاب بعيدًا، وخرج رجل ممتلئ الجسم من بين الجمع الساخر، كانت عضلاته بارزة خلف ملابسه السوداء، وصاح قائلًا: «توقفي عن إهدار وقتنا بهذه الأكاذيب. روين، أخرج هذه البنت من هنا وإلا فأنا..».

وضع يده على ظهري؛ فأرسلت لمسته تشنجات في جروحي أخذني الألم بعيدًا، حبيسة داخل الزنزانة.. والأصفاد الصدئة تمزق معصمي وأنا أجذبها، وتردد الجدران المعدنية صدى صرخاتي.

وخلال كل ذلك، يقف «ساران» هادئًا، يراقبهم وهم يمزقونني..

«آخ!».

أسقطت الرجل من فوق كتفي، وألقيت به على الأرض الصخرية فارتطم بها بصوت مرتفع، وبينما هو منكمش، دفعت بهراوتي في صدره، وتركته قبل أن أسمع أي طرقعة. صرخاته كانت عالية، لكن ليست أعلى من تلك التي ما زالت تتردد في رأسي.

بدا أن الكهف يحبس أنفاسه عندما انحنيت، ووضعت طرف هراوتي فوق رقبة المرتزق.

«المسني مرة أخرى». كشفت عن أسناني. «وانظر ماذا سيحدث لك!».

ترنح حين رفعت قبضتي عنه، وأتيحت له فرصة الزحف مبتعدًا.

ومع تراجعه لم يعد هناك مزيد من الضحك، إنهم يفهمون هراوتي.

رقصت عينا «روين» العاصفتان، وشعر بمزيد من التسلية عن ذي قبل. أطفأ سيجارته ومشى للأمام، متوقفًا على بعد إصبع فقط من وجهي. غمرتني رائحة دخانه، حلوة مثل الحليب والعسل.

«أنت لست أول من حاول هذا يا صغيرتي، كوامي حاول بالفعل إعادة السحر، وطبقًا لما سمعته، لم تسر الأمور على ما يرام».

أثار اسم «كوامي» وجعًا في قلبي؛ حيث ذكَّرني بالمقابلة التي أجراها مع «روين» في معسكر الربانيين. حتى في ذلك الوقت، لا بد أنه كان يستعد، في أعماقه، كان يعرف دائمًا أنه يتعين علينا القتال.

«هذا مختلف. لدي طريقة كي يستعيد كل ماجي مواهبه دفعة واحدة».

«عن أي نوع من طرق الدفع نتحدث؟».

قلت: «لا نقود، لكنك ستكسب جميل الآلهة».

أصدر صوتًا دالًا على الاعتراض وقال: «ماذا ستقدمين؟ مجرد حسن النية فقط؟».

هو بحاجة لما هو أكثر. عصرت ذهني بحثًا عن كذبة أفضل. «لقد أرسلتني الآلهة إليك، مرتين. ليس من قبيل الصدفة أننا نتقابل مرة أخرى، لقد اختارتك لأنها تريد مساعدتك».

غابت الابتسامة الملتوية عن وجهه، واكتسبت ملامحه الجديَّة لأول مرة. لا أستطيع قراءة التعبير الذي وراء عينيه حين لا يكون مرحًا أو شقاوة.

«قد يكون هذا كافيًا بالنسبة لي يا صغيرتي، لكنهم سيحتاجون لما هو أكثر من التدخل الإلهي».

«إذن فليعلموا أننا إذا نجحنا، فسيتم توظيفك من قبل ملكة أوريشا المستقبلية». خرجت الكلمات من فمي قبل أن أتمكن من تقييم ما إذا كانت صحيحة أم لا. أخبرني «زين» عن نية «أماري» المطالبة بالعرش، ولكن مع كل ما يحدث، لم أفكر في هذا منذ ذلك الحين.

إلا أنني الآن أتمسك بهذا، مستخدمة نقطة قوتي الوحيدة، إذا لم يساعدنا «روين» ورجاله، فلن نستطيع الاقتراب من تلك الجزيرة.

قال مفكّرًا: «مرتزقة الملكة، لها وقع جيد، أليس كذلك؟».

أومأت: «بالفعل، لها رنين يشبه رنين الذهب كثيرًا».

علقت ابتسامة سخرية بزاويتي شفتيه، ومر بعينيه فوقي مرة أخرى.

أخيرًا، مد يده فأخفيت ابتسامة، وشددت قبضتي وهو يهزها.

سألت: «متى نغادر؟ ينبغي أن نصل في الفجر».

ابتسم «روين» وقال: «حالًا، لكن قاربنا صغير، سيكون عليك الجلوس بجانبي».

# الفصل الثالث والسبعون

# زالي

***ساد صمت لا تقطعه إلا الرياح*** ونحن نمخر عُباب بحر لوكوجا في قارب «روين». بخلاف السفن الضخمة، التي في ترسانة إيبيجي، سفينة «روين» أنيقة وزاوية، أطول بضعة أمتار من «نائلة»، وبدلًا من الأشرعة، تُسخر التوربينات المعدنية الرياح التي تهب. سارت بنا وسط الأمواج المتلاطمة وهي تطن وتدور.

استندت إلى «زين» و «أماري» حين ارتطمت موجة كبيرة أخرى تعطل بالقارب الحديدي. على خلاف بحر واري قبالة ساحل إيلورين، كان بحر لوكوجا فسفوريًا، وتحت الماء كانت العوالق تتوهج بلون أزرق مشرق، مما جعل البحر يتألق مثل النجوم في السماء، ولو لم نكن مكدسين في القارب بهذه الكثافة لكان مشهدًا خلابًا. بين فريق «كينيون» وعشرات من طاقم «روين»، كنا مجبرين على التكدس جنبًا إلى جنب مع رجال لا نثق بهم.

وجَّهت نفسي إلى تجاهلهم وأنا أستدير نحو المحيط للاستمتاع بألفة رذاذ ملح البحر على بشرتي، وحين أغمضت عيني، كدت أتخيل نفسي مرة أخرى في إيلورين، وقد عدت إلى السمك، إلى بابا، قبل أن يبدأ كل هذا، حين كان قلقي الأكبر هو مباراة التخرج.

حدَّقت في يدي، ورحت أفكر في كل ما مرَّ منذ ذلك الحين. اعتقدت أنني عندما أقترب من الانقلاب على هذا النحو سأشعر بشيء مرة أخرى، لكن حتى الآن لا يجري أي سحر في عروقي.

«أويا» من فضلك، كورت قبضتي ودعوت، أيتها السماء الأم، إليكم جميعًا، أنا أثق بكم.

لا تدَعوني أخطئ.

همست «أماري»: «هل أنت بخير؟». ورغم أن صوتها كان رقيقًا، كانت عيناها الكهرمانيتان عليمتين.

«البرد فقط».

أمالت «أماري» رأسها، لكنها لم تمارِ. وبدلًا من ذلك، شبَّكت أصابعها بأصابعي ونظرت مرة أخرى للخلف إلى البحر، وكانت لمستها لطيفة، متسامحة، كأنها تعرف الحقيقة بالفعل.

«لدينا ضيوف يا ريسة».

استدرت بغتة لأرى ظلال سفن حربية ضخمة ثلاثية الصواري عند الأفق. كان عددها أكبر كثيرًا من أن يُعد، وكانت الوحوش الخشبية تخترق الماء، وعليها لوحات معدنية تميز المدافع التي تصطف على أسطحها، ورغم أنها تلاشت في ضباب البحر، فقد كان ضوء القمر ينير خاتم أوريشا. ضاق صدري للمنظر وأغمضت عيني، أحاول إبعاد الصورة..

.. تُضاعف الحرارة آلامي بينما السكين يمزق ظهري، وبغض النظر عن كثرة صرخاتي، كان الظلام لا يأتي قط، تذوقت طعم دمي..

«زيل؟».

طفا وجه «أماري» وسط السواد. ضغطت على يدها بقوة حتى طرقعت مفاصلها. فتحت فمي للاعتذار، لكنني لا أستطيع تكوين الكلمات. كادت تنهيدة تُفلت من صدري.

وضعت «أماري» يدها الأخرى حولي وتحولت إلى «روين»: «هل يمكننا تفاديهم؟».

جذب «روين» منظارًا قابلًا للطي من جيبه وألصقه بعينه: «هذه ستكون سهلة، لكن ليس الأسطول الذي وراءها».

سلمني المنظار، لكن «أماري» أنقذتني واختطفته. تصلب جسدها حين شاهدت المنظر.

سبَّت غاضبة: «اللعنة، إنها بوارج أبي».

ومَضَت عينا «ساران» الباردتان في ذهني فتلفَّتُّ وأمسكت بالحافة الخشبية لقارب «روين» للتحديق في البحر. لن أكون مؤديًا لعملي كملك إذا لم أذكِّرك بحقيقتك.

«كم عددهم؟». تمكنت من أن أصيح بالسؤال، لكن لم يكن هذا ما أريد أن أسأل عنه، «كم عدد ملازميه الذين على متن السفن؟».

«كم منهم ينتظرون لزيادة ندوبي؟».

أجابت «أماري»: «على الأقل دستة».

اقترح «زين»: «لنأخذ طريقًا آخر».

« لا تكن أحمق». عاد بريق اللمعة الشقية التي في عيني «روين» الرماديتين، «لنأخذ أقرب سفينة».

اعترضت «أماري»: «لا، هذا سيكشفنا».

«إنهم يعوقوننا، يبدو من ظاهر الأمور أنهم متجهون إلى هذه الجزيرة أيضًا. ما هي الطريقة الأفضل للوصول إلى هناك غير استقلال إحدى سفنهم الحربية؟».

حدقت في القطع البحرية الضخمة في البحر المتلاطم، أين «عنان»؟ إذا كان «ساران» على متن واحدة من هذه السفن، فهل «عنان» معه؟

كانت الفكرة أصعب من أن تُقال بصوت عالٍ. رفعت دعاءً صامتًا آخر. إن كان أي إله في الأعلى يهتم بي، فلن أضطر إلى مواجهة «عنان» مرة أخرى.

«دعونا نفعل هذا». استدارت نحوي عشرات الوجوه، لكنني أبقيت نظري على البحر: «إذا كانت هذه السفن جميعًا متجهة إلى الجزيرة، فعلينا أن نكون أذكى وأكفأ».

«بالضبط». أمال «روين» رأسه في اتجاهي. «كاطو، توجه نحو أقرب سفينة».

مع زيادة سرعة القارب، كان قلبي يدق بقوة تكفي لخروجه من بين ضلوعي. كيف سأواجه «ساران» مرة أخرى؟ وكيف ستكون مهارتي بدون سحري؟

أمسكت هراوتي بيد مهتزة ونفضتها لفردها.

«ماذا تفعلون؟».

نظرت لأعلى لأجد «روين» إلى جانبي.

«نحتاج أن نأخذ السفينة الحربية».

«صغيرتي، ما هكذا تُدار الأمور، لقد استأجرتنا لعمل، اجلسي واتركينا نقوم نحن به».

تبادلنا النظرة أنا و «أماري» قبل أن نتحول إلى السفينة الحربية المتوحشة.

سألَتْ «أماري»: «هل تعتقد حقًّا أنه يمكنك إنجاز هذا دون مساعدتنا؟».

«الاستيلاء عليها سهل، السؤال فقط هو مدى السرعة التي يمكننا بها إتمام هذا».

أعطى إشارة باليد لرجلين، فسحبا قوسًا ونُشابًا بخطاف وحبل، ورفع «روين» قبضة، من المفترض لإطلاق السهام، لكنه توقف وتحول إليَّ: «ما هي حدودك؟».

«ماذا؟».

«ما هو المسموح لنا به؟ شخصيًا، أنا أفضل قطع الرقبة المباشر، لكن في البحر، يمكن أن يكون الإغراق فعالًا أيضًا».

السهولة التي يتحدث بها عن إنهاء حياة البشر أصابتني بالقشعريرة. هذا هدوء رجل لا يخاف شيئًا. الهدوء المستقر في عيني «ساران». رغم أنني لا أستطيع استشعار أرواح الموتى الآن، فإنني لا أريد أن أتخيل عدد الأرواح التي ستحوم حول «روين».

«لا قتل». الأمر فاجأني، لكن بمجرد أن خرج من بين شفتي، بدا صحيحًا. كثير من الدم قد أريق بالفعل، سواء فزنا أو خسرنا، هؤلاء الجنود لا ضرورة لموتهم.

صاح «روين»: «هذا ليس ممتعًا» قبل أن يتجه إلى رجاله، «سمعتموها.. خذوهم، لكن حافظوا على حياتهم».

تذمر بضعة مرتزقة وارتعش قلبي؛ كم مرة كان الموت خيارهم الأول؟ قبل أن أحصل على فرصة للسؤال، رفع «روين» إصبعين بحدة.

انطلق القوس والنشاب واخترقا البدن الخشبي للسفينة.

ربط أضخم رجال «روين» نهاية الحبل حول جسده الضخم لتأمينه.

نهض المرتزق الذي يناديه «روين» باسم «كاطو» عن عجلة قيادة القارب وشق طريقه إلى الحبل المشدود حديثًا.

«عفوًا». غمغم «كاطو» بلهجة أوريشا حين احتك بنا في طريقه، وعلى الرغم من أن قناعًا يحجب الكثير من وجهه، فإنه يشترك مع «روين» في لون بشرته وعينيه الزاويتين، لكن بينما كان «روين» خشنًا وساخرًا، كان «كاطو» ودودًا وجادًا.

وصل «كاطو» إلى الجانب الآخر من القارب وجذب الحبل لاختبار صلابته، وحين اطمأن له قفز ولف ساقيه حوله. افترقت شفتاي دهشة وهو يتراقص صاعدًا بسرعة فوكسر له أُذُنا خفاش. وفي غضون ثوانٍ، اختفى «كاطو» على السياج، متلاشيًا في سواد السفينة الأخرى.

دوَّت آهة ضعيفة، تلتها أصوات أخرى. بعد لحظات قليلة عاد «كاطو» للظهور لإعطاء الضوء الأخضر، وبينما كان آخر رجاله يستقل

السفينة، أومأ «روين» لي.

«أخبريني أيتها الماجي الغامضة، ماذا ستعطيني الآلهة إذا استوليت على هذا القارب؟ هل عليَّ أن أقول ما يهمني. أم أنهم يعرفونه بالفعل؟».

«لا تجري الأمور هكذا..».

«أو ربما أحتاج لإبهارهم؟». قاطعني «روين»، جاذبًا قناعه فوق أرنبة أنفه، «ما الذي سأحصل عليه برأيك إن تخلصت من هذا القارب في خمس دقائق؟».

«لن تحصل على أي شيء إن لم تغلق فمك وتذهب».

تغضَّنت عيناه عبر فتحات القناع. ليس لدي أدنى شك أن ابتسامة الفوكسر تضيء خلف قناعه، وبغمزة من عينه، تسلق صاعدًا وبقينا ننتظر وليس بصحبتنا سوى المرتزق الذي يثبت الحبل.

«هذا سخيف». طقطقت بلساني، خمس دقائق لقارب بهذا الحجم؟ السطح وحده يبدو وكأنه يمكن أن يحتمل الجيش كله. سيكون من حظهم الاستيلاء عليه أصلًا.

جلسنا في جو ليلي، ننكمش خوفًا من الصرخات والآهات الضعيفة أعلانا، لكن بعد المناوشات الأولية، تلاشت الأصوات وطواها الصمت.

غمغم «زين»: «هم دستة فقط، هل تعتقدين حقًّا أنهم يمكنهم أخذ سفينة كاملة..؟».

توقفنا بينما شخص له ظل ينزلق أسفل الحبل. هبط «روين» مرتطمًا به وأزال قناعه، وكشف عن ابتسامته الملتوية.

سألت: «هل فعلتها؟».

«لا». تنهد، وأظهر لي البلورات الملونة للساعة الرملية في ساعته.

«ست دقائق، سبع، لاصطيادهم، ولكن لو سمحت لي بأن أقتل، لفعلت ذلك في أقل من خمس!».

«مستحيل». عقد «زين» ذراعيه. «احكم بنفسك يا أخي، سُلَّم!».

طار سُلَّم عن جانب السفينة وأمسكت به متجاهلة الألم الذي في ظهري وتسلقت الدرجات. إنه يمزح، كلما زادت الألعاب، زادت الأكاذيب.

لكن حين اصطدمت بالسطح، لم أكد أصدق عيني: العشرات من الحراس الملكيين يرقدون غائبين عن الوعي، مقيدين من الرأس إلى أخمص القدمين بالحبل، جُرِّد كل منهم من زيه الرسمي وأجسامهم تنتشر عبر سطح السفينة مثل القمامة.

أطلقت نفسًا لم أكن أدرك أنني كنت أحبسه حين رأيت أن «عنان» و « ساران» ليسا ضمن الأسرى الجدد، لكن بطريقة ما كنت أشك في أنهم سيسقطون بهذه السهولة أمام «روين» ورجاله.

همس «روين» في أذني: «هناك المزيد تحت سطح السفينة»، وحتى أنا لم يكن بوسعي إلا أن أبتسم، دارت عيناي سريعًا في محجريهما، لكن وجه «روين» أشرق لهذا التلميح الطفيف بالموافقة.

هز كتفيه ومسح غبارًا لا وجود له عن كتفيه، «يفترض أن هذا متوقع حين تختارك الآلهة».

تلكأت ابتسامته قبل أن يخطو إلى الأمام، قبطانًا يتولى المسئولية.

«ضعوا هؤلاء الرجال في السجن، ابحثوا عن أي أدوات يمكنهم استخدامها في الهرب. ريهيما! مهمتك إبقاء هذه السفينة في مسارها. كاطو! أبحر خلفنا في قاربنا، بهذه السرعة، سندرك إحداثيات الجزيرة عند الفجر».

# الفصل الرابع والسبعون

# عنـان

*مرَّ يومان.*

يومان بدونها.

في غيابها، يعلَق هواء المحيط ثقيلًا.

كل نفس يهمس باسمها.

محدقًا فوق سياج السفينة الحربية، رأيت «زالي» في كل شيء، مرآة لا أستطيع منها فكاكًا، ابتسامتها تشرق من خلال القمر، وروحها تهب مع نسمات المحيط، بدونها، العالم ذاكرة حية.

سِجِلٌّ بجميع الأشياء التي لن أستمتع أبدًا بها مرة أخرى.

أغمضت عيني، مسترجعًا شعور «زالي» بأعواد الخيزران في أرض الأحلام. لم أكن أعلم أنه من الممكن هذا التوافق التام في ذراعي شخص آخر.

في تلك اللحظة.. تلك اللحظة المثالية بالذات، كانت جميلة، كان السحر جميلًا، ليس لعنة، و لكن منحة.

مع «زالي»، يكون دائمًا هكذا.

لففت يدي حول القطعة البرونزية التي أعطتها لي، وأمسكت بها كما لو كانت آخر قطعة من قلبها. هناك شيء بداخلي يحثني على رميها في المحيط، لكنني لا أستطيع تحمل ضياع الجزء الأخير منها.

لو كان بوسعي البقاء في أرض الأحلام هذه إلى الأبد، لفعلت، لتخليت عن كل شيء، وما نظرت للوراء، لكنني استيقظت.

عندما فتحت عيني، عرفت أن الأمور لن تكون كما كانت مرة أخرى.

«كشافة؟».

قفزت، ظهر أبي بجانبي، بدت عيناه سوداوين مثل الليل.

بدتا باردتين برودة الليل.

التفتُّ بعيدًا، وكأن هذا قد يخفي الشوق المدفون في أعماق قلبي.

قد لا يكون أبي واصلًا، لكن انتقامه سيكون سريعًا إذا شعر بأي شيء دون العزم الثابت.

تمكنت من قول: «كنت أتوقع أنك نائم».

«أبدًا». هز أبي رأسه. «أنا لا أنام قبل المعركة، ولا ينبغي لك أيضًا». بالطبع، كل ثانية فرصة، فرصة سانحة، وهجوم مضاد استراتيجي. كافة الأشياء التي من السهولة بمكان شغل نفسي بها إذا كنت متأكدًا أنني أفعل الصواب.

ضغطت على القطعة البرونزية بقوة أكبر، مما أتاح دخول حافاتها في جلدي. لقد خذلت «زالي» مرة من قبل بالفعل، ولا أعرف إذا كانت لدي الشجاعة لخيانتها مرة أخرى.

نظرت إلى السماء، متمنيًا أن أرى «أوري» وهو ينظر من خلال السحب. حتى في أحلك الأوقات تكون الآلهة دائماً موجودة، سرى صوت «زالي» في عقلي. لديهم دائمًا خطة.

هل هذه خطتك؟ تمنيت أن أصرخ، يائسًا للحصول على علامة، وعودنا، أور يشانا، مهما كانت بعيدة، ثمة عالم لا يزال حلمنا به في متناول أيدينا، هل أنا أرتكب خطأً كبيرًا؟ ألا تزال الفرصة أمامي كي أعود؟

قال أبي: «أنت متردد».

هذا تصريح وليس سؤالًا. ربما يستطيع أن يشم رائحة الضعف التي تتسرب من خلال العرق على بشرتي.

غمغمت: «أنا آسف». وتهيأت لقبضته، لكن بدلًا منها ربَّتَ على ظهري واستدار ناحية البحر: «لقد ترددت مرة، زمان قبل أن أصبح ملكًا، حين كنت مجرد أمير صغير اعتاد أن يتبع سذاجته».

بقيت ساكنًا، قلقًا من أن أي حركة ستقطع هذه العودة النادرة إلى تاريخ أبي، لمحة عن الرجل الذي ربما كان هو يومًا ما.

«كان هناك استفتاء يجري في أروقة البلاط، اقتراح من شأنه دمج قادة عشائر الماجي العشر في نبلاء محاكمنا الملكية. كان والدي يحلم بتوحيد الكوسيديين والماجي، وبناء أوريشا كما لم يحدث من قبل على مر التاريخ».

غير قادر على إيقاف نفسي، نظرت إلى أبي، بعينين اتسعتا لهذا الخاطر. إن عملًا كهذا لا بد أنه من الأعمال العظيمة، سيحول أساس مملكتنا إلى الأبد.

«هل قوبل هذا بالرضا؟».

ضحك أبي ضحكة خفيفة: «اللعنة، لم يحدث، كان الجميع ضده إلا جدك، لكن كملِكٍ لم يكن بحاجة إلى إذنهم، كان يستطيع صنع المرسوم النهائي».

«لماذا ترددت؟».

زم أبي شفتيه في خط رفيع، وأجاب أخيرًا: «زوجتي الأولى، أليكا، كانت رقيقة القلب لدرجة ليست لصالحها، أرادت أن أكون شخصًا يمكن أن يحدث التغيير».

«أليكا»...

تخيلت الوجه الذي ربما يكون قد رافق هذا الاسم. من طريقة أبي في الحديث عنها، لا بد أنها كانت امرأة طيبة، امرأة لها وجه أكثر طيبة، «من أجلها، دعمت أبي، اخترت الحب على الواجب، كنت أعرف خطورة الماجي، ومع ذلك أقنعت نفسي أنه بإظهار الثقة على النحو الصحيح، يمكننا العمل معًا، اعتقدت أن الماجي يريدون الوحدة، لكن لم يكن لديهم من شغف سوى الرغبة فيغزونا».

على الرغم من أنه توقف عن الحديث، فإنني سمعت نهاية القصة في صمته، الملك الذي قضى نحبه وهو يحاول مساعدة الماجي، الزوجة التي لن يضمها أبي مرة أخرى.

أعاد الإدراك الصور المروعة لقلعة جومبي: صهر المعادن في الهياكل العظمية للحراس؛ الأجساد يصيبها الهزال وتلتهمها الأمراض الفتاكة. كانت أرضًا يبابًا، رجسًا، وكل هذا من صنع السحر.

بعد هروب «زالي»، كانت هناك سجادة من الجثث المكدسة فوق بعضها. لم نتمكن من رؤية الأرضية.

قال أبي: «أنت تتردد الآن؛ لأن هذا هو ما يعنيه أن تكون ملكًا، أمامك واجبك وقلبك، واختيار أحدهما يعني معاناة الآخر».

أخرج أبي نصل الماجيست الأسود من غمده وأشار إلى نقش على الحافة لم أره من قبل:

واجبك قبل نفسك.

المملكة قبل الملك.

«حين ماتت أليكا، أمرت بصنع هذا النصل، ونُقش حتى أتذكر دائماً خطئي. لأنني اخترت قلبي، فقدت حبي الحقيقي الوحيد إلى الأبد».

مد أبي سيفه إليَّ فانقبضت معدتي، غير قادر على تصديق هذه اللفتة. طوال حياتي، لم أرَ والدي من قبل إلا وهذا النصل مربوط إلى جانبه.

«إن التضحية بقلبك من أجل مملكتك أمر نبيل يا ولدي، هذا كل شيء، هذا ما يعنيه أن تكون ملكًا».

حدقت في النصل؛ كان النقش يلمع في ضوء القمر، كلماته تلخص مهمتي، وتصنع مساحة لألمي، جندي، ملك عظيم، هذا كل ما أردت أن أكون.

واجبك قبل نفسك.

«أوريشا» فوق «زالي».

أحطت مقبض سيف الماجيست بيدي، متجاهلاً إيلامه بشرتي.

«أبي! أعرف كيف يمكننا استعادة اللفافة مرة أخرى».

# الفصل الخامس والسبعون

# زالي

***حين استقر بي المقام*** في رَبع القبطان أسفل سطح السفينة، توقعت أن يأتي النوم بسهولة. كانت عيناي تصرخان من أجله، وجسدي يصرخ بصوت أعلى منهما. استكنت بين ملاءات وفراءات البانثير المخملية. لم أكن أدري هل نمت في سرير أكثر ليونة من قبل، أغمضت عيني وانتظرت حتى يتم سحبي إلى السواد، لكن في اللحظة التي تغلب عليَّ فيها فقدان الوعي، أُلقي بي مرة أخرى إلى السلاسل.

«لن أكون مؤديًا لعملي كملك إذا لم أذكِّرك بحقيقتك».

«لن أكون مؤديًا لعملي كملك إلا إذا..».

«آخ!».

كانت الملاءات مبللة بالعرق، مشبعة به، حتى إن سرير القبطان يظن من يراه أنه في البحر، وعلى الرغم من أنني كنت مستيقظة، فقد شعرت كأن الجدران المعدنية تُطبِق عليَّ.

في لحظة، كنت واقفة على قدمي، مهرولة خارج الباب، وحين وصلت إلى السطح الخارجي، ضربني الهواء البارد بهبة رياح مُرحَّب بها، وكان القمر منخفضًا جدًّا في السماء، وكأن استدارته تقبِّل البحر، وضوءه الشاحب ينيرني وأنا أستنشق هواء المحيط.

وجهت نفسي إلى التنفس، اللعنة، إنني أتوق للأيام التي كان فيها الشيء الوحيد الذي أقلق بشأنه حين أغمض عيني هو أرض الأحلام، ورغم أن الكابوس صار أكثر من ماضٍ، فما زلت أشعر بالسكين يمزق ظهري.

«تستمتعين بالمنظر؟».

التفتُّ بقوة لأجد «روين» يميل على الدفة وأسنانه تلمع في الظلام، «القمر لم يكن يريد أن يشرق الليلة، لكنني أقنعته أنك تستحقين عناء الرحلة».

«هل كل ما تقوله مزاح على هذا النحو؟». جاءت كلماتي أكثر خشونة مما أردت، لكنها لم تزد ابتسامة «روين» إلا اتساعًا.

«ليس في كل شيء»، هز «روين» كتفيه، «لكن الحياة أمتع بهذه الطريقة».

غيَّر وقفته، وسطع ضوء القمر على بقع الدم التي على ملابسه وضمادات مفاصله.

«كله في يوم عمل واحد»، طرقع «روين» أصابعه الملطخة بالدماء، «كان عليَّ أن أجعل هؤلاء الجنود يتحدثون عن جزيرتك السحرية بطريقة أو بأخرى».

صعد الغثيان إلى حلقي عند رؤيتي للدم على يده، ابتلعت ريقي لكبت هذا، تجاهلته، عدت إلى البحر، متمسكة بالهدوء الذي يمنحني إياه.

لا أريد أن تصور الدمار الذي أوقعته بهؤلاء الرجال، رأيت ما يكفي من الدم، سأبقى هنا، في الأمواج المتلاطمة، حيث النعومة والأمان، هنا، أستطيع أن أفكر في السباحة، في بابا، في الحرية.. «الندوب». قطع صوت «روين» أفكاري، «هل هي جديدة؟».

حدقت فيه كما لو كان نحلة أوريشية تتوسل لهرسها.

«هذا ليس شأنك».

«إن كنتِ تبحثين عن بعض النصائح، يمكن أن تجديها بها». أزاح «روين» كمه، فتبخر كل السم الذي أريد أن أنفثه. كانت الحزوز القديمة الملتوية تشوه معصمه، وتمتد أعلى ذراعه، وتختفي تحت قميصه.

«ثلاثة وعشرون». أجاب عن سؤالي الذي لم أسأله. «نعم، أذكر كل علامة. كانوا يقتلون أحد أفراد فريقي أمامي في كل مرة نحتوا فيها علامة جديدة».

مرر إصبعه على خط ملتوٍ على وجه الخصوص، وتصلبت ملامحه من الذكرى، وأنا أشاهده، شعرت بوخز في ندوبي، «حراس الملك؟».

«كلا، هؤلاء الرجال الكرماء الطيبون كانوا من بني بلدي، أرض عبر البحر».

حدقت في الأفق، وتخيلت طريقًا مختلفًا للسفينة، مكانًا بعيدًا عن الطقس، عن السحر، عن «ساران»، أرض لم تحدث فيها الغارة أبدًا.

«ما اسمها؟».

«سيوتوري». شرد «روين» بعيدًا. «لو رأيتها لأعجبتك».

«إذا كانت مليئة بعلامات الجروح والأوغاد مثلك، يمكنني أن أؤكد لك أنها مملكة واحدة لن أراها أبدًا».

ابتسم «روين» مرة أخرى؛ ابتسامة لطيفة، أكثر دفئًا ما كنت أتوقع، لكن في ضوء ما أعرفه حتى الآن، يمكن أن تظهر هذه الابتسامة حين يقول نكتة أو يقطع رقبة رجل آخر.

«هيا بنا نتفق». اقترب مني أكثر، ونظر في عيني مباشرة. «بتجربتي المتواضعة، الكوابيس والندوب تستغرق وقتًا طويلًا للشفاء، والآن جروحك جديدة بما لا يتيح تهدئتها».

«ما الذي تحاول قوله؟».

وضع «روين» يدًا على كتفي، وكانت قريبة جدًّا من ندوبي حتى إنني فزعت بدافع الغريزة.

«إذا كنت لا تستطيع فعل هذا، ينبغي أن أعرف، لا..». أوقفني قبل أن أعترض. «هذا ليس متعلقًا بك. لم أستطع الحديث لأسابيع بعد أن حدثت الندوب، بالتأكيد لم أستطع أن أقاوم».

بدا وكأنه في رأسي، كأنه يعلم أن سحري جف. صرخت في داخلي بأنني لا أستطيع فعل هذا. إذا كان جيش في الانتظار، فنحن نبحر نحو موتنا.

ولكن الكلمات بقيت في فمي، مختبئة لا تروم منطقًا. عليَّ أن أثق في الآلهة. أحتاج أن أصدق أنهم إذا كانوا قد جاءوا بي إلى هذا الحد، فلن يديروا لي ظهورهم أبدًا.

ألح «روين» قائلًا: «حسنًا؟».

«الناس الذين أحدثوا ندوبي هم الذين على السفن».

«أنا لا أضع رجالي في خطر حتى تتمكني من الانتقام».

«بإمكاني سلخ ساران حيًّا ولن يشفي هذا غليلي». تجاهلت يده وقلت: «إن الأمر لا يتعلق به، ولا يتعلق حتى بي، إذا لم أوقفه غدًا، فسوف يدمر شعبي كما دمرني».

لأول مرة منذ التعذيب، أشعر بلمحة من النار القديمة التي كانت تزآر بصوت أعلى من خوفي، لكن لهيبها ضعيف الآن، وبمجرد أن تومض، تطفئها الريح.

«حسنًا، لكن إذا ذهبنا إلى هناك غدًا، يفضل أن تتماسكي. إن رجالي هم الأفضل، لكننا نواجه أسطولًا، لا يمكنني تحمل أن تتجمدي».

«وماذا يهمك؟».

طارت يد «روين» إلى قلبه، متظاهرًا بأنه مجروح. «أنا محترف يا صغيرتي، لا أود أن أحبط زبائني، خاصة حين تكون الآلهة هي التي

اختارتني».

« ليسوا آلهتك». هززت رأسي. «لم يختاروك».

«هل أنت متأكدة؟». تحولت ابتسامة «روين» إلى الخطورة وهو يستند إلى السياج. «هناك أكثر من خمسين عشيرة مرتزقة في جيميتا يا صغيرتي، خمسون مغارة ربما تعثرت بها أنت وهراوتك، لمجرد أن الآلهة لم تنفذ من سقف كهفي لا يعني أنهم لم يختاروني».

بحثت في عيني «روين» عن شقاوة لكني لم أجد. «هذا كل ما تحتاج إليه لمواجهة جيش؟ الإيمان بالتدخل الإلهي؟».

«هذا ليس إيمانا يا صغيرتي، إنه ضمان. لا أستطيع قراءة الآلهة، وفي مجال عملي الأفضل عدم العبث بأشياء لا أستطيع قراءتها». استدار نحو السماء ونادى: «لكنني أفضِّل أن يكون أجري ذهبًا!».

انفجرت ضاحكة فبدا هذا غريبًا.. لم أعتقد أبدًا أنني سأضحك مرة أخرى.

«ما كنت لأطيق صبرًا عن هذا الذهب».

«أنا لا أعرف هذا». مد «روين» يده واحتضن بها ذقني: «بل قد أرسلوا ماجي صغيرة غامضة إلى مغارتي، أنا متأكد أن المزيد من الكنوز في الطريق».

سار مبتعدًا، وتوقف فقط ليصيح: «يجب عليك التحدث مع شخص ما، النكات لا تفيد كثيرًا، لكن الكلام يفيد». عادت إليه ابتسامة الفوكسر، ولمعت الشقاوة في نظرته فولاذية اللون. «إذا كان الأمر يهمك، فإن غرفتي بجانب غرفتك، قيل لي إنني مستمع ممتاز».

غمز بعينه، ودارت عيناي في محجريهما وهو يسير مبتعدًا. كأنه لا يتحمل أن يكون جادًّا لأكثر من خمس ثوانٍ.

أجبرت نفسي على العودة إلى البحر، لكن كلما طال تحديقي في القمر، زدت إدراكًا بأنه على حق. لا أريد أن أكون وحدي، خصوصًا إذا كانت هذه الليلة آخر لياليَّ، ربما يكون إيماني الأعمى بالآلهة قد أوصلني إلى هذا الحد، لكن إن كنت سأصل إلى هذه الجزيرة غدًا، فسأحتاج إلى المزيد.

قاومت ترددي وسرت خلال ممر السفينة الضيق، ومررت بباب «زين»، ثم بابي، أحتاج أن أكون مع شخص ما.

أحتاج أن أقول الحقيقة لشخص ما.

حين وصلت إلى الغرفة الصحيحة، طرقت بهدوء، وقلبي يدق بعنف حين انفتح الباب متأرجحًا.
همست: «أهلًا».
قالت «أماري» مبتسمة: «مرحبًا».

# الفصل السادس والسبعون

# أماري

**جفلت *«زالي»*** وأنا أمشط الجزء الأخير من شعرها، ولكثرة ما تلوت وتثنت تحت لمستي، يحسب من يراها أنني أطعن فروة رأسها بسيفي.

«عذرًا». اعتذرت للمرة العاشرة.

«ينبغي على شخص ما أن يفعلها».

« لو أنك قمت بتمشيطه كل بضعة أيام..».

«أماري، إن رأيتني أمشط شعري، فأرجو أن تتصلي بمعالج».

رددت الجدران المعدنية ضحكي وأنا أفصل شعرها إلى ثلاثة أجزاء. على الرغم من صعوبة التمشيط، فإنني شعرت ببعض الحسد حين بدأت في الجديلة الأخيرة. شعر «زالي» الأبيض الذي كان يومًا ناعمًا كالحرير، الآن أصبح خشنًا وسميكًا، ويحيط بوجهها الجميل كأنه عرف ليونيرة. يبدو أنها لا تلاحظ كيف يحدق بها «روين» ورجاله حين تنظر في الاتجاه الآخر.

«قبل القضاء على السحر، كان شعري يبدو هكذا». كان حديث «زالي» موجهًا إلى نفسها أكثر مني: «كانت ماما تضطر إلى تقييدي بواسطة العائدين حتى تستطيع أن تضع مشطًا في شعري».

ضحكت مرة أخرى، وأنا أتخيل عائدين من الحجارة يطاردونها لهذه المهمة البسيطة، «أعتقد أن ماما كانت ستحب هذا. لم يكن هناك ما يكفي من المربيات لمنعي من التجول في القصر».

«لماذا كنت دائمًا عارية؟». ابتسمت «زالي».

قلت مقهقهة: «لا أعرف، عندما كنت صغيرة، كنت أشعر براحة في بشرتي كثيرًا بدون ملابس».

كزت «زالي» على أسنانها مع وصول الجديلة لمؤخرة عنقها، وتلاشت السهولة فيما بيننا، وهو أمر لا يزال يحدث مرة بعد الأخرى. بدا الأمر كأنني أرى جدارًا يقوم حولها، بقوالب بُنيت من كلمات غير معلنة ومدعومة بذكريات مؤلمة. أطلقت الضفيرة وأرحت ذقني على فروة رأسها.

«أيًّا كان الأمر، يمكنك التحدث معي».

انخفض رأس «زالي»، وأحاطت فخذيها بيديها، ثم جذبت ركبتيها إلى صدرها، وضغطت كتفيها قبل الانتهاء من آخر جديلة.

همست: «كنت أعتقد أنك ضعيفة».

توقفت؛ لم أكن أتوقع ذلك. من بين كل الأشياء التي ظنتها «زالي» بي، يمكن أن تكون الصفة «ضعيفة» هي الألطف.

«بسبب والدي؟».

أومأت، لكني شعرت بإحجامها. «في كل مرة فكرت فيها به، كنت تنكمشين. لم أكن أفهم كيف يمكن لشخص إجادة استخدام السيف كما تفعلين، وفي نفس الوقت يحمل الكثير من الخوف».

مررت بأصابعي على ضفائرها، متتبعة الخطوط التي في فروة رأسها، «والآن؟».

أغمضت «زالي» عينيها وتوترت عضلاتها، لكن حين أحطتها بيدي، بدا وكأنني يمكنني أن أشعر بالصدوع التي في جسدها.

تراكمت الضغوط، ضاغطة على كل عواطفها، وكل آلامها، وحين لم تعد قادرة على التحمل، انفجرت في البكاء الذي كنت أعلم أنها تحبسه.

«لا يمكنني أن أخرجه من رأسي». احتضنتني فسالت دموعها الساخنة على كتفي. «وكأنني كلما أغمضت عيني، لفَّ سلسلة حول رقبتي».

قربت «زالي» مني وهي تنتحب بين ذراعي، وأطلقَت كل شيء كانت تحاول إخفاءه. اختنقت حنجرتي بنشيجها؛ إن أسرتي هي التي سببت لها كل هذا الألم. احتضان «زالي» جعلني أتساءل حول «بينتا» وكل الأيام التي ربما احتاجت فيها إلى هذا. كانت بجانبي في كل صراعاتي، لكنني لم أكن بجانبها أبدًا بنفس الطريقة.

همست: «أنا آسفة لما فعله أبي، آسفة لما فعله مؤخرًا، آسفة أن عنان لم يستطع إيقاف هذا، آسفة لأن الأمر استغرق منا وقتًا طويلًا لتصحيح أخطاء أبي».

مالت «زالي» في حضني، وقد أشعرتها كلماتي بالارتياح. اعتذرت في نفسي لروح «بينتا». آسفة لأنني لم أفعل المزيد.

قلت بهدوء: «في الليلة الأولى لهروبنا، لم أستطع أن أغفو في تلك الغابة رغم محاولتي ذلك بشدة. كنت بالكاد واعية، لكن كلما كنت أغمض عيني كنت أرى نصل أبي الأسود عليَّ مهيأً لقطع رقبتي». تراجعت

ومسحت دموعها، وأنا أحدق في عينيها الفضيتين مباشرة. «اعتقدت أنه إذا وجدني فسأنهار، لكن هل تعرفين ماذا حدث عندما رأيته في القلعة؟».

هزت «زالي» رأسها وعادت اللحظة، وهو ما جعل نبضات قلبي تتسارع. تفجرت ذكرى غضب أبي، لكن ما أتذكره هو وزن سيفي في يدي.

«زالي، قبضت على نصلي، كدت أركض وراءه!».

ابتسمت لي، وللحظة رأيت «بينتا» حين كانت ابتسامتها تمنح ملامحها الرقة، قالت «زالي» مشاكسة: «لا أتوقع أقل من هذا من ليونيرة».

«يمكنني أن أتذكر يومًا طُلب فيه من الليونيرة أن تستجمع قواها وتكف عن كونها أميرة صغيرة مقدسة».

«أنت تكذبين». ضحكت «زالي» من خلال دموعها. «ربما كنت أكثر خبثًا بكثير».

«إذا كان هذا يجعلك تشعرين بتحسن، فقد دفعتني في الرمال قبل أن تقوليها».

سألتْ «زالي»: «إذن هل هذا دوري؟ هل هذا هو ما تدفعينني إليه؟».

هززت رأسي: «كنت في حاجة لسماع ذلك. كنت بحاجة لك. بعد موت بينتا، كنتِ أول شخص يعاملني باعتباري أكثر من مجرد أميرة سخيفة. أعلم أنك قد لا ترين ذلك، لكنك اعتقدت أنني يمكن أن أكون الليونيرة قبل أن ينطق أي شخص بهذا الاسم». مسحت باقي دموعها ووضعت يدي على خدها. لم أستطع أن أكون إلى جانب «بينتا»، لكن في وجودي مع «زالي»، أشعر بجَسر الهوة التي في قلبي. «بينتا» كانت ستطلب مني أن أكون شجاعة. مع «زالي»، أنا شجاعة بالفعل.

قلت: «بغض النظر عما فعله، وبغض النظر عما رأيته، صدقيني حين أقول لك إن هذا ليس للأبد»، و «إن كنتِ قد حررتني، فستجدين طريقة لإنقاذ نفسك».

ابتسمت «زالي»، لكن ابتسامتها لم تدم إلا لحظة. أغمضت عينيها وكورت قبضتها، كما تفعل دائمًا عند تلاوة تعويذة.

سألت: «ما الخطأ؟».

«لا أستطيع...». نزلت بعينيها إلى يديها، «لم أعد أستطيع فعل السحر».

بدا أن قلبي توقف وصار بطيئًا وثقيلًا في صدري. احتضنت ذراعي «زالي» بشدة، «ما الذي تتحدثين عنه؟».

«لقد انتهى الأمر». أمسكت «زالي» بجدائلها، وقد حفر الألم ملامحها.

«لم أعد حاصدة، لست شيئًا».

الهم الذي تحمله «زالي» على كتفيها ينذر بقصم ظهرها. كل ما أريد فعله هو إرضاؤها، لكن هذا الواقع الجديد يجعل ذراعي ثقيلتين كالرصاص.

«متى حدث ذلك؟».

أغمضت «زالي» عينيها وهزت كتفيها. «حين قطّعوني، يبدو أنهم كانوا يقطعون السحر من ظهري، لم أعد قادرة على الشعور بأي شيء منذ ذلك الحين».

«ماذا عن الطقس؟».

«لا أدري!». أخذت نفسًا عميقًا مرتعشًا. «لا أستطيع ذلك، لا أحد يستطيع ذلك».

كلماتها شقت الأرض من تحتي. أكاد أشعر بنفسي وأنا أهوي في الهوة. قال «ليكان» إن ماجي مرتبطًا بروح السماء الأم فقط يمكن أن يؤدي الطقس. وبدون سينتار و آخر لإيقاظ الآخرين، لا يمكن لشخص آخر أن يأخذ مكان «زالي».

«ربما تحتاجين فقط إلى حجر الشمس..».

«جربت ذلك».

«ثم؟».

«لا شيء، لا أشعر حتى بالدفء».

عضضت شفتي السفلية، وانعقد حاجباي وأنا أحاول اكتشاف شيء آخر، إذا كان حجر الشمس لا يفيدها، أشك في أن تفيدها اللفافة.

سألت: «ألم يحدث هذا في إيبيجي بعد معركة الساحة؟ قلتِ إنك شعرت بامتناع سحرك».

«امتناع وليس انتهاء. كنت أشعر بأنني عالقة، لكنه كان لا يزال موجودًا، الآن لا أشعر بشيء».

تصاعد اليأس بداخلي، وهو ما أشعرني بخدر في ساقي. ينبغي لنا إيقاظ أحد رجال «روين» وإعادة توجيه السفينة.

لكن خلال كل هذا كان وجه «بينتا» يسطع مضيئًا، متغلبًا على خوفي، وغضب والدي. عدت إلى ذلك اليوم المشئوم منذ شهر مضى، وأنا أقف في رواق «كايا»، ممسكة باللفافة. كانت الاحتمالات ضدنا حينئذٍ، والواقع كان ينبئنا بأننا سنفشل، ولكنَّا قاتلنا مرارًا وتكرارًا، ثابرنا، نهضنا.

همست: «يمكنك القيام بهذا». وشعرت بهذا بدرجة أكبر حين قلته بصوت عالٍ، «الآلهة اختارتك، وهم لا يخطئون».

«أماري..».

«لقد شاهدتك تصنعين المستحيل منذ أول يوم التقينا فيه. لقد جابهت العالم من أجل من تحبين. أعرف أنك تستطيعين فعل نفس الشيء لإنقاذ الماجي».

حاولت «زالي» أن تنظر بعيدًا، لكنني أمسكت بوجهها وأجبرتها على النظر في عيني، ليتها فقط ترى الشخص الذي أراه الآن؛ البطل السائد بالداخل.

سألت: «هل أنت واثقة لهذا الحد؟».

«أثق في هذا كما لم أثق في أي شيء آخر في حياتي. إلى جانب ذلك، فقط انظري إليك.. إذا كنت لا تستطيعين أن تفعلي السحر، فلا أحد يستطيع».

رفعتُ مرآة، وأريت «زالي» الضفائر السميكة الست التي تنسدل حتى أسفل ظهرها. لقد نما شعرها مجعدًا جدًّا على مدى الشهر الماضي حتى إنني نسيت طوله السابق.

«أبدو قوية...». راحت تعبث بأصابعها في ضفائرها. ابتسمت ووضعت المرآة. «يجب أن تكون ملامحك مثل المحارب الذي ستتصفين بصفاته حين تعيدين السحر».

ضغطت «زالي» يدي، ولا يزال أمرٌ محزن يتسرب من خلال قبضتها.

«شكرًا لك يا أماري على كل شيء».

أرحت جبهتي على جبهتها، وجلسنا في صمت مريح، نعبر عن حبنا باللمس. قلت في ذهني: الأميرة والمحاربة، حين يرويان قصة الغد، فهكذا سيسميان القصة.

«هل ستبقين؟». تراجعت لأنظر إلى وجه «زالي». «لا أريد أن أكون وحيدة».

«بالطبع». ابتسمت، «هناك شيء يشعرني أنني قد يغلبني النعاس في هذا السرير».

تدحرجتُ لإفساح مكان فقفزَت إلى السرير واندست تحت أغطية البانثير. ملت إلى الأمام لإطفاء المصباح، لكن «زالي» أمسكت بمعصمي.

«تعتقدين حقًّا أن هذا سيُجدي؟».

ضعفت ابتسامتي للحظة، لكني أخفيت هذا.

«أعتقد أنه أيًّا كان ما سيحدث، فعلينا أن نحاول».

# الفصل السابع والسبعون

# زالي

أضاءت السماء باللون الوردي ولون برتقالي يميل للاحمرار مع اقتراب شروق الشمس، وكانت سحب ناعمة تتحرك عبر الألوان بكل سهولة، شبه سلميَّة على الرغم مما قد يجلبه اليوم. شعرت بامتنان أبدي للدروع البحرية وأنا أمسك بالخوذة التي تحجب وجهي، ارتديتها وثنيت ضفائري مع اقتراب «روين» بابتسامته الشقية.

«آسف لأننا لم نجد فرصة للدردشة الليلة الماضية». اكتسى وجهه بعبوس وهمي، «فيما يتعلق بشعرك، يجب أن تعرفي أنني مضفِّر ممتاز أيضًا».

ضاقت عيناي كرهًا لتوافق الزي الرسمي معه. كان يرتدي الدرع بثقة، ولو لم أكن أعرف أفضل، لاعتقدت أنها في الواقع تخصه.

«شيء لطيف أن ترى يومًا من الموت الوشيك لا يثبط معنوياتك».

اتسعت ابتسامة «روين»، وهمس وهو يثبت خوذته: «أنت تبدين جيدة، استعدوا».

بصفارة حادة حشد طاقمنا فاحتشد الجميع، شقت «أماري» و «زين» طريقهما نحو المقدمة، يليهما «كينيون» والأعضاء الأربعة الذين في فريقه، أعارني «زين» إيماءة مشجعة، أجبرت نفسي على الإيماء له بدوري.

«لقد استجوبت جنود ساران الليلة الماضية». علا صوت «روين» على صوت ريح البحر، «سيتمركزون حول محيط الجزيرة وداخل المعبد نفسه. لا يمكن تفاديهم حين نرسو، ولكن إذا لم نلفت الانتباه إلى أنفسنا، فلن نثير الريبة. إنهم يتوقعون أن تنقض زالي مع جيش من الماجي، لذلك ما دمنا نحن في دروعهم، فسنحافظ على عنصر المفاجأة».

سألت «أماري»: «لكن ماذا بعد أن ندخل المعبد؟ أبي سوف يأمر جنوده بإطلاق النار على أول علامة على حدوث اضطراب. ما لم نشتت

قواتهم، فسوف يهاجمون في اللحظة التي يروننا فيها مع القطع الأثرية المقدسة».

«حين نقترب من المعبد، ستشنُّ هجومًا بعيدًا لتشتيت قواتهم. ينبغي أن يفرِّغ هذا زالي للطقس».

التفت «روين» إليَّ وأومأ، وأعطاني الكلمة. تراجعت، لكن «أماري» دفعتني للأمام؛ تعثرتُ في وسط الحشد، ابتلعت ريقي بقوة وشبكت يدي خلف ظهري، محاولة أن أبدو قوية.

«فقط تمسكي بالخطة، ما دمنا لم نلفت الانتباه إلى أنفسنا، يجب أن نصل إلى المعبد بخير».

وهناك سترون أنني لا أستطيع هذا، سترون أن الآلهة قد تخلت عني مرة أخرى، وهنا سيهجم رجال «ساران»، وهنا سنموت جميعًا.

ابتلعت ريقي مرة أخرى، متخلصة من الشكوك التي تجعلني أريد أن أهرب. لا بد أن يجدي هذا. لا بد أن السماء الأم لديها خطة، لكن الأعين التي تحثني والهمهمات القلقة تخبرني أن كلماتي ليست كافية. إنهم بحاجة إلى خطاب تحفيزي، لكن أنا نفسي أحتاج إليه.

قال «زين» سابًّا: «اللعنة...».

التفتنا بقوة نحو الأسطول الصغير الذي يرسو حول إحداثيات الجزيرة، وبينما الشمس تطل من وراء الأفق، تجسدت الجزيرة أمام أعيننا. في البداية بدت شفافة مثل سراب في البحر، لكن مع شروق الشمس تجسدت الجزيرة في صورة كتلة كبيرة من الضباب وأشجار هامدة.

انتشر الدفء في صدري، قويًّا مثلما كان حين كانت «ماما أجبا» تمارس السحر مرة أخرى لأول مرة. في تلك اللحظة شعرت بأمل كبير، وبعد هذه السنوات، توقفت عن الشعور بالوحدة.

السحر هنا، على قيد الحياة، أقرب من أي وقت مضى، حتى لو كنت لا أستطيع أن أشعر به الآن، يجب أن أصدق أنني سوف أشعر به مرة أخري.

استمتعت بالفكرة، متظاهرة بدوران دوامات السحر خلال عروقي، أقوى من أي وقت مضى، وسوف يشتعل اليوم، حارقًا بحرارة تشبه غضبي.

«أعرف أنكم خائفون». استدار الجميع نحوي مرة أخرى. «أنا خائفة أيضًا، لكنني أعرف أن سبب قتالكم أقوى من خوفكم؛ لأنه قادكم إلى هنا. كل واحد. منا قد ظُلم من قِبَل الحراس، من قِبل هذا النظام الملكي الذي

أقسم على حمايتنا. اليوم سنرد الضربة لهم جميعًا، اليوم سنجعلهم يدفعون الثمن!».

دوَّت صيحات الموافقة عبر الهواء؛ حتى المرتزقة انضموا لهذا، صرخاتهم تعزز معنوياتي، وتفتح مغاليق الكلمات المحبوسة بداخلي. «قد يكون لديهم ألف رجل في جيشهم، لكن ليس بينهم واحد يحظى بدعم الآلهة. السحر إلى جانبنا؛ لذلك كونوا أقوياء، كونوا واثقين».

سأل «روين» حين خفتت الصيحات: «وإذا ذهب كل شيء إلى الجحيم؟».

أجبت: «اضربوا، قاتلوا بكل ما لديكم».

# الفصل الثامن والسبعون

# زالي

**جف حلقي** وأنا أشاهد بحرًا لا نهاية له من الجنود يقومون بدورية في محيط الجزيرة. بدا وكأن كل جندي في أوريشا جاء للحراسة.

خلفهم غابة من الأشجار المظلمة، يكتنفها ضباب ودخان متراقص، والطاقة المحيطة بالغابة ينثني بها الهواء أعلاها، علامة على القوة الروحية المخبأة داخل أشجارها.

حين هبط آخر قواتنا الملثمة من الزورق، قادنا «روين» نحو المعبد، وقال: «شدوا حيلكم، ينبغي أن نتحرك».

في اللحظة التي وضعنا فيها أقدامنا على الشاطئ الشرقي، شعرت على الفور بالطاقة الروحية المؤثرة. حتى من دون همهمة السحر في عظامي، فإنها تشعُّ من الأرض، وتتدفق من الأشجار المحروقة. وحين اتسعت عينا «روين»، علمت أنه أدرك ذلك هو الآخر.

نحن نسير بين الآلهة.

عزف غريب رجَّعته جوارحي لهذا الخاطر، مختلف تمامًا عن فورة السحر، أشبه بفورة شيء أعظم. ونحن نسير خلال الجزيرة، كدت أشعر بأنفاس «أويا» في البرودة المنبعثة من الهواء حولنا. إذا كانوا هنا معي، إذن قد أكون محقة في وثوقي بهم، ربما يكون لدينا سند بالفعل، ولكن للقيام بذلك، علينا أن نتجاوز الحراس.

قلبي ينتفض في صدري بقوة ونحن نمر عبر الصفوف التي لا نهاية لها من دوريات الجنود. مع كل خطوة، كنت مقتنعة بأن أعينهم قادرة على النفاذ خلال خوذاتنا، لكن ارتداء خاتم أوريشا كان يقينا نظرتهم. كان «روين» يقودنا بخطوات مقنِعة، مرتديًا درع القائد بسهولة، وببشرته الشبيهة بالحجر الرملي ومشيته الواثقة، كان حتى القادة الحقيقيون من الضباط يفسحون له الطريق.

قلت في نفسي إننا وصلنا تقريبًا، وتجمدت حين نظر إلينا أحد الجنود أطول مما ينبغي، كل خطوة نحو الغابة تطول فتصبح دهرًا لا يكاد ينقضي،

حمل «زين» الخنجر العظمي، بينما اشتدت قبضة أماري على الحقيبة الجلدية التي تستخدمها لإخفاء حجر الشمس واللفافة؛ وظلت يدي في وضع الاستعداد على هراوتي، و لكن حتى حين اجتزنا آخر قوات المحيط، لم ينظر الجنود نحونا إلا فيما ندر، كان تركيزهم منصبًّا على البحر، في انتظار جيش من الماجي لن يأتي أبدًا.

همست لنفسي: «اللعنة!» حين اجتزنا مرمى سمع الجنود، انفجر هدوئي الهش وتوترت أعصابي، وأخذت نفَسِي بصعوبة.

«لقد فعلناها». قبضت «أماري» على ذراعي، وقد شحبت بشرتها تحت خوذتها.

معركتنا الأولى انتهت.

الآن تبدأ معركة أخرى.

بدأ ضباب بارد في التكون ونحن نسير عبر الغابة، برذاذ يلعق الأشجار، وحين قطعنا بضعة كيلومترات، اشتدت كثافة الضباب فحجبت أشعة الشمس وأضحت بها الرؤية صعبة.

«غريب». همست «أماري» في أذني، ممدودة الذراعين لتجنب الاصطدام بالأشجار. «هل تعتقدين أن الجو دائمًا هكذا؟».

« لا أدري». شيء ما يخبرني أن الضباب هدية من الآلهة.

إنهم إلى جانبنا...

إنهم يريدوننا أن نفوز.

تشبثت بكلمات خطابي، ودعوت أن تكون صحيحة. إن الآلهة لن تتخلى عنا هنا، لكن مع اقترابنا من المعبد، خلت عروقي من نبضات الدفء. قريبًا لن يكون هناك ضباب للاختباء به.

سأكون مكشوفة للعالم كله.

همست: «كيف عرفت هذا؟» بينما المعبد يلوح من خلال الضباب، وعدت بذاكرتي إلى ذلك اليوم المشئوم في السوق. «في لاجوس، لماذا أتيت لي؟».

التفتت «أماري»، ونظرتها الكهرمانية تتألق وسط الضباب الأبيض. أجابت بهدوء: «بسبب بيننا، كانت عيناها فضيتين، تمامًا مثلك».

مع كلماتها، سُمع صوت طقطقة.. إشارة إلى اليد الأعظم، لقد وُجهنا إلى هذه اللحظة، ودفعنا بأكثر الطرق خفة وغموضًا. أيًّا كانت نهاية اليوم،

فنحن نفعل ما نوته الآلهة، ولكن ماذا يمكن أن يكون غرضها حين لا يتدفق السحر من عروقي؟

فتحت فمي للرد لكن توقفت حين تكثفت الطاقة الروحية. كانت تجذبنا لأسفل مثل الجاذبية، وتتصدى لكل خطوة.

همس «زين»: «هل تشعرين بذلك؟».

«من المستحيل عدم الشعور به».

صاح روين: «ماذا يحدث؟».

«يمكن أن يكون فقط..».

المعبد..

لا توجد كلمات يمكن أن تصف الروعة المطلقة للهرم الذي أمامنا. مثل شاندومبلي، تعلن السينباريا الدقيقة إرادة الآلهة. كانت الرموز تلمع في غياب الضوء، ولكن الآن ونحن هنا، بدأت المعركة الحقيقية.

قال «روين» آمرًا: «ريهيما، خذي فريقك إلى حافة الشاطئ الجنوبي، أشعلي جحيما على الشاطئ واختفي في الضباب، اتبعي خطوات آشا للهرب".

أومأت «ريهيما»، وجذبت خوذتها حتى استطعنا رؤية عينيها بلونهما البني الفاتح، ضربت قبضة «روين» قبل قيادة رجلين وامرأتين إلى الضباب.

سألت: «ماذا نفعل؟».

أجاب «روين»: «نحن ننتظر، ينبغي أن يشتتوا انتباه الجيش، لإخلاء المعبد».

صارت الدقائق ساعات، وصارت دهرًا أشبه بالموت، كل ثانية تمر هي ثانية أخرى يتأرجح فيها عقلي في شعوره بالذنب، ماذا لو تم القبض عليهم؟ ماذا لو ماتوا؟ لا يمكنني تحمل هلاك المزيد من الناس من أجل هذا.

لا يمكنني تحمل تلطيخ يدي بمزيد من الدم.

ارتفع عمود أسود في البعد، تشتيت «ريهيما». كان يندفع خلال الضباب، ويصل إلى عنان السماء. وفي غضون ثوانٍ، حمل الهواء صوت بوق حاد.

تدفق الحراس خارج المعبد، منطلقين نحو الشاطئ الجنوبي، وتنافس الكثير من الرجال لدرجة أنني أدركت بسرعة أنني لا أستطيع تحديد الحجم الحقيقي للمعبد، وحين مر الفوج الأول من الجنود، قادنا روين إلى الداخل،

مقاومًا الهواء الثقيل. صعدنا الخطوات الذهبية بأسرع ما يمكن، ولم نتوقف حتى وصلنا إلى الطابق الأرضي ودخلنا المعبد.

كانت جواهر براقة تزين كل بوصة من الجدران، رائعة في تصميمها، ومن حولنا، كانت صورة «إيموجا» المذهلة تميز الجدران بالتوباز والياقوت الأزرق؛ وموجات الماس المتلألئ تتدفق من أطراف الأصابع جميعًا في الضوء، وفوقنا، يتلألأ الزمرد اللامع لـ «أوجون» ذلك المحارب العظيم، شعارًا لسطوته على الأرض، ومن خلال أسقف الكريستال، لمحت كل مستوى.. كل الطوابق العشرة المخصصة للآلهة.

«يا شباب...» اقتربت أماري من درج في وسط الأرضية الممتدة تحت الأرض، وحجر الشمس يضيء في يدها.

هذا هو... كورت قبضتيَّ الرطبتين.

هذا هو المكان المفترض أن نذهب إليه.

سألت «أماري»: «أنت جاهزة؟».

لا، هذا مكتوب على وجهي، لكن بوكزة منها، أخذت الخطوة الأولى، وقدتها أسفل الدرج البارد.

ونحن نمر بالحيز الضيق، عدت إلى أيامنا في شاندومبلي. مثل هذا المعبد، كان ضوء الكشافات يضيء المسار المستدق، متوهجًا فوق الجدران الحجرية.

أعادني هذا إلى أيام كان لا يزال لدينا فيها فرصة. عدت إلى حيث كان السحر لا يزال لدي.

لمست الجدران بيدي، ورفعت دعاءً صامتًا للآلهة.

رجاء.. إن كان باستطاعتكم مساعدتي، أحتاج إلى هذه المساعدة الآن.
مضى الوقت في ترقب ونحن نهبط أكثر وأكثر؛ ويتساقط العرق أسفل ظهري رغم أن الهواء بارد إلى درجة القشعريرة، دعوت مرة أخرى راجية السماء الأم: إن كنت تستطيعين إتمام هذا؟! أتميه الآن.

انتظرت لمحة عن عينيها الفضيتين، ولمستها الكهربية خلال عظمي، ولكن حين بدأت أدعو مرة أخرى، أسكتت روعة أرض الطقس كل الكلمات.

اصطف أحد عشر تمثالًا ذهبيًا في القبة المجوفة، مرتفعة إلى عنان السماء. كانت التماثيل تعلو فوقنا بارتفاع هائل، وتلوح لنا مثل جبال الأولاسيمبو. في المعدن الثمين، تم نحت الآلهة من الذكور والإناث

بتفاصيل رائعة؛ من التجاعيد التي في بشرة السماء الأم إلى كل لفة من لفات شعرها، ولا يغيب عن هذا أي خط أو منحنى.

تُركز نظرة كل إله على النجم الصخري ذي النقاط العشرة المتوهج تحتنا، وتتميز كل نقطة بعمود صخري، على كل جانب من جوانبه الأربعة نحتت نقوش السينباريا.

في الوسط، يرتفع عمود ذهبي واحد، فوقه، ثمة دائرة منحوتة منه، مستديرة وناعمة.. بنفس الشكل الدقيق لحجر الشمس.

همس «كينيون» ونحن ندلف إلى الهواء الراكد: «يا للآلهة!».

«يا للآلهة!» صواب.

بدا وكأننا نخطو بأقدامنا إلى داخل الجنة.

مع كل خطوة، كنت أشعر بالقدرة تحت أعين الآلهة، محمية بنظرتها الأثيرية.

«يمكنك القيام بهذا». سلمتني «أماري» المخطوطة الرِّقِّيَّة وحجر الشمس، وأخذت الخنجر العظمي من زين ودسسته في وسط زيي الموحد.

أومأت وأخذت الشيئين المقدسين. كررتُ: يمكنك القيام بهذا، حاولي فقط. خطوت إلى الأمام، مستعدة لوضع نهاية لهذه الرحلة، لكن حينئذ تحرك شخص على البعد.

صحت: «كمين!».

فردت هراوتي مع ظهور رجال مختبئين. كانوا يتحركون مثل الظلال، ويزحفون من وراء كل تمثال، وكل عمود، وحين اختلط الحابل بالنابل شهرنا جميعًا نصالنا وعيوننا تكاد تقفز من محاجرها لتحديد الهجوم التالي، لكن حين انقشع الغبار، رأيت ساران، وابتسامة ارتياح على وجهه، ثم رأيت «عنان»، بوجه متألم، وفي يده نصل الماجيست.

اخترقني المنظر في الصميم؛ خيانة أكثر برودة من الجليد، لقد وعد. أقسم أنه لن يعترض طريقي.

ولكن قبل أن أتمكن من الاختراق حقًّا، رأيت ما لا تقرُّ به عيني. مشهدًا مقلقًا للغاية، لا يبدو، حقيقيًّا على الإطلاق.

توقف قلبي وهم يأتون به إلى المقدمة.

«بابا؟».

# الفصل التاسع والسبعون

# زالي

*من المفترض أنه آمن.*

هذه الفكرة كانت تحولُ بيني وبين قبول الحقيقة. تفقدت الحرس باحثة عن جسد «ماما أجبا» المجعد، منتظرة هجومها. إذا كان بابا مع الحراس، فأين هي؟ ماذا فعلوا بها؟ بعد كل شيء، لا يمكن أن تكون قد ماتت، لا يمكن أن يكون بابا واقفًا هنا.

ومع ذلك كان يرتجف تحت قبضة «عنان»... بملابس ممزقة، مكممًا، ووجهه ملطخ بالدماء، لقد ضربوه على أخطائي.

والآن سيأخذونه.

تمامًا مثلا أخذوا ماما.

خدعتني عينا «عنان» الكهرمانيتان عن حقيقة خيانته، لكنها ليست النظرة التي أعرفها، إنه غريب، جندي، قشرة الأمير الصغير.

«أفترض أن الموقف يتحدث عن نفسه، لكن بما أن أهلك بهذه السخافة، سأعلنها صريحة، اتركي القطع الأثرية، حتى يمكنك استعادة أبيك».

صوت «ساران» فقط أغلق السلاسل المعدنية حول معصمي.

لن أكون مؤديًا لعملي كملك إذا لم أذكرك بحقيقتك.

كان يقف مرتديًا ثيابًا أرجوانية فاخرة، متحديًا في زمجرته، لكن حتى هو بدا صغيرًا أمام تماثيل الآلهة التي تحدق به.

همس «كينيون» من الخلف: «يمكننا التغلب عليهم، لدينا سحرنا، ولديهم حراس فقط».

قال «زين» بصوت منكسر: «لا يمكننا المخاطرة».

أعطى بابا أدنى هزة من رأسه. لا يريد أن ينقذه أحد، لا.

خطوت إلى الأمام لكن «كينيون» قبض على ذراعي، وأدارني نحوه بعنف، «لا يمكنك الاستسلام!».

«اتركني..».

«فكري في أحد آخر غير نفسك! بدون الطقس سيموت كل الربانيين..».

صرخت: «نحن ميتون بالفعل!»، رددت القبة صوتي، كاشفًا الحقيقة التي كنت أتمنى أن يكون بإمكاني تغييرها. من فضلك أيتها الآلهة! توسلت لمرة أخيرة، لكن لم يحدث شيء.

لقد تخلوا عني مرة أخرى.

«ذهب سحري، اعتقدت أنه سيعود، لكنه لم...».

اهتز صوتي وأنا أحدق في الأرض، وأقاوم خجلي. إنه الغضب. الألم. كيف تجرؤ الآلهة على إقحام أنفسها في حياتي مرة أخرى فقط لكسري بهذه الطريقة.

رغم كل شيء، حاولت مرة أخرى، وبحثت عن أي بقايا للآشي ربما تكون قد تبقت، لكنهم هجروني. لن أسمح لهم بأخذ أي شيء آخر.

«أنا آسفة»، الكلمات جوفاء، لكنها كل ما أملك. «لكن إذا كنت لا أستطيع أداء الطقس، لن أخسر والدي».

تركني «كينيون»، الكراهية لا تعني شيئًا بالنسبة للنظرات التي تلقيتها من الرجال المجتمعين. فقط عينا «أماري» كانتا متعاطفتين؛ حتى «روين» بدا فزعًا.

تقدمت للأمام وألصقت حجر الشمس واللفافة بصدري، وكان الخنجر العظمي مضغوطًا بشدة على بشرتي، حتى كاد يجرحني في كل خطوة، وحين صرت في منتصف الطريق عبر الأرضية صرخ «كينيون»: «لقد أنقذناكِ!»، رددت الجدران صرخاته، «لقد مات أناس لأجل هذا! مات أناس من أجلك!».

كلماته تغلغلت في روحي. في جميع من تركتهم ورائي، «بيسي»، «ليكان»، «زليخة»، وربما «ماما أجبا»، كلهم موتى. لأنهم تجرءوا على الإيمان بي.

تجرءوا على الاعتقاد بأننا نستطيع الفوز.

عندما اقتربت من «عنان»، زادت رجفة بابا، لا يمكن أن أدعه يكسر عزمي. لا أريدهم أن يفوزوا يا بابا.

لكنني لا أستطيع أن أدعك تموت.

أطبقت يدي على الحجر واللفافة بينما كان «عنان» يتقدم للأمام ويقود بابا أمامه برفق، والاعتذار صارخ في عينيه الكهرمانيتين، عينين لن

أثق بهما مرة أخرى.

لماذا؟ كنت أتوق للصراخ، لكن الكلمة ذبلت في حلقي. مع كل خطوة، يضغط صدى صوت قبلته شفتي ويسري أسفل رقبتي. حدقت في يديه على كتفي بابا، يدان كان ينبغي أن أسحقهما. أقسمت أن أموت قبل أن أتيح لحارس سبيلًا إليّ، إلا أنني أطلقت حبل قائدهم على غاربه.

أعرف أن قدرنا أن نعمل معًا، قدرنا أن نكون معًا.

أكاذيبه الجميلة تعبث بأذني، وكل كذبة تسفح مزيدًا من الدموع.

لن يوقفنا شيء، سنكون فريقًا لم تره أوريشا من قبل.

ولولاه لكانت إيلورين لا تزال قائمة، ولكان «ليكان» على قيد الحياة، ولكنت أنا هنا لإنقاذ شعبي، لا لختم مصيرهم.

وبينما كنت أبكي بدمع حارق، انقبضت أمعائي. شعور أسوأ من طعنات سكين «ساران» الحارقة. رغم كل شيء، أدخلته، سمحت له بالفوز.

هز بابا رأسه مرة أخيرة، وهي فرصتي الأخيرة للهرب، لكن الأمر انتهى الآن. انتهى قبل أن تبدأ.

سحبت بابا من قبضة «عنان»، فأسقطت المخطوطة الرِّقِّيَّة والحجر على الأرضية، كدت أمد يدي نحو الخنجر العظمي، لكنني تذكرت حينئذ أن «عنان» لم يسبق له رؤيته. ألقيت سكين «زين» الصدئة بدلاً منه، محتفظة بالخنجر العظمي الحقيقي مخبأً في حزامي. يمكنني التمسك بهذا الشيء الوحيد، بهذه القطعة الأثرية الوحيدة الآن وقد أخذ كل شيء آخر مني.

«زالي.».

قبل أن يتمكن «عنان» من نطق كلمة خائنة أخرى، نزعت كمامة بابا وسرت مبتعدة، وبينما كانت أرضية الطقوس تردد صدى وقع أقدامي، ركزت على التماثيل بدلًا من النظرات الكارهة.

«لماذا؟» تنهد بابا، صوته ضعيف لكنه خشن. «لماذا وقد أصبحتِ قريبة جدًّا؟».

«لم أكن قريبة أبدًا» كتمت نحيبي. «أبدًا، ولا حتى مرة».

قلت لنفسي معزِّية إنني حاولت، فعلت أكثر من أفضل ما لديك.

لم يكن مقدَّرًا حدوث ما أردت، خيار الآلهة كان خاطئًا.

على الأقل انتهى الأمر، على الأقل أنت على قيد الحياة. يمكنك المغادرة على هذا القارب، وتستبدل...».

«لا!».

تجمدت بينما صرخات «عنان» ترددها جدران القبة بنبرة تصم الآذان.

بابا ألقاني على الأرض حين طار في الهواء.

هرعت لحماية بابا، ولكن بعد فوات الأوان.

اخترق رأس السهم صدر أبي.

سال دمه على الأرض.

## الفصل الثمانون

# زالي

***عندما أتوا لماما***، لم أستطع أن أتنفس. اعتقدت أنني لن أستطيع التنفس مرة أخرى. اعتقدت أن حياتينا متصلتان بخيط، فإن ماتت، فسوف أموت أنا أيضًا.

اختبأت مثل الجبان وهم يضربون بابا حتى كاد أن يموت، اعتقادًا منهم أن «زين» له نفس قوتي، ولكن حين لفوا السلسلة حول رقبة ماما، شيء بداخلي انتُزِع، ورغم الفزع الذي سببه الحراس لي، لم يكن هذا يقارن بالرعب الذي سببه أخذهم لماما.

تعقبتها في فوضى إبدان، والدماء والأوساخ تتناثر على ركبتيَّ الصغيرتين، تابعتها قدر استطاعتي حتى رأيت ما رأيت.

رأيت كل شيء.

كانت معلقة في شجرة مثل حلية دالة على الموت في وسط قريتنا الجبلية، سُحقت هي وكل ماجي آخر، كل تهديد للملكية.

في ذلك اليوم، أقسمت إنني لن أشعر بهذا الشعور مرة أخرى؛ ووعدت بأنهم لن يأخذوا أي فرد آخر من عائلتي، لكن وأنا أرقد مشلولة الآن، يقطر الدم من شفتي بابا، لقد وعدت.

والآن فات الأوان.

«بابا؟».

لا شيء.

ولا حتى طرفة عين.

عيناه البنيتان الداكنتان فارغتان، مكسورتان، جوفاوان، همست مرة أخرى: «بابا! بابا!».

حين رأيت دمه ينتشر على أصابعي، اسودَّ العالم في عيني وشعرت بالنار تسري في دمي. وفي الظلام كنت أرى كل شيء. كنت أراه.

كان يجري عبر شوارع كالبرار ويركل كرة أجبون في الطين مع شقيقه الأصغر. كان طفلًا له ابتسامة لم أرها قط عند بابا، ابتسامة عريضة تجهل

ألم العالم، وبركلة قوية، ذهبت الكرة بعيدًا وظهر وجه ماما الصغير. كانت مذهلة، مشعَّة، جعلته يتنفس لاهثًا، وتلاشى وجهها في سحر أول قبلة لها، رهبة ابنها الأكبر، تلاشت الرهبة وهو يُهدهد ابنته الرضيعة حتى تنام، ويمر بيديه على شعري الأبيض.

في دمه، شعرت بالوقت الذي استيقظ فيه بعد الغارة، الحسرة التي لم تتوقف أبدًا.

في دمه، شعرت بكل شيء.

في دمه، شعرت به.

شقت روح بابا كياني كما تنشق الأرض. دوَّى كل صوت بشكل أعلى، وأضاء كل لون على نحو أكثر إشراقًا. كانت روحه تحفرني أعمق من أي سحر شعرت به، أعمق من أي سحر على الإطلاق، ليست التعويذات التي تسري في عروقي.

إنها دمه.

إنه هو.

التضحية النهائية.

أعظم سحر دم يمكن أن أمارسه.

«اقتلوها!».

اندفع أول اثنين من الحراس نحوي، بسيفين مصوبين ومُشهَرين، يجريان بغريزة الانتقام.

آخر خطأ سيرتكبانه على الإطلاق.

مع اقترابهما، انخلعت روح بابا من جسدي كظلين متراقصين حادين. الظلام يمتلك قوة الموت، وتأتمر بأوامره قوة الدم، اخترق درْعَي الجنديين، وشوياهما كاللحم، تناثر الدم في الهواء كما تنسكب مادة قاتمة من ثقوب صدريهما.

تحشرجت أنفاس الرجلين الأخيرة في صدريهما، وجحظت عيونها بالهزيمة، وتحول جسداهما إلى رماد بأزيز مسموع.

أكثر.

موت أكثر، دم أكثر.

أخيرًا وجد الجزء الأكثر سوادًا من غضبي القوة التي اشتهاها دائمًا، الفرصة للانتقام لماما، والآن بابا. سوف آخذ ظلال الموت هذه وأنهيها... أنهيها جميعًا.

لا. رنَّ صوت بابا في رأسي، ثابتًا وقويًّا. الانتقام لا معنى له، لا يزال هناك وقت لتصحيح هذا.

«كيف؟».

حدقت في السُّعار الحادث بينما اندفع طاقم «روين» وفريق «كينيون» إلى المعركة. كررت لنفسي: الانتقام لا معنى له، الانتقام لا معنى له...

مع رسوخ الكلمات، رأيته، الشخص الوحيد الذي يفر من القتال. كان «عنان» يهرول نحو حجر الشمس الدوار وسط الجنون الدائر، متفاديًا نصال رجال «روين».

ما دمنا لا نمتلك السحر، فلن يعاملونا باحترام أبدًا. أشرقت روح بابا، كانوا يحتاجون إلى معرفة أننا يمكن أن نضرب كما يضربون، إذا أحرقوا بيوتنا...

أحرق بيوتهم، أيضًا.

# الفصل الواحد والثمانون

## عنان

*الفتاة التي حملتها* في نومي لا تُرى في أي مكان.

بدلاً منها وحش هائج، مكشر عن أنياب الموت.

انطلق ظلان أسودان من يدي «زالي» واندفعا إلى الأمام.

مثل ثعبانين سامين، جائعين للدم، للانتقام، اخترقا أول اثنين من الحراس، ثم طقطق شيء في عيني «زالي» الفضيتين.

انقضت بنظرتها عليَّ، وتوهج حجر الشمس في يدي. وجدت بالكاد الوقت الكافي لسحب سيفي قبل هجوم الظل الأول.

مدببًا كالحسام، اصطدم بسيفي، مرتدًّا في الهواء. أتى الهجوم التالي سريعًا، كان أسرع من أن أجد الوقت لصده..

«الأمير عنان!».

اندفع حارس إلى الأمام. جعل حياته مقابل حياتي. اخترق الظل جسده.. فتحول إلى رماد بأزيز مسموع.

اللعنة!

رجعت إلى حيث الجنون، تراجعت ظلالها استعدادًا لهجوم آخر. جريت، فراحت تطاردني، كانت رائحتها التي تشبه رائحة ملح البحر هائجة كعواصف المحيطات.

حتى مع فورة حجر الشمس، لا يمكنني إيقافها. لا أحد يستطيع ذلك، أنا ميت.

لقد مِتُّ في اللحظة التي ارتطم فيها والدها بالأرض.

اللعنة. قاومت دموعي، لا زالت حسرة تنبض في قلبي. حزن قوي للغاية يمكن أن تهتز له الأرض. كان من المفترض إنقاذها. كنت سأفي بوعودي لها. كنت سأجعل أوريشا مكانًا أفضل..

ركز يا «عنان»، أطلقت زفيرًا عميقًا طويلًا وعددت حتى عشرة. لا يمكن أن أستسلم. السحر لا يزال يمثل خطرًا، خطرًا ليس له إلا أنا.

هرولت عبر القبة إلى تمثال أوري، النتائج تجري في عقلي. إذا نفذت «زالي» الطقس، فستمحونا، حينئذ ستحترق أوريشا عن بكرة أبيها. لا يمكن أن أدع هذا يحدث. مهما يحدث، ستظل خطتي واحدة: أن آخذ الحجر، أن آخذ اللفافة.

أن أقضي على السحر.

ألقيت بحجر الشمس على الأرض بكل قوتي. بحق السماوات، رجاءً تهشَّم. لكنه تدحرج بعيدًا دون أن يُمَس. إذا كان لا بد من تدمير شيء، يجب تدمير اللفافة.

نزعتها من جيبي واندفعت وسط الهيجان، اندفعت «زالي» خلف الحجر، ولأن عمري لم يبقَ منه سوى بضع ثوانٍ، دارت تروس عقلي. رنت كلمات أبي القديمة. لا يمكن تدمير اللفافة إلا بالسحر.

السحر...

ماذا عن سحري؟

ركزت طاقة ذهني على المخطوطة الرقية، وفقدت مسار «زالي» في هذا العناء. توهج ضوء فيروزي حول اللفافة العتيقة. رائحة الحكمة و النعناع ملأت أنفي بينما تستحوذ ذكرى غريبة على عقلي.

تلاشت هستيريا المعبد. ومضَ وعي السينتارو: أجيال من النساء لديهن حبر أبيض ناصع موشوم على بشرتهن، كلهن يهتفن بلغة لا أستطيع فهمها.

تستمر الذكرى لحظات فقط، لكن المحاولة ليست مجدية. سحري لن يُتمّ هذا.

ظلت اللفافة دون أن تُلمس.

«أغيثوني!».

رحت أدور والصرخات ترن، ظلال زالي شَوَت المزيد من الرجال، والمادة المظلمة تلتهم أجسادهم بمجرد انطلاقها من رءوس الأسهم السوداء.

قبل أن يرتطم الجنود بالأرض، كانوا يتحولون إلى رماد. في تلك اللحظة بدا لي كل شيء.. ورأيت الإجابة الخفية رأي العين.

ربما لو كنت حارقًا، لحرقت نيراني المخطوطة الرِّقِّيَّة، ولكن سحر الواصل لا فائدة منه، فلا اللفافة تمتلك عقلًا يمكنني السيطرة عليه، ولا جسمًا يشله سحري. سحري لا يمكن أن يقضي على اللفافة.

لكن سحر «زالي» يمكنه ذلك.

لم أرَ قط قدراتها تُمارس بهذه الطريقة. سحرها يدمر كل شيء في طريقه، شريرًا وملتويًا، مُعوِلًا وهو يخترق المعبد المقدس كالإعصار، رءوس أسهمه السوداء تضرب بنقمة الرماح، فتشق الدروع، وتخترق اللحم مباشرة. من يسوقه حظه العاثر لمواجهتها يستحيل رمادًا.

إذا قمت بذلك بشكل صحيح، فإن اللفافة يجب أن تنهار أيضًا.

أخذت نفسًا عميقًا، نفسًا ربما يكون نفسي الأخير. انطلقت رءوس السهام المميتة التي تطلقها زالي فبقرت بطون أربعة جنود، فخلّفت فتوقًا في أحشائهم، وانهارت أجسادهم فصارت ترابًا وهم يسقطون على الأرض.

وبينما كانت «زالي» تمزق المزيد من الجنود، ركضت إلى الأمام.

صحت: «هذا كله خطؤك!».

توقفت «زالي» بغتة. لا أظنني سأكره نفسي أبدًا أكثر من كراهيتي لها الآن، لكنني بحاجة لاستخلاص هذا الألم منها. لا يمكن أن يكون هذا بخصوصنا.

ولم يكن أبدًا كذلك.

صحت: «لم يكن ينبغي أن يموت أبوك! هذا خط كان لا ينبغي تجاوزه». لكن لا بد لي من أن أفتح مغاليق غضبها، أحتاج إلى ضربة قاتلة.

«لا تتكلم عنه!» ومضت عيناها، بكل الحزن والكراهية والغضب، ملأني عذابها خجلًا، ومع ذلك، ألححت.

«لم يكن عليك أن تأتي إلى هنا، كان من الممكن أن أعيده إلى لاجوس!».

دارت الظلال حولها كرياح حادة تجتاح إعصارًا.

إنها قريبة الآن.

حياتي تقترب من نهايتها.

«لو كنتِ وثقت بي، وعملتِ معي، لكان لا يزال على قيد الحياة. هو». ابتلعتُ ريقي، «وماما أجبا..».

دهمتني الظلال بسرعة أفقدتني القدرة على التنفس. كان كل ما يمكنني القيام به هو أن أحل اللفافة أمام صدري. في تلك اللحظة، أدركتْ خطأها.. الفخّ الذي أغريتُها به.

صرختْ واهتزتْ يدها، لكن بعد فوات الأوان.

مزقت الظلالُ اللفافةَ في تقوسها.

«لا»، ردّدت القبة المقدسة صدى صرخات «زالي»، وتساقط رماد المخطوطة الرِّقيّة المدمرة في الهواء. ذوت الظلال وتلاشت، واختفت كجسيمات تسربت من خلال يديها.

أنت فعلتها...

لا أستطيع استيعاب الحقيقة. انتهى الأمر، لقد ربِحت.

أوريشا آمنة أخيرًا.

سيموت السحر إلى الأبد.

«بُني!».

جرى أبي نحوي من أطراف المعركة، بوجه يتلألأ بابتسامة لم أرَ مثلها من قبل على وجهه. حاولت رد الابتسامة، ولكن اقترب حارس منه من الخلف، ورفع سيفه، مستهدفًا ظهر أبي، انشقاق؟!

لا.

أحد المرتزقة.

صحت: «أبي!» تحذيري لن يصله في الوقت المناسب. دون تفكير، استعنت بفورة الطاقة المتبقية من لمسة حجر الشمس، طارت طاقة زرقاء من يدي.

كما حدث في شاندومبلي، اخترق سحري رأس المرتزق، فشلّه في مكانه. جمدتُه لفترة تكفي لقيام حارس بطعنه في قلبه. أنقذ هذا أبي من الهجوم.

لكنَّ مشهدًا سحريًّا حوّل أبي إلى حجارة.

قلت: «ليس الأمر كما تعتقد..».

ارتد أبي إلى الخلف، فزعًا كأنني وحش لا يستطيع الوثوق به، وتغضّنت شفتاه مرة أخرى اشمئزازًا. كل شيء بداخلي ذبل.

« ليس مهمًّا». تكلمت بسرعة شديدة فجاء الكلام مدغمًا غير واضح. «لقد أصابتني عدوى، لكنه يبتعد، لقد فعلتُها، لقد قتلت السحر».

ركل أبي المرتزق بقدمه، وراح ينتزع بلورات الفيروز المتبقية في شعر المهاجم. حدق في يديه، وانقلب وجهه. استطعت أن أراه وهو يجمع القطع. هذه هي نفس البلورات التي يحملها في القلعة. نفس البلورات التي التقطوها من جثة «كايا».

ومضت عينا أبي، وأحكم قبضته على مقبض السيف، «انتظر..».

اخترقني نصله.

احمرت عينا أبي من الهياج. قبضت بيدي على السيف، لكنني أضعف من أن أخرجه.

«أبي، أنا آسف..».

أخرج سيفه بصرخة مختلطة. سقطت على ركبتي، وأمسكت الجرح النازف.

تسرب الدم الدافئ من الفواصل التي بين أصابعي.

رفع أبي سيفه مرة أخرى، هذه المرة للضربة النهائية. لا يوجد حب في عينيه، ولا لمحة من الفخر الذي ومضت به عيناه منذ لحظات.

نفس الخوف والكراهية اللذين اشتعلا في نظرة «كايا» الأخيرة يلطخان أبي الآن. أنا غريب عنه. لا، لقد تخليت عن كل شيء لأكون ابنه.

قلت بصوت واهن: «أبي، من فضلك»، توسلت طالبًا المغفرة وأنا ألهث، أظلمت الدنيا في نظري.. للحظة، تسرب كل ألم «زالي» إليَّ. مصير الماجي المدمَّر، وفاة والدها، اختلط وجع قلبها بوجع قلبي؛ تذكارًا مقززًا بكل شيء فقدته.

لقد ضحيت بالكثير جدًّا حتى أصل إلى هذه النهاية، كل الألم الذي سببته باسمه.

مددت إليه يدًا مرتعشة، يدًا مغطاة بدمي، لا يمكن أن يكون هذا بلا مقابل.

لا يمكن أن ينتهي هكذا.

قبل أن ألمسه، سحق أبي يدي تحت كعب حذائه المعدني، وضاقت عيناه الداكنتان...

«أنت لست ابنًا لي».

## الفصل الثاني والثمانون

# أماري

***رغم اندفاع دستة من الرجال*** للأمام، فإنهم ليسوا أكْفَاء لانتقام نصلي. بجانبي، كان «زين» يجتاح الحراس بفأسه، محاربًا رغم أن الدموع تسيل على وجهه. من خلال ألمه كنت أقاتل، ومن خلاله، ومن خلال ألم «بينتا»، ومن خلال كل روح بائسة انتهت بحياة أبي، كل هذا الدم والموت.. وصمة عار لا نهاية لها على كل نفس.

اجتحت الحراس بنصلي، ضاربة أولًا بهجوم موهِن.

انهار حارس حين قطعت وترًا بشكل مباشر.

سقط آخر وأنا أنقض على فخذه.

قاتلي يا «أماري». حفزت نفسي للاستمرار، وأجبرت نفسي على الرؤية عبر أختام أوريشا التي تزين دروعهم، عبر الوجوه التي قضى عليها سيفي، هؤلاء الجنود أقسموا على حماية أوريشا وتاجها، إلا أنهم حنثوا بقسمهم المقدس، لقد أتوا لرأسي.

أحدهم هزَّ سيفه في وجهي. انبطحت فاخترق جنديًّا زميلًا له بدلًا مني، تهيأت لضرب التالي حين..

«لا!».

أجبرتني صرخات «زالي» عبر المعبد على التمحور ونصلي يخترق جنديًّا آخر. سقطت على ركبتيها، مرتعشة، والرماد ينسكب من بين أصابعها. ركضت لمساعدتها ولكني توقفت بغتة حين رفع أبي سيفه وغرسه في بطن أحد جنوده، وحين سقط الفتى على ركبتيه، انزلقت عنه خوذته، ليس جنديًّا، إنه «عنان»!

كل شيء بداخلي صار باردًا والدم يتسرب من بين شفتي أخي.

لقد طعن هذا السيف أحشائي أنا، دمي هو الذي ينسكب. الأخ الذي حملني عبر قاعات القصر على كتفيه، الأخ الذي كان يسرب لي كعك العسل من المطبخ حين تحرمني أمي من حلواي.

الأخ الذي أ جبرني أبي على منازلته.

الأخ الذي جرحني في ظهري.

لا يمكن أن يكون هذا. رفَّت عيني، في انتظار أن تصحح الصورة نفسها، ليس هو..

ليس الطفل الذي تخلى عن كل شيء ليكون كل شيء أراده أبي.

لكن بينما كنت أشاهد ما حدث، رفع أبي سيفه مرة أخرى، على استعداد لقطع رأس عنان. إنه يقضي عليه، تمامًا مثلما قضى على «بينتا».

صاح «عنان»: «أبي، من فضلك»، ومد يده بآخر نفس له، لكن أبي خطا على يده وسحقها، «أنت لست ابنًا لي».

«أبي!».

لم يبدُ صوتي في طبيعته أثناء اندفاعي للأمام. حين لمحني أبي، انفجر غضبه. قال باصقًا: «الآلهة لعنتني في أطفالي، خونة ليسوا أبدًا من دمي».

رددت بقوة: «دمك هو اللعنة الحقيقية، كل شيء سينتهي اليوم»..

# الفصل الثالث والثمانون

# أماري

***كان أولاد أبي الأوّل محبوبين***، لكنهم كانت فيهم هشاشة وضعفٌ. حين وُلدتُ أنا و «عنان»، لم يكن أبي ليسمح لنا بأن نكون مثلهم.

لسنوات أجبرني أنا و «عنان» على تبادل الضربات والكدمات أمام عينيه. لا يلين أبدًا، مهما زاد بكاؤنا، كانت كل معركة فرصة لتصحيح أخطائه، لإعادة عائلته الأولى إلى الحياة مرة أخرى. إذا اكتسبنا القوة الكافية، فليس بإمكان أي سيف أن ينال منا، ولا أي ماجي يمكن أن يحرق جسدنا، قاتلنا من أجل موافقته، وعِلقنا للفوز بحبه في معركة لن يفوز فيها أي منا.

رفع أحدنا سيفه في وجه صاحبه لأن أيًّا منا لم يكن يمتلك الشجاعة ليرفع سيفًا في وجهه.

الآن وأنا أرفع نصلي أمام عينيه المشتعلتين بالغضب، رأيت أمي وزين، رأيت عزيزتي «بينتا»، وجدت كلَّ الذين حاولوا المقاومة، كل روح بريئة أزهقها بنصله.

غمغمت وأنا أتقدم بسيفي: «لقد ربيتني على محاربة الوحوش، ولقد طال الوقت أكثر ما ينبغي قبل أن أعرف أن الوحش الحقيقي هو أنت».

اندفعت إلى الأمام وفاجأته، لا يمكن أن أُحجم في قتالي معه؛ وإن فعلت، فالمعركة نهايتها محتومة.

ورغم أنه رفع سيفه لتفادي ضربتي، فإنني تغلبت عليه، واقتربت بشكل خطير من رقبته. انحنى، لكنني هاجمته مرة أخرى. اضربي يا «أماري». قاتلي!

أطحت بسيفي في قوس سريع، واخترقت فخذه. تراجع إلى الخلف متألمًا، غير مهيأ لضربة قاتلة من سيفي. لستُ الفتاة الصغيرة التي عرفها، أنا أميرة، ملكة.

أنا ليونيرة.

اندفعت إلى الأمام لأصد إحدى ضربات أبي الموجهة إلى قلبي. ضرباته صارت لا ترحم الآن حيث لم يعد يتفاجأ بهجماتي.

دوت صلصلات وضربات نصلينا فوق جنون المعركة بينما يتزايد عدد الحراس الهابطين الدرج. بعد ذبح الرجال الذين على أرضية الطقوس، وقف رجال «روين» سدًّا منيعًا أمام الموجة الجديدة، لكن أثناء قتالهم، ركض «زين» نحوي عبر الغرفة، على بعد لحظات فحسب.

«أماري..».

«اذهب!» ألححت عليه وأنا أقاوم نصل أبي، لا يمكن لـ «زين» أن يساعدني هنا، خصوصًا في معركة تدربت لها طيلة حياتي. ليس هناك إلا أنا والملك الآن، واحد منا فقط سيعيش.

تعثر أبي، هذه هي لحظتي، فرصة لإنهاء رقصتنا التي لا تنتهي.

افعليها الآن!

ازداد تدفق الدم إلى أذني وأنا أقفز إلى الأمام، رافعة نصلي. يمكنني تخليص أوريشا من أعظم وحوشها. يمكنني أن ألغي مصدر الألم.

لكن في اللحظة الأخيرة، ترددت، ورفعت نصلي إلى أعلى. ارتطم سيفانا بشكل مباشر.

اللعنة على السماوات.

لا يمكنني إنهاء الأمر هكذا. إن فعلت هذا، فلست أفضل منه.

أوريشا لن تحيا باستخدام تكتيكاته. لا بد من إسقاط أبي، لكن أن أغرز سيفي في قلبه فهذا أكثر مما ينبغي...

أرجع أبي نصله إلى الخلف. قوة الدفع تحملني على التقدم.

قبل أن يتاح لي التمركز، طوح أبي سيفه وشق بنصله ظهري.

«أماري!».

بدت صرخة «زين» بعيدة وأنا أتعثر في عمود مقدس. شعرت بنار متقدة تسري في بشرتي، وتلذعني بنفس العذاب الذي أذاقنيه «عنان» وأنا طفلة.

برزت عروق رقبة أبي وهو يندفع إلى الأمام، ويستعد بلا تردد لإنزال ضربة قاتلة.

لا يبدي تراجعًا عن فكرة ذبح ابنته، لحمه ودمه، لقد اتخذ قراره.

الآن حان وقت قراري.

انتفضت متفادية الخطر فضرب سيفه العمود، محدثًا شِقًّا بالصخر، وقبل أن يتمكن من استجماع قوته، دفعت سيفي للأمام بدون تردد.

جحظت عينا أبي.

تسربت الدماء الساخنة من قلبه إلى يدي، أصدر أزيزًا، بينما سائل قرمزي يتدفق من شفتيه وينسكب دمه على الصخور.

على الرغم من رعشة يدي، غرزت النصل أكثر. غامت عيناي بالدموع.

همست وهو يأخذ نفسه الأخير: «لا تقلق، سأكون ملكة أفضل بكثير».

## الفصل الرابع والثمانون

# زالي

*«هيا»*، وجهتُ كل طاقتي إلى غبار المخطوطة الرِّقِّيَّة المدمرة، لا يمكن أن يحدث هذا، خصوصًا ونحن بهذا القرب.

طاقة بابا تسري في ذراعي، تتفجر من أطراف أصابعي كالظلال المتراقصة، لكن لم تنهض أي مخطوطة رقية من الرماد، انتهى كل شيء...

لقد خسرنا.

أصابني الرعب بشدة حتى إنني كدت أفقد القدرة على التنفس.

الشيء الوحيد الذي نريده، دمرته بيدي.

«لا، لا، لا!» أغمضت عيني وحاولت أن أتذكر التعويذة. قرأت تلك اللفافة عشرات المرات، كيف كان ذلك الطقس اللعين يبدأ؟

«آيا أوون أوريون، أوا أومو كيبي أو لوني». كلا، هززت رأسي، ورحت أستعرض شظايا الكلمات التي تعيها ذاكرتي. كانت: أوا أومو أُو ري كيبي أُو وني...

ثم...

يا للآلهة!

ماذا بعد ذلك؟

رنت تصفيقة حادة في القبة، هادرة مثل الرعد، وبينما كان صوتها يدوي، ارتج المعبد بأكمله، وتجمد الجميع حين بدأ انهمار الصخور والغبار من السقف.

بدأ تمثال «إيموجا» في التوهج، بلمعان يخطف الأبصار، وبدأ الضوء عند قدميها العاريتين، وانتقل أعلى منحنيات وثنيات ثيابها المنحوتة، وحين وصل إلى عينيها، تألقت فتحتا عينيها الذهبيتين بلون أزرق ساطع، فغمرت القبة بلونها الناعم.

بعد ذلك أضاء تمثال «أوجيون» ودبت فيه الروح، وتألقت عيناه بألوان خضراء داكنة؛ أما عينا «سانجو» فكانتا بألوان حمراء نارية، وتألقت عينا «أوشيومار» بالأصفر المشرق.

همست: «سلسلة...»، واتبعت الطريق إلى السماء الأم. «يا للآلهة...».
الانقلاب.
إنه يحدث الآن!
أنشبت أظفاري بالرماد، وبحثت عن أي شيء. كل شيء. الطقس القديم كان مرسومًا على هذه اللفافة. لا ينبغي أن تكون أرواح السينتارو التي رسموها هنا هي الأخرى؟
لكن بينما أنتظر أن تغمرني برودة الموتى، أدركت عدد الجثث الملقاة عبر القبة. لم أشعر أن وفاتهم مرت من خلالي، ولم أشعر بأي شيء على الإطلاق.
كل ما شعرت به هو بابا.
السحر الذي في دمي.
«اتصال...» دهمتني الحقيقة مثل الثلج، اتصال أشترك فيه معه بسبب الدم. كان من المفترض أن تربطنا تعويذة اللفافة بالسماء الأم من خلال السحر، ولكن ماذا لو كانت هناك وسيلة أخرى للوصول إليها بدلًا من ذلك؟
دار عقلي، في محاولة لحساب الاحتمالات، هل يمكنني الاعتماد على الاتصال بأسلافي من خلال دمائنا؟ هل يمكن العودة إلى الوراء، وتكوين اتصال جديد بالسماء الأم ومِنَحِها خلال أرواحنا؟
مرت بي «أماري» مندفعة، مبعدة أحد الجنود عن أرض الطقوس. على الرغم من أن الدم كان يقطر من ظهرها، كانت ضرباتها ضارية، شبه وحشية ضد الحراس القادمين، وحتى حين انهمر الجيش بأكمله، لم يتزعزع روين ورجاله. يقاتلون ضد كل الصعاب.
إن كانوا لم يستسلموا بعد، فلا يمكنني ذلك.
اصطفق قلبي في صدري وأنا أقف متعثرة. أضاء التمثال التالي، وغمر القبة بضوء أزرق. بضعة آلهة معتمة فقط تقف في طريق السماء الأم. اقتربت نهاية الانقلاب.
أمسكت بحجر الشمس الساقط، فاشتعل في يدي. بدلًا من السماء الأم، رأيت دمًا، ورأيت عظمًا.
رأيت ماما.
هذه هي الصورة التي تشبثت بها وأنا أسقط حجر الشمس في العمود الذهبي الوحيد في وسط القبة. إذا كان دمها يسري في عروقي، فلماذا لا

تسري دماء سائر الأجداد أيضًا؟

أخرجت الخنجر العظمي الحقيقي من خاصرة سروالي وجرحت راحتي. بيدين تنزفان، ضغطت على حجر الشمس مطلقة الدماء الواجبة للتضحية الأخيرة.

صرخت بصوت عالٍ: «أغيثوني!»، مستنجدة بقوتهم: «من فضلكم! مدُّوا لي يدًا!».

مثل بركان ثائر، تدفقت قوة أسلافي خلالي، الماجي والكوسيديين على حد سواء. قبض الكل على صلتنا، على لب دمنا، دارت أرواحهم معي، مع روح ماما، مع روح بابا، إننا نسكب أنفسنا إلى الأمام، وأرواحنا تقاتل الحجارة.

صرخت لهم: «أكثر!»، ودعوت جميع الأرواح المرتبطة بدمنا. غُصت في سلالتنا، ورحت أنبش بأظافري عائدة إلى الذين كانوا أول من تلقى مِنَح السماء الأم. وبينما كان كل سَلَف جديد يبزغ، وكان جسمي يصرخ. تمزق جلدي كأنما هناك من يشقه نصفين، لكنني أحتاج إلى هذا، أنا بحاجة لهم.

بدا دوي أصواتهم؛ أصوات جوقة الموتى الأحياء، انتظرت أن أسمع الكلمات المسطورة على اللفافة المدمرة، لكنهم يتلون تعويذة لم أقرأها أبدًا، صدى كلماتهم الغريبة يتردد في رأسي، في روحي، تشق طريقها إلى شفتي، على الرغم من أنني لا أعرف ما ستفعله التعويذة.

«آواناي أومو ري نينيو إيجي آتي إيجيو نجيون!».

تفجرت بداخلي سبل روحية، قاومت صرخاتي لأنطق بالكلمات بينما يشرق حجر الشمس تحت يدي، انتقل الضوء على صدر السماء الأم، على يدها التي تحمل بوقها، انتهى الأمر تقريبًا.

الانقلاب في نهايته تقريبًا.

«آتاي دي! إيكان ناي وا! دا وا بو ماما! كاي إيتاننا واتان بيليو إيبيون آيناي ري ليكان سايي!»

شعرت بحلقي ينسد، مما جعل التنفس صعبًا، ناهيك عن الكلام، لكن أجبرت نفسي على الاستمرار، موجهة كل ما بقي لدي.

صحت والضوء يصعد ترقوة السماء الأم: «جي كاي أجبارا إيدان واتان كاري».

غنت الأصوات بصوت عالٍ للغاية في ذهني حتى شعرت بأن العالم كله لا بد أنه يسمع، دفعوا باتجاه نهاية التعويذة في لهفة، بينما يعبر الوهج

أرنبة أنف السماء الأم، بدمائهم، أستطيع إنهاء هذا، بدمائهم، لا يمكن إيقافي.

«تان إيمولي آيا ليبكان سايي!».

وصل الضوء إلى عيني السماء الأم، وتفجر بوهج أبيض مع انطلاق نهاية تعويذتي، تحطم حجر الشمس في يدي، تفجر ضوءه الأصفر في الغرفة، لا أدرك ما يحدث، لا أعرف ماذا فعلت، ولكن بينما الضوء يغزو كل ذرة في كياني، أشرق العالم كله.

دارت دوامات الخلق أمام عيني، في ولادة الإنسان، وأصل الآلهة، كان سحرهم يندفع إلى الغرفة في موجات، كقوس قزح من كل ظلال الألوان النابضة بالحياة.

اقتحم السحر كل قلب، كل روح، كل كيان، ربط بيننا جميعًا، مخترقًا غلالتنا البشرية.

القوة تحرق بشرتي، تتدفق نشوتها وعذابها في آنٍ واحد، فلا يمكن تمييزهما عن المتعة والألم.

أثناء تلاشيها، رأيت الحقيقة.. على مرأى من الجميع، إلا أنها كانت مختفية طوال الوقت.

نحن جميعًا أبناء دم وعظم.

جميعنا أدوات للانتقام والفضيلة.

اقتربت هذه الحقيقة مني، وراحت تهدهدني كطفل في حضن أمه، ربطتني بحبها، بينما كان الموت يقتنصني في قبضته.

# الفصل الخامس والثمانون

# زالي

***كنت دائمًا أتصور الموت*** رياحًا شتوية، لكن الحرارة تحيط بي كمحيطات إيلورين.

اعتقدت وأنا في سلام العافية وظلامها أنه منحة.

هل ثمة مكافأة أخرى يمكن أن أنالها أكبر من نهاية معركة لا تنتهي؟

«ماما، أوريشا ماما، أوريشا ماما، آوايون ديوبي بي إيجبو إيجبي وا..».

طنت الأصوات بينما الصوت القوي يدوي في الظلمات، دارت براعم فضية من الضوء في الظلام، تغمرني بنغمها الجميل، ومع استمرار الأغنية، تساقطت ندفة ثلجية من الضوء وسط الظلام بصوت له رنين أعلى من الآخرين، كانت تقودهم في العبادة والثناء، صاعدة من خلال الأكفان.

«ماما ماما ماما..».

صوت الضوء ناعم مثل الحرير، لين مثل المخمل، أحاط بكياني، وجذبني إلى دفئه، ورغم أنني لا أستطيع الشعور بجسدي، طفوت في السواد نحوه، لقد سمعت هذا الصوت من قبل.

أعرف هذا الصوت، هذا الحب.

صارت الأغنية أعلى وأعلى، مشعلة الضوء، وكانت تنبعث من ندفة الثلج، وتتشكل أمام عيني.

ظهر قدماها أولًا، وبشرتها سوداء كسماء الليل، كان الضوء ينبعث منها على ثيابها الحريرية الحمراء، الغنية والمتدفقة على بنيانها الأرضي، تتدلى المجوهرات الذهبية من معصميها وكاحليها وعنقها؛ وكلها تبرز غطاء الرأس المتلألئ المتدلي من جبهتها.

انحنيت حين دوى صوت الجوقة، غير مصدقة أنني أرقد عند قدمي «أويا»، لكن حين رفعت الإلهة غطاء الرأس المثبت في عرفها السميك من الشعر الأبيض، عيناها البنيتان الداكنتان جعلتا قلبي يتوقف.

آخر مرة رأيت فيها هاتين العينين كانتا فارغتين، تخلوان من المرأة التي أحببتها، الآن ترقصان، ودموع متلألئة تسقط من رموشيهما.

«ماما؟».
لا يمكن أن يكون هذا.
رغم أن والدتي كانت ترتدي وجه الشمس، إلا أنها كانت إنسانة، كانت جزءًا مني.
ولكن حين تمس هذه الروح وجهي، ينتشر الحب المألوف خلال جسدي، تسقط الدموع من عينيها الجميلتين البنيتين وهي تهمس: «مرحبًا صغيرتي زيل».
شعرت بدموع ساخنة تلذع عيني وأنا أنهار في حضنها الروحي، غمر دفؤها كياني، مما يجعل كل جراحي تلتئم، شعرت بكل الدموع التي بكيتها، وكل دعاء دعوت به، رأيت كل مرة نظرت فيها في أهيرينا شيئًا وتمنيت أن تكون جالسة هناك، ناظرة إلى الخلف.
صحت: «اعتقدت أنك رحلت».
«أنت أخت أويا، يا حبيبتي، تعلمين أن أرواحنا لا تموت أبدًا»، سحبتني إلى الخلف ومسحت دموعي بثيابها الناعمة، «كنت دائمًا معك، كنت دائمًا إلى جانبك».
تشبثت بها، وكأن روحها قد تفلت في أي لحظة من بين أصابعي، لو كنت أعلم أنها ستنتظرني في الموت، لكنت اعتنقته، وهرولت نحوه. معها كل ما كنت أريده، معها السلام الذي أخذته معها حين ماتت، معها، أنا أخيرًا آمنة.
بعد كل هذا الوقت، أنا في منزلي.
مرت بيديها على ضفائري قبل تقبيل جبهتي، «لن تعرفي قط كم نحن فخورون بكل شيء فعلته».
«نحن؟».
ضحكت، «بابا هنا الآن».
«هل هو بخير؟».
«أجل يا حبيبتي، إنه يرقد في سلام».
لم أستطع أن أتخلص سريعًا من الدموع الجديدة، أعرف عددًا قليلًا من الرجال يستحقون سلامًا أكثر. هل كان يعلم أن روحه ستنتهي إلى هذه النعمة، بجانب المرأة التي أحبها؟
«ماما، ماما ماما..».

علت الأصوات بالغناء. احتضنتني ماما مرة أخرى واستنشقت رائحتها. بعد كل هذا الوقت، لا تزال تنبعث منها رائحة التوابل والصلصات الدافئة، وهي المخاليط التي كانت تخمرها في رز الجولوف.

«ما فعلته في المعبد لا يشبه أي شيء رأته الأرواح من قبل».

«لم أتعرف على التعويذة». هززت رأسي. «لا أعرف ماذا فعلت».

أخذت ماما وجهي بين يديها وقبلت جبهتي: «سوف تعرفين قريبًا، زيل العظيمة، وخلال كل هذا، لن أترك جانبك أبدًا، أيًّا كان ما تشعرين به، وما تواجهين حين تعتقدين أنك وحدك..».

«زين أدركت ما ترمي إليه، أولًا ماما، ثم بابا، والآن أنا؟ قلت لاهثة:

«لا يمكننا أن نتركه، كيف يمكننا أن نأتي به إلى هنا؟».

«ماما، أوريشا ماما، أوريشا ماما..».

اشتدت قبضة ماما عليَّ مع ارتفاع الأصوات، حتى صارت تصم الآذان تقريبًا الآن، تغضنت التجاعيد عبر جبهتها الناعمة. « ليس له مكان هنا يا حبيبتي، ليس له مكان بعد».

«لكن يا ماما..».

«ولا أنت أيضًا».

غامت أصوات الغناء وصارت عالية لدرجة أنني لم أعد أستطيع معرفة ما إذا كانوا يشدون أم يصرخون. تقبضت أمعائي حين سمعت كلمات ماما.

«ماما، لا... رجاءً!».

«زيل...».

التصقت بها مرة أخرى، والخوف يخنقني. «أريد هذا، أريد أن أبقى هنا معك ومع بابا!»

لا أستطيع العودة إلى ذلك العالم، لن أنجو من ذلك الألم.

«زيل، أوريشا لا تزال بحاجة إليك».

«لا يهمني، أحتاج لك!».

صارت كلماتها متعجلة بينما بدأ ضوءها في التلاشي مع جوقة الأصوات السماوية. في كل مكان حولنا يلمع السواد، غارقًا في موجة من الضوء.

«ماما، لا تتركيني.. من فضلك، ماما! لا تتركيني مجددًا!».

تألقت عيناها الداكنتان والدمع يسقط منهما، ودفؤهما يهبط على وجهي.

«لم ينته الأمر بعد يا صغيرتي زيل، لقد بدأ للتو».

# خاتمة

عندما فتحت عيني، أردت أن تُغمضا، أردت أن أرى أمي، أردت أن ألتفّ بسواد الموت الدافئ، ولا أحدق في الظلال الأرجوانية التي تلطخ السماء المفتوحة.

بدا أن الهواء فوقي يتأرجح ذهابًا وإيابًا، ويهدهدني بلطف. أشعر بأنني أسبح كما أسبح في أي مكان. على المد والجزر في البحر.

وحين عادت سطوة الإدراك، صارت الحروق والأوجاع تلسع كل خلية في جسمي. ألم صارخ. الألم الذي يصاحب الحياة.

أفلتت آهة من بين شفتي وسمعت صوت خطوات.

«إنها على قيد الحياة!».

في لحظة، ازدحم ناظري بالوجوه: أمل «أماري»، ارتياح «زين».

حين ابتعدا، بقي «روين» وابتسامته المُصطنعة.

«كينيون؟» تمكنت من الحديث «كاطو؟ ريهيما..».

أكد لي «روين»: «إنهم أحياء، ينتظرون على السفينة».

بمساعدته، جلست مستندة إلى الخشب البارد للقارب الذي استخدمناه للرسو في الجزيرة المقدسة. تراجعت الشمس وراء الأفق، فأخفانا ظلام الليل.

سرت ومضة من المعبد المقدس خلال ذهني، فتهيأت للسؤال الذي يمنعني الرعب من توجيهه. نظرت في عيني «زين» البنيتين الداكنتين؛ لن يكون للفشل أي أثر على ملامحه.

«هل فعلناها؟ هل عاد السحر؟».

ظل ساكنًا، صمته جعل قلبي يغوص في صدري، بعد كل هذا، بعد «عنان»، بعد بابا.

قلت بصعوبة: «لم نفلح؟» لكن «أماري» هزت رأسها، ورفعت يدًا تنزف، وفي الظلام يحوم حولها ضوء أزرق نابض بالحياة. طقطق خط أبيض مثل البرق في شعرها الأسود.

للحظة، لم أجد تفسيرًا لهذا المنظر.

بعدها تجمدت الدماء في عروقي.

# كلمة المؤلفة

ذرفت الدمع مدرارًا قبل أن أكتب هذا الكتاب، وبكيت بكاءً حارًّا وأنا أراجعه. حتى وهو بين أياديكم الآن، أعرف أنني سأبكي أيضًا.

رغم أن ركوب الليونيرات الضخمة وإجراء الطقوس المقدسة قد ينتميان إلى عالم الخيال، إلا أن كل الألم والخوف والحزن والفقدان في هذا الكتاب حقيقة.

لقد كتبت «أبناء الدم والعظم» في وقت كنت أواظب فيه على سماع الأخبار وأرى قصص رجال ونساء وأطفال عُزل تطلقُ الشرطة الرصاص عليهم. شعرت بالخوف والغضب وقلة الحيلة، لكن كان هذا الكتاب الشيء الوحيد الذي جعلني أشعر وكأنني أستطيع أن أفعل شيئًا حيال ذلك.

قلت لنفسي لو أن شخصًا واحدًا قرأه فتغير به قلبه أو عقله. حينئذ سأكون قد فعلت شيئًا ذا مغزى في مواجهة مشكلة تبدو في الغالب وكأنها أكبر منِّي بكثير.

الآن صار الكتاب بين أيديكم، وأنتم تقرءونه.

من أعماق قلبي، أشكركم.

لكن إن كانت هذه القصة قد أثرت فيكم على أي نحو، فكل ما أطلبه منكم هو ألا تدَعوا الأمور تتوقف عند صفحات هذا الكتاب.

إذا بكيتم من أجل «زليخة» و «سَليم»، فابكوا من أجل أطفال أبرياء مثل «جوردون إدواردز»، «تامر رايس»، «وأيانا ستانلي».. «جونز». لقد كانوا في الخامسة عشرة والثانية عشرة والسابعة حين أطلقت الشرطة عليهم الرصاص وقتلتهم([1]).

إذا انفطر قلبك لحزن «زالي» بسبب موت والدتها، فسينفطر لجميع الناجين من وحشية الشرطة الذين اضطروا لمشاهدة أخذ من يحبونهم أمام أعينهم؛ ناجين مثل «دايموند رينولدز» وابنتها ذات الأربع سنوات اللتين كانتا في السيارة حين أوقفت. اضطر «فيلاندو كاستيل» إلى التوقف على جانب الطريق وأُطلِق عليه الرصاص وقُتل([2]).

«جيريمو يانيز»، الضابط الذي قتله، بُرِّئ من جميع التهم([3]).

هذه بضعة أسماء مأساوية فقط في قائمة طويلة من الأشخاص السود الذين تعرضوا للقتل أسرع مما ينبغي. أمهات انتُزعن من أحضان بناتهن، وآباء انتزعوا من الأبناء، وآباء سيقضون ما بقي من حياتهم في حزن لا ينبغي لأب أو لأم أن يعيشاه.

هذه واحدة فقط من المشاكل الكثيرة المبتلى بها عالمنا، وتمر أيام كثيرة للغاية تبدو فيها هذه المشاكل أكبر منا، لكن ليكن هذا الكتاب دليلًا على أننا نستطيع دائمًا - كما تقول «زالي» في طقسها: «أبوجبو وا ناي أومو ري نينيو إيجي آتي إيجيونجيون».

نحن جميعًا أبناء من دم وعظم.

ومثلنا مثل «زالي» و «أماري»، لدينا القدرة على تغيير شرور هذا العالم.

لقد طال بنا عهد الاستسلام أكثر مما ينبغي.

والآن.. هيا بنا ننهض.

# شكر وتقدير

لقد حباني الله بمعرفة مجموعة من أفضل الناس في هذا العالم، ومنَّ عليَّ بالعمل معهم، وأعتقد أن هذا لم يكن ليتاح لي لولا أن وضعهم الله في طريقي. أشكرك يا إلهي على كل ما أنعمت به عليَّ. أمي وأبي، أشكركما على التضحية بكل شيء تعرفانه وتحبانه لتتيحا لنا كل الفرص الممكنة. وسيظل دعمكما لي منذ أن أقلعت بهذا الحلم دينًا في عنقي. أبي، لقد علمتني ألا أستكين، وكنت دائمًا تدفعني كي أبذل أفضل ما عندي. أحبك و أعلم أن جدتي تطل علينا من عليائها كل يوم. أمي، أعتقد أن شخصياتي بالرواية فقدوا أمهاتهم في الصغر لأن هذا حدث لك، و كان هذا الفقد دائمًا هو أخوف ما أخاف. شكرًا لك على محبتك ودعمك لي في نواحٍ كثيرة لا أستطيع إحصاءها. شكرًا أيضًا للأعمام والعمات الذين ساعدوني فيما يتعلق بترجمات اليوروبا!

«طوبي» لو، لو لم تكن بهذه الروعة، حين نشأنا معًا، لم تكن نفسي الطفولية الحانقة لتجد حافزًا لها كي تكون أفضل ما يمكن أن تكون. شكرًا لأنك سعيت وراء أحلامك دون كلل فعرفتُ أن بإمكاني أن أفعل الشيء نفسه. «طوني»، كنت عدوي اللدود على مدى الخمس عشرة سنة الأولى من وجودك، وكنت نذلًا معي في 17/1/25 (قلت لك إنك ستندم!). ومع ذلك، فأنا أحبك من كل قلبي، وأعتز بك، وأعلم أنك ستكون أشهر أفراد عائلة «آديمي».

«جاكسون»، أعز الناس، وقارئي الأول. لقد آمنتَ بي وبكتابي حتى قبل أن أبدأ. شكرًا لأنك كنت أول معجب بي وداعم لي، وكنت من خلفي دافعًا لي حين كان خوفي يعقلني عن الثقة بنفسي.

«مارك، ديب»، و «كلاي»، شكرًا على قبولكما لي في عائلتكما بأذرع مفتوحة وجُبن مقلي.. أحبكم جميعًا، وفخورة أن أدعوك يا «كلاي» بأخي الصغير.

«دي جي ميشيل إستريلا»، أنتِ إنسانة رائعة وفنانة رائعة. أشكركِ على الرموز الجميلة التي بهذا الكتاب!

«بريندا دريك»، شكرًا لك على نكرانك لذاتك وعلى تضحيات قدمتها في مساعدة كل هؤلاء الكُتَّاب على تحقيق أحلامهم. «أشلي هيرن»، لقد سكبت من قلبك وعبقريتك في هذه المخطوطة وساعدتني في سرد القصة التي أردت دائمًا سردها. أحبك وأجد أنني كنت محظوظة جدًّا بما أسديته لي من نصح!

«هيلاري جاكوبسون» و «ألكسندرا ماشينيست»، أنتما معًا تتحديان مصطلح «وكلاء الأحلام» لأنكما فوق أي شيء يمكن أن أكون قد حلمت به. أنتما مثال للعبقرية والضراوة، وقد أنعم الله عليَّ بالعمل معكما.

إلى «جوسي فريدمان»، أشهر موزع للأفلام الملحمية على الإطلاق، شكرًا لأنك أخذتني من حلم العمل على كتابة فيلم إلى التحدث مع مجموعة من أروع الناس في هوليوود عن فيلمي.

«هانا موريل»، «أليس ديل»، «مايري فريسين إسكانديل»، و «روكسان إدوارد»، شكرًا لكم على أن جعلتم قصتي عالمية. وأنا أقصد هنا ما تحمله كل الكلمة من معنى.

«جون ياجيد» و«جان فيويل»، شكرًا لإيمانكما بي وبهذه السلسلة على نحو غير مسبوق. لقد جعلتم من «ماكميلان» موئلًا رائعًا، ومن نعم الله أني نشرت هذا الكتاب من خلالكما.

حبة القلب «كريستيان تريمر»! أنت «ماما أجبا» التي حكيت عنها: العجوز، قوية الشكيمة، الساحرة، التي لا يُشَقُّ غبار لتأنُّقها والتي أعطتني شايًا وهراوة معدنية ومنحتني حكمتها حين كنت في أمسِّ الحاجة إليها. أشكرك لأنك كنت بطلة رائعة لي ولهذا الكتاب!

حبة القلب الملكة المتوجة «تيفاني لياو»! أنت «أماري» التي في كتابي. لقد نزلت من عليائك وطعنت قائد الساحة لإنقاذ حياتي، وضفرت شعري على القارب وقلت لي إنك تؤمنين بي حتى حين كنت لا أومن بنفسي.

«تيفو»، أنت كل شيء، وأرى أن العمل مع امرأة عبقرية رائعة مثلك منة من الله.

«ريتش دياس»، كل سطر وكل جرة قلم وكل حرف في هذا الكتاب لا تنقصه العبقرية. أشكرك على هذا الغلاف المذهل الذي وضعته على كتاب أراه قطعة من قلبي.

إلى فريق الدعاية والإعلان في ماكميلان، أنتم رائعون. أشكركم على كل ما بذلتموه في تقديم هذا الكتاب للعالم. وإلى مُعلنتي الرائعة «مولي

إيليس»، أفضل أيامي هي تلك التي أرسل لك فيها عشر رسائل إلكترونية. وأراني محظوظة جدًّا بالعمل معك.

«كاثرين» الصغيرة، أنت مخرجة عبقرية قوية الشكيمة، وقد أحببت كل لحظة تحاورت فيها معك. «ماري فان آكين»، لا يمكنني طباعة اسمك دون أن أقول في نفسي: «يا لك من مارقة!» وأضحك. أنت أنشط النساء في مجال النشر. أرجو أن نظل أصدقاء حتى آخر العمر. «ماريل دوسون»، أنت إلهة معبودة، وكل ما فعلتِه لأجل هذا الكتاب كان جميلًا وملحميًّا مثلك. «أشلي وودفوك»، أنت رائعة ككاتبة وخبيرة تسويق وصديقة. أحبك، وأتمنى لكتابك «الجمال الذي يبقى» (The Beauty That Remains) عيد ميلاد سعيدًا حتى آخر الزمان. «أليسون فيروست»، أعلم أن أيًّا من هذه الحملة الرائعة لم يكن ليتحقق بدون توجيهاتك ودعمك. وشكر خاص لباقي أفراد فريقي المذهل، بما في ذلك «بريتاني بيرلمان»، «تيريزا فيرايولو»، «لوسي ديل برايوري»، «كاتي هالاتا»، «مورجان ديوبين»، «روبرت براون»، و «جيريمي روس».

شكرًا لفريق المبيعات في ماكميلان على حبكم ودعمكم للكتاب، مع شكر خاص لـ «جنيفر جونزاليس» و «جيسيكا بريجمان» و «جنيفر إدواردز» و «كلير تايلور» و «مارك فون بارجن» و «جنيفر جولدينج» و«سوفرينا هينتون» و «جيمي أريزا» و «أ. ج ميرفي». لـ «توم ناو» وجميع من في قسم الإنتاج ممن عملوا في ظل مواعيدنا النهائية المُحددة لتحويل هذا إلى حقيقة فعلية! إلى «ميليندا آكيل» و «فاليري شيا» والمحررين لعملهم الشاق. إلى «باتريك كولينز»، الذي جعل جوهر هذا الكتاب جميلًا كظاهره. إلى «لورا ويلسون»، و «بريسا روبنسون»، و «بورانا جريكو» في «ماكميلان أوديو». وإلى كل شخص في ذلك المبنى الرائع فعل شيئًا من أجل هذا الكتاب، أشكركم من أعماق قلبي.

إلى فريق فيلم «أبناء الدم والعظم»، لا توجد كلمات لوصف ما يعنيه بالنسبة لي وجودكم خلفك هذا الفيلم. شكرًا لكم على حماسكم وشغفكم بهذه القصة. «باتريك ميدلي» و«كلير ريث»، أنتما رائعان، وابتسامتكما هي الأروع. شكرًا لكما على حُبكما هذا الكتاب والسعي لتوفير أفضل شركة إنتاج له. «إليزابيث جابلر»، «جيليان بورر»، و «جياوتشن»، شكرًا لكم على أن منحتم كتابي هذا شركة إنتاج رائعة واستوديو تم تصوير الكثير جدًّا من أفلامي المفضلة به. لقد أحببت كل دقيقة قضيتها في التعرف عليكم،

وأتلهف شوقًا لكل ما هو آت. «كارين روزنفيلت»، أشكرك على وضع عبقريتك في إنتاج هذا الفيلم. «وايك جودفري»، شكرًا لك على أن منحت حبك وحماسك لهذا متى اتسع لذلك وقتك! «مارتي بوين»، «جون فيشر»، و «تيمبل هيل» للإنتاج، شكرًا لكم على صنع الأفلام التي أحببتها منذ صغري، وعلى إضافة «أبناء الدم والعظم» إلى قائمة ملاحمكم. «ديفيد ماجي» و « لوك دوريت»، شكرًا لكما على كتابة السيناريو الرائع. «باري هالديمان»، «جويل شوف»، «نيل إريكسون»، شكرًا لكم على هذا العمل الجاد الذي قدمتموه لإرشادي خلال هذه الرحلة المجنونة!

«رومينا جاربر»، أنت النور في هذا الكون وشمس مشرقة في حياتي. شكرًا لك على روعة صداقتك ودعمك. «ماريسا لي»، تمتلكين موهبة تعجز الكلمات عن وصفها وجعلت مني شخصًا أفضل وكاتبة أفضل. شكرًا لك على كل الحب والفرح اللذين جلبتهما لحياتي! «كريستين تشيكاريلي»، سأظل إلى الأبد مدينة لكِ بكل مرة ساعدتني فيها على مواصلة العمل في هذه القصة والتغلب على صراعاتي الخاصة. حياتي، وكتابي، وقلبي أفضل لأنك في حياتي.

كيستر «كيت» جرانت التي أعشقها! أنت جميلة مظهرًا ومخبرًا، ولا أطيق صبرًا حتى يرى العالم «بلاط المعجزات» (Court of Miracles A). «هيلاريز أنجيلز»، شكرًا على هذا النبع الذي لا ينضب من الحب والدعم، والضحكات!

«شيا ستانديفر»، أنت أرحم من رأيت من بني البشر، وموهبتك لا تحدها حدود. «أدالين تايلور جريس»، هههههههه! أنت شريكتي الخالدة في الجريمة وتجعلينني أرسل لك الكثير من صور فرقة «بي تي إس» وغيرهم من الرجال الذين قابلتهم مصادفة، وهذا يجعلك صديقة صدوقة. أشكر لكما وقوفكما دائمًا بجانبي وبجانب هذا الكتاب.

«دانييل خوسيه أولدر» و «سابا طاهر» و «مايكل دانتي دي مارتينو» و «بريان كونيتزكو»، شكرًا لكم على تحقيقاتكم التي جعلتني أرغب في تأليف هذا الكتاب. «دونييل كلايتون»، «زوريدا كوردوفا»، و «دي جي أو»، شكرًا لكم على مساعدتي في تحويل «أبناء الدم والعظم» إلى قصة أفخر بتقديمها للعالم. «آنجي توماس»، «لي باردوجو»، «نيك ستون»، «رينيه أهدايه»، «ماري لو»، و«جاسون رينولدز»، شكرًا لكم على الحب والدعم والتوجيه، والإلهام الذي منحني إياه كل منكم طوال رحلتي. أنا

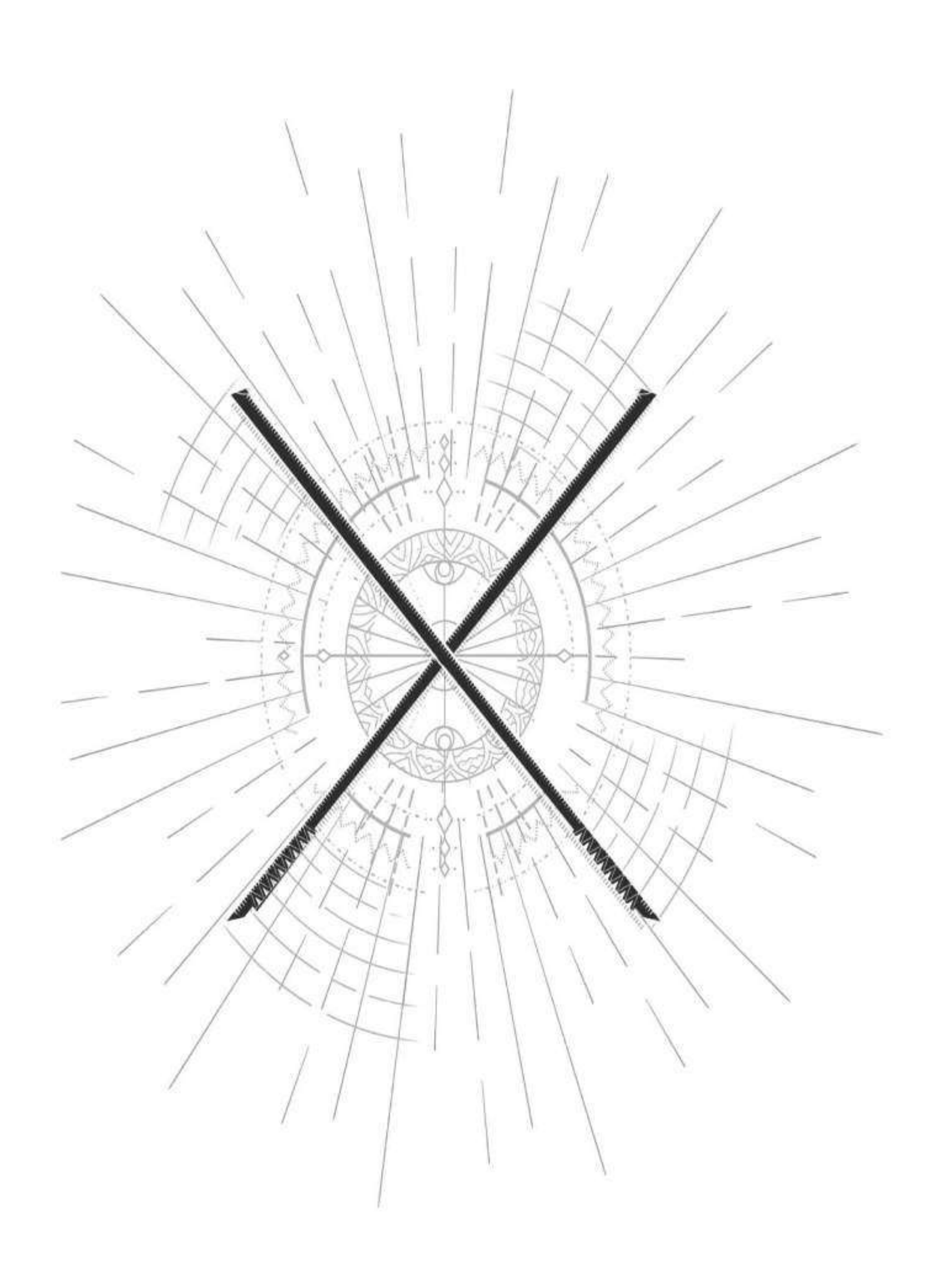
فخورة بأنني أكتب في وقت يقدم فيه مؤلفون رائعون أمثالكم قصصهم للعالم.

«مورجان شيرلوك» و «آلي ستريتس»، لا أدري ماذا فعلت كي أحصل على صديقين رائعين مثلكما، لكنني سعدت للغاية بوجودكما في نشأتي ووجودكما معي حتى الآن. أحبكما، وأفخر جدًّا بما صرتما إليه. «شانون جانيكو»، لقد كنت دائمًا صديقة قبل وجودها، وصرت امرأة مذهلة. أحبك، وكل طفل يتعلم على يديك هو واحد من أكثر الأطفال حظًّا على مستوى العالم. «ماندي نيامبي»، أنت أكثر من عرفت من النساء ذكاءً وشفقة وجِدًا. شكرًا لأنك كنت أختًا لي. أحبك، وأفخر بك، وأشعر أن العالم كله ملك يميني. «ياسمين عودة»، «إليزبارانوسكي»، و «جولييت بيلين»، منحتموني دائمًا الحب، والدعم، ودفعتموني لتحقيق أحلامي. أحبكم وأرى أن وجودكم في حياتي نعمة وأفخر جدًّا بكل ما فعلتموه وكل ما ستفعلونه. وأنت يا «إليز»، يمكنك استخدام هذا النص كدليل إذا ما شكك أحد في مدى قربنا في الحقيقة.

لأصدقائي في «تايتل بوكسنج» و«كودي مونتاربو»، شكرًا لكم على الحفاظ على ما بقي من عقلي! «لين مانويل - ميراندا»، شكرًا لك على إبداع هذا العمل الفني الملهم الذي لم يفارقني طوال سهراتي حتى الصباح. أيها العباقرة السود، أشكر لكم إلهامكم وتحفيزكم لي. وتحية خاصة لـ «ميشيل وباراك أوباما»، ومغني الراب «تشانس»، «فيولا ديفيس»، «كيري واشنطن»، «شوندا رايمر»، «لوبيتا نيونجو»، «إيفا ديفورني»، «زليخة باتيل»، «خريس روجرز»، «باتريس كولورز»، «أليشيا جارزا»، و «أوبال توميتي».

إلى أساتذتي، أشكركم على مساعدتي في اكتشاف نفسي وماذا أريد أن أقول. تحية خاصة للسيد «فريبيل»، السيدة «كولياني»، السيد «مكلود»، السيد «وودز»، السيد «ويلبر»، «جوي مكمولين»، «ماريا تارتار»، «كريستينا فيليبس ماتسون»، «إيمي هيمبل»، و«جون ستوفر».

وأخيرًا وليس آخرًا بالتأكيد: لقرائي. لا شيء من هذا كان ممكنًا بدونكم. شكرًا لقيامكم بالرحلة إلى أوريشا. لا أطيق صبرًا حتى أستكمل المغامرة معكم.



*«ظاهرة».*

**- إنترتينمنت ويكلي**

*«بعالمها الخيالي الحافل بالتاريخ وصراعات القوة تعتبر أبناء الدم والعظم هي الملحمة التي كنت أنتظرها».*

**نيو يورك تايمز- المؤلفة الأكثر مبيعًا «ماري لو»**

*«رواية أولى رائعة، مفجعة، مزلزِلة. ولأنها واحدة من أفضل الروايات الخيالية، فإنها تعزف معزوفات موسيقية تكون رقيقة أحيانًا، ومرعبة أحيانًا، معبرة عن الواقع المعيش، بينما تطير بالقارئ سريعًا إلى عالم سحري من صنع خيال عبقري.*

**نيويورك تايمز - المؤلف الأكثر مبيعًا «دانيال خوسيه أولدر»**

*«سوف تتغيرون. سيكون كل منكم مستعداً كي ينهض ويستعيد السحر الخاص به».*

**دونيل كلايتون - مؤلفة ذا بيلز**

# نبذة تعريفية

تأخذنا تومي آديمي إلى عالم السحر و الخيال، فتتذكر زالي أديبولا بطلة الرواية، عندما كانت أرض أوريشا تطن بالسحر، فكان سحرة النار يشعلون النيران، وسحرة المد و الجزر يسخرون الأمواج، وكانت أم زالي تقوم بتحضير الأرواح. لكن تغير كل شيء في الليلة التي اختفى فيها السحر تحت قيادة ملك لا يعرف الرحمة، حيث تم استهداف كل من يمتلكون قدرات سحرية وقتلهم، فصارت زالي بلا أم، وأصبح قومها بلا أمل، ولم يبق ممن لديهم القدرة على استخدام السحر إلا قليلون وكان لابد لهؤلاء أن يظلوا مختفين.

كانت زالي واحدة من هؤلاء، وأمامها الآن فرصة لإعادة السحر إلى قومها ومهاجمة العرش، وبمساعدة أميرة متمردة، لابد أن تتعلم زالي كيفية تسخير قدراتها والإطاحة بولي العهد الذي نذر نفسه لاجتثاث السحر من جذوره إلى الأبد.

فبدأ الخطر يلوح في أوريشا، حيث تجوس مخلوقات غريبة في الطرقات، وتكمن أرواح موتورة في الماء، إلا أن أعظم خطر قد يكون في زالي نفسها، وهي تكافح لترويض القوى السحرية التي تمتلكها ومشاعرها المتصاعدة نحو العدو.

---

**المؤلفة في سطور:**

كاتبة نيجيرية أمريكية تعيش في سان دياجو بكاليفورنيا.

تخرجت في جامعة هارفارد بمرتبة الشرف في الأدب الإنجليزي.

درست علم أساطير غرب إفريقيا، والدين والحضارة في سالفادور بالبرازيل.

فاجأت القراء بالجزء الأول من روايتها أبناء الدم والعظم المستلهمة من أساطير إفريقيا المثيرة.

تعمل كمدربة على الكتابة الإبداعية.

# الملاحظات

[←1]

elez, Ashley. «I Made It to 21. Mike Brown Didn't.» The Root, 2017

[←2]

Park, Madison. «After Cop Shot Castile, 4-Year-O1d Worried Her - .Mom Would Be Next.» CNN, 2017



[←3]

Smith, Mitch. «Minnesota Officer Acquitted in Killing of Philando Castile.» The NewYork Times, 2017

# جدول المحتويات